دار المشرق ش م م
ص.ب: ٩٤٦ - بيروت، لبنان

التوزيع:
المكتبة الشرقية - ساحة النجمة
ص.ب: ١٩٨٦ - بيروت، لبنان

الأب ألبير أبونا



تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية

الجزء الثاني

من مجيء الإسلام حتى نهاية العصر العباسي

دار المشرق
بيروت

دار المشرق ش م م - ص.ب. ٩٤٦، بيروت

ISBN 2-7214-7013-2

التوزيع: **المكتبة الشرقية**
ص.ب. ١٩٨٦، بيروت - لبنان

تصميم الغلاف:
جان قرطباوي

المقدمة

شهد القرن السابع الميلادي احداثاً سياسية ودينية هامة غيّرت وجه هذه المنطقة . فبعد اذ كانت المسيحية عرضةً للاضطهاد في المنطقة البيزنطية ، ثم في المنطقة الفارسية ، وفي مجابهة مستمرة مع الوثنية بمختلف مظاهرها ومذاهبها ، وجدت ذاتها على حين غرة امام ديانة اخرى تبنّتها اقوامٌ في الجزيرة العربية ، وسرعان ما انتشرت بين سائر القبائل العربية ، وامتدت الى اقوام اخرى والى مختلف البلدان في الشرق والغرب . فكان على المسيحية ان تأخذ موقفاً صريحاً من هذا الدين الجديد الذي ينادي بوحدانية الله الخالق وبالقيم الروحية الاساسية ، ويقاوم الاصنام ونفوذها ، ويكافح الوثنية ، ويحاول اجتثاث جذورها المتأصلة في البلاد العربية وفي بلاد المشرق .

ومن البديهي اننا لا نرمي في هذا الكتاب الى اثارة النعرات الدينية ، بل نهدف الى عرض الاحداث التاريخية بموضوعية بعيدة عن كل تزمّت اواستعلاء ، فنسلّط الاضواءَ على علاقات المسيحية بالاسلام . وقد ذكرنا في الجزء الاول من تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية كيف رحّب المسيحيون الشرقيون بالعرب المسلمين الفاتحين ، وقد رأوا فيهم محرِّرين يُزيحون عن كواهلهم أوزارَ السلطات العاتية التي طالما استهانت بكرامتهم واستباحت مقدّساتهم ، وحاولت القضاء على ديانتهم باضطهادات متلاحقة عبر الاجيال .

إلاّ أنّ نشوة الانتصار والتحرر قد تبعتها حقبةُ الاستقرار والتنظيم ، ولحقتها مرحلةُ الذود عن الكيان والمعتقد في القرون اللاحقة . وقد اعتور العلاقاتِ المسيحية–

الاسلامية احياناً شيءٌ من التأزم الناجم عن قلة انفتاح لدى بعض الحاكمين ، اوعن قلة المرونة والفطنة لدى المسيحيين . الا ان تلك كانت أزمات طارئة اعقبتها انفراجاتٌ اتاحت للمسيحيين ان ينعموا بحريتهم الدينية وان يمارسوا شعائرهم في ظل الخلفاء الراشدين ثم الأمويين والعباسيين .

والله اسأل ان يكون هذا الكتاب وسيلةً لمزيدٍ من التفاهم بين ابناء هذه البلاد بمختلف فئاتهم ، وان يسهم في خلق جوّ من الاخوّة والتعاون فيما بينهم ، ليستفيدوا من دروس التاريخ واحداث الماضي لبناء حاضر يسوده النظام والاستقرار والسلام وإعداد مستقبل يحمل الكثير من التفاؤل في تحقيق الطموحات المشروعة لدى الجميع .

بغداد ، في ١ آب **١٩٩٢** **الاب البير ابونا**

الفصل الاول

الجزيرة العربـية قُبَيْل ظهور الاسلام

١ . القبائل العربـية

منذ عهود طويلة قبل ظهور الاسلام ، نشأت في الجزيرة العربية دويلات فوق هضبة الحجاز الواسعة وفي نجران وفوق الجبال اليمنية الخضراء وفي عُمان وحضرموت وجزر البحرين وبجوار واحات الاحساء ، وحتى في قلب الجزيرة . وكانت قبائل عربية اخرى تواصل حياتها البدوية التقليدية . فكان ثمة اذن نوعان من الحياة : الحضر والبدو الرحّل . وبينما عكف الاولون على حياة الاستقرار وعلى مزاولة التجارة ، واصل الآخرون حياتهم البدوية ، متنقلين وراء قطعانهم ، يمارسون السلب والنهب احياناً في سبيل المعيشة .

وكانت الجزيرة العربية قُبَيْل ظهور الاسلام في حالة تفكّك ديني وسياسي واجتماعي ، بالنظر الى عدم التجانس الجغرافي والمعيشي . . . وكانت القبائل العربية الكبرى تشكّل مجموعتين متنافستين تنتسبان الى ابراهيم الخليل : ينتمي عرب الجنوب او اليمنيون الى قحطان ، وعرب الشمال او النزاريون الى اسماعيل . ثم تفرعت المجموعتان فروعاً عديدة مثّل بعضُها دوراً بارزاً في التاريخ ، منها قيس وقريش من النزاريين ، ولخم وكِندة من اليمنيين .

وقد عرف القسمُ الجنوبي من الجزيرة حضارة زاهرة في عهد مبكر ، وقامت فيه على التوالي المملكة المعينية ، ثم مملكة سبأ ، واخيراً مملكة حمير التي ظهرت في نحو

القرن الثاني قبل الميلاد ، ولكنها وقعت تحت سيطرة احباش اكسوم في القرن الرابع الميلادي[١] .

اما القسم الشمالي فقد تأخر دخوله في التاريخ الى ما بعد انحطاط المملكة الحميرية ، حيث اصبحت مكّة «جمهورية تجارية» نظمتها قبيلة «قريش» القوية ، واصبحت تؤمّن التجارة بين المحيط الهندي والبحر المتوسط ، واضحت نقطةَ انطلاق القوافل المنظمة . وقامت ايضاً في اطراف الجزيرة العربية دويلات انشأتها القبائل العربية النازحة نحو الشمال ، منها مملكة الانباط (عاصمتها البتراء) ، وهم من قادة القوافل الذين تحضّروا واصطبغوا بالصبغة الآرامية ، ومملكة اللخميين (عاصمتها الحيرة) ، واخيرا مملكة الغسانيين او الغساسنة التي وكل اليها الروم حماية الحدود السورية . . .

٢. الوضع السياسي

كانت ثلاث امبراطوريات تتقاسم الشرق الكلاسيكي آنذاك : البيزنطية في الغرب ، والفارسية في الشرق ، والحبشية في الجنوب . وكانت البلاد العربية محاطة بهذه الدول الكبرى . . . وكانت بيزنطية والحبشة تشتركان في الديانة المسيحية نفسها ، وإن اختلفت المعتقدات في وقت لاحق .

كانت **الامبراطورية البيزنطية** تسيطر على القسم الشمالي من الشرق الاوسط ، وتمتد سلطتها الى آسيا الصغرى وآسيا الاوربية وبلدان الدانوب ، بالاضافة الى اوربا الغربية والبلدان الافريقية الواقعة جنوبي البحر المتوسط . وكانت عاصمتها القسطنطينية حيث ينعم الامبراطور بسلطة مطلقة . وكانت اللغات المحلية مستعملة في مختلف المناطق ، بالاضافة الى اليونانية التي تُعتبر اللغةَ الرسمية ولغةَ الطبقة المثقفة .

اما في الشرق ، فكانت **الامبراطورية الفارسية** تسيطر على اعالي ما بين النهرين حتى المحيط الهندي . وكانت الزرادوشتية ديانةَ الدولة الرسمية ، ولو ان المسيحية كانت قد انتشرت فيها انتشاراً واسعاً . وكان ملك السلالة الساسانية هو الرئيس

---

(١) قامت في جنوب الجزيرة العربية (اليمن) هذه الدول المتعاقبة:
الدولة المعينية (١٢٠٠ - ٦٥٠ ق.م.) - الدولة السبئية (٦٥٠ - ١٥٠ ق.م.) .
الدولة الحميرية الاولى (١٥٠ - ق.م. - ٣٠٠ م) - الدولة الحميرية الثانية (٣٠٠ - ٥٢٥) .

الاعلى للديانة الفارسية ، بالاضافة الى سلطته المطلقة على الصعيد السياسي . اما اللغة الرسمية فكانت البهلوية او الفارسية . وكانت ساليق - قطيسفون (المداين) عاصمة هذه الامبراطورية .

وكانت حدود واهية تفصل ما بين هاتين الامبراطوريتين ، وكثيراً ما تثور بينهما نزاعات وحروب في سبيل السيطرة على خطوط المواصلات الكبيرة وعلى طرق التجارة وعلى المدن الحدودية . وهذا ما خلق حالةً من عدم الاستقرار في الشرق الاوسط . وقُبَيْل ظهور الاسلام ، كانت الحروب الدائرة بين كسرى الثاني الفارسي وهرقل البيزنطي قد انهكت قوى هذين العملاقين واستنزفت خاصة طاقات الفرس الذين تراجعوا امام الضغط البيزنطي المتزايد عليهم .

بالاضافة الى الحروب الخارجية ، كانت الاوضاع الداخلية ايضاً غير مستقرة في كلتا الدولتين . فالخصومات العقائدية التي خضّت الشرق خضّاً عنيفاً خلقت في بيزنطية حالة من الفوضى والارتباك . وكانت تجمّعات عرقية تتكتّل ، داخل كل من الدولتين ، تحت لواء قومية وعقيدة خاصة . وبينما كانت المسيحية منهمكة بامور عقائدية وبجدالات لاهوتية عقيمة حول الالفاظ والتعابير ، كانت الفكرة الدينية تختمر بعمق في الجزيرة العربية ، بلاد الرمال والبدو العتيدة ان تصبح منطلقاً للمدّ الاسلامي .

٣. الجزيرة العربية بين الشرق والغرب

كانت الجزيرة العربية بمعزل عن تلك الاحداث والاضطرابات ، اذ لم تفلح احدى هذه القوى الكبرى في بسط سيطرتها التامة عليها . واذا استثنينا فترات قصيرة من الاستعمار في جنوبي الجزيرة (اليمن) من قِبَل الفرس والاحباش ، نستطيع ان نقول ان الجزيرة العربية ، لا سيما في جزئيها الاوسط والشمالي ، لم تخضع حقاً للسيطرة الاجنبية ، بل حافظت على نوع من الحياد ، اذ كانت منطوية على ذاتها ومنشغلة بنزاعاتها القبلية الخاصة ، غير مكترثة بما يجري وراء حدودها الواسعة .

الا ان الجزيرة العربية لم تفتأ منذ القديم تجتذب عقول الغزاة الطامعين ، بالنظر الى موقعها الجغرافي والى الثروات المغرية فيها . وقد استرعت قديما اهتمام اليونان ، وراودت احلام الفرس والاحباش والغربيين من اغريق ورومان وبيزنطيين . وقد حدا

هذا الاهتمام السلطات الكبرى الى اقامة دويلات عربية ابرمت معها عهوداً واقامت علاقات تجارية . وستصبح هذه الدويلات مراكز نشطة لنشر الديانة المسيحية .

٤ . البيئة الدينية

كانت تهيمن على هذه الشعوب العربية ، المستوطنة منها والمتنقلة ، اشكال متنوعة من الوثنية الشرقية القديمة المرتكزة على عبادة الشمس والقمر والكواكب . وقد تطورت هذه الصيغ ، قبل مجيء الاسلام ، الى عبادة القوى الخفية المتمثّلة في الحجارة . واذا اخذت اشكال الوثنية هذه تتلاشى شيئاً فشيئاً من اذهان العرب في مطلع القرن السابع ، فقد بقي الحجر الاسود كعلامة للحفاظ على الوحدة بين القبائل المختلفة ، وكشعور بانتمائهم الى عرقٍ مشترك . وعلى هذا الشعور الجماعي العميق سيبني محمد ، بالاسلام ، امة عربية متجدّدة .

اما الكعبة التي كانت تنعش الحركةَ الاقتصادية في مكة ، فقد اصبحت شيئاً فشيئاً مركزاً دينياً كبيراً للبلاد العربية كلها وموضعاً شهيراً يحجّ اليه العرب حتى قبل القرن السابع ، وكانت الكعبة موجودة منذ القرن الثاني قبل الميلاد . ويقال ان بناءَها أُعيد في عهد محمد على شكل شبه مستطيل ، وكانت بالقرب من بئر زمزم الذي كان محطة التوقف الطبيعي للبدو الرحّل . وفي وقت لاحق وضعوا فيها الحجر الاسود الذي اضحى موضع الاكرام والعبادة ، ودار الحديث عن اصله السماوي .

وقد اضحت الكعبة في القرن السادس متحفاً زاخراً بالاصنام ، كل قبيلة وضعت فيها معبودها ، حتى اصبحت الآلهة على عدد ايام السنة ، وفيها ما يرضي جميعَ الاذواق ويلائم جميع الظروف والعقليات[٢] .

اما اسماء الآلهة الكبرى ، فقد جاءت في سورة النجم[٣] : «افرأيتم اللاتَ والعُزَّى ومناةَ الثالثةَ الاخرى» . وقورنت اللات بالشمس إلهةالسماء ، والعزّى بأفروديت او نجمة الصبح او فينوس (عشتار) اما مناة فكانت إلهة السعادة ، وهي ابنة اللات . وكانت هذه الإلهات الثلاث تشكّل ثالوثاً مؤنثاً . ويضاف اليها الإله«ودّ» ، الإله-

---

(٢) طالع **تاريخ اليعقوبي** ١، بيروت ١٩٦٠، ص ٢٥٤ - ٢٥٠.
(٣) سورة **النجم** (١٩/٥٣ - ٢٠) .

الحب (الانسان) . ونلقى في مكة ايضاً اربعة آلهة اخرى متجانسة مع الإله «ودّ» ، وهي : سواع (امرأة) ، ويعوق (حصان) ، ويغوث (اسد) ، ونسر (نسر) . وتمثّل هذه الآلهة الاخيرة ، حسب التقليد الاسلامي ، خمسة صدّيقين آمنوا برسالة نوح . وهناك ايضاً إلهان يمثّلان روح الشر وهما : الجبت والطغوت .

ونلاحظ ان تعدّد الآلهة عند العرب كان قد تطوّر ، في القرن السابع الميلادي ، وتحت تأثير اليهودية - المسيحية ، الى نوع من التوحيد والى فكرة إله فوق سائر الآلهة[٤] . وربما انهم مثّلوا هذا الإله المتسامي ب «هبل» الذي وحده من بين جميع الآلهة لم يلقَ معارضة من نبي الاسلام[٥] .

ويبدو ان المكيين وضعوا نظاما بين مجموعة الآلهة ، وقد مالوا ، حتى قبل الدعوة الاسلامية ، الى صيغة من التوحيد ، اي الى سيادة إله على الآلهة الاخرى . وهذا ما سهّل الدعوة الاسلامية واهتداء العرب الى التوحيد اليهودي . وهذا ما يظهر من سورة النحل[٦] = «وأقسموا بالله جَهدَ أَيمانِهم لا يبعثُ اللهُ من يموت . بلى وَعداً عليه حقاً ، ولكنَّ اكثَر الناسِ لا يَعلَمون» .

وحينما نقرأ النصوص القرآنية بانتباه ، نلاحظ دوماً هذه الجدلية التي ، انطلاقاً من لفظة «الله» ذاتها ، تحاول اخراج المكيين من الجهل الديني ، للعودة بهم الى معرفة الإله الحق الاوحد ، الإله الذي اعلنه الكتاب المقدس ، قبل القرآن بزمان طويل ، الإله الذي لا إله سواه .

---

(٤) سورة **الأنعام** (٦/١٣٥-١٣٦) .
(٥) ان أصل اسم «هُبَل» هو «هَبعل» اي البعل (الإله) .
(٦) سورة **النحل** (١٦/٣٧) .

الفصل الثاني

المسيحية في الجزيرة العربـية

بعد هذه النظرة السريعة الى شعوب الجزيرة العربية والى اوضاعها السياسية والدينية ، نحاول الآن ان نسلّط الاضواء على مدى تغلغل المسيحية في مختلف انحاء هذه البلاد المترامية الاطراف .

منذ بدء العهد المسيحي ، حاول اليهود الذين دخلوا البلاد العربية ان يقضوا على الوثنية السائدة بين العرب . فتشكّلت جاليات يهودية نشطة في خيبر وتيماء واليمن ونجران ، واجتذبت اليها العديد من العرب ، وبذلك هيّأت الطريق امام التوحيد الديني في الجزيرة العربية . وجاءت المسيحية ودعمت تلك الجهود ، ولكنها لم تقدّم للعَرب صيغة من التوحيد تناسب ذهنيتهم الخاصة .

١ . اليمن ونجران

يظهران المسيحية دخلت اليمن في نحو نهاية القرن الثالث او في مطلع القرن الرابع . وقد يكون دخولها انطلاقاً من الحبشة ، ولو ان هناك تقاليد تنسب تبشير المناطق الساحلية الجنوبية من الجزيرة العربية الى الرسل متى وتوما وبرتلماوس . وهناك اقوال اخرى واساطير تروي كيفية دخول المسيحية الى هذه المناطق ، كما ان هناك من يعتقد - مثل نولدكه الالماني - ان اصول المسيحية في اليمن ونجران تعود الى سوريا وما بين النهرين ، وان اللغة السريانية كانت اللغة الطقسية فيها . مهما يكن من امر ، فان

المسيحية في اليمن لم تصبح قط كنيسة منظمة تشمل جميع القبائل العربية الجنوبية ولا معظمها .

اما نجران ، فكانت تحكمها طبقة بورجوازية مسيحية تؤدّي الجزية للملك الحميري ، وذلك منذ القرن الخامس . وكانت هذه الديانة الجديدة المستورَدة من بلاد فارس هي المذهب النسطوري .الا ان الاضطهاد الذي شُنَّ على المنوفيزيين في عهد الامبراطورين يوستينس الاول (٥١٨ - ٥٢٧) ويوستنيانس الاول (٥٢٧ - ٥٢٧) أَدّى الى تدفّق هؤلاء نحو منطقة نجران ، حتى اضحت المنوفيزية فيها المذهبَ السائد . فتكوّنت فيها ابرشية سريانية تابعة لبطريركية الاسكندرية .

الا ان المسيحية تعرّضت منذ دخولها الى نجران لصعوبات جمة من اسياد اليمن الذين رأوا في هذه الديانة الجديدة خطراً يهدّد وحدتَهم ويقلّص سلطتَهم . وكان ذو نؤاس (مسروق) في صنعاء قد انضمّ الى الديانة اليهودية واضحى من المتعصبين لها . وقد اتّخذ مقتلَ يهوديين على ايدي النجرانيين ذريعةً للايقاع بأهل نجران المسيحيين ، بالاضافة الى حقده الشديد عليهم لكونهم موالين للأحباش اعدائه . فَقَتَلَ عدداً غفيراً من مسيحيي نجران سنة ٥٢٣ بلغ عشرين الفاً حسب بعض المؤرخين[(١)] . ويشير القرآن الى هذه المجزرة الرهيبة التي يسمي ضحاياها بأصحاب الاخدود[(٢)] . وقد ادت هذه المجزرة الى تدخّل الاحباش في اليمن سنة ٥٢٥ عبر البحر الاحمر ، والى الاستيلاء عليها ، وذلك بتحريض من الروم وبمساعدتهم . اما ذو نؤاس ، ففي غمرة يأسه ، خاض بحصانه في البحر وغرق . . . وهكذا انتهت المملكة الحميرية .

وفي سنة ٥٣١، ثار قائد مسيحي يُدعى ابرهة ضد النجاشي الحبشي وتخلص من سلطته ، مع بقائه حليفا لبيزنطية . ويُقال ان هذا القائد حاول الاستيلاء على مكة سنة ٥٤٢، ولكنه اخفق في مسعاه . وظلت اسرته تحكم بلاد اليمن حتى سنة ٥٧٠، بمساعدة الروم . الا ان الفرس غزوا البلاد واقاموا عليها اميراً عربياً هو مهدي كرب بن سيف بن ذي يزن ، يساعده في الادارة مستشارون فرس . ثم غزاها الفرس مرة ثانية سنة ٥٩٧ وجعلوها مقاطعة فارسية . . . وكانت تلك فرصة مؤاتية لتغلغل العنصر

(١) لا شك ان عدد القتلى في مذبحة نجران مبالَغ فيه ، اذ ان العدد الكلي للمسيحيين في اليمن كان نحو ٢٠ الفاً في نحو سنة ٥٢٣. ويقال ان بين ضحايا هذه المجزرة الرهيبة كان اكثر من ٤٠٠ راهب .
(٢) سورة **البروج** (٣/٨٥) .

النسطوري . فان الكنيسة النسطورية كانت قد نظمت شؤونها في ما بين النهرين ، ونما فيها الوعي برسالتها التبشيرية في المناطق الشرقية والغربية . . .

وهكذا فقد استمرت الديانة المسيحية بمختلف صيغها في نجران دون ان تتعرض لمضايق كبيرة . ويذكر المؤرخون العرب بين اساقفة نجران «قُس بن ساعِدة» الذي بهرت فصاحتُه محمداً حينما سمعه يوماً يخطب في سوق عكاظ في الحجاز[٣] .

٢ . المناطق الجنوبية الاخرى

كانت المسيحية قد دخلت منذ عهد مبكر الى المناطق الواقعة على ضفاف المحيط الهندي وعلى ضفاف الخليج العربي وعند مصب الرافدين وفي عُمان وقطر وجزر البحرين والاحساء والكويت . اما في حضرموت وتوابعها ، اي منطقة المهرة وجزيرة سقطرى ، فنجد آثاراً للمسيحية قبل مجيء الاسلام ، ونعرف اسماء ست ابرشيات على الساحل الشرقي من الجزيرة العربية وفي عمان وجزيرة سقطرى . ويبدو ان حاكم عمان نفسه الذي تلقى الدعوة الى الاسلام كان مسيحياً .

وفي اليمامة الواقعة في الجنوب الشرقي من نجد والحجاز ، كان للمسيحية انصار عديدون في قبيلة بني حنيفة القوية . والتيارات المسيحية نفسها القادمة من سوريا وما بين النهرين كانت قد نقلت الافكارَ المسيحية الى قلب البلاد العربية ، اي الى نجد حيث كانت تحكم قبيلة كندة التي انجبت امرؤ القيس حليف الملك يوستنيانس البيزنطي .

وهكذا ، في عشية مجيء الاسلام ، تبدو المسيحية متدفقة نحو الجزيرة العربية من جميع الجهات . فكانت تتقدم انطلاقاً من سوريا وما بين النهرين نحو نجد وضفاف الخليج العربي ، ومن اليمن ونجران كانت تشعّ من خلال المحيط الهندي وتتهيأ للدخول الى آسيا الجنوبية والى افريقيا السوداء .

٣ . الحجاز

تحفظ التقاليد العربية ذكريات بعيدة عن وجود الديانة المسيحية في هذه المنطقة .

---

(٣) الا ان هناك من يشك في كون قس بن ساعدة اسقفاً .

فيشير الطبري وابن هشام وابن خلدون الى مجيء برتلماوس الرسول الى الحجاز . ويروي الطبري ان مسلة جنائزية أكتُشفت قديماً في جبل عقيق القريب من المدينة تحمل حروفاً سريانية كانت تعلو ضريح احد رسل المسيح . ويذكر ياقوت الحموي ان «أيلة» (العقبة الحالية) كانت نصرانية . وكان اسقف أيلة من بين الذين حضروا مجمع نيقية سنة ٣٢٥ . ويظهران حاكمها وحده كان مسيحياً لدى ظهور الاسلام .

وكانت «دومة الجندل» كلها مسيحية ، وكان لها اسقف . وكان اكيدر بن عبد الملك - وهو من قبيلة كندة - ملكاً عليها ، وكان مسيحياً . وكان سكانها من بني سكون من قبيلة قضاعة المسيحية في معظمها ومن تجمّع هام من قبيلة بني كلب .

اما «وادي القرى» ، فكانت تسكنه قبيلتا قضاعة وسليح النصرانيتان . وتضم قبيلة بني صخر التي تسكن الآن تلك المنطقة فروعاً عديدة ما تزال تحمل القاباً مسيحية : بنو مطران ، اليعاقبة ، مهابرة (الاحبار) ، السماعنة ، الخ . . . وكلها تشهد لأصلها المسيحي .

وكانت قبيلة طي النصرانية العربية تسكن «تيماء» التي كان فيها حصن «الأبلق» الشهير الذي كان يحكمه الامير الشاعر السموأل الذي كان من اصل غساني وينتمي الى فرقة مسيحية - يهودية .

وكانت «تبوك» حصناً يسكنه نصارى قضاعة وجاورهم فيه بنو كلب من قبيلة تغلب النصرانية . وفي غزوة تبوك ، لم يتمكن محمد والمسلمون من اقتحامها لحصانتها ولسرعة الروم ونصارى العرب الى نجدتها . فحاصروها عشرين يوماً ، ثم قفلوا عنها راجعين .

اما «يثرب» (المدينة) ، فكانت شبه مستعمرة يهودية . كما ان اليهود فرضوا هيمنتهم على خيبر وفدك . الا ان سلطتهم في يثرب ذاتها لم تكن بغير منازع ، اذ كانت قبيلتا الاوس والخزرج القادمتان من اليمن بعد انهيار سد مأرب تقاسمان اليهود السلطة والنفوذ . وورد في تقويم قديم للكنيسة النسطورية ان النساطرة اقاموا في يثرب مطراناً واسقفين ، وكان لهم فيها ثلاث كنائس وعدد كبير من المؤمنين[٤] .

(٤) **تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية** ، طبعه وعلّق عليه الخوري بطرس عزيز ، بيروت ١٩٠٩، ص ٨.

٤. المسيحيون في مكّة

كانت قبيلة قريش تسكن مكة مع احلافها وعبيدها . وكانت مكّة مركزاً تجارياً هاماً جداً ، فيها تنمو الانظمة السياسية وتتواجد الطبقات الاجتماعية وتتعايش شتى الاديان والمذاهب . وكانت قبيلة قريش تشكّل نواة سكان مكّة وتشرف على تنظيم قوافلها التجارية الموسمية . اما السلطة في مكّة ، فلم تكن تعود الى فرد واحد ، بل الى مجالس عديدة تبتّ في الامور حسب اهميتها[٥] . ومما اولى مكّة اهمية فريدة بين العرب هو وجود الكعبة فيها ، هذا المركز الديني الهام الذي كان يستقطب القبائل العربية من مختلف البلدان . حتى ان القبائل العربية المسيحية ذاتها لم تكن تتأخر في القرن السادس عن الاستجابة الى نداء هذا المعبد الذي في ظله ، بعد القيام بفريضة الحج ، كانت تجري المساومات التجارية وتتداول الاحاديث السياسية والدينية . وهناك شعراء مسيحيون ، مثل عدي بن زيد والاعشى ، كانوا يُقسمون امام الحجر الاسود برب مكّة وبالصليب في آن واحد . وكان اليهود ايضا يكرمون هذا المعبد ويعيدون تاريخه الى جدهم الأكبر ابراهيم الخليل . وكانت الاحتفالات الجارية حول الحجر الاسود كأنها تكرّس وشائح الارتباط بين جميع الذين ينتمون الى العرق العربي وتوليهم انطباعاً عميقاً عن كونهم يشتركون في مصدر روحانية واحدة تتجسد في تعلّقهم العميق «برب البيت» الذي كان إله ابراهيم . ولكن هذا الطابع الشامل سيزول بعد «حجة» الوداع التي قام بها نبي الاسلام للكعبة ، والتي فيها حظر الدخول اليها على غير المسلمين .

وكانت منذ ذلك العهد ترتفع في قلوب العرب عقيدة بموجبها ان الإله الذي عبده ابراهيم واسماعيل كان الرب الاعلى للسماء والارض والخالق ورب العالمين والمسيطر على جميع آلهة المعبد . وستتبلور هذه العقيدة في هذه العبارة : لا اله الا الله .

وكان للمسيحيين دور هام في مكّة تجاه طبقات المجتمع القريشي كلها . ولكنهم لم يكونوا منظّمين ولم يكن لهم مؤسسات خاصة بهم . فكانوا من اصل محلي ، او من جاليات قدمت من مختلف البلدان . انهم يتكلمون لغة قريش او لغة هي مزيج من العربية والآرامية والحبشية . وقد تركت هذه اللغة اللكناء اثرها في لغة مكّة ، وظهرت

---

(٥) فكان هناك «دار الندوى» للبتّ في الامور الهامة ، و «نادي القوم» للبتّ في الامور الاعتيادية .

آثارها في لغة القرآن نفسه . وكان المسيحيون يمارسون كل المهن ، فيتواجدون بين الارستقراطية المكية ، كما في المهن المتواضعة ، وبين المؤسسة العسكرية للاحابيش او بين العبيد الذين يعرضهم الاحباشُ للبيع في اسواق البحر الاحمر . فان المسيحيين في مكّة ينتمون الى اصول عديدة : احباش واقباط وتجار من نجران ورعايا من الحيرة والغساسنة وانباط من سوريا ، مع بعض رهبان ومرسَلين ، بالاضافة الى نفر من عِلية القوم الذين اعتنقوا المسيحية ، امثال عثمان بن الحويريث وورقة بن نوفل ابن اسد وهو ابن عم خديجة التي اصبحت زوجة محمد الاولى(٦) .

فجميع هؤلاء المسيحيين الذين لا يربطهم سوى الايمان بالمسيح ، كانوا يمتزجون بالعرب الوثنيين في مكّة حول الكعبة ، ويبثّون هناك بعضَ المبادىء المسيحية والاخلاق المهذبة . ولكنهم كانوا ايضاً يظهرون خلافاتهم العقائدية : النساطرة ضد المنوفيزيين ، وكلاهما ضد الملكيين اتباع افسس وخلقيدونية ، بالاضافة الى الشيع اليهودية – المسيحية التي كانت ترسباتها الدينية ما تزال باقية في مطاوي الحجاز(٧) .

٥. الافكار المسيحية في الجزيرة العربية

كانت الافكار المسيحية قد تغلغلت ، قُبَيْل ظهور الاسلام ، في قلب الجزيرة العربية وفي مناطقها الحدودية . ويشهد على ذلك المؤرخون وأهل السير عامة . فيقول ابن قتيبة : «ان النصرانية كانت في ربيعة وغسان وبعض قضاعة»(٨) . ويقول اليعقوبي في تنصّر «تميم وربيعة وبني تغلب وطي ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ ولخم»(٩) . ويشهد الجاحظ بقوله : «كانت النصرانية قد وجدت سبيلها بين تغلب

(٦) طالع **تاريخ** اليعقوبي ١، ص ٢٥٧.

(٧) تجدر الملاحظة ان «النصارى» كانوا من يهود فلسطين الذين تنصروا ، وكانوا «شيعة» لتشيّعهم ، مع الايمان بالمسيح ، لشريعة موسى ، وتأميرهم آل بيت المسيح اساقفة عليهم من دون سواهم . وينبغي الا نخلط بين «المسيحيين»و«النصارى» . فالمسيحيون هم اتباع المسيح من الاممين . اما النصارى حصراً فهم اتباع المسيح من اليهود . لذلك فالنصرانية غير المسيحية . وهما في نسبة الشيعة الى السنّة . والسنّة المسيحية تشمل جميع الفرق المسيحية المعروفة . اما النصرانية الشيعة فقد ذابت في الاسلام (طالع الاستاذ الحداد في مجلة **المسرة** اللبنانيّة ، كانون ٢ لسنة ١٩٧٢، عدد ٥٧١، ص ٧٤، حاشية ١، وعدد ٥٠٣، ص ١٨٧).

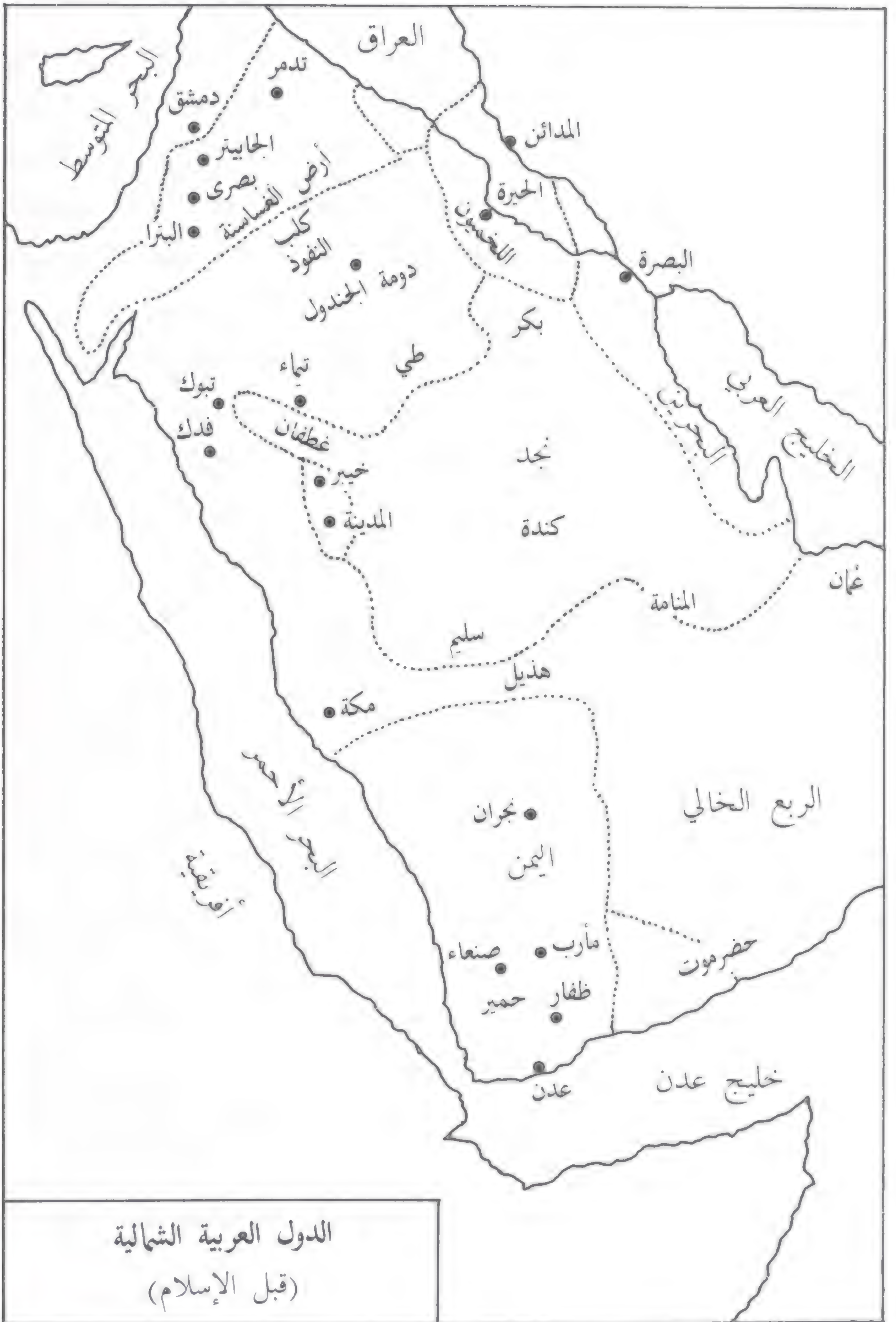
(٨) ابن قتيبة ، **المعارف** ، تحقيق ثروة عكاشه القاهرة ١٩٦٠، ص ٦٢١.

(٩) **تاريخ** اليعقوبي ١، ص ٢٥٧.

وشيبان وعبد القيس وقضاعة وسليح والعباد وتنوخ ولخم وعاملة وجذام وكثّير بن بلحارث بن كعب . . .»[١٠] . الا انه لا يسعنا تحديد المناطق او القبائل التي كانت ملتزمة بهذه الديانة التزاماً فعلياً حقيقياً . فقد وردت اشارات واضحة الى الشعور والتقاليد المسيحية في القصائد التي كان شعراء الجاهلية يلقونها ، حتى ذهب البعض الى القول ان البلاد العربية برمتها كانت على وشك الانضمام الى الديانة المسيحية او اليهودية ابّان ظهور الاسلام . الا ان انتشار اليهودية كان في الواقع قد توقّف بسبب انعزال اليهود وتزمّتهم الديني . اما المسيحية ، فقد ادت النزاعات القائمة بين مختلف الفئات والمذاهب فيها ، وعدم وجود رئاسة دينية موحّدة في الارض العربية قادرة على سبك العرب في قالب مؤسسة اجتماعية ، الى جعل المسيحية في حالة ضعف وعجز ، ولا سيما انها لم تكن قد ترسّخت بعمق في نفوس هؤلاء العرب . حتى ان شخصاً مثل الامام علي بن ابي طالب لم يتردد في القول عن المسيحيين الذين كانوا يرفضون الانضمام الى الاسلام : «انهم لا يعرفون من المسيحية سوى انها تسمح لهم بشرب الخمر» . فكانت مسيحيتهم سطحية وضحلة . وكان ثمة سبب آخر ، وهو ان الذهنية العربية لم تكن تبدي حماساً كبيراً في تقبّل المعتقدات المعقّدة التي كانت المسيحية تنادي بها . ولا نغالي اذا قلنا انه لولا عقيدة المسيح ابن الله ، لكان من شأن التعاليم المسيحية الداعية الى السلام والمحبة ان تكتسب قلوب العرب ، ولكان من شأن السلوكية المسيحية المنفتحة على جميع البشر دون تمييز بين الاعراق والالوان ، ومدعومة بمفهوم وحدانية الله التي لم يكن عرب الجاهلية غرباء عنها ، ان تؤدي ، في ذلك المنعطف الحاسم من التاريخ ، الى اتّساع في المنظور السياسي ما وراء الاطر القبلية ، والى المساهمة في الوقت ذاته في تلطيف الاخلاق العربية .

في نهاية الامر ، فان المسيحية الناقصة بل المشوّهة عند العرب الذين لم يحيوها بعمق ولم يمارسوها بالتزام ، هذه المسيحية حديثة العهد والمفتقرة الى تنظيم جيد والمتجزئة الى فئات متناحرة ، تبدو لنا من وجهاتها السلبية وكأنها ساهمت ، بدعم من اليهودية المتزمّتة ، في شق الطريق امام الاسلام . فانها جرّدت العقول من عبادة الاصنام ، وبثّت فيها الافكار التوحيدية ، ولكنها اخفقت في تقديم المُثُل العليا الصافية

(١٠) كتاب **الحيوان** للجاحظ ٧، القاهرة ١٩٣٨، ص ٢١٦.



الدول العربية الشمالية
(قبل الإسلام)

للعرب . وحينما ظهر رسول الاسلام ، كانت البلاد العربية قد نضجت لثورة دينية شاملة مهّدت لها المسيحية الواهية لدى اولئك البدو[11] .

(١١) الاب لامنس ، **دراسات حول عصر الامويين** (بالفرنسية) ، بيروت ١٩٣٠، ص ٢٣٧.

الفصل الثالث

مملكتان عربيتان مسيحيتان

أ) اللخميون او المناذرة

عندما حدث سيل العرم او بثق سد مأرب في اواخر القرن الاول الميلادي او اوائل القرن الثاني [١]، نزحت قبائل عديدة من البلاد اليمنية واتجهت نحو المناطق الشمالية او الشمالية الشرقية[٢]. وكان بين النازحين رهط من اولاد معن بن عدنان الذين تركوا وطنهم تهامة من بلاد اليمن ويمموا شطر ارض الرافدين، طلباً للمعيشة وانتجاعاً للكلأ لقطعانهم. وكان بينهم مالك وعمرو ابنا فهم تيم الله من قبيلة قضاعة. فاتفقت الأزد وقضاعة على التحالف، فسُموا تنوخا. وكانت نشأة مملكة التنوخيين الاولى في القرن الثاني الميلادي، في عهد ملوك الطوائف او الاشغانيين الذين سموا فرثيين عامة. ثم اعقبهم اللخميون في بدء العهد الساساني، ودام حكمهم حتى قُبَيْل مجيء الاسلام. فسميت هذه المملكة بمملكة التنوخيين او اللخميين او المناذرة أو آل نصر.

(١) يبدو ان سدّ مأرب قد انفجر مرات عديدة بعد هذا التاريخ. فقد تصدّع ايضا سنة ٤٥٠ م وأُصلحَ. اما الكارثة الكبيرة التي يشير اليها القرآن (سورة سبأ ١٥) فقد وقعت بعد سنة ٤٥٠ وقبل سنة ٥٧٠. ويعزى انهياره الى التآكل او الى عمل الجرذان.

(٢) الدكتور صالح احمد العلي، **معالم العراق العمرانية**، بغداد ١٩٨٩، ص ٢٠ – ٢٢.

١. الحيرة

كانت مدينة الحيرة عاصمة مملكة اللخميين . وسميت الحيرة البيضاء او الحيرة الروحاء . وتقع جنوبي الكوفة الحالية على بعد ثلاثة اميال منها . وهي اليوم ناحية تابعة لمحافظة القادسية (الديوانية) . ونسب العرب بناءها الى نبوخذنصر . ولكنها خربت بعد موته ، وانتقل سكانها الى الانبار ، الى ان جاءت قبائل اخرى وسكنتها .

ويختلف العلماء في معنى الحيرة . فمنهم من قال انه عربي معنى ومبنى ، وانه مشتقٌ من الحَيرة ، لان تبّعا لما اقبل بجيوشه ، ضل طريقه فتحيّر في هذا الموضع . ومنهم من قال انه من الحَير ، بمعنى الحمى والملجأ . ومنهم من ذهب الى انه مشتق من فعل حار الماء ، اي تردد لا يدري كيف يجري ، بالنظر الى ركود مياه بحر النجف . الا ان الرأي الارجح ان الكلمة آرامية النجار وهي المعسكر والدير والحصن[٣] .

اشتهرت الحيرة بطيب هوائها وصفاء جوها وصحة تربتها ، حتى قيل : «يوم وليلة في الحيرة خيرٌ من دواء سنة ، بل سنتين» . وكانت واقعة على الضفة اليمنى من الفرات ومسيطرة على كل الجزء الشرقي من البادية . وقد ساعد الفرس في نشأة هذه المملكة بزعامة جماعة عربية من اصل يمني ، لكي يصدّوا بذلك تدفّق العرب الرحّل من البلاد العربية . وحظيت هذه الدولة بمساندة الفرس بحكم ذاتي كان في الواقع تابعاً للفرس غالباً . وكان هذا يتوافق مع طموحات الفرس الاستعمارية وهي :

١ . ان يضمنوا لهم موقفاً استراتيجياً قوياً مشرفاً على الصحراء الواقعة عبر الفرات ، وذلك ضد خصومهم البيزنطيين ، وان يصدّوا في الوقت ذاته تدفّق البدو التقليدي من الداخل ويضمنوا الامان لطرق المواصلات .

٢ . ان يضمنوا لامبراطوريتهم موقفاً تجارياً واقتصادياً مرموقاً ، وذلك بسيطرتهم على تجارة القوافل في الداخل . فكانت الحيرة عاصمة اللخميين تشرف في الوقت ذاته على احدى اكبر الطرق التجارية نحو المحيط الهندي – ومن ثمة الى الشرق الاقصى – وعلى الطرق المؤدية الى اليمن والى جنوبي الجزيرة العربية .

٢. سكان الحيرة

لا شك ان العنصر العربي كان سائداً في الحيرة ، وذلك بالنظر الى موقعها الجغرافي القريب من بادية الشام ، محط رحال البدو من العشائر والقبائل والبطون

(٣) طالع يوسف رزق الله غنيمة ، **الحيرة ، المدينة والمملكة العربية** ، بغداد ١٩٣٦، ص ١١.

والافخاذ العربية . وقد قسم المؤرخون العرب سكان الحيرة ثلاثة اصناف ، ثلث تنوخ ، وهم كانوا اصحاب المظال وبيوت الشعر ينزلون غربي الفرات فيما بين الحيرة والانبار فما فوقها . والثلث الثاني العباد ، وهم الذين سكنوا الحيرة وابتنوا فيها . وثلث الاحلاف ، وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها من لم يكن من تنوخ الوبر ولا من العباد[٤] .

اما «العباد» او «العباديون» ، فكانوا قوماً من النصارى من قبائل شتى انفردوا من الناس في قصور ابتنوها لانفسهم ظاهر الحيرة[٥] . وسُموا هكذا لانهم كانوا يعبدون الله متزهدين . وجاء ايضاً في تعليل هذا الاسم ان خمسة منهم وفدوا على كسرى الاول انوشروان ، وكانت اسماؤهم تبتدىء بكلمة «عبد» ، وهم : عبد المسيح ، عبد ياليل ، عبد يشوع ، عبدالله ، عبد عمرو . فقال كسرى : انكم عباد كلكم ! فسموا بالعباد[٦] . وقد اشتهر العباد بنصرانيتهم وبمعرفتهم القراءة والكتابة في عهد جهلها اكبر الشعراء النوابغ .

وكان في الحيرة ايضاً اقوام اخرى ، منهم النبط واليهود والفرس . . .

٣. قصورها

اشتهرت الحيرة بعماراتها الفخمة وبقصورها الرائعة ، منها :

أ) **الخورنق** الذي كان قصراً شامخاً بظهر الحيرة . وقد تضاربت آراء الباحثين في اصل هذا الاسم ومعناه . والارجح انه اسم فارسي يعني موضع الاكل والشرب واللهو . ودارت الاساطير حول بنائه ، واكثر العرب من ذكره في اشعارهم وامثالهم . ويُعزى بناؤه الى «سنّمار» البنّاء الرومي . . . وكان هذا القصر في موقع بديع يشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والانهار . وقد بُني في عهد الملك النعمان الاول (٤٠٣ – ٤٣١) .

ب) **السدير** ، وهو القصر الذي يعقب الخورنق في العظمة والبهاء . وينسب بناؤه الى باني الخورنق نفسه ، وهو النعمان ابن امرئ القيس المعروف بالنعمان الاول او السائح ، وقيل انه كان يحوي ثلاث غرف متداخلة ، كان النعمان يلتزم فيها فرائض

(٤) حمزة الاصفهاني ، **تاريخ سني ملوك الارض والانبياء** ، طبعة برلين ، ١٩٢١، ص ٦٦.
(٥) ابن القفطي ، **تاريخ الحكماء** ، ليبسيك ١٩٠٣، ص ١٩٩.
(٦) البكري ، **معجم ما استعجم** ، كوتنجن ١٨٧٧، ص ١٨.

دينه . وقال البعض ان السدير كان بالقرب من الخورنق ، وزعم غيرهم انه كان على مسافة بعيدة في الصحراء في الشمال الغربي من الحيرة .

وكانت هناك قصور اخرى رائعة جاء ذكرها ووصفها لدى المؤرخين والشعراء العرب . . . ولم يبق منها الآن سوى اثر بعد عين . . .[٧] .

٤ . ملوك الحيرة

حينما حلّ مالك بن فهم الازدي برهطه ديار العراق في نحو منتصف القرن الثاني الميلادي ، كانت الدولة الارشاقية (الفرثية) قد دبّ فيها الضعف والانحلال . فاغتنم العرب القادمون هذه الفرصة ، فاستولوا على المنطقة الواقعة بين الانبار والحيرة ، واصبح «مالك» زعيماً عليهم . فحكم على التنوخيين الذين يسكنون الخيام ويسمون عرب الضاحية[٨] ، واتخذ منزله في الانبار ، وبنى له قصراً في الحيرة . وبقي في الحكم الى ان رماه سُلَيمة بن مالك رمية بالنبل ، وهو لا يعرفه ، وكان مالك قد احسن اليه . فقال وهو يلفظ انفاسه الاخيرة :

جزاني لا جزاه اللهُ خيراً ... سُلَيمة انه شراً جزاني
اعلّمه الرماية َكلَّ يومٍ ... فلما اشتدَّ ساعدُه رماني

(٧) صالح احمد العلي ، **معالم العراق العمرانية** ، ص٢٣ - ٢٥، ٢٨ - ٣١.

(٨) الطبري ، **تاريخ الامم والملوك** ، بعشرة اجزاء ، القاهرة ، ١٩٦٠ - ١٩٦٩، ٢، ص ٢٨.

جدول ملوك الحيرة

التنوخيون

- مالك بن فهم	١٣٨ - ١٥٨
- عمرو بن فهم	؟
- جُذَيمة الابرش او الوضاح	٢٠٨ - ٢٦٨

اللخميون او المناذرة

- عمرو بن عدي	٢٦٨ - ٢٨٨
- امرؤ القيس الاول	٢٦٦ - ٣٢٨
- عمرو الثاني	٣٢٨ - ٣٧٧
- اوس بن قلام	٣٧٧ - ٣٨٢
- امرؤ القيس الثاني	٣٨٢ - ٤٠٣
- النعمان الاول الاكبر . (السائح ، الاعور ، ابن الشقيقة)	٤٠٣ - ٤٣١
- المنذر الاول (ابن النعمان الاول)	٤٣١ - ٤٧٣
- الاسود	٤٧٣ - ٤٩٣
- المنذر الثاني (ابن المنذر الاول)	٤٩٣ - ٥٠٠
- النعمان الثاني (ابن الاسود)	٥٠٠ - ٥٠٤
- ابو يعفور علقمة (دخيل)	٥٠٤ - ٥٠٧
- امرؤ القيس الثالث	٥٠٧ - ٥١٤
- المنذر الثالث (ابن ماء السماء)	٥١٤ - ٥٥٤
- عمرو بن هند (ابن المنذر الثالث)	٥٥٤ - ٥٧٠
- قابوس بن المنذر	٥٧٠ - ٥٨١
- السهرب او السهراب (دخيل)	٥٨١ - ٥٨٢
-(فيشهرت او زيد)	
-المنذر الرابع (ابن المنذر الثالث)	٨٢ - ٥٨٥
- النعمان بن المنذر (النعمان الثالث ابو قابوس)	٥٨٥ - ٦١٣(في السجن)
- اياس بن قبيصة الطائي	٦١٣ - ٦١٨
- ازاذبه (زادية) (فارسي دخيل)	٦١٨ - ٦٢٨
- المنذر الخامس (ابن النعمان ابي قابوس) (المغرور)	٦٢٨ - ٦٣٢
- (ابن النعمان ابي قابوس) . . .	

.....وافتتح خالد ابن الوليد الحيرة سنة ٦٣٣ م .

ملاحظة

١ . ان هذا الجدول تقريبي لتسلسل الملوك وتواريخ حكم كل منهم .
٢ . هناك جداول اخرى مختلفة .

وخلفه في الحكم اخوه عمرو بن فهم ، ثم جاء جذيمة الابرش او الوضاح ، وبه انتهت سلالة التنوخيين . وتشرح التقاليد العربية انتقال الملك الى قبيلة اللخميين بهذه الاسطورة وهي ان رقّاش اخت جذيمة تزوجت من عدي اللخمي ، وجاء عمرو ثمرة هذا الزواج . وقد خلف عمرو خالَه جذيمة في الحكم على الحيرة ، بعد ان قضت الزباء (زنوبيا) ملكة تدمر على جذيمة في احدى المعارك ، في نحو سنة ٢٦٨ م .

الا ان الحقيقة التاريخية تبدأ من امرئ القيس الاول (٢٨٨ - ٣٢٨) الذي خلّد ذكرَه نقشُ النمّارة الذي وُجد بين اطلال ضريحه[٩] . واشهر ملوك الحيرة هو نعمان الاول ، ويسمى الاكبر او الاعور او السائح (٤٠٣ - ٤٣١) الذي اتاح لسمعان العمودي ان يبشّر بالمسيحية في بلاده . ولكنه هو نفسه ظل وثنياً بغية ارضاء الملوك الفرس . وقد عيّنه الفرس جنرالاً ، ونال حظوة لدى يزدجرد الاول الذي عهد اليه بتربية ابنه بهرام كور[١٠] . وقد ساعد المنذرُ الاول ابنُ النعمان الملكَ الفارسي بهرام كور في استعادة عرشه ، فاصبح بهرام الخامس (٤٢١ - ٤٣٨) .

وبعد المنذر الاول وابنه الاسود الذي أسره الفرس ، جاء الى الحكم المنذر الثاني اخو الاسود . وبعْد ان حكم مدة وجيزة ، خلفه النعمان الثاني ابن الاسود واميرة من قبيلة كندة . ولكنه قُتل في معركة دارت ضد الروم . فاقام الفرس مكانه شخصاً لم يكن من السلالة الحاكمة اسمه يعفور بن علقمة الدخيل . وخلفه امرؤ القيس الثالث ، ثم المنذر الثالث ابن ماء السماء (٥١٤ - ٥٥٤) . وسمي هكذا بلقب امه ماء السماء ، وقد غلب هذا اللقب على اسمها لحسنها وجمالها او لكرمها ورقة طبعها . وروى بعضهم ان المنذر لُقّب هكذا إبن ماء السماء لجوده وسخائه ، كما انه عُرف بذي القرنين لضفيرتين كانتا له من شعره . استوى المنذر الثالث على عرش الحيرة سنة ٥١٤، ودام حكمه حتى سنة ٥٥٤، ما خلا فترة وجيزة فيها استولى على العرش الحارث بن عمرو حجر آكل المرار الكندي (٥٢٩ - ٥٣١) . وكان المنذر الثالث شجاعاً قوي الشكيمة ، لا يستميله الوعد ولا يلويه الوعيد . ولكنه كان خالياً من كل عاطفة دينية وميّالاً الى سفك الدماء . وسيكون عدوا رهيبا للروم . ولكنه شرع يظهر شيئاً من التسامح تجاه المسيحيين . وكانت امرأته هند من قبيلة غسان المسيحية ،

(٩) يعود تاريخ نقش النمّارة الى سنة ٣٢٨م ، وقد عثر عليه في سوريا الجنوبية ، بالقرب من بصرى الشام . وجاءت الكتابة فيه نبطية واللغة عربية ممزوجة بالسريانية ، وهي تتكلم عن امرىء القيس وتسميه مَلكَ جميع العرب .

(١٠) كور او جور هو الحمار الوحشي . وسُمي بهرام هكذا لولعِهِ الشديد بصيد هذا الحيوان .

وقد اسست بضعة اديرة في اطراف الحيرة . وقد تغلغلت المسيحية في عهده في مَملكته وبين أعوانه . ولكن المنذر نفسه بقي وثنياً لا يتردد في ان يقدّم للآلهة ضحايا بشرية . ففي احدى صولاته ضد الروم ، استولى على ٤٠٠ راهبة في منطقة حمص السورية ، وقدّمهن قرابين دون رحمة . ان الدور المزعج الذي قام به هذا الملك تجاه الروم حدا ملك الروم يوستنيانس الاول الى التفكير في خلق قوة عربية مناوئة على الحدود السورية قادرة على مقاومة اللخميين . وعهد بهذا الدور الى قبيلة بني غسان المسيطرة على الواحات المجاورة لسوريا الجنوبية . وكانت هذه بداية الصراعات بين الغساسنة والمناذرة . وفي احدى المعارك ، تمكّن المنذر الثالث من اسر احد ابناء الحارث الغساني وقام بتضحيته للعزّى . الا ان الغساسنة انتقموا منه وقتلوه سنة ٥٥٤ بالقرب من قنسرين ، على الطريق المؤدية من حلب الى الرقة .

خلفه في الحكم ابنه عمرو بن هند الكبرى(٥٥٤ – ٥٧٠) ، وهي ابنة عمة امرئ القيس الشاعر الشهير . وكان عمرو شديد البأس جباراً ، واشتهر بعدة وقائع مع الروم وعرب غسّان وعرب اليمامة . وقصده الشعراء من مختلف القبائل ، واضحت الحيرة في عهده منتدى علم وادب ، واقبلت عليه الوفود ، وحكّمه العرب في شؤونهم وحسم النزاعات بينهم . وقد اصبح عمرو مسيحياً[١١] . الا ان خلفاءه عادوا الى الوثنية . غير ان المسيحية اصبحت منذئذ ديانة الاغلبية الساحقة في الحيرة . وكانت هذه الديانة منقسمة بين النسطورية والمنوفيزية التي شرعت تتغلغل في الحيرة بواسطة سمعان الارشمي .

وتعاقب الملوك على عرش الحيرة . فجاء قابوس ابن المنذر المسمى فتنة العروس (٥٧٠ – ٥٨١) ، ثم عقبه رجل فارسي دخيل يسمى سهرب او السهراب . وخلفه المنذر الرابع سنة ٥٨٢ .ولكنه لم يستطع الاستواء على العرش حالاً لكونه وثنياً لا يرغب فيه المسيحيون . ثم جاء سنة ٥٨٥ النعمان الثالث ابن المنذر وهو المدعو ابو قابوس ، واهتدى رسمياً الى المذهب النسطوري سنة ٥٩٤ مع جميع ذويه[١٢] . وكانت اختاه هند الصغرى ومريم مسيحيتين مع والدتهما . وقد تعاونت جميعهن في تأسيس دير شهير . ومنذ ذلك الوقت اصبحت الحيرة برمتها مسيحية نسطورية ، في حين ان الغساسنة اعتنقوا المذهب المنوفيزي .

(١١) وقتله الشاعر عمرو بن كلثوم سنة ٥٧٠.

(١٢) كان المنذر قد تلقى تربية مسيحية في قبيلة بني تميم المسيحية .الا ان هذه التربية كانت سطحية ولم تمنعه من اتخاذ اكثر من زوجة والاحتفاظ ببعض الاخلاق الوثنية.

وبعد ان حارب النعمان الثالث جنباً الى جنب مع الفرس ضد اعدائهم الروم، تعرّض لسخط كسرى الثاني. ويقال ان سبب ذلك كان ان النعمان رفض اعطاءَه حصانه في معركة نهروان[١٣] او انه رفض اعطاءه اخته. فقرر كسرى الثاني القضاء على هذا الملك الطموح وعلى مملكته اللخمية التي اتّهمها بالنزعة الى الاستقلال. فاستقدمه كسرى بالحيلة والغدر الى قطيسفون، وهناك قضى عليه سنة ٦٠٢ (وقيل سنة ٦١٣) تحت اقدام الفيلة، او بالسم حسب بعض الروايات. وقتل كسرى ايضاً ابناءَ النعمان، لكي يقضي بذلك على السلالة كلها.

زالت مملكة الحيرة من الوجود، على الاقل كدولة مستقلة، ووضع على العرش اياس بن قبيصة الطائي، يساعده حاكم فارسي. الا ان الثورة ما عتمت ان اندلعت بين عرب فارس، وسرعان ما تبعهم في ذلك العرب المستقرون على حدود مملكة الروم. فوقعت الصحراء الشرقية في الفوضى التي كانت السلالة اللخمية قد انتشلتها منها. فاضحى العرب في حالة حرب مستمرة مع الفرس. وكانت قبيلة بكر العربية الكبيرة قد قامت بمعركة ضد الفرس في ذي قار بالقرب من الكوفة بين سنة ٦٠٤ و ٦١١، انتقاماً لمقتل النعمان، واحرزت نصراً ساحقاً على الجيوش الفارسية التي تساندها قبيلتا تغلب واياد العربيتان. وكان لهذا الانتصار الباهر اصداء واسعة بين الجماهير العربية البدوية. وبعد سنوات، حينما يقبل الغزو من الحجاز، سيجد على طريقه عرباً فخورين بعرقهم ومعتادين على النصر وتتأجج قلوبهم بالحقد والاحتقار تجاه الفرس.

٥. المسيحية في الحيرة

اننا لا نعلم بصورة قاطعة متى دخلت المسيحية الى الحيرة. فكان سكان هذه المنطقة، شأن سائر المناطق العربية الاخرى، يدينون بأديان الجاهلية. ويقال انه كان لملكها جذيمة الابرش صنمان يقال لهما الضَيزنان. وكان للوثنيين من اهل الحيرة اصنام اخرى، منها اللات والعزّى وسبد والمحرّق... وعرفت الحيرة عبادة القمر. كما ان البدعة المزدكية وجدت لها انصاراً في الحيرة في فترة وجيزة. وكان فيها ايضا عدد من اليهود. وقال ابو القاسم صاعد الاندلسي ان اهل قريش اخذوا الزندقة عن اهل الحيرة[١٤]...

(١٣) نهروان منطقة تقع بين بغداد وواسط. والمعركة المذكورة ههنا ليست تلك المعركة الشهيرة التي ستقع بين الامام علي بن ابي طالب والخوارج سنة ٦٥٨ م.

(١٤) صاعد الاندلسي، **طبقات الامم**، النجف ١٩٦٧، ص ٦٧.

الا ان الديانة المسيحية دخلت الحيرة في وقت مبكر ، وسرعان ما اصبحت الديانة السائدة فيها . وقلنا سابقاً ان الديانة المسيحية كانت قد انتشرت في ما بين النهرين منذ نهاية القرن الاول او في مطلع القرن الثاني . ويقول الطبري ان امرؤ القيس الاول (٢٨٨-٣٢٨) هو اول من تنصر من اللخميين[١٥] ، بينما يقول ابن خلدون ان النعمان ابن الشقيقة (الاعور او السائح) (٤٠٣ - ٤٣١) هو اول من تنصر[١٦] . الا ان تنصر الملوك اللخميين لا يبدو عميقاً ومستمراً ، وبسهولة يعود بعض منهم الى الوثنية من جديد . وهكذا تأرجح الدين المسيحي في البلاط الحيري ، في حين ان معظم السكان انضمّوا الى المسيحيين مع كثيرين من اهل البلاط والاشراف ، وذلك منذ غروب القرن الرابع . وفي مطلع القرن الخامس ، تظهر الديانة المسيحية منظمة تحت رئاسة اسقف . ويذكر كتاب **المجامع الشرقية** بعضاً من اساقفتها الذين شاركوا في مجامع الكنيسة الشرقية : هوشاع (سنة ٤١٠) ، شمعون (٤٢٤) ، شمعون (٤٨٦) ، ايليا (٤٩٧) ، نرساي (٥٢٤) ، افرام الذي كان معاصراً لهند الكبرى امرأة المنذر الاول (نحو ٥٤٠) يوسف (٥٨٥) ، شمعون بن جابر (٥٩٤) ، يوئيل (٧٩٠)[١٧] . هذا بالاضافة الى عدد من الاساقفة الذين كانوا من اصل حيري ، امثال يوحنا الازرق وسبريشوع وخوداهوي . . . وايشوعداد[١٨] .

ومنذ القرن الخامس ، اصبحت الحيرة مركزاً دينياً هاماً ، بالاضافة الى كونها مركزاً مرموقاً للتجارة والثقافة المسيحية وقطباً جذّاباً للبدو العائشين في البلاد العربية ما قبل الاسلام ، وطريقاً للقوافل المنطلقة نحو آسيا الداخلية ، ومركزاً فيه تتفاعل الافكار والمذاهب قبل انتشارها في قلب الجزيرة . ومن الحيرة انطلقت ارساليات مسيحية على الطرق التجارية نحو البحرين وعُمان وغيرهما من البلدان الواقعة على الخليج العربي . وفي الحيرة عقدت بعض مجامع كنيسة المشرق (مثلا مجمع داديشوع سنة ٤٢٤) . وقد دُفن في الحيرة عدد من جثالقة المشرق : داديشوع (٤٥٦)[١٩] ،

---

(١٥) الطبري ٢، ص ٦٥.

(١٦) ابن خلدون ، **كتاب العبر** ، ٧ اجزاء القاهرة ، ١٢٨٤ هـ ، ٢، ص ٢٧١.

(١٧) **المجامع الشرقية** ، طبعة شابو ، باريس ١٩٠٢، ص ٦٧٣.

(١٨) كتاب **العفة** لايشوعدناح البصري ، الترجمة العربية للقس بولس شيخو ، الموصل ١٩٣٩، العدد ٨٣ و١٢٥؛ادي شير ، **تاريخ كلدو وآثور** ٢، بيروت ١٩١٣، ص ٢٦٦.

(١٩) ادي شير ، **كلدو واثور** ٢، ص ١١٩.

حزقيال (٥٨١)[٢٠]، بابوي (٤٨٤) واقاق (٤٩٦)[٢١]، گيورگيس (٦٨١)، ابراهيم (٨٥٠)[٢٢].

وشُيّدت في الحيرة كنائس جميلة حسنة البنيان مزخرفة بالنقوش والفسيفساء، ورد ذكر بعض منها لدى المؤرخين العرب: بيعة توما التي ذكرها صاحب **الاغاني**[٢٣]، وكنيسة الباعوثا وبيعة دير اللجّ[٢٤] وكنيسة دير هند الكبرى ودير هند الصغرى وغيرهما من كنائس الديارات. وقد كشفت التنقيبات الاثارية عن بعض من هذه الآثار المسيحية في الحيرة.

وتدل الديارات الكثيرة المنتشرة في الحيرة وضواحيها على مدى انتشار المسيحية في هذه المنطقة، بالاضافة الى الديارات الاخرى الكثيرة التي اسّسها رهبان تخرجوا في ديارات الحيرة وانطلقوا الى اماكن قريبة او بعيدة، نخصّ بالذكر منهم ايليا الحيري الذي اسس ديره الشهير بالقرب من الموصل (دير مار ايليا او دير سعيد). وقد عدّد يوسف رزق الله غنيمة ٢١ من هذه الديارات في الحيرة[٢٥].

وعلى اثر الجدالات التي دارت في القرن الخامس، تبنّت الحيرة المذهب الشرقي (النسطوري) اسوة بكنيسة فارس كلها. الا ان المنوفيزيين ايضاً حاولوا الانتشار فيها. وقد قام سمعان الارشمي بجهود كبيرة في هذا الشأن واكتسب عددا من الموالين للمنوفيزية، حتى صار لهم اسقف هناك باستمرار بين سنة ٥٥١ و. ٦٥٠ الا ان المنوفيزيين ظلوا في الحيرة الاقلية ازاء الاغلبية النسطورية الساحقة.

٦. العلم في الحيرة

قامت الحيرة بدور رائع في تاريخ المنطقة وتاريخ العرب ونهضة اللغة العربية في القرون الاخيرة من الجاهلية وفي صدر الاسلام. وكان للمدارس المسيحية الكبرى في الرها ونصيبين والمدائن وجنديسابور تأثير كبير في الحركة العلمية في الحيرة. اما الاديرة فيها، فكانت مراكز علم واشعاع ثقافي وديني. وقد خلق بلاط المناذرة – الذي تشيد به الروايات العربية ما بعد الاسلام – تياراً من التبادلات الثقافية يمتدّ الى

(٢٠) **المجدل** لصليبا، **اخبار بطاركة كرسي المشرق**، روما ١٨٩٦، ص ٤٤.
(٢١) الموضع عينه، ص ٣٥.
(٢٢) نصري، **ذخيرة الأذهان**، الموصل ١٩٠٥، ١، ص ٣٩٢.
(٢٣) ابو الفرج الاصفهاني، **الأغاني** (٢٣ ج)، بيروت ١٩٥٧ – ١٩٦١، ٢، ص ٣٠.
(٢٤) البكري، **معجم ما استعجم**، القاهرة ١٩٤٧، ص ٣٦٦.
(٢٥) راجع كتاب **الحيرة**، ص ٤١ – ٤٩؛ صالح احمد العلي، **معالم العراق العمرانية**، ص ٢٢-٢٣، ٢٥.

البلاد العربية كلها . فكان الشعراء والمغنّون من الجزيرة العربية قد اتّخذوا الحيرة مركزاً مفضّلاً لتنقلاتهم ولنشر اعمالهم[٢٦] . والى هكذا العهد ترقى التأثيرات التي مارستها الفكرة المسيحية الآرامية على الادب ، خاصة في الاوساط العربية . وهذا فقد زوّدت المسيحيةُ العربَ بمستوى رفيع من الثقافة وباحتكاك بالعلوم الاغريقية بمختلف فروعها . وستكون هذه الثقافة في العصور الاسلامية الذهبية ، احدى ركائز الحضارة العربية – الاسلامية .

ان اهمية المسيحية في الحيرة للبلاد العربية الداخلية والجنوبية واضحة لمن له بعض الاطلاع على الشعر العربي القديم . فشاعر مثل النابغة ، الذي تحتوي قصائده على اصداء عديدة من الافكار المسيحية ، كان قد امضى خيرة سني حياته في الحيرة . وكان ثمة شعراء آخرون مسيحيون او متعاطفون مع المسيحية انتشرت اشعارهم انتشاراً واسعاً بين عرب الجاهلية ، قد عاشوا طويلاً في الحيرة ، مثل الاعشى ، او حتى قد ابصروا النور فيها ، مثل عدي بن زيد . وكانت النخبة الروحية من البدو وشعرائهم يحبون التردد الى الحيرة . ويقول صاحب **الاغاني**[٢٧] ان المرقّش الاكبر ، وهو ابوعمر الشيبان ، واخاه حرملة ، درسا الكتابة على نصراني من اهل الحيرة ، وان زيداً بن عدي قد حذق الكتابة العربية في الحيرة . وكان زيد هذا اول من كتب العربية في ديوان كسرى[٢٨] .

وقيل ان اول من كتب من العرب بالعربية هو حرب ابن امية بن عبد شمس ، وقد تعلّم من اهل الحيرة ، وتعلّم اهل الحيرة من اهل الانبار[٢٩] .

اما اللغة التي كانت تستعمل في الحيرة ، فكانت السريانية للطقوس وللانباط منهم الذين يتكلمونها في بيوتهم ، واللغة العربية التي يتداولونها عامة . وقيل ان المرقّش استعان بالحروف السريانية التي كان مسيحيو الانبار والحيرة يستعملونها ، ثم حوّرها فاصبحت الحروف العربية . ومن الاكيد ان «العباد» كانوا اول العرب في استعمال الخط العربي[٣٠] .

الا ان الملوك العرب ، من المنطقة الشرقية او الغربية ، وتحت ضغط تأثيرات

---

(٢٦) لقد أمّ مجلس عمرو بن هند (٥٥٤–٥٦٩) اعظم الشعراء المعاصرين امثال طرفة ابن العبد والحارث ابن حلّزة وعمرو بن كلثوم ، وهم من اصحاب المعلّقات السبع – طالع فيليب حتي ، **تاريخ العرب** (المطّول) ، بيروت ١٩٦٥، ١، ص ١١١.

(٢٧) **الاغاني** ٥، ص ١٨١.

(٢٨) **الاغاني** ٢، ص ١٩.

(٢٩) السيوطي ، **المزهر في علوم اللغة وانواعها** ، تصحيح ابو الوفا الهوريني ، المطبعة الكبرى السنية ، ١٢٨٢ هـ .

(٣٠) قنواتي ، **المسيحية والحضارة العربية** ، ط ٢، بغداد ١٩٨٤، ص ٥٥ .

خارجية ، كانوا يميلون دوماً ، من جراء خصائصهم العرقية والقومية ، الى القيام بدورهم الخاص بهم . فاما انهم يتحزبون لسلطة كبرى ضد اخرى ، واما انهم يبحثون عن التخلّص من وصاية حُماتهم الفرس او البيزنطيين . وهذا ما حدا الفرس الى القضاء على مملكة اللخميين سنة ٦٠٢ او بعدها بمدة وجيزة ، على اثر انتفاضة ملكها الاخير النعمان الثالث ابن المنذر ضد كسرى الثاني الفارسي . واصبحت الحيرة منذ ذلك الحين تحت سيطرة الفرس المباشرة ، الى ان احتلتها الجيوش الاسلامية سنة ٦٣٣ بقيادة خالد ابن الوليد . وظلت الحيرة عامرة فترة اخرى بعد ذلك ، يتردد اليها الخلفاء والوزراء . الا ان تأسيس الكوفة بالقرب منها طغى عليها ، فتضاءل نفوذها شيئاً فشيئاً وفقدت اهميتها .

الفصل الرابع

مملكتان عربيتان مسيحيتان

ب) الغساسنة

استوطن العرب البلاد السورية منذ القرن الثاني الميلادي . فقد شدتهم اليها الاراضي السورية الخصبة . فأنشأوا امارات في حمص وتدمر والبتراء وفي لبنان وجنوبي الشام وفي ارض حوران . ولم يلبثوا طويلاً حتى تمثّلوا لغة السوريين وحضارتهم وعبادتهم . فان اسماءهم واسماء آلهتهم هي في الغالب آرامية . وكانوا يستخدمون اللغة الآرامية في مراسلاتهم الدبلوماسية ، بالاضافة الى لغتهم العربية . والابنية الاثرية التي شيدوها في تدمر والبتراء تُعتَبر من اجمل منتجات الفن السوري .

١ .الغساسنة

يرجع المؤرخون انساب بني غسان الى قبيلة قديمة من عرب الجنوب كان يرئسها سابقا شخص يدعى عمرو مُزَيقياء ابن عامر ماء السماء . وقيل انه غادر البلاد اليمنية في اواخر القرن الثالث الميلادي ، واستوطن ارض حوران والبلقاء . ويظهر من رواية الاخباريين أن الغساسنة اخذوا الحكم بالقوة من أيدي عرب كانوا يحكمون هذه المنطقة قبلهم يدعون «الضجاعمة» وهم من سليح التي تعود الى قبيلة قضاعة .

اما مؤسس دولة الغساسنة فيدعى جفنة بن عمرو . لذا فقد دعي الغساسنة ايضاً بني جفنة . وقد اختلف مؤرخو العرب على عدد الملوك الذين حكموا هذه الدولة العربية . فبينما يرى ابو الفداء في تاريخه انهم واحد وثلاثون ، ويجعلهم حمزة

الاصفهاني اثنين وثلاثين ، يرى المسعودي وابن قتيبة انهم ليسوا سوى احد عشر . وهذا دليل على ما يشمل اسرة بني جفنة من الغموض . لذا فان لائحة الملوك التي نعطيها هنا ليست سوى تقريبية ، وكذلك تواريخ حكم كل منهم .

-ابو شمر جبلة	(نحو ٥٠٠)
– الحارث بن جبلة (الحارث الاكبر او الحارث الاعرج)	٥٢٨ – ٥٦٩
– ابو كرب المنذر ابن الحارث	٥٦٩ – ٥٨٢
– النعمان ابن المنذر	٥٨٢ – ٥٨٣
– الحارث الاصغر ابن الحارث الاكبر	؟
– الحارث الاعرج ابن الحارث الاصغر	؟
– ابو حجر النعمان	٥٨٣ – ٦١٤
– عمرو	؟
– حجر ابن النعمان	؟
– جبلة ابن الايهم	(نحو ٦٣٥)

استقر الغساسنة في النواحي الجنوبية الشرقية من دمشق الشام . وقبل غروب القرن الخامس الميلادي ، دارت في المنطقة احداث سياسية ادخلت الغساسنة ضمن دائرة النفوذ البيزنطي . فقد شاء الروم اكتساب مودّتهم ليجعلوا من دولتهم الفتية حاجزاً لردّ هجمات البدو ، وليكونوا خاصة سدّاً منيعاً في وجه الفرس وانصارهم اللخميين . ولم يكن للغساسنة في مطلع عهدهم عاصمة ثابتة مثل منافسيهم اللخميين في الحيرة ، بل كانوا ينتقلون من مخيّم الى آخر ، حتى استقرت بهم الحال فيما بعد في جابية الجولان ، فاقاموا لهم مركزاً في «جلق» استقروا فيه بعض الوقت . وكانت «بصرى» الشام (اسكي شام) من اهم مراكزهم .

٢. الملوك الغساسنة

منذ عهد الامبراطور انسطاس (٤٩١ – ٥١٨) ، اعترف الروم بالدور الهام الذي يستطيع الغساسنة القيام به بصفتهم حُماة الحدود . وفي مطلع القرن السادس ، اخذ هذا الدور يبرز بوضوح . واول ملك للغسانيين واعظمهم شأناً هو الحارث ابن جبلة (٥٢٨ – ٥٦٩) الملقّب بالحارث الاكبر او الحارث الاعرج . وقد ذكرته المصادر الاغريقية ، بالاضافة الى المصادر السريانية والعربية ، ووصفت اعماله البطولية ومآثره الجليلة . ويقال انه منذ مطلع حكمه حارب المنذر الثالث ملك الحيرة وانتصر عليه في

نيسان سنة ٥٢٨ . وعلى اثر هذا الانتصار ، اقرّ له الامبراطور يوستنيانس الاول (٥٢٧ – ٥٦٥) بالزعامة على العرب القاطنين في بلاد الروم ، ومنحه لقب «البطريق» . وكان هذا اللقب من ألقاب الشرف الفخمة لدى الروم ، ولذلك فلم يكن يُمنح الا لعدد قليل من الخاصة . وكان يولي صاحبه امتيازات كبيرة ومنزلة رفيعة في الدولة ، حتى ان بعض الملوك كانوا يشتاقون الى الحصول على هذا اللقب من القيصر . وقد منح يوستنيانس لقب «فيلاركس» ايضاً للحارث ، اي رئيس القوم وزعيمه . فكان الحارث بذلك اول رجل من الغساسنة يُمنح اللقبين اللذين انتقلا منه الى ابنائه فيما بعد .

الا ان المنذر الثالث الحيري استعاد قوته وغزا سوريا سنة ٥٢٩ وعاث فيها فسادا ، حتى بلغ في هجومه على بلاد الشام اسوار مدينة انطاكيا . ولكنه تراجع بسرعة خاطفة حينما سمع بمجيء قوات كبيرة من جيش الروم . اما الحارث الغساني فقضى اكثر ايام ملكه يحارب في سبيل بيزنطية ويدأب على خدمة غاياتها . وقد تم له الاشتراك معها في قمع ثورة السامريين قبل سنة ٥٣٠ . الا ان تصرف الحارث في الحرب التي نشبت سنة ٥٤١ بين الفرس والروم اثار شكوك الروم في اخلاصه لهم ، اذ تخلّى عنهم ولم يقم بعمل يُذكر في هذه الحرب التي كانت بقيادة بلساريوس البيزنطي .

وفي سنة ٥٤٤، عاد النزاع فتجدّد بين الملكين العربيين ، الحارث الغساني والمنذر اللخمي . فوقع احد ابناء الحارث في يد المنذر الذي قدّمه ضحية للعزّى ، كما ذكرنا سابقاً . وفي سنة ٥٥٤، فاز الحارث على خصمه اللخمي في معركة حاسمة دارت رحاها على مقربة من قنسرين ، فيها سقط ملك الحيرة قتيلاً بالقرب من الحيار . وقد تكون المعركة التي سمّيت «يوم حليمة» ، نسبة الى حليمة بنت الحارث التي ابدت شجاعة خارقة في حض الرجال على مقاتلة الاعداء . اما سبب الخلاف بين هذين الملكين العربيين ، فيقال انه كان على ارض تقع جنوبي تدمر ، تمر بها الطرق البرية الموصلة الى بلاد الشام ، وهي من الطرق العسكرية الهامة ومرعى خصب لأعراب الشام والعراق . وقد شكّل الامبراطور يوستنيانس لجنة تحكيم للبتّ في الموضوع ، ولكنها عجزت عن فض النزاع . وقد اتّهم الفرسُ اعداءَهم الروم بانهم يريدون الاتصال سراً بالمنذر ورشوته لتحريضه على القيام ضد الفرس .

٣ . المسيحية بين الغساسنة

ليست لدينا دلائل واضحة تشير الى تاريخ انتشار الديانة المسيحية بين الغساسنة . ولكن يبدو أنها اخذت تنتشر بين القبائل السورية انطلاقاً من مطلع القرن الرابع ، حينما

تبنّت الامبراطورية البيزنطية هذه الديانة . وكان للجدالات العقائدية التي دارت في القرن الخامس صداها الكبير في نفوس القبائل العربية المسيحية . فكما انضمّت القبائل الشرقية (اللخميون) الى المذهب الشرقي النسطوري ، تبنّى خصومهم (بنوغسان) المذهب المنوفيزي وتمسكوا به بشدة .

وكانت الجدالات اللاهوتية تستهوي الحارث الاكبر ، وبه تحوّلت المسيحيةالشرقية القديمة الى المنوفيزية . وبينما كان الامبراطور يوستنيانس الاول يدعم الخلقيدونيين ، كان الحارث ، بمؤازرة الامبراطورة تيودورة ، يحمي المنوفيزيين الذين كانوا يتعرضون لشتى انواع الاضطهاد من الروم في سوريا . وحينما ذهب الحارث الى القسطنطينية سنة ٥٦٣ لمقابلة الامبراطور ، اغتنم فرصة وجوده في العاصمة لكي يلتمس مطراناً لمنطقته . ونال بان يقوم تيودوسيوس بطريرك الاسكندرية الذي كان باقامة جبرية في العاصمة البيزنطية ، برسامة مطرانين هما يعقوب البرادعي وتيودورس العربي .وقد حصل يعقوب البرادعي على الرها كمركز اسقفي ، مع سلطة واسعة على سوريا والديار العربية . اما سلطة تيودورس ، فكانت تمتد الى الديار الغربية وفلسطين ، ومركزها في الحيرة من حيث المبدأ . الا انه كان في الواقع اسقفاً متجولاً . وكان لهذين الاسقفين تأثير كبير ، ولاسيما نشاط يعقوب الذي اصبح العامل الاكبر في نشر المنوفيزية ودعمها والدفاع عنها ، حتى سمي المنوفيزيون «باليعاقبة» نسبة الى يعقوب البرادعي [١] .

وهكذا فقد اصبح الحارث ، طوال حُكمه المديد الذي انتهى سنة ٥٦٩، محامياً للمذهب المنوفيزي ، وبفضله استطاع هذا المذهب ان يجتاز العواصف الهوجاء التي ثارت عليه في القرن السادس .

وسار خلفاء الحارث على خطاه في هذا الشأن . فكان ابنه المنذر منوفيزيا حميماً ، وقد احرز نصراً مبيناً على اللخميين سنة ٥٧٠، في عهد ملكهم قابوس ، في معركة شهيرة دارت رحاها في ٢٠ ايار ٥٧٠، قد تكون تلك التي أطلق عليها اسم «عين أباغ» . ثم دفع غزواته حتى قلب مملكتهم ، فأَحْرق الحيرة ذاتها . الا ان الروم لم ينظروا الى تصرفات المنذر والى تعصبه الديني بعين الرضى ، ولاسيما انهم لمسوا في ذلك نزعته

(١) ظلت هذه التسمية ملازمة للمنوفيزيين طوال القرون اللاحقة . الا انهم الآن يفضّلون ان يسموا بالسريان الارثوذكس .

الواضحة الى الاستقلال . فاحتالوا عليه والقوا القبض عليه قرب القريتين بين دمشق وتدمر ، واقتادوه الى العاصمة ، ومنها نفوه الى جزيرة صقلية .

ولكن ابناء المنذر الاربعة ثأروا لابيهم . فقام ابنه النعمان بانتفاضة شاملة ضد الروم والخلقيدونيين ، لاسيما لان الروم قطعوا عنه كل عون مادي . الا ان الروم تمكنوا من كبح جماحه ايضاً وتوصلوا الى حلّ هذه المملكة . وبذلك حلّت الفوضى في بلاد غسان ، وتفككت عرى الوحدة في بادية الشام ، واختار بعض القبائل قواداً او امراء يقودونها ويحاولون العيش حياة مستقلة ، كما انضمّ آخرون الى القبائل الموالية للفرس[٢] .

والغريب هو اننا ، في القرنين السادس والسابع اللذين يمثّلان ازدهار الشعر العربي القديم ، لا نجد اي اسم من القبائل المستوطنة في سوريا . ولهذا كان الغساسنة ، حينما يريدون احياء اعيادهم والاحتفاظ بأثرهم على العالم العربي ، يستدعون من القبائل الاخرى ومن اعماق نجد والحجاز ، شعراء مثل امرئ القيس الكندي او مثل الاعشى والنابغة وحسّان . ذلك لان تمثيل الغساسنة للحضارة السورية قد اضعف تمكّنهم من اللغة ، فاصبحوا غرباء بالنسبة الى لغتهم القديمة . فلم يكونوا يتكلمون الا لغة عربية ركيكة تمتزج فيها التعابير السورية الآرامية .

٤ . زوال دولة الغساسنة

منذ نحو اربعة قرون ، كانت الصحراء السورية وما بين النهرين خاضعة لحكم البيزنطيين والفرس . وكانت كل من الامبراطوريتين قد منحت اهمية كبيرة ودوراً هاماً للقبائل اللخمية والغسانية في حماية حدودهما . وحينما توارت هذه التنظيمات العربية القوية ، لن يبق ثمة ما يعوّض عن دورها ، واضحت الصحراء من جديد غير خاضعة لمفهوم سلطة واحدة ، وتصدعت الحدود ، وتعدّد الامراء على القبائل المختلفة ، وتحوّلت مملكة الحيرة الى محافظة فارسية فيها تتأجج نيران ثورة خفية على الفرس ، وانفتح الطريق لآخر غزو من الغزوات الفارسية الذي قضى على ما بقي من المقاومة في

(٢) وكان على الغسانيين في الشام في السنة السابعة للهجرة (٦٢٩م) ملكان في وقت واحد . احدهما الحارث بن ابي شمر ، والآخر جبلة بن الايهم . وكان الحارث يقيم في بُصرى ، وفي مكانها الآن قرية صغيرة اسمها (اسكي شام) اي الشام القديمة . وبجوار بُصرى هذه **دير بحيراء** الذي نزله ابو طالب ومعه ابن اخيه صاحب الشريعة الاسلامية حينما قدما الشام للتجارة قبل ظهور الدعوة الاسلامية ببضع وعشرين سنة . واما جبلة فهو ابن عم الحارث وكان يقيم بالبلقاء .

الصحراء ، وواصل زحفه نحو الغرب ، حتى بلغ بيت المقدس سنة ٦١٤، في عهد كسرى الثاني . وحينما انسحب المدّ الفارسي ، عادت القبائل العربية سيدة مناطقها تحت راية المذهبين النسطوري والمنوفيزي .

ولن تجدي ردة فعل البيزنطيين الزاحفين على بلاد الفرس في اعادة السلام والطمأنينة الى قلوب العرب . ولن يقاوم هؤلاء العرب الفتح الاسلامي حين قدومه ، بل سيرون في القادمين من قلب الجزيرة العربية اخوة لهم في العرق ، وسيسرعون في الانضمام الى شريعة الاسلام ، لكي يجدوا فيها الديانة القومية التي طالما اشتاقوا اليها .

ولن نبالغ اذا قلنا ان السياسة البيزنطية تجاه الغساسنة والعرب المسيحيين عامة في سوريا وفلسطين والبلاد العربية كلها كانت احد الاسباب التي ساهمت في تسهيل المهمة امام الاسلام . اذ ان هذه السياسة الخرقاء أنمت عند العرب البغض لمسيحية ارثوذكسية تمثّلت لهم بقضية الامبراطور ، وجعلتهم يتمسكون بشدة ، نتيجة للاضطهاد والتعسف ، بمنوفيزية مماحكة وجامدة لم توفّر قوة لمقاومة فعالة وكافية امام حركة ذات طابع قومي ، كما لم يكن بوسعها الاعتماد على مساعدة من الخارج .

المسيحية ومجيء الاسلام

في هذا الفصل ، نودُّ ان نقول كلمة وجيزة في نشأة الاسلام ، ثم نتطرق الى العلاقات الاولى بين المسيحية والاسلام .

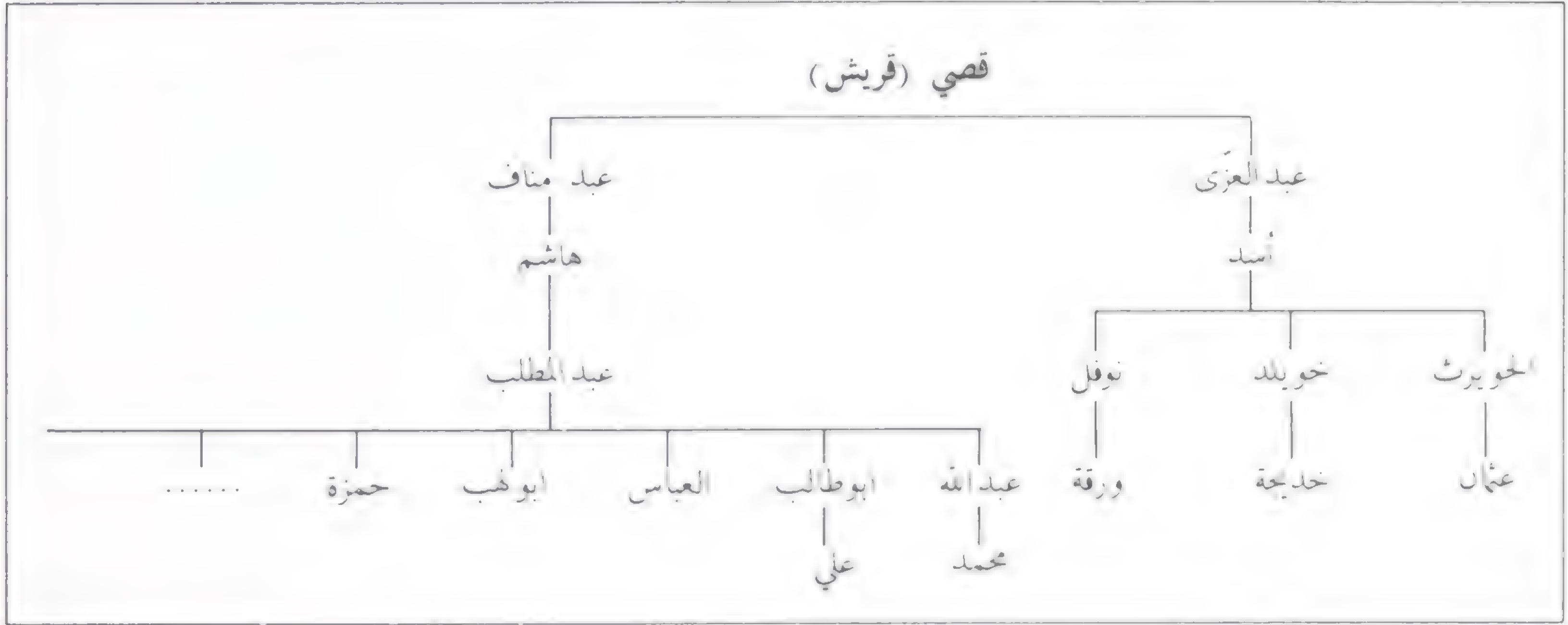
١ .نشأة الاسلام

أ) اصول الدعوة الاسلامية

يجمع المؤرخون على كون قصي هو الزعيم الاول لقبيلة قريش التي فيها ولد رسول الاسلام . وعُرف قصي انه تولى امر الكعبة ، بعد طرده قبيلتي بني بكر وخزاعة من مكة ، بمساعدة قبيلة بني عذرة النصرانية ، وانه جمع شتات القبائل المبعثرة في شعاب مكة وبطاحها تحت زعامته ، واطلق على هذا التجمع اسم «قريش» . وقريش هو التجمّع من قول ابن اسحق : «انما سميت قريش قريشاً لتجمّعها بعد تفرّقها» . ويقال للتجمّع التقرّش[١] .والمعروف عن قصي انه كان اول من بنى الكعبة ، بعد بناء تبّع اليمني ، وسقفها بالخشب ، واول من اظهر الحجر الاسود ، وكانت قبيلة اياد دفنته في

(١) **السيرة النبوية** لابن هشام ، ٤ اجزاء ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٥ ، ١ ، ٨٧؛ ابو موسى الحريري ، **قس ونبي**، بيروت ١٩٧٩ ، ص ١٣.

جبال مكة ، واول من بنى المساكن في مكة ونقض الخيام ، واول من نظّم شؤون المدينة .



ب) رسول الاسلام

وُلد محمد ابن عبدالله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي في مكة في نحو سنة ٥٧١م ، وقد توفي والده . وما ان بلغ السادسة من عمره ، حتى توفيت والدته آمنة ايضاً . فتولى امرَه جدُه عبد المطلب الذي كان ذا مقام رفيع في قريش . ولكن هذا ايضاً توفي بعد سنتين . فكفله عمه ابو طالب ، وكان وجيهاً محترماً وصاحب تجارة . ويروى انه لما بلغ محمد الثانية عشرة من سنه ، اخذ يرافق عمه ابا طالب في رحلات تجارية الى الشام وغيرها من البلدان . وقيل انه اثناء احدى تلك الرحلات التجارية ، التقى راهباً مسيحياً يدعى «بحيرا» الذي اطلعه على مصيره وعلّمه اموراً دينية كثيرة . ويبدو ان نفوذ ورقة بن نوفل القرشي كان عميقاً في نفس محمد .وقيل عن ورقة بن نوفل انه «كان قسيساً» و «رئيس النصارى» في مكة ، وقد اهتم بالفتى محمد كل الاهتمام . فكان كلاهما ، في مدة تزيد على الخمس عشرة سنة ، يختليان في غار حراء بجبل النور على ثلاثة اميال من مكة ، وينقطعان عن الناس ، ويفكران في الله شهراً كاملاً من كل سنة . ولم تكن الخلوة بعيدة عن طبع محمد[٢] ، وهو بذلك يسير على خطى جده وندماء جده وورقة بن نوفل . وتقول

(٢) **السيرة الحلبية** ١، ٢٥٧، ٢٦٠ (وعنوانها الكامل : **إنسان العيون في سيرة الامين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية** ، تأليف علي بن برهان الدين الحلبي ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ١٩٦٢.

سيرة ابن هشام[٣] : «كان رسول الله يجاور في حراء من كل سنة شهراً . وكان ذلك مما تحنّثَ به قريش في الجاهلية» . وكانت هذه الخلوة تتوقف على الزهد والانقطاع عن الناس ، وعلى التحنّث والتحنّف ، اي التفكير في الله والعكوف على القراءة والتأمل ، وعلى الصيام ، وعلى اعمال البر والاحسان : انه شهر رمضان . وينتهي بالطواف بالكعبة سبع مرات ، ثم يرجع الى بيته .

وتوسمت خديجة بنت خويلد – وهي ابنة عم ورقة بن نوفل – في محمد الحصافة والذكاء وصدق السيرة ، فعهدت اليه بالاتجار بمالها . وكانت خديجة قرشية من بني أسد ، وقد تزوجت مرتين من بني مخزوم ، واصبحت من اوفر بني مكة ثروة . فافلح محمد في التجارة ، مما اثار اعجاب خديجة به ، فعرضت عليه الزواج بها . ويبدو ان ورقة بن نوفل لعب دوراً هاماً في التمهيد لهذا الزواج وفي عقده واعلانه على آل قريش حينما قال : «فاشهدوا عليّ يا معشر قريش ، اني قد زوّجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبدالله » . فتزوجها محمد وهي أرملة لرجلين تناهز الأربعين وأمّ لعدّة أولاد ، في حين أنّه كان هو في الخامسة والعشرين من سنّه[٤] . فوجد فيها خير النساء ، واغناه الله بما لها من جاه ومقام وسعة المال . ولم يفكر في الزواج من غيرها وهي في قيد الحياة ، على سنّة الزواج النصراني الذي لا ينفصم الا بموت احد الزوجين .

. . . وبينما كان محمد معتزلاً في احد الايام في غار حراء حسب عادته المألوفة ، جاءه صوت يدعوه الى الرسالة[٥] . وكان ذلك سنة ٦١١ ، وقد بلغ محمد الأربعين من عمره . وافضى بذلك الى زوجته خديجة ، وأطلع عليه بعضَ اقاربه . وكان لرجال الدين النصارى ضلع في التهيئة لرسالة محمد . فان القرآن يعترف بصفة العلم عند القسيسين والرهبان . وخطب القس ابن ساعدة شهيرة في كتب الادب[٦] . وشهرة الراهب «بحيرا» الذي تعرّف اليه محمد في اسفاره الى الشام ، بعيدة الاثر في نفوس اهل قريش . وقد قيل عنه : «انتهى اليه علم النصرانية»[٧] . والراهب «عدّاس» النينوي

(٣) **سيرة** ابن هشام ١، ٢١٨.

(٤) **السيرة الحلبية** ١، ٢٥٦.

(٥) سورة **العلق** ١؛ سورة **القدر** ١؛ سورة **المدثر** ١.

(٦) (ت نحو سنة ٦٠٠) وهو خطيب جاهلي يُضرب به المثل في البلاغة والحكمة والموعظة الحسنة. كان من نصارى نجران ، ويقال من احبارها ، وكان يعظ القوم في سوق عكاظ (بين نخلة والطائف على بعد ٣ أيّام من مكة) .

(٧) **سيرة** ابن هشام ١، ١٦٥؛ **السيرة الحلبية** ١، ١٣٠. اسمه الحقيقي هو يوحنا – اما كلمة «بحيرا» . فلفظة=

«كان يرقى محمداً بما يعرفه من الكتب»[٨] . وقيل عن راهب آخر من الشام يدعى «عيصا» انه «اتاه الله علماً كثيراً»[٩] ، وعن آخر في عكاظ انه كان على علم في الطب ، ذهب اليه محمد برفقة جده عبد المطلب يلتمس منه شفاء عينيه من رمد اصابهما،[١٠] وغيرهم . . .

واذا كان بعض الاقارب رحبوا بهذه الدعوة الجديدة ، فان معظم سكان مكة أَعرضوا عن محمد وضايقوه ، بل اخذوا يضطهدون اصحابه واتباعه . اما ورقة بن نوفل ، فقد توفي عن عمر تجاوز المائة سنة ، وذلك بعد ما بدأ محمد رسالته بثلاث أو اربع سنين ، اي عندما كان لمحمد من العمر نحو اربع واربعين سنة[١١] . وقد مات ورقة على «نصرانيته»[١٢] ، بعد ان لعب دوراً هاماً في تهيئة محمد لرسالته ، حتى قيل : «لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي»[١٣] .

وامام الضغط المتزايد على محمد واتباعه في الدعوة الجديدة ، نصح محمد اصحابَه بالذهاب الى الحبشة . فخرجوا اليها في هجرتين ، كانوا في الاولى احدى عشرة اسرة مكية ، وفي الثانية (سنة ٦١٥) ٨٣ اسرة اخرى ، وفي مقدمتها اسرة عثمان بن عفّان . ووجد المسلمون الاوائل في جوار النجاشي المسيحي امناً ودعة[١٤] . . . وتوفيت خديجة سنة ٦١٩، ثم ابو طالب عمه . وازدادت مقاومة المكيين لمحمد ولافكاره . . .

ج) الهجرة

امام رفض المكيين ومقاومتهم ، اضطر محمد الى مغادرة مكة والذهاب الى يثرب سنة ٦٢٢م – وهو عام الهجرة وبدء التاريخ الاسلامي – ، وفيها لقي كل ترحاب

آرامية تعني العالم او المتبحّر او المدقّق او المحقق . وكان بحيرا هذا راهباً نسطورياً على مذهب اريوس ونسطور . وكان يقيم اولاً في دير فيما بين النهرين بالعراق . ثم طُرد من هناك لمذهبه فتوجه الى طور سيناء في العقبة . ومن هناك ايضاً طرد فجاءَ الى قرب بُصرى الشام حيث اسس ديراً دُعي باسمه «بحيراء» . في النهاية ذهب الى مكان في جزيرة العرب ، فقتله اليهود غيلةً .

(٨) **السيرة الحلبية** ١، ٢٦٧، **السيرة المكية** ١، ١٨٣، وقد وردت هذه السيرة بهامش السيرة الحلبية .
(٩) **السيرة الحلبية** ١، ٧٨.
(١٠) الموضع عينه ١، ١٣٥.
(١١) الموضع عينه ١، ٢٧٤.
(١٢) الموضع عينه ١، ٢٧٣.
(١٣) **صحيح** البخاري بشرح الكرماني ١، المطبعة العصرية ، القاهرة ، ١٩٣٢، ٣٨ - ٣٩ .
(١٤) طالع **تاريخ اليعقوبي** ٢، ص ٢٩.

وحرارة ، فاصبحت «مدينته» المفضّلة . وكان في يثرب عدد كبير من اليهود الذين رأوا في الدعوة الجديدة وسيلة لزوال الاصنام . وكان سكان المدينة كلّهم يفضلون إبطال الاصنام ، لكي تسقط مكة وتنهض مدينتهم ، لا سيما اذا هاجر اليها صاحب الدعوة نفسه وصارت مركزاً للدين الجديد يحجّ اليها الناس بدلاً من حجّهم الى مكة . وكان بين المدينتين منافسة شديدة وتحاسد كبير لتباعدهما في الانساب ، لان اهل مكة من العدنانيين واهل المدينة من القحطانيين عرب اليمن . وهاجر مع محمد من بايعه من قبيلته قريش وهم «المهاجرون» ، تمييزاً لهم عن الفئة الاخرى من الصحابة ، وهم «الانصار» اهل يثرب (المدينة) .

د) انتشار الدعوة الاسلامية

اتّخذ المسلمون الاوائل «المدينة» مركزاً لهم . ثم تحولوا الى مناوأة اهل مكة الرافضين ، فجعلوا يضايقونهم في اثناء مرورهم بقوافلهم بين الشام ومكة . ووقعت بين الجانبين وقائع كثيرة هي الغزوات الاولى الشهيرة ، واعظمها غزوة «بدر» الكبرى التي جرت على بعد عشرين ميلاً الى الجنوب الغربي من المدينة سنة ٦٢٤ ، وفيها انتصر المسلمون على المكيين . واذا اصابتهم انتكاسة في واقعة «أُحُد» سنة ٦٢٥ ، فسرعان ما استرجعوا قواهم وانتصروا على خصومهم في واقعة «الخندق» سنة ٦٢٧ ، مما اضطر القرشيين الى عقد صلح مع المسلمين سنة ٦٢٨ ، سمي بصلح «الحُدَيبية» . وفي سنة ٦٣٠ ، تمّ فتح مكة ، فدخل محمد الكعبة وامر باصنامها فحطّمت[١٥] ، وانضمّ اهل مكة الى الاسلام . واسلم كثير من القبائل في السنة التاسعة للهجرة ، وهو عام «الوفود» ، اذ ارسلت القبائل العربية وفودَها الى الرسول بعد فتحه مكة واخضاعه قريشاً لسلطانه تعلن اسلامها .

هـ) الفتوحات الاولى

في السنة التاسعة للهجرة ، اقام محمد حامية في «تبّوك» على حدود غسان ،

(١٥) وكان في الكعبة صور الانبياء وصور الشجر وصور الملائكة . فكان فيها صورة ابراهيم الخليل . . . وصورة عيسى بن مريم وامه وصور الملائكة . فلما كان يوم فتح مكة دخل رسول الله البيت ، فأرسل الفضل ابن العباس بن عبد المطلب ، فجاء بماء زمزم ، ثم امر بثوب فبلّ الماء وامر بطمس تلك الصور ، فطُمست . ووضع كفّية على صورة عيسى بن مريم وامه عليهما السلام ، وقال : «امحوا جميع الصور ، الا ما تحت يدي !» فرفع يديه عن صورة عيسى بن مريم وامه (الأزرقي ، **أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار** ٢ ج ، تحقيق رشدي الصالح ، مطابع دار الثقافة ، مكّة المكرمة ، ١٩٦٥ ، ١ ، ١٦٥) .

وصالح صاحب «ايلة» (العقبة) النصراني وبعض قبائل اليهود . فأقبل النصارى يصالحونه ، فاعطوه الجزية ، فكتب لهم كُتُبَ أمن واحاطهم بكل صنوف الرعاية . وكانت الجزية تشمل الخراج والضريبة . فاصبحت هذه الجزية سابقة لها شأن بعيد في تطورات السياسة الاسلامية من بعد . واخذ جانب المسلمين يعتزّ ، وذاع امر سلطانهم في الجزيرة العربية كلها . وشرع الناس يفدون على المدينة يدخلون في الاسلام . وحاول المسلمون اقتحام بلاد الروم (واقعة مؤته) . الا انهم رُدّوا على اعقابهم ، فعادوا الى المدينة دون ان يفتحوا شيئاً من بلاد الروم . وفي السنة العاشرة للهجرة ، دخل محمد ظافراً على رأس موكب الحج السنوي الى مكة عاصمته الدينية الجديدة . وكانت هذه آخر مرة يحجّ فيها ، فسميت «حَجَّةَ الوداع» . وبعد ثلاثة اشهر ، انتابه المرض فجأة ، فمات وهو يشكو من صداع شديد ، وذلك في ٨ حزيران سنة ٦٣٢ م .

٢. الخلفاء الراشدون

الخلفاء الراشدون اربعة : ابو بكر الصدّيق (٦٣٢ – ٦٣٤) ، عمر ابن الخطاب (٦٣٤ – ٦٤٤) ، عثمان بن عفّان (٦٤٤ – ٦٥٦) وعلي بن ابي طالب (٦٥٦ – ٦٦١) .

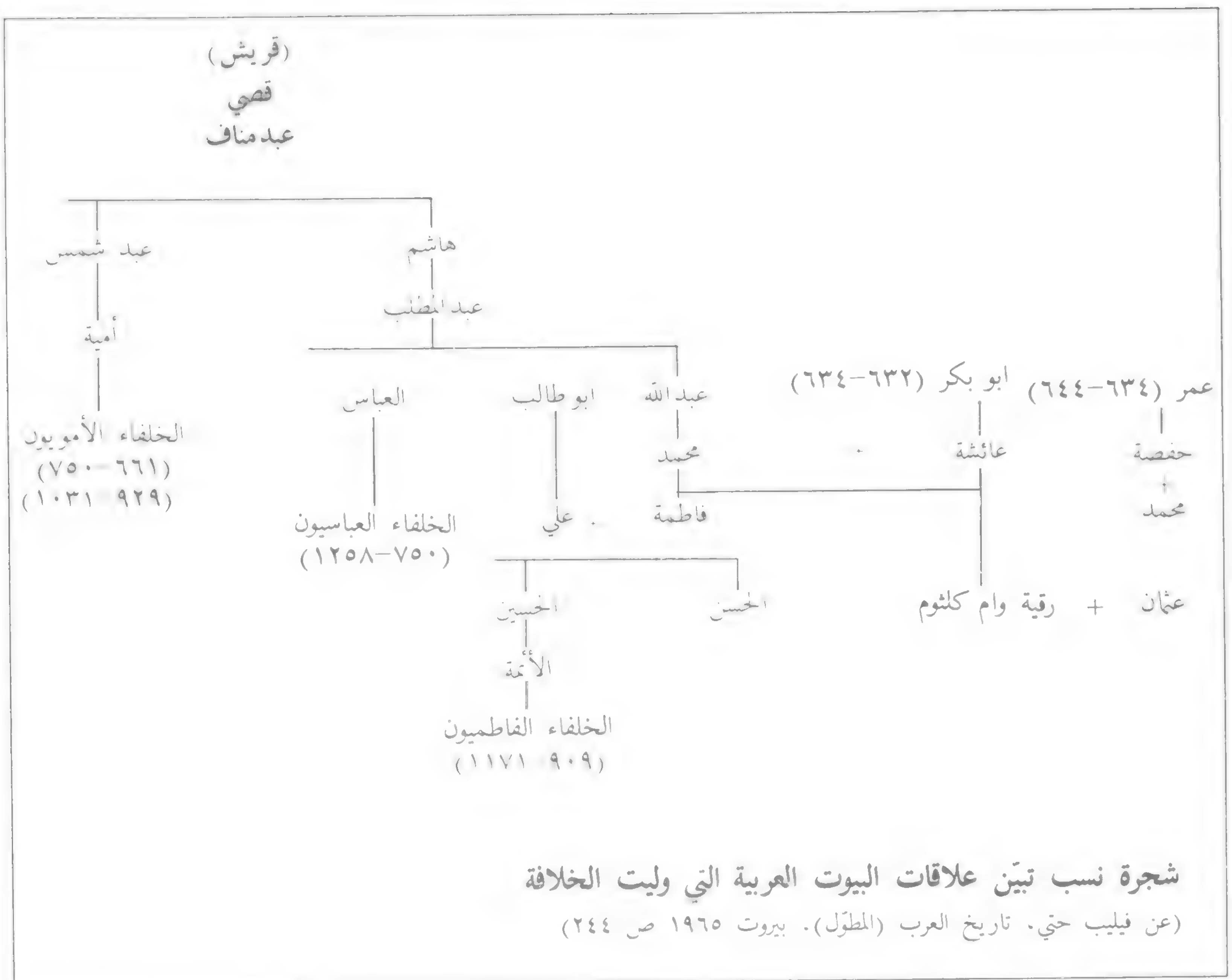
من المفيد ان نلقي نظرة سريعة على الخلفاء الراشدين وعلى اعمالهم الجليلة والفتوحات التي تحققت في عهودهم ، ثم نتناول موقفهم من المسيحيين في الجزيرة العربية وفي البلدان التي تمَّ لهم فتحها[١٦] .

أ) ابو بكر الصدّيق (٦٣٢ – ٦٣٤)

هو عبدالله بن عثمان التيمي ، وكان في الجاهلية يسمى عبد الكعبة ، فسماه الرسول عبدالله . وأُطلق عليه لقبُ «الصدّيق» ، لانه اول من صدّق برسالة محمد من الرجال ، او لانه اول من صدّق الرسول صبيحة الاسراء . وكان اصغر من الرسول بعامين ورفيقه واكثر الناس اتصالاً به ووالد زوجته عائشة .

توفي رسول الاسلام سنة ٦٣٢ ولم يترك ذرية من الذكور ولا من الاناث ما خلا ابنته فاطمة زوجة ابن عمه علي . وكان الاسلام ما يزال حديث العهد . فنشب خلاف

(١٦) اعتمدنا ما كتبه المؤرخون العرب عامة ، وافدنا خاصة من كتاب **تاريخ الدولة العربية – خلافة الراشدين والامويين** ، تأليف ثابت اسماعيل الراوي ، بغداد ١٩٧٦.



شجرة نسب تبيّن علاقات البيوت العربية التي وليت الخلافة
(عن فيليب حتي. تاريخ العرب (المطوّل). بيروت ١٩٦٥ ص ٢٤٤)

بين «المهاجرين» و «الانصار» حول الخلافة. اخيراً اهتدى القوم الى بيعة ابي بكر، لانه كان اكبر المسلمين سناً واقرب الناس الى الرسول، ولان الرسول كان قد اوعز خلال مرضه الى ابي بكر ان يؤمّ المسلمين في صلاتهم، وهذه اشارة منه الى تقديم ابي بكر على غيره من الصحابة، فضلاً عما امتاز به من العلم وصدق العزيمة وقوة التدبير.

الا ان التعصّب القبلي والمصالح الشخصية كانت السبب الرئيسي لحركة الردّة بعد موت الرسول، بالاضافة الى ظهور متنبئين في مختلف القبائل يحاولون تقليد محمد في جمع شمل قبائلهم والترأس عليها، ولاسيما ان العقيدة الاسلامية لم تكن قد ترسخت في عقول العرب. فارتدت معظم القبائل العربية عن الاسلام، الا اهل المدينة ومكة والطائف. واصبح الاسلام في خطر شديد. فانشغل ابو بكر مدة خلافته القصيرة بحروب الردة. ولم تمضِ سنتان حتى توحدت الجزيرة في خلافته بسيف خالد ابن الوليد. فاستتب الامر لابي بكر، وعاد الناس الى ما كانوا عليه وسكنت الاحوال.

وفي عهد ابي بكر الصديق، تمت المرحلة الاولى من فتح العراق بقيادة خالد ابن

الوليد . ثم امر الخليفة خالدَ ابن الوليد بالتوجه الى الشام لمساعدة الجيوش العربية التي أُرسلت الى هناك . الا ان المنية عاجلت ابا بكر قبل حسم معركة اليرموك التي اسفرت سنة ٦٣٤ عن انتصار الجيوش العربية على الروم . ولما شعر ابو بكر بدنوّ أجله ، اوصى بالخلافة من بعدِه الى عمر ابن الخطاب ، بعد ان استشار الصحابة واخذ رأي الناس فيه . وتوفي ابو بكر في السنة ١٣ للهجرة .

ب) عمر ابن الخطاب (٦٣٤ - ٦٤٤)

وُلد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة (في نحو سنة ٥٨٣ م) . امضى سني شبابه في مكة ، واعتنق الاسلام في السنة الخامسة للدعوة الاسلامية ، وكان مثال الفصاحة والبلاغة والصراحة في الحق . وصحب الرسول في اكثر اوقاته ، وشارك في معظم الغزوات . ولقبه الرسول بِ «الفاروق» ، لان اسلامه فرّق بين الحق والباطل . الا ان اللقب يعني «المخلّص» او المنقذ . وهو اول من لُقّب ايضاً «بأمير المؤمنين» .

تولى الخلافة بعد ابي بكر وبحسب بيعته . وفي عهده تمت المرحلة الثانية من فتح العراق . وكانت اشهر المعارك التي دارت بين العرب والفرس معركة القادسية سنة ٦٣٧ ، وفيها انتصر العرب على الفرس بالقرب من الحيرة . فقُتل قائدُ الفرسِ الشهير «رستم» وتشتت الجيش الفارسي ، وانفتحت امام العرب المسلمين سهولُ العراق الخصبة ، واحتلوا المدائن عاصمة الساسانيين ، وهرب ملكهم يزدجرد بن شهريار ، ثم فتحوا البلاد الفارسية شيئاً فشيئاً .

وقام العرب المسلمون بتمصير البصرة والكوفة اللتين اصبحتا محطتين لاستقبال العرب القادمين من الجزيرة ومنطلقاً للفتوحات نحو الشرق . واستطاع العرب ، بعد معركة اليرموك ، ان يتقدموا في البلاد البيزنطية . فاستولوا على دمشق ، ثم على بيت المقدس وعلى غيرهما من الاماكن التي تركها هرقل البيزنطي وانسحب الى العاصمة القسطنطينية سنة ٦٣٨ . وتقدم عمرو بن العاص نحو الحدود المصرية واستولى على مواقع عديدة فيها ، في حين ان العرب شَنّوا في الشرق هجومهم الحاسم على الفرس وانتصروا عليهم في معركة «نهاوند» . فهرب منها يزدجرد الفارسي ، وانتقل من بلد الى آخر حتى قُتل سنة ٣١ هـ/٦٥١م في بلاد مرو ، في خلافة عثمان بن عفّان .

نظّم الخليفة عمر ابن الخطاب «الجزية» على الذين دخلوا في حوزة المسلمين من اهل الكتاب ، وهم اليهود والمسيحيون ، وكذلك المجوس . وكان مقدارها في العراق ٤٨ درهما على الغني ، و٢٤ على المتوسط ، و١٢ على الفقير . وأُعفي المعدَم والمزمن

والشيوخ والاطفال والنساء والعبيد والاعمى والرهبان . كما فرض على «اهل الذمة» ضيافة مَن مَرَّ بهم من المسلمين ثلاثة ايام . اما «الخراج» – اي ضريبة الارض ونتاجها – فكان يؤخذ نقداً وعيناً . وقيل ان مقدار خراج العراق بلغ ١٢٠ مليون درهم . وبالاضافة الى الجزية والخراج ، أوجدَ عمر ضرائبَ اخرى تُفرَض على الصناعة والتجارة .

قال الرسول : «لا يجتمع في الجزيرة دينان !» وعلى هذا الاساس ، امر عمر ابن الخطاب باخراج اليهود والمسيحيين واجلائهم الى بلاد الشام والعراق . وبذلك أخلصَ الجزيرة العربية للمسلمين فقط . اما «النصارى» في الجزيرة العربية ، فقد انضمّوا الى الاسلام وذابوا فيه .

قُتل عمر ابن الخطاب علي يد أَبي لؤلؤة فيروز غلام الفارسي الاصل . وكانت وفاته في الايام الاخيرة من سنة ٢٣ هـ ٦٤٤ م . ولم يخترْ احداً للخلافة بعده ، بل ترك الامر بيد الشورى . فاختير عثمان بن عفّان ليكون ثالث الخلفاء الراشدين .

ج) عثمان بن عفّان (٦٤٤ – ٦٥٦)

وُلد في السنة السادسة عشرة من عام الفيل (اي سنة ٥٨٦م) ، وهو من المسلمين الذي دعاهم ابو بكر الصديق فاجابوا الى الاسلام . تزوّج رقية بنت الرسول ، وهاجر الى الحبشة الهجرة الاولى والثانية . وتوفيت رقية في ليالي غزوة بدر ، فزوّجه الرسول ابنته ام كلثوم ، فتوفيت عنده سنة ٩ هـ .

بايعه المسلمون في المدينة سنة ٢٤ هـ . وقام بجمع القرآن وتوحيده بعد ان ظهر الاختلاف في قراءات المسلمين في مختلف الامصار . وفي سن ٢٩ هـ ، وقعت معركة «ذات الصواري» البحرية ، وفيها انتصر الاسطول العربي على الاسطول الرومي . وامتدت الفتوحات في عهده حتى ابواب القسطنطينية .

ظهرت بوادر الفتنة على عثمان اولا في الكوفة والبصرة ثم في مصر . وانتشر التذمر بين العرب لكونهم ظلوا دون عمل ولا حرب ، ولتعالي قريش على بقية القبائل العربية وغناها الفاحش . وأخذ بعضُ الصحابة على عثمان وولاتِه مظاهرَ الترف والبذخ . وحاول عثمان القضاء على هذا الخطر قبل امتداده . لكن الثوار اجتمعوا في المدينة وحاصروا الخليفة طوال اربعين يوماً . وانتهى هذا الحصار بمقتل عثمان سنة ٣٥ هـ/٦٥٦ م ، بينما كان يقرأ القرآن ، ودُفن ليلاً خارج المدينة .

د) علي بن ابي طالب (٦٥٦ - ٦٦١)

وُلد علي قبل البعثة النبوية بعشر سنين (اي سنة ٦٠١ م) . وهو اول فتى من فتيان قريش آمن برسالة محمد . وزوّجه الرسول ابنته فاطمة في السنة الثانية للهجرة (٦٢٤م) . ولما سيطر رجال الفتنة على المدينة بعد مقتل عثمان بن عفان ، بايعوا عليا بعد خمسة ايام ، وذلك في ٢٥ ذي الحجة سنة ٣٥ هـ . الا ان قوما عارضوه ، ومنهم طلحة والزبير وعائشة زوجة الرسول . وفي سنة ٣٦ هـ ، وقعت بالقرب من البصرة «معركة الجمل» بين علي ومعارضيه ، وفيها قُتل طلحة والزبير ، وأعيدت عائشة الى المدينة المنوّرة .

استقر علي في الكوفة بعد انتصاره في معركة الجمل . واجتمع حوله اهل العراق ، ومنهم من اتُّهم بقتل عثمان . وكانت هذه فرصة استفاد منها معاوية بن ابي سفيان ضد علي . وتأزمت العلاقات بين علي وبني أمية ، واراد ان يعزل معاوية من ولاية الشام . ولكن هذا رفض الامتثال لامر علي ، وكان اهل الشام يؤيدونه . ودارت معركة في سهل «صفين» بين انصار علي وانصار معاوية دامت مائة يوم ، وكاد النصر يتحقق للعراقيين . اذ ذاك استنبط معاوية حيلة رفع المصاحف على رؤوس الرماح ، واخذ حاملوها ينادون اهل العراق : «تعالوا نحتكم الى القرآن الكريم !» واضطر علي الى القبول بالاحتكام الذي جرى لصالح معاوية . وانقسم جيش علي ، مما ادى الى ظهور الخوارج الذين قالوا ان عليا كفر بقبوله التحكيم . فاضطر علي الى مقاتلة الخوارج وسحقهم في «معركة نهروان» . وبعد المعركة ، عاد الى الكوفة ليستعد لمقاتلة معاوية . الا ان اهل العراق رفضوا هذا القتال . . . وانتهى الصراع بمقتل علي سنة ٤٠ هـ، على يد احد الخوارج يدعى عبد الرحمن بن ملجم الذي دخل ليلة ١٧ رمضان على علي وهو يقيم صلاة الفجر في الكوفة ، فضربه بالسيف على جبينه . وسأل الناس عليا قبل موته في مبايعة ابنه الحسن ، ولكنه قال : «لا آمركم ولا انهاكم ، وانتم باموركم ابصر» . وتوفي علي في اليوم ذاته ودفن في ظاهر الكوفة .

بايع اهل الكوفة الحسن بن علي ، ولكنه تنازل عن الخلافة لمعاوية ، وبذلك قامت دولة بني أمية سنة ٤١ هـ/ ٦٦١م . وقد توقفت اعمال الفتح في خلافة علي ، لانشغال المسلمين بامور الخلافة وتفرّقهم احزاباً وشيعاً .

. . . وبالرغم من الخلافات التي جرت في عهد عثمان وعلي على الخلافة ، فقد امتدت الفتوحات الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، الذين دامَ حكمهم نحو ثلاثين

سنة ، حتى شملت البلدان الواقعة ما بين افريقيا في الغرب الى اقاصي خراسان في الشرق وعبرت النهر الى سمرقند .

٣ .الاسباب التي مهّدت للفتوحات

لقد يسّرَ الفتحَ للعرب اسبابٌ منها :

١ . ان فارس وبيزنطية كانتا قد وهنتا بسبب الحروب التي استمرت بينهما اجيالاً طوالاً . فاضطرتهما هذه الحروب الى ارهاق رعاياهما بضرائب قاسية ادت الى نفورهم .

٢ . استيطان القبائل العربية في سوريا وأرض الفراتين وفي المناطق الواقعة على حدود الهلال الخصيب .

٣ . ظهور الخلافات داخل الكنيسة المسيحية الشرقية حيث نشأت النسطورية في العراق وفارس والمنوفيزية في سوريا ومصر ، مع ما لابس ذلك من عداوة البيزنطيين واضطهادهم للمنشقين عن كنيستهم .

٤ . كان الروم قد أهمَلوا تحصين الثغور . ومن بعد غزوة «مؤته» الواقعة شمالي البتراء التي فيها انتصر عرب الشام على جيش ارسله الرسول عليهم سنة ٦٢٩ ، ابطل هرقل البيزنطي الجراية التي كان يوزعها في قبائل الشام العربية المقيمة جنوبي البحر الميت على الخط الواصل بين المدينة وغزة .

هذا بالاضافة الى ان الاقوام العربية الساكنة في الشام وفلسطين وغيرهما من مناطق الشرق كانوا يعتبرون العرب الفاتحين قوماً من بني جنسهم يربطهم بهم ما لا يربطهم باولئك الحكام الاجانب الغاصبين . فجاءت الفتوحات الاسلامية انقلاباً اجتماعياً سياسياً استردَّ به الشرقُ الادنى مجدَه الغابر ، وجاء الاسلام مهيباً بالشرق الى النهوض من كبوته بعد الف سنة اجتاحته فيها سطوةُ الغريب ، من الاخمينيين والاغريق والرومان والفرس الساسانيين . . .اما «الجزية» التي فرضها الفاتحون العرب على ابناء البلدان المنسلخة عن فارس وبيزنطية ، فكانت اقلّ مما كان يُفرَض عليهم في ظل الحكومات السابقة . ولقد انفتح امام الامم المغلوبة بابُ الحرية ، فصاروا يمارسون عقائد اديانهم دون حرج [١٧] .

والحاجة المادية ايضاً – بالاضافة الى الدوافع الدينية – دفعت بمعاشر البدو ، واكثر

---

(١٧) فيليب حتي ، **تاريخ العرب** (المطوّل) ، ص ١٩٤ .

جيوش الفتح منهم ، الى ما وراء تخوم البادية القفراء ، الى مواطن الخصب في بلدان الشمال .

وتجدر الاشارة الى ان الحملات الاولى لم تكن نتيجة خطة رسمها اولياء الامر من قبل ، بل بدأت كغزوات يقصد بها الوصول الى منافذ جديدة لروح القبائل الثائرة ، وكان الغرض منها في اكثر الاحوال الغنيمة لا الاحتلال او الاستعمار . . . بعد ذلك بدأت الفتوحات المنظمة . . .

وهكذا فقد بدأ الاسلام ديناً ، ولم يلبث ان اصبح دولة ، ثم صار ثقافة . . .

٤ .المسيحيون في عهد الخلفاء الراشدين

دخلت جحافل العرب الفاتحين أَرضَ الرافدين ، واستطاعت سريعاً ان تنتصر على الجيوش الفارسية وان تدك معاقل قواتهم المتقهقرة ، وان تقضي على مملكتهم . فاستقبلهم سكان البلاد بحرارة ، ولاسيما المسيحيون الذين كانوا يعانون في كل العهود الفارسية تقريباً من الظلم والتعسف . فرأوا في القادمين الجدد محرّرين يزيحون عن كواهلهم الظلمَ والطغيان . وكذلك نظر اليهم المسيحيون القاطنون في المنطقة الرومية . فنرى ان ميخائيل السرياني يقول عنهم : « . . . لذلك ، حينما رأى اله النقمات شر الروم الذين حيثما حكموا كانوا يعيثون في الارض فسادا ، فينهبون كنائسنا وديورتنا ويعاملوننا بالتعسف ، اتى من الجنوب بأبناء اسماعيل ، لكي ينقذنا بواسطتهم من ايدي الروم»[١٨] . ولما كان العرب المسلمون يقاتلون الساسانيين ، كانت في صفوفهم قبائل عربية نصرانية ، من الحيرة ومن مناطق اخرى ، تقاتل بجانبهم ، ولهم حصتهم من غنائم الحرب[١٩] . وكانت لهذه المبادرات صداها الطيب في نفوس المسلمين .

وكان المسلمون عندما يفتحون بلداً ، يخيّرون سكانه بين اعتناق الاسلام او الاحتفاظ بدينهم الخاص . فاذا اسلموا كانوا هم وسائر المسلمين سواء ، والا فوجب عليهم دفع الجزية[٢٠] ، فيصبحون «في ذمة» المسلمين يحمونهم ويدافعون عنهم . لذا

---

(١٨) **تاريخ ميخائيل السرياني** ، طبعة شابو النص السرياني والترجمة الفرنسية بأربعة اجزاء ، باريس ١٨٩٩ - ١٩١٠، ٢ ،ص ٤١٢ - ٤١٣ .

(١٩) تيسران ، **الكنيسة النسطورية** ، ص ٤٥ في الترجمة العربية للقس (المطران) سليمان صائغ ، الموصل ، ١٩٣٩ .

(٢٠) كان المسيحيون يؤدون الجزية او ضريبة الاعناق للروم والساسانيين (طالع حياة مار شمعون برصباعي في=

فكانوا يُسمون «اهل الذمة» . وان لم يقبلوا كلا الامرين ، فيُحارَبون ويُقاتَلون . ويقول يوحنا برفنكابي (القرن الثامن) في هذا الصدد : «لقد ازدهرت العدالة في ايام معاوية وعمّ السلام في كل البلاد الخاضعة لحكمه ، وتمتّع الناس بحرية مطلقة . فان المسلمين قاموا بحق النصارى والرهبان ، فكانوا يطالبونهم بالجزية ، ويطلقون لهم الحرية التامة في امور دينهم»[٢١] .ان «الامة» المسلمة التي نظمها الخليفة عمر وجدت ذاتها ملتزمة ادبياً تجاه الذين يؤمنون بالله ويدعون «اهل الكتاب» ، اي اليهود والمسيحيين ، وذلك تجاوباً مع ما جاء في سورة المائدة (آية ٨٢) = «ولَتَجِدَنّ أقرَبَهم مودَّةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأنَّ منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون» . وهذا امر هام جداً لارساء العلاقات بين المسيحيين والمسلمين في مَطلع الاسلام وفي عهوده اللاحقة .

وكان للانسانية التي اتّسم بها الاسلام الاول تأثير عظيم في من يدخل تحت سلطة المسلمين من رعايا الروم والفرس . فان ابا بكر مثلاً اوصى اسامة يوم خروجه بالمسلمين الى الشام ، قال : « لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلّوا ، ولا تمثّلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ، ولا تعقروا نخلا او تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا للاكل . وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا انفسهم له» .

ويبدو ان الفاتحين لم يفرضوا الاسلام حتى على القبائل العربية في الجزيرة . فلم يفرض عمر الاسلام على عرب نجران المسيحيين ، بل اكتفى بنقلهم الى العراق ، بعد ان اعطاهم ، كما قيل ، كتاب ضمان ، ووهبهم اطياناً واراضي مقابل اراضيهم التي كانت لهم في نجران[٢٢] . الا ان مركز الكوفة العسكري ووصول مختلف طبقات الهجرة اليه كانا من اشد العوامل لانماء روح الامتزاج والائتلاف والوحدة بين القبائل العربية . ولم تمض عشرات السنين على القبائل العربية المسيحية العديدة المقيمة او المتنقلة على ضفاف الفرات حتى اندمجت بالفاتحين وضاعت فيهم . ومن جهة اخرى ، اخذت قبائل عربية عديدة تنزح من الجزيرة العربية وتتوجه باغنامها شطر

كتاب **شهداء المشرق** ، للمؤلف ، ١، بغداد ١٩٨٥،ص ١٠٥ - ١٣٧ ، **والتاريخ السعردي** الذي نشره المطران ادي شير في سلسلة الباترولوجيا الشرقية ، باريس ١٩٠٧ - ١٩١٨، ٢،ص ٦٠٩. وكانت هذه الجزية احياناً باهظة . وقد وضع المسلمون نظاماً لدفعها يراعي طبقات الناس واحوالهم ، ويدفعها الرجال فقط ، نقداً او متاعاً ، كما ذكرنا سابقاً .

(٢١) منكنا ، **المصادر السريانية** ١، الموصل ١٩٠٧، النص ص ١٤٦، والترجمة الفرنسية ص ١٧٥.

(٢٢) تيسران ، ص ٤٥.

ارض الرافدين قصد الاستيطان فيها . وهذا ما سبّب ازمة اقتصادية بين سكان المنطقة وشيئاً من الارتباك والظلم عليهم . ويكتفي التاريخ السعردي بالقول عن هذه الفترة : «ان المسلمين طالبوا اهل الذمة بالجزية فأدوها واحسنوا اليهم وتقررت الامور بفضل الله تعالى وطابت قلوب النصارى في مملكتهم ثبّتها الله ونصرها»[٢٣] .

٥ .وماذا عن العهود ؟

حينما فتح العرب المسلمون بلاد فارس ، كان البطريرك ايشوعياب الثاني الجدالي (٦٢٨ – ٦٤٦) متوليا زمام الامور الكنسية في المشرق . ويقول عنه التاريخ الصغير : «عندما رأى ايشوعياب الجاثليق ان العرب دمروا ماحوزا (المدائن) ونقلوا ابوابها الى العاقولاء (الكوفة) ، واخذ الجوع يفتك بالسكان الباقين فيها ، ذهب فحلّ في بيت كرماي في قرية كرخا»[٢٤] .

هل كانت ثمة علاقات مباشرة بين الجاثليق ايشوعياب الثاني وبين الرؤساء المسلمين؟ نحن نعلم ان المسلمين لم يخرجوا من الجزيرة العربية الا بعد موت الرسول . ففي خلافة عمر ابن الخطاب ، اجتاحت القوات العربية بلاد فارس في سنة ٦٣٧/. ٦٣٨ وقد ذكرنا سابقاً كيف استقبل المسحيون الفاتحين العرب . وتضعنا الوثائق السريانية امام مجموعة من الكتابات والمراسلات المتبادلة بين الرؤساء المسيحيين وبين الرسول وخلفائه الاولين . الا ان معظم هذه الوثائق لا تثبت امام النقد العلمي والتاريخي ، انما هي روايات ينبغي النظر فيها بكثير من التحفظ .

فيقول **ماري بن سليمان** (القرن ١٢) في كتاب المجدل :

«كان هذا الفطرك (اي ايشوعياب الثاني) يكاتب صاحب شريعة الاسلام ويهدي له ويسأله الوصاة برعيته في نواحيه ، فاجابه الى ذلك ، وكتب الى اصحابه كتباً بليغة مؤكدة ، وبرّه صاحب الشريعة عليه السلام ببرّ كان فيه عدة من الابل وثياب عدنية . وتأدى ذلك الى ملك الفرس ، فانكر على الفطرك فعله ومكاتبته ، وخاصة عند ورود هداياه ، فداراه (ايشوعياب) الى ان سلم منه . وعاش الى ايام عمر ابن الخطاب عليه السلام ، فكتب له كتاباً مؤكداً بالحفظ والحياطة ، وان لا يؤخذ من اخوانه وخدمه الجزية واشياعه ايضاً . وهذا الكتاب محتفظ به الى هذه الغاية»[٢٥] .

(٢٣) **التاريخ السعردي** ٢، ص ٥٨٢.
(٢٤) **التاريخ الصغير** ، تعريب الاب بطرس حداد ، بغداد ١٩٧٦، ص ٩٢.
(٢٥) ماري في **المجدل**، **اخبار بطاركة المشرق** ، روما ١٨٩٩، ص ٦٢.

ويقول **التاريخ السعردي** (القرن ١٢) :

«كان ايشوعياب قد انفذ هدايا الى النبي عليه السلام . وفي جملتها الف استار فضة ، مع جبريل اسقف ميشان ، وكان فاضلا عالماً . وكاتبه وسأله الاحسان الى النصارى . ووصل جبرئيل الاسقف الى يثرب وقد توفي (محمد) . فأوصل ما كان معه الى ابي بكر ، وعرّفه ما الناس عليه من ملك الفرس ، وانهم يخالفون الروم . فسمع قوله وقبل ما كان معه ، وضمن له ما يحبه ، وعاد الى الجاثليق مسروراً[٢٦] .

ويقول **صليبا بن يوحنان** الموصلي (القرن ١٤) :

«وفي ايامه . . . كان قد بدا يظهر امر العرب بني اسماعيل سنة خمس وثلاثين وتسعماية للاسكندر . ولما كشف الله لهذا الاب ما يؤول اليه هذا الظهور من السلطان والملك والقوة وفتح البلاد ، جمع رأيه وسابق بعقله وحكمته الى مكاتبة صاحب شريعتهم وهو بعد غير متمكن ، وانذره بما يصير اليه امره من القوة ، وسيّر ذلك له مع هدايا جميلة . فلما قوي امره وتمكن ، عاد كاتبه وأخذ منه العهد والزمام لجميع النصارى في كافة البلدان التي يملك عليها هو واصحابه من بعده ، وان يكونوا في حمايته آمنين على جاري عادتهم في اقامة الصلوة والبيع والاديرة . . .»[٢٧] .

. . . اما عن مكاتبة ايشوعياب الثاني لرسول العرب ، فالامر يبدو بعيد الاحتمال . ذلك لان خبر الرسول لم ينتشر خارج الجزيرة العربية الا بعد موته . وارسال ايشوعياب وفداً ذا صبغة سياسية امر سابق لاوانه . ثم ان المسيحيين في البلاد الفارسية بعد موت كسرى الثاني عاشوا في امان وسلام . وكان من عدم الفطنة ان يعرّضهم ايشوعياب لنقمة الفرس الحاكمين . أَضِف الى هذين السببين ان المصادر الاسلامية لا تذكر شيئاً عن هذه العلاقات . فالمؤرخون المسيحيون وحدهم يذكرونها . وأوجه الشبه الموجودة في كتاباتهم تحدونا الى القول ان التاريخ السعردي يستمد معلوماته هذه من ماري بن سليمان ، وان صليبا يستمد روايته من هذين المصدرين السابقين[٢٨] .

ويروي **التاريخ السعردي** لقاءً جرى بين ايشوعياب والخليفة عمر ابن الخطاب ، اذ يقول : «وتوفي ابو بكر وولي الامر بعده عمر ابن الخطاب . . . ولقيه ايشوعياب

---

(٢٦) **التاريخ السعردي** ٢،ص ٦١٨ - ٦١٩.

(٢٧) صليبا في **المجدل**، ص ٥٤ - ٥٥.

(٢٨) طالع لويس ساكو، **رسالة عقائدية حول المسيح للبطريرك السرياني ايشوعياب الثاني الجدالي**. روما ١٩٨٣، (بالفرنسية)، ص ٧٦ والحاشية ٨٣.

الجاثليق وخاطبه بسبب النصارى ، فكتب له عهداً . . .»[٢٩] . وهذا ما رواه ماري ايضاً بايجاز[٣٠] .

الا ان الاحداث تشير الى اقامة ايشوعياب في منطقة بيث كرماي (كركوك الحالية) في سني حياته الاخيرة حتى وفاته . ونحن نعلم ان هذه المنطقة لم يحتلها العرب المسلمون الا في زمان لاحق لوفاة هذا البطريرك ووفاة عمر ابن الخطاب ذاته . فلا ندري كيف واين التقى البطريرك الخليفة عمر ابن الخطاب . . .

اما عن العهود والضمانات التي اعطاها المسلمون للمسيحيين ، فلدينا منها ثلاث فئات رئيسة :

١ . **كتاب امان من الله ورسوله الى المسيحيين في نجران** وقد ورد نص هذا الكتاب في **التاريخ السعردي**[٣١] ، وفي **التاريخ الكنسي** لابن العبري[٣٢] . والروايتان متشابهتان الى حد كبير وتدوران حول نقاط اساسية هي :

- ان المسلمين يحمون المسيحيين ويتركونهم يعيشون بسلام .
- لا يضطرونهم الى الذهاب الى الحرب معهم .
- يضمنون لهم حرية العبادة وبناء الكنائس والديورة .
- لا يضطرونهم الى اعتناق الاسلام ويحترمون شرائعهم وعاداتهم .

٢ . **كتاب الرسول الى ايشوعياب الجدالي** جاءت اشارة اليه في مجدل صليبا[٣٣] ،وجاء مضمونه مطابقاً لما ورد في الكتاب الى النجرانيين .

٣ . **كتاب عمر ابن الخطاب الى ايشوعياب الجدالي** وردت اشارة اليه في **مجدل** ماري[٣٤] .وفي **التاريخ السعردي** الذي يذكره مفصلاً ويقول : «لا يغيّر لكم اسقف من اساقفتكم ولا رئيس من رؤسائكم ، ولا يهدم بيت من بيوت صلواتكم ولا بيعة من بيعكم ، ولا يدخل شيء من بنائكم الى بناء المساجد ولا

(٢٩) **التاريخ السعردي** ٢،ص ٦٢٠.
(٣٠) ماري في **المجدل**، ص ٦٢.
(٣١) **التاريخ السعردي** ٢،ص ٦٠٢ - ٦١٠.
(٣٢) ابن العبري ، **التاريخ الكنسي** ، طبعة ابيلوس ولامي ، باريس - لوفان ٣ اجزاء ، ١٨٧٢ - ١٨٧٧، ٢، ١١٥ - ١١٧.
(٣٣) صليبا في **المجدل** ، ص ٥٤ - ٥٥.
(٣٤) ماري في **المجدل** ، ص ٦٢.

منازل المسلمين . ولا يعرض لعابر سبيل منكم في اقطار الارض . ولا تكلّفوا الخروج مع المسلمين الى عدوّهم لملاقاة الحرب . ولا يجبر احد مما كان على ملة النصرانية على الاسلام كرهاً لما أنزل اليه في كتابه اذ يقول : لا اكراه في الدين . . .»[٣٥] .

الا ان كتب العهود والامان هذه لا تبدو اصيلة لاسباب عديدة ، منها :

– ان كتاب الرسول مؤرخ في العام الرابع الهجري (نحو سنة ٦٢٦م) ومذيّل باثنين وثلاثين توقيعاً باسماء اشخاص من المسلمين لم يرد ذكر لبعضهم في المصادر الاسلامية .

– ان المصادر السريانية التي تورد هذه العهود متأخرة ومرتبطة ببعضها ، في حين ان المصادر القديمة ، مثل **كتاب الرؤساء** لتوما المرجي ، لا تذكر شيئاً عنها .

– ان المصادر الاسلامية القديمة لا تذكر هذه الكتب والعهود .

– ان أمثال هذه العهود كثيرة في الكنائس الشرقية عامة .

لذا فان هذه الكتابات تعكس حالة متأخرة ، فيها يشعر المسيحيون بما يتهددهم من الاخطار ، فيتذرعون بعهود خيالية يستنبطونها للذود عن كيانهم والحفاظ على دينهم وتقاليدهم .

٦. انتشار المسيحية في الشرق الاقصى

ذكرنا في الجزء الاول من تاريخ الكنيسة الشرقية ان توما الرسول هو الذي قام بتبشير الهند ، سواء مرّ في طريقه اليها ببلاد ما بين النهرين ، ام اجتاز بمصر فالبحر الاحمر ووصلها عن طريق البحر . مهما يكن من امر ، فان الديانة المسيحية في الهند اكتنفها الغموض في القرون المسيحية الاولى ، ولسنا مطلعين بكفاية على مدى انتشارها او تنظيمها هناك .

ولكن مما لاشك فيه ان العلاقات التجارية كانت موجودة بين الهند وبلاد ما بين النهرين في عهد الارشاقيين ثم في عهد الساسانيين ، عن طريق البر وعن طريق البحر ايضاً . وكانت الطرق التجارية وسيلة اعتيادية ليس لنقل البضائع حسب ، بل لنقل الافكار والثقافة ايضاً ، بالاضافة الى نشر المذاهب . وقد انتهزها المبشرون لكي يحملوا بشرى الانجيل الى تلك البلدان البعيدة . ومما سهل الوصول الى بلاد الهند وجود مسيحية منظمة على ساحلي الخليج العربي منذ نهاية القرن الرابع ، لاسيما في مطلع

(٣٥) **التاريخ السعردي** ٢، ص ٦٢٠ - ٦٢٣.

القرن الخامس : في جزر البحرين ، وفي قطر وعُمان وفارس (رواردشير) وغيرها من المناطق المعروفة آنذاك .

أ) في الهند

لعلّ اصدق مصدر لمعرفة وجود المسيحية في الهند ما جاء في الملاحظات التي دوّنها المؤرخ قوزما انديكوبلستس ما بين سنة ٥٢٠ و٥٢٥م . فقد ذكر وجود مسيحيين في جزيرة سقطرى . ودام هذا الوجود زماناً طويلاً ، حتى القرن الرابع عشر ، حسب الجغرافيين العرب انفسهم . وكان المسيحيون هناك تحت رئاسة كنسية خاضعة لكرسي ساليق .

وحينما يتطرق قوزما الى جزيرة سيلان ، يقول انه كان هناك كنيسة من مستوطنين فرس مع كاهن مرتسم في بلاد الفرس وشماس واقليروس ، في حين ان سكان البلاد مع الملك كانوا على ديانة اخرى . فيظهر انها كانت جالية مسيحية ومركزاً للتجارة وليس مركزاً للاشعاع الديني . وكان ايضاً على شاطىء ملبار مسيحيون آخرون . . . وقد وجدت آثار تدل على وجود المسيحية في الهند ، منها صليبان ، وُجد اولهما في ميلابور بالقرب من مدينة مدراس حيث يُكرَم ضريح مار توما الرسول ، والثاني في كنيسة قديمة في «قوتايام» ، وكلاهما يحملان كتابة بهلوية يشير طابعها الى انها ترقى الى القرن السادس او السابع . وقد استطاعت المسيحية في الساحل الغربي من الهند ان تعيش طويلاً ، وذلك بفضل تسامح ملوك المنطقة وحمايتهم لها . مهما يكن من امر ، فان المسيحيين القادمين من بلاد فارس والذين استقروا في ملبار ، تمكنوا من تبشير السكان المحليين . ويبدو ان المركز الاول للمسيحيين في ملبار كان في «غرانغانور» ومن هناك انتشرت الديانة المسيحية في منطقة «كوشين» وفي شمالي «ترافنكور» . . .

ب) في آسيا الوسطى والصين

في مطلع عام ١٦٢٥ ، عُثر بالقرب من «سي – نغن – فو» على مسلّة تعلوها كتابة طويلة باللغة الصينية وتكملها كلمات ولائحة طويلة من الاسماء بالسريانية الاسطرنجيلية . وحالما علم المرسلون اليسوعيون بالامر ، انجزوا نسخاً منها وضعوا بعضها في متناول السكان المحليين ، وارسلوا اخرى مع ترجماتها الى اوربا . وقد اثار هذا الاكتشاف ضجة كبيرة في الاوساط العلمية ، ودلّ دلالة واضحة على وجود المسيحية في الصين منذ القرن السابع على اقل تقدير .

أقيمت هذه المسلّة التذكارية في فناء الدير الذي تأسس سنة ٦٣٨ م بأمر من الامبراطور « تاي – تسونغ» في الضاحية الغربية من عاصمته « سي – نغن – فو» ، وذلك تخليداً لتذكار او اجتماع سنوي عقد سنة ٧٧٩ على نفقة احد اشراف المسيحيين يدعى «يي – سو» وهو يزد بوزد . والمسلة من حجر الجير الرمادي اللون ، يبلغ ارتفاعها ٣٦ر٢م وعرضها ٨٦ر . م وسمكها ٢٥ر . م . وقد نقلت سنة ١٩٠٧ الى «في – لين» اي غابة الانصاب في «سي – نغن – فو» ، بعد ان أخذت نسخة طبق الاصل أرسلت الى متحف الفن في نيويورك ، ثم أهديت سنة ١٩١٦ الى البابا بندكتس الخامس عشر ، وهي الآن في المتحف اللاتراني في روما .

وفي اعلى المسلة نُحتت لؤلؤة يُمسك بها ثعبانان ، ثم يأتي العنوان بحروف صينية كبيرة تعلوه جبهة مثلثة الزوايا يظهر فيها صليب مرسوم بدقّة فوق سحابة محاطة بوردتين من اللوتس ، وهذه رموز لمختلف الديانات المتواجدة هناك . والذي قام بوضع النص هو الكاهن «كينغ – تسينغ» او آدم ، وهو من اصل فارسي .

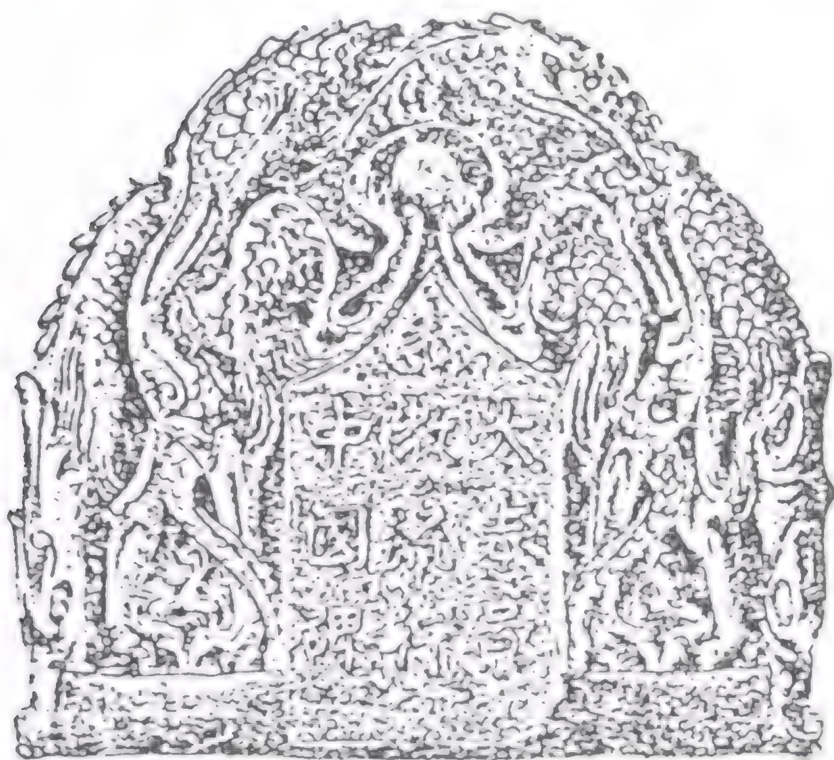
اما كتابة المسلّة فتتضمن المواضيع التالية : ١ – عرض عقائدي ، ٢ – تاريخ المسيحية حسب منظور عاصمة الصين ، من سنة ٦٣٥ الى ٧٨١، ٣ – قريظ يي – سو ، ٤ – قريظ شعري للاباطرة المذكورين في القسم التاريخي، ٥ – تاريخ اقامة المسلّة(٣٦) .

تزوّدنا هذه المسلّة بمختلف مراحل انتشار المسيحية في الصين في عهود اباطرة عديدين . وتعطينا اسم الاسقف يوحنا في رأس لائحة السبعين كاهناً المذكورين في المسلة مع مختلف ألقابهم ومهامهم في الكنيسة . وجاء في المسلّة انها أُقيمت سنة ٧٨١، في عهد البطريرك حنا نيشوع (الثاني) . ونحن نعلم ان هذا البطريرك قد توفي سنة ٧٧٩، اي قبل اقامة النصب بسنتين . وقد يعزى هذا الامر الى تأخير الاخبار بالنظر الى المسافات الشاسعة بين الصين والمدائن . . . واذا كان قسم من الكهنة والمسيحيين في الصين من المهاجرين والمبشرين والتجار القادمين من البلاد الفارسية ، فان القسم الآخر كان من السكان المحليين . وقد تمكن بعض الكهنة والمسيحيين من شغل مراكز هامة في الصين ، بالنظر الى علمهم ودرايتهم . وانتشرت الديانة المسيحية من العاصمة

(٣٦) راجع نصّ المسلّة في تيسران – **معجم اللاهوت الكاثوليكي** (الكنيسة النسطورية) ج ١/١١ عمود ٢٠١ – ٢٠٢ والترجمة العربية للقس سليمان صائغ ص ٦٧– ٦٨. طالع ايضاً مجلّة **النجم** الموصلية ، السنة الخامسة (١٩٣٣) ، ص ١٩٧ و ٢٥٣، بقلم القس (المطران) سليمان صائغ = «المسلّة الكلدانية» .

مسلّة سي – نغان – فو (٧٨١م)

(جزء من الكتابة الكلدانية التي وردت فيها)



الصينية الى ست مقاطعات اخرى وتأسست اديرة عديدة في مختلف ارجاء الامبراطورية . وكان مقر المطرافوليط الصيني في كلتا العاصمتين = «سي – نغن – فو» (كومدان) و «لو ينغ» (سراغ) .

وفي عهد ايشوعياب الجدالي ايضاً ، رُفعت حلوان (في ايران) الى درجة المطرافوليطية . وكذلك رَفَع الى درجة المطرافوليطية ابرشيتي هرات (افغانستان) وسمرقند (اوزبكستان الروسية) . وكان مطرافوليط الصين يأتي في الدرجة الرابعة عشرة بين ناخبي البطريرك .

ويروي لنا ايليا مطرافوليط مرو ، في الرحلة التي قام بها الى تركستان سنة ٦٤٤ انه لاحظ اهتداء عدد كبير من الاتراك الى الديانة المسيحية . ويؤكد المؤرخ ستيوارت ان ثلثي سكان ملقا والفيلبين كانوا قد انضمّوا في هذا العهد الى الديانة المسيحية[٣٧] .

وفي القرون اللاحقة ، امتدت المسيحية الى بلاد منغوليا ووصلت الى اليابان . الا ان جذور هذه المسيحية لم تكن متأصلة بعمق في التربة المحلية . ولذلك فانها لم تثبت طويلاً امام تغييرات الانظمة السياسية والاضطهادات والمنافسات المذهبية العديدة . فنلاحظ ان شعلة الايمان كادت تنطفىء في تلك الاصقاع النائية منذ القرن العاشر ، ما خلا جماعات قليلة ظلت متمسكة بايمانها ، بالرغم من جميع الطوارئ . . . ومن هذه الجماعات سينبثق في القرن الثالث عشر شخصان معروفان في تاريخ كنيسة المشرق ، يهبالاها المغولي الذي اصبح بطريركَ الكنيسة الشرقية ، ورفيقه الربان صوما الذي سيقوم بدور هام لدى بابا روما وملوك اوربا . . .

(٣٧) ستيوارت ، **مشروع الرسالة النسطورية**، ادنبرة ١٩٢٨.

نواقيس الانذار

١ .احداث خطيرة في كنيسة المشرق

لقد ذكرنا في الجزء الاول من تاريخ الكنيسة الشرقية الصدى الواسع الذي أحدثته تعاليم حنانا الحديابي في مدرسة نصيبين بل في كنيسة المشرق كلها في غروب القرن السادس ومطلع القرن السابع . فانقسمت المدرسة على ذاتها ، وغادرها كثير من طلابها واساتذتها احتجاجاً على تعاليم حنانا الحديابي المخالفة لتعاليم «المفسّر» الكبير (تيودورس المصيصي) ، وبقي فيها آخرون من المناصرين لحنانا . وهذا ما سبّب الضعف والانحلال في المدرسة التي حملت طويلاً مشعل النور والمعرفة في الشرق المسيحي .

وفي مطلع القرن السابع ايضاً ، كان دير ايزلا الكبير في أوج مجده وازدهاره ، وكان باباي الكبير ماسكاً بزمام الرئاسة فيه بعد داديشوع الذي خلفَ المؤسسَ الكبير سنة ٥٨٨ وتوفي في مطلع القرن السابع (سنة ٦٠٣) . وبالنظر الى المهام الخطيرة التي أنيطت بباباي الكبير - بالاضافة الى رئاسة الدير - في ادارة شؤون كنيسة المشرق لدى شغور الكرسي البطريركي (بين سنة ٦٠٩ و ٦٢٨)[١] ، دبّ شيءٌ من الفتور في الدير الكبير ، حتى أدّى الامر الى فضيحة اخلاقية افضت الى الإنحاء باللائمة ظلماً على يعقوب اللاشومي ، فطُرد من الدير ، وهو بريء من جميع التهم التي أُلصقت به .

(١) طالع عن باباي **كتاب الرؤساء لتوما المرجي** في الترجمة العربية للأب البير أبونا ، الموصل ١٩٦٦، ص ٥٠ - ٥٥ ايشوعدناح البصري ، **كتاب العفة** ، العدد ٩٣ **التاريخ السعردي** ٢،ص ٢١٠؛ ماري ، ص ٦١؛ صليبا ، ص ٥٢.

وغادر الديرَ معه عددٌ كبير من الرهبان الذين انتشروا في مناطق مختلفة وأسسوا فيها اديرة صارت مراكز إشعاع للعلم والفضيلة . اما يعقوب ، فقد أسَّس دير بيث عابي الشهير بالقرب من قرية «خربا» شمالي العقرة الحالية . وقد لعب هذا الدير دوراً كبيراً وهاماً في تاريخ كنيسة المشرق ، اذ زوَّدها بكثير من الجثالقة والاساقفة الذين قرنوا العلم الغزير بالفضيلة الراسخة[٢] .

٢ .قضية سهدونا

وُلد سهدونا – ويسمى ايضاً برسهدي او مرطوريس – في نهاية القرن السادس في قرية هلمون الواقعة في الجبال على مسافة ٤٠ كم في الشمال الغربي من العمادية . وتلقى مبادئ العلم في مدرسة مار ايثالاها بالقرب من دهوك . وربما انه واصلَ دراسته في مدرسة نصيبين وتأثر بالتيار الجديد الذي احدثه حنانا الحديابي . ثم التحق بمار يعقوب في دير بيث عابي . وبعد ذلك عكف فترة على حياة النسك في جبل اوروخ (حمرين) . وهناك شرع يخصص اوقاته لكتابة مصنّفه النفيس الذي اسماه «السيرة الكاملة» ضمنه افكاره الجديدة المطابقة لمجمعي افسس وخلقيدونية . الا ان هذه الافكار المخالفة لمنظور الكنيسة الشرقية ظلت خفية عن معظم معاصريه . لذا فقد رشّحه صديقه ايشوعياب الحديابي – وكان اذ ذاك اسقفاً لنينوى – لاسقفية ماحوزا داريون[٣] . وصار فعلاً اسقفاً قبل اشتراكه في الوفد الكنسي الذي ارسلته الملكة بوران الفارسية الى هرقل الروماني سنة ٦٣٠ . وكان الجاثليق ايشوعياب الثاني الجدالي يرئس هذا الوفد . ويقول توما المرجي[٤] ان التقاء سهدونا برئيس دير افاميا بالقرب من حماه هو الذي أثّر فيه وغيّر عقله . ولكن الأصح ان سهدونا كان منذ عهد بعيد قد مال الى المعتقد الخلقيدوني . وحينما ظهرت افكاره الجديدة ، حاول رؤساءُ الكنيسة ، ومنهم الجاثليق ايشوعياب الثاني نفسه ، ان يعيدوه عنها ، ولكن جهودهم باءَت بالفشل . فاضطروا الى عقد مجمع سنة ٦٤٣ فيه شجبوا سهدونا وتعاليمه ونفوه الى الحدود الغربية ، وقيل الى الرها .

وبُذلت محاولات اخرى في عهد البطريرك «مارامه» (٦٤٦-٦٤٩) لارجاع

---

(٢) طالع عن دير بيث عابي : **كتاب الرؤساء** كله ، ولا سيما ص ٢٤ - ٣٥، ٤٢ - ٤٦.

(٣) تقع ماحوزا داريون اوداريوان على مسافة ٤٠كم عن الطون كبري في منطقة كركوك . وقد انتقل الكرسي الاسقفي نحو سنة ٦٧٠ الى البوازيج.

(٤) **كتاب الرؤساء**، ص ٦٩ - ٧٠.

سهدونا ، وحققت شيئاً من التقارب . الا ان ايشوعياب الحديابي حاول التأثير في الاساقفة برسائله ، وحرّضهم على عدم قبول سهدونا . فعقد مارامه الجاثليق مجمعاً في دير مار شمعون القريب من السن سنة ٦٤٧ ، وحرّم كتابات سهدونا الذي عاد فانعزل بالقرب من الرها الى وفاته في نحو سنة ٦٥٠ . وهكذا قُضي على التيار الذي كان من شأنه ان يغيّر مجرى الافكار الدينية في كنيسة المشرق . ويُقال ان ايشوعياب الثالث هو الذي انتزع من كتاب سهدونا القسمَ العقائدي الذي فيه كان المؤلف يعرض افكاره الجديدة ، وابقى على الاقسام الاخرى التي طبعها الاب بولس بيجان في باريس سنة ١٩٠٢[٥] .

٣ . ايشوعياب الثالث الحديابي (٦٤٩ – ٦٥٩)

يبدو ان الحياة سارت سيرها الطبيعي في كنيسة المشرق في هذا العهد . فبعد وفاة ايشوعياب الثاني ، تمّ انتخاب «مارامه» جاثليقاً (٦٤٦ – ٦٤٩) بمقتضى النظم القانونية ، وكان قبل ذلك اسقف نينوى . وقيل «ان المسلمين عنوا به على عقد الجثلقة لانه حمل اليهم الميرة وقت نزولهم على بلد الموصل لفَتحها»[٦] . ولا صحة لما يقوله ماري[٧] من ان الخليفة علي ابن ابي طالب كتب له وللنصارى كتاباً بالوصاية . ذلك لان مارامه توفي في عهد عثمان ، كما يؤكد ذلك التاريخ السعردي وصليبا[٨] .

كان عهد ايشوعياب الحديابي من ازهر العهود في كنيسة المشرق في القرن السابع بالرغم من قصر مدته .

ابصر ايشوعياب النور في الربع الاخير من القرن السادس في بلدة «كوفلانا» من مقاطعة حدياب (اربيل) . وتلقى العلم في مدرسة نصيبين في عهد حنانا الحديابي . وقد تحزّب ضد حنانا وافكاره . وبُعَيد سنة ٦٢٨ ، أُقيم اسقفاً على نينوى . وبهذه الصفة رافق الجاثليق ايشوعياب الثاني الجدالي الى منطقة الروم ، كما ذكرنا سابقاً .

---

(٥) طالع عن سهدونا: توما المرجي ، **كتاب الرؤساء**، ص ٥٩ – ٦٠، ٦٧ – ٧٠ ؛ **كتاب العفة** ، العدد ١٢٨؛ **التاريخ السعردي** ٢، ص ٣١٥؛ ادي شير ، **كلدو واثور** ٢، ص ٢٥١ – ٢٨٤؛ **مدرسة نصيبين** ، ص ٤٢ – ٤٥.

(٦) **التاريخ السعردي** ٢، ص ٣١٠.

(٧) **في المجدل**، ص ٦٢.

(٨) **التاريخ السعردي** ٢، ص ٢٣٠؛ صليبا في **المجدل** ، ص ٥٥.

وظل يشغل هذا الكرسي حتى نحو سنة ٦٣٧. في هذه السنة أقيم مارامه اسقفاً على نينوى، بعد ان أُقيم ايشوعياب مطرافوليطا على حدياب[٩]. ولدى وفاة الجاثليق مارامه سنة ٦٤٩، انتُخب مطرافوليط حدياب خلفاً له. وظل يشغل هذا المنصب الى ان وافته المنية سنة ٦٥٩.

وبالرغم من ذكاء ايشوعياب الثالث وادارته الكنسية الحازمة، فقد لقي الكثير من الصعوبات التي نسمع صداها في العديد من رسائله[١٠]. فبالاضافة الى قضية سهدونا، جرت ايضاً احداث اخرى نغّصت حياة هذا البطريرك العظيم. ففي ذلك الزمان، كادت المسيحية تتلاشى من الساحل الغربي للخليج العربي، اي من عُمان والبحَريْن وجزرها، ومن منطقة بيث قطرايي (قطر) كلها. وحينما اصبح ايشوعياب بطريركاً، كان معظم المسيحيين المدعوين «مازونايي» في عمان قد اعتنقوا الدين الاسلامي، لا اكراهاً، بل طمعاً في الحفاظ على ثرواتهم. واخذت حركة التخاذل تمتد وتتوسع لتشمل بيث قطرايي ايضاً. فحاول البطريرك ان يخلص هذا الجزء من قطيعه. فدعا الاساقفة المتخاذلين الى مجمع. ولكنهم رفضوا الحضور، متحدّين بذلك جميع الاجراءات الكنسية التي اتُّخذت بحقهم. ثم عاد البطريرك فكتب اليهم يدعوهم بمحبة الى العودة عن قرارهم. ولكنهم كانوا قد قطعوا كل خط رجعة. فتشبّث البطريرك بالرهبان العديدين في تلك المناطق، وحرّضهم على التمسك بالايمان واعفاهم من الطاعة للاساقفة الذين تخلّوا عن دينهم... وكانت الفوضى سائدة ايضاً في منطقة فارس الساحلية، حيث كانت فكرة الانفصال تراود رؤساءَها الكنسيين. فكتب ايشوعياب الى شمعون مطران رواردشير بالكفّ عن فكرة الانفصال المتغلغلة في العقول منذ نحو قرن. وقد تخلّف مطرانان واكثر من عشرين اسقفاً على ساحلي الخليج عن الحضور لدى البطريرك لنيل التأييد(التثبيت) منه، حسب العادة الجارية آنذاك. فاوفد ايشوعياب لهذا الغرض اساقفة هرمزاردشير وشوشتر للزيارة وتنفيذ النظم الكنسية هناك. الا ان هذه المَساعي لم تُكلَّل بالنجاح التام. ومع ذلك فقد ظل الوجود المسيحي في تلك المنطقة الى فترة لاحقة طويلة، بل استمر حتى القرن الحادي عشر.

فيما عدا تلك المناطق الساحلية الجنوبية، فقد ظلت المسيحية مزدهرة، بل اخذت

(٩) **التاريخ السعردي** ٢، ص ٢٠٩ - ٢١٠؛ ماري في **المجدل**، ص ٦٢.

(١٠) نشرت هذه الرسائل في **جمهرة الكتبة المسيحيين الشرقيين** (ج.ك.م.ش.)، الكتبة السريان ٢، جزء ٦٤، باريس ١٩٠٥.

تكتسب العديد من الفرس المزديين . حتى ان ايشوعياب يتهكم على اولئك المزديين الذين ما يزالون موالين لحكم قد زال وانهار ، ويحاولون القيام ضد كنيسة حية ذات نظام راسخ . وفي احدى رسائله[١١] يقول : «ان المسلمين ليس فقط لا يهاجمون الديانة المسيحية ، بل انهم يوصون بايماننا خيراً ، ويكرمون الكهنة وقديسي الرب ، ويحسنون الى الكنائس والاديرة» . اجل ، ان حالة المسيحية كانت حسنة ، لاسيما في الجزء الشمالي من بلاد بين النهرين الذي كان منذ سنة ٦٤٦ قد صار تحت ادارة معاوية الحكيمة والحازمة . ذلك لان الفوضى في الادارة هي التي سبَّبت غالباً عند العرب المسلمين ازمات من التعصب ضد المسيحيين . وقد تعرَّضَ ايشوعياب نفسه لاحدى هذه الازمات في نهاية حياته ، فاضطر الى الهرب واللجوء الى دير بيث عابي الشهير حيث وافته المنية سنة ٦٥٩، وذلك تجنباً لاضطهاد حاكم المدائن[١٢] . ويظهر ان الحاكم المشار اليه ههنا هو عدي بن حارث بن رويم ، وقد طلب من ايشوعياب مبلغاً من المال عجز البطريرك عن دفعه ، فزجّه الحاكم في السجن وعذّبه ، ثم نهب ودمّر عدداً من كنائس العاقولاء والحيرة ، وذلك في نهاية سنة ٦٥٦. وعلى اثر ذلك اضطر البطريرك الشيخ الى اللجوء الى دير بيث عابي[١٣] .

من الاعمال الجليلة التي قام بها البطريرك ايشوعياب الثالث الحديابي ، بالاضافة الى كتاباته الكثيرة والبليغة ، اهتمامه الكبير بالشؤون الطقسية وتنظيمها وايلائها صيغة شبه نهائية . فقد وضع العديد من الرتب الطقسية ، ورتّب غيرها ، ووضع نظام السابوعات ، ورتب السنة الطقسية في كنيسة المشرق حسب حياة المخلص واعماله(مذبرانوثا) . وسيظل اسم ايشوعياب مقروناً بالطقس الشرقي ، لكونه هو الذي جمع معظم اجزائه ، وهو الذي كان العامل الاكبر في وضعه موضع التنفيذ في كنيسة المشرق عامة .

٤ . المسيحية في منطقة الروم

منذ خريف سنة ٦٣٣، شرعت جيوش الفتح الاسلامي تتوغل في بلاد الشام ، قادمة من الجنوب . وفي ايلول سنة ٦٣٥، استولت على دمشق ، بعد حصار دام ستة اشهر . ثم تمّ احتلال بعلبك وحمص وحماه وسواها من المدن . واذ رأى الملكُ البيزنطي

(١١) طالع **ج .ك .م .ش** . في الموضع المذكور اعلاه ص ٢٥١.
(١٢) ادي شير ، **مدرسة نصيبين الشهيرة** ، بيروت ١٩٠٥، ص ٤٥ - ٤٦.
(١٣) جان فييه ، **مجلة الشرق المسيحيّ**، < الدورية ٣٦ ، لسنة ١٩٧٠، ص ٤٣.

هرقل خطورةَ الموقف ، حشد جيشاً بلغ زهاء خمسين الف جندي ، وولى عليه اخاه تاودورس الذي تحفز للوقوف في وجه الزاحفين وقفة حاسمة . فاسرع القائد العربي خالد بن الوليد الى الجلاء الموقّت عن حمص ودمشق وسواهما من مراكز الخطر الحربي وحشد ٢٥ الفاً من جنوده في وادي اليرموك الواقع شرقي بحيرة طبرية . وفي ٢٠ آب ٦٣٦ ، دارت المعركة الحاسمة التي فيها انزل العرب بالبيزنطيين ضربة قاضية وقتلوا زعيمهم تاودورس . وسقطت انطاكيا وحلب وسواهما من مدن الشمال دون مشقة كبيرة . وسرعان ما ظهرت ميول السوريين ، فاذا هي في جانب الفاتحين . وهكذا بين سنة ٦٣٣ و ٦٤٠ تمّ فتح بلاد الشام من الجنوب الى الشمال .

وعلى اثر هذه الانتصارات ، قدم الخليفة عمر ابن الخطاب الى الشام قبيل سقوط القدس للاحتفال بالفتح وتقرير حالة المغلوبين والتشاور مع امير الجيش ابي عبيدة ابن الجراح . ولما سلّمت القدس ، جاءها عمر زائراً ، فاستقبله صفرونيوس بطريرك القدس وطاف به على انحاء المدينة ، واراه الاماكن المقدسة . وكان عمر قد سبق وقرر الا يسمح بالبقاء في الجزيرة العربية لغير المسلمين . فأجلى يهود خيبر سنة ٦٣٦/٦٣٥، فالتجأوا الى اريحا وسواها ، وأجلى نصارى نجران الى الشام والعراق ، كما قلنا سابقاً .

وفرض المسلمون الفاتحون الجزيةَ على نصارى منطقة الروم ، واوصوا بهم خيراً ، وفوّضوا ادارة شؤونهم الخاصة الى رؤسائهم الروحيين .

وهكذا رأى العربُ انفسَهم يحكمون بلاداً كانت قبلهم ولاية بيزنطية خاضعة لقوانين مستكملة النمو ، وفيها ادارة منظمة تنظيماً راقياً . فمنحوا الموظفين الروم الذين رغبوا في البقاء تحت حكم الروم التسهيلات بالانتقال الى النواحي التي ما تزال تحت نفوذ الروم . فانتقل عدد كبير منهم . وفضّل عددٌ آخر البقاءَ والعيشَ تحت حكم العرب . ومن هؤلاء من ارتقى الى مناصب في الدولة الاسلامية الفتية . وظلت السجلات الرسمية في العشرين سنة الاولى محفوظة باللغة اليونانية تحت اشراف المسيحيين . فكانت الخدمة المدنية وقفا على المسيحيين تقريباً ، لكونهم الطبقة المثقفة الوحيدة في البلاد ، بينما كان المسلمون عاكفين على فتوحات جديدة .

وكانت الحضارة الاغريقية قد طغت على دمشق عاصمة سوريا التي كانت مقر كرسي المطارنة المسيحيين الذي يلي منصب بطاركة انطاكيا في السلطة الكنسية على سوريا . وكانت فيها مدرسة بلغت منزلة عالية قُبَيْل الفتح الاسلامي ، وكان من بين خريجيها صفرونيوس الذي صار بطريركاً على اورشليم ، كما ذكرنا اعلاه .

ويروي المؤرخون العرب ان سرجيوس كان عند الفتح الاسلامي الوكيلَ المالي

للحكومة البيزنطية في دمشق ، وهو الذي قام بعقد شروط الصلح مع الفاتحين الجدد . وقد حسب سكان البلاد هجوم العرب غزواً موقتاً ، وانهم بعد نهبهم المدينة سيعودون ثانية الى البادية . وكان الوكيل المالي هو حاكم المدينة عادة ، وعليه تقع مهمة جمع الضرائب للامبراطورية ، وينعم بلقب البطريق الرفيع . فآثر سرجيوس ، مثل غيره من الموظفين المسيحيين العديدين ، البقاءَ في وظيفته بعد الفتح العربي ، في عهد ولاية معاوية على الشام ، ثم في عهد خلافته عليها . واشتغل معتمداً مالياً لجميع المملكة الاسلامية اخيراً ورئيس ديوان المال للجيش العربي . ومع ذلك فقد ظل مسيحياً ، وقد بنى كنيسة بعد مضي مدة على تسلمه منصب المعتمد المالي . واصبح ابنه امين صندوق في عهد الخليفة عبد الملك ، وحفيده رئيس المعتمدين الماليين في عهد الخلفاء الامويين اللاحقين ، كما سنتحدث عن ذلك لاحقاً .

اما كنيسة انطاكيا السريانية ، فقد واصلت مسيرتها بأمان ، بعد ان تعرّضت لاضطهاد الروم البيزنطيين من جراء اختلاف المذاهب والاتجاهات الدينية الجديدة ، لاسيما بدعة «المنوثيلية» (الارادة الواحدة في المسيح) التي استُنبطت للجمع بين الخلقيدونيين والمنوفيزيين . ان هذه المناورات الدينية جميعها خلقت استياءً عميقاً في نفوس السريان الغربيين . لذلك فقد رأوا في العرب الفاتحين محرِّرين حقيقيين ، واطلقوا على الخليفة عمر ابن اخطاب لقب «الفاروق» اي المُنقِذ والمحرِّر . وهكذا فقد طغت عند المسيحيين في منطقة الروم جامعة اللغة والجنس على جامعة الدين ، فمدَّ العرب المسيحيون ايديَهم وصافحوا العرب المسلمين ، وانضموا اليهم وشاركوهم في محاربة الروم في سوريا وفلسطين ، كما كان اخوانهم في العراق قد شاركوهم في محاربة الفرس . فعاش المسيحيون ، عرباً وغير عرب ، الى جانب اخوانهم المسلمين بطمأنينة وسلام ، وقد منحهم المسلمون منذ البدء اماناً وقطعوا لهم عهوداً ووعوداً تضمن لهم سلامتهم وحقوقهم الدينية[١٤] .

ومن الذين اشتهروا في هذا العهد في كنيسة انطاكيا هو البطريرك يوحنا (الثالث) المسمى بأبي السدرات (٦٣١ - ٦٤٨) الذي كان عالماً جليلاً. وقد شهد استيلاء العرب على منطقة الروم ، وسعى بنقل الانجيل من السريانية الى العربية على ايدي مهرة المترجمين من العرب المسيحيين من بني عقيل وتنوخ وطي ، اجابة الى رغبة عمير ابن سعد ابن ابي وقاص الانصاري امير الجزيرة ، وذلك في نحو سنة ٦٤٣ . وله مع هذا

(١٤) اسحق ساكا ، **السريان ايمان وحضارة** ١، حلب ١٩٨٣، ص ١٩٢ و. ١٩٦ وقد قلنا ان هذه العهود كلها صيغت في ازمنة متأخرة ، ولا يُعَوّل عليها تاريخياً.

الامير حوار في اثبات حقائق الدين المسيحي(١٥) . وهذا دليل على مدى رغبة المسيحيين في نقل الحقيقة الى اخوانهم الفاتحين، وعلى مدى سيادة روح التفاهم والحوار بين المسيحيين والمسلمين في ذلك العهد .

(١٥) أفرام الاول ، برصوم ، **اللؤلؤ المنثور**، ط ٢، حلب ١٩٥٦، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

العهد الأُمَوي (٦٦١ - ٧٥٠)

١. في عهد معاوية (٦٦١ - ٦٨٠)

اغتيل الخليفة علي ابن ابي طالب في الكوفة سنة ٦٦١، بينما كان خارجاً من داره الى المسجد. وقتله احد الخوارج يدعى عبد الرحمن ابن ملجم، انتقاما منه لمعركة نهروان. وبموت علي، انتهى عهد الخلفاء الراشدين، وخلا الجو لمنافسهم الكبير معاوية ابن ابي سفيان، الذي نودي به خليفة في بيت المقدس. فأسس الخلافة الاموية، وجعل عاصمتها دمشق التي كانت قبل ذلك مركز حكومة اقليمية. وجعل معاوية الخلافة وراثية حينما عيّن ابنه يزيداً ولياً للعهد.

وتمكن معاوية بدهائه من اقناع الحسن بن علي بالتنازل له عن الخلافة. ثم توفي الحسن سنة ٦٦٩ مسموماً، وقيل ان معاوية هو الذي دبّر امر اغتياله. اما اخوه الحسين، فقد آثر العزلة والابتعاد عن السياسة في بادىء الامر، واعتكف في المدينة طوال خلافة معاوية. وحينما مات معاوية وخلفه ابنه يزيد، دعي الحسين الى مبايعته سنة ٦٨٠، فأبى. فاتصل اهل الكوفة بالحسين، وكانوا قد بايعوه بعد موت اخيه، وحرّضوه على التوجه الى الكوفة. الا ان انصار يزيد كانوا له بالمرصاد. فقتلوه في كربلاء، مع عدد من اصحابه، في العاشر من محرم سنة ٦١ هـ/ ١٠ تشرين الاول ٦٨٣ م. وكان ثمة منافس آخر ليزيد هو عبدالله ابن الزبير، وهو ابن اخت عائشة ام المؤمنين، وقد بايعته الحجاز، ثم انضمّ العراق ايضاً اليه. ووافت المنية يزيداً سنة ٦٨٣، قبل تمكّنه من القضاء على ابن الزبير. اما خلفه معاوية الثاني، فلم يدم عهده سوى

ثلاثة اشهر. فاستولى مروان الاول (٦٨٣ - ٦٨٥) على الخلافة، واستطاع التغلب على بعض القبائل المناصرة لابن الزبير في واقعة «مرج راهط» بالقرب من دمشق سنة ٦٨٤. وكانت قبيلة كلب التي اكثر بنيها متنصرون تساعد بني أمية على خصومهم. وفي عهد عبد الملك ابن مروان (٦٨٥ - ٧٠٥)، انتزع العراق من حكم ابن الزبير، ثم سيّر الحجاج ابن يوسف الثقفي الى مكّة، فحاصرها سنة ٦٩٢ طوال ستة اشهر ونصف، الى ان احتلها وقتل ابن الزبير. وهكذا صفا الجو لبني أمية الذين حكموا جميع البلدان الخاضعة للعرب طوال نحو تسعين سنة.

وحينما اراد معاوية انشاء اسطول اسلامي، اتّخذ بحّارةَ هذا الاسطول من السوريين الأروام. وتوطدت الامور في عهده، وتوسعت رقعة سلطته، فتمّت الفتوحات في شمال افريقيا على يد عقبة بن نافع، وتمّ فتح خراسان في الشرق ثم بخارى، واصبحت البصرة مركزاً للقيادة العامة. واعتمد معاوية في توطيد عرشه وتوسيع الفتوحات الاسلامية على اهل الشام، وسوادهم الاعظم يومذاك نصارى، ولم يعتمد كثيراً على اهل الحجاز. وانشأ الادارة الحكومية على الاساس البيزنطي السابق. ويُقال انه اول من اهتمّ بأمر البريد. وكانت له زوجات عديدات، احظاهن عنده ميسون، وهي عربية سورية من بني بحدل من قبيلة كلب النصرانية. وكانت ميسون على المذهب المنوفيزي، مثل نائلة زوجة عثمان التي كانت تنتمي هي ايضاً الى قبيلة كلب. وكثيراً ما كانت ميسون تحنّ الى اهلها في البادية حول تدمر[1]، فتذهب اليهم مع ابنها يزيد وتقيم فيما بينهم. وهناك تيسّر لولي العهد ان يتعلم الصيد والفروسية وشرب الخمر وقرض الشعر. واصبحت البادية الشامية منذ ذلك الحين مدرسة للامراء الامويين، فيها يتعلمون العربية الخالصة من الهجنة والرطانة الآرامية.

وكان منصور إبن سرجون (اوسرجيوس الذي ساهم في تسليم دمشق الى العرب) نصرانياً من أسرة سورية كان بعض رجالها يتولون شؤون بيت المال في عهد البيزنطيين. وكذلك كان حفيده القديس يوحنا الدمشقي الذي كان في شبابه من ندماء يزيد بن عبد الملك، وسنتكلم عنه في موضع لاحق. وكان طبيب الخليفة ايضاً مسيحياً، وهو ابن أثّال الذي ولاّه معاوية على جباية خراج حمص[2]، وهي وظيفة

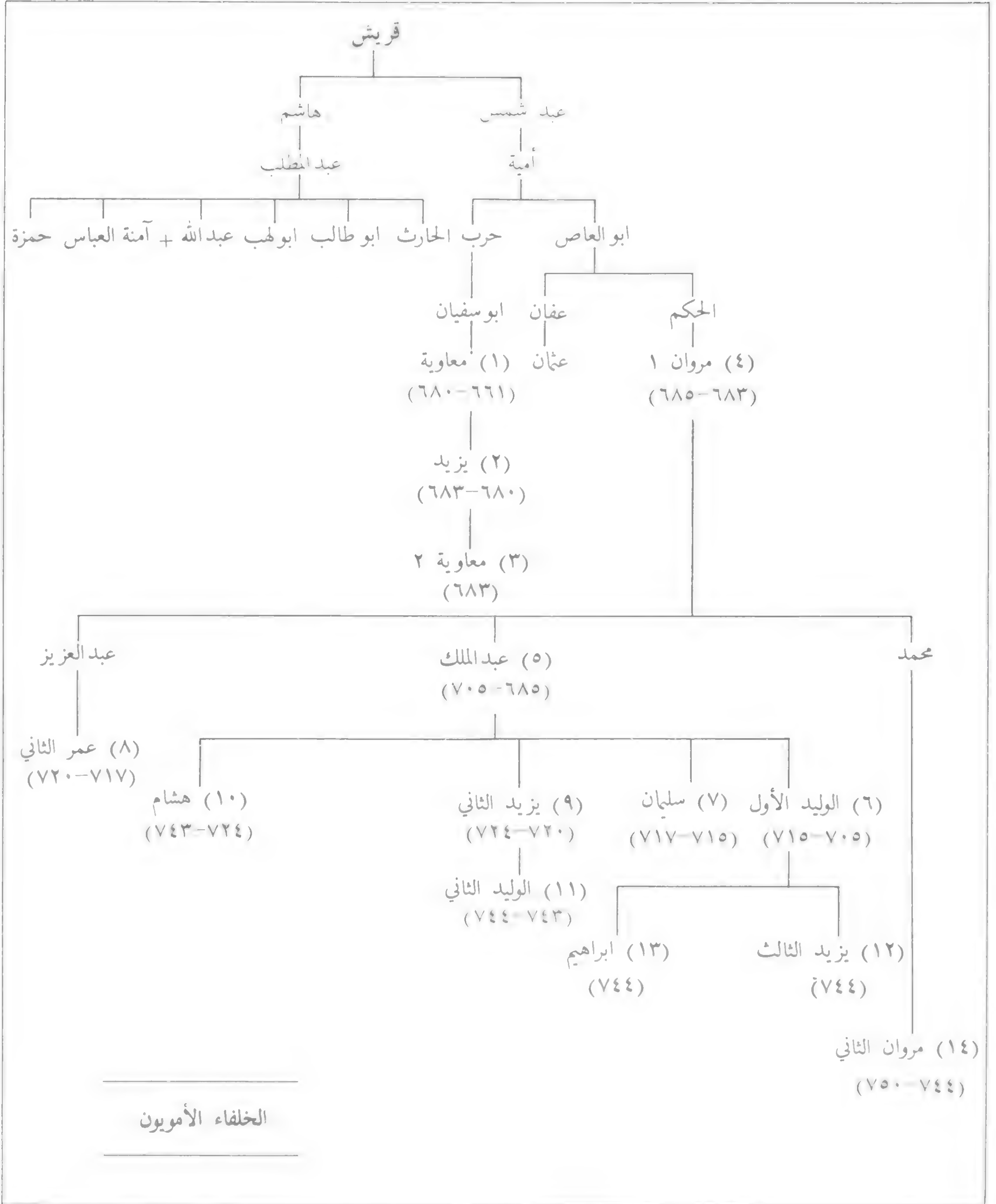
---

(١) واليها ينسب الرواة الابيات المشهورة التي منها:

لَبيتٌ تخفقُ الأرياحُ فيه ... أحبُّ اليَّ من قصرٍ منيفِ

ولبسُ عباءَةٍ وتقرَّ عيني ... أحبُّ اليَّ من لبسِ الشفوفِ

(٢) **تاريخ اليعقوبي** ٢، ص ٢٢٣.



الخلفاء الأمويون

عليا لم يسبق لمسيحي قبله ان وصل اليها في تاريخ الاسلام . وكان الاخطل التغلبي النصراني شاعر البلاط الاموي ومن ندماء يزيد واصدقاء القديس يوحنا الدمشقي . ويُقال انه كان يدخل على الخليفة عبد الملك (٦٨٥ - ٧٠٥) ، والصليب مُدلّى من عنقه ولحيته تنفض خمراً ، فينشده الشعر ويطربه . وكان المنوفيزيون والموارنة يحتكمون الى الخليفة في الامور الدينية التي يختلفون عليها ، فيقضي فيما بينهم . ويعزو تيوفانس المؤرخ[٣] الى معاوية بناء بيعة للنصارى في الرها ، وقد هدمها الزلزال فيما بعد . واشتهر معاوية بلباقته وحنكته السياسية ، وخاصة بحلمة الكبير . وروي عنه انه قال : «لا اضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا اضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو ان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، اذا مدّوها خلّيتها ، واذا خلّوها مددتها»[٤] .

٢ .الخلفاء الامويون الآخرون

في عهد مروان الاول وعبد الملك وبنيه الاربعة الذين خلفوه ، بلغت الدولة الاموية أوجَ مجدِها وعزِّها . فبلغت في عهد الوليد الاول وهشام (٧٢٤ - ٧٤٣) الى اقصى اتساعها ، بحيث امتدت من شواطئ المحيط الاطلسي غرباً الى نهر الاندس وحدود الصين شرقاً ، بما في ذلك شمالي افريقيا واسبانيا . وكان ابرز الشخصيات الحربية في ذلك العهد هم : الحجاج ابن يوسف الثقفي في الشرق ، وموسى ابن نصير وطارق بن زياد في الغرب .

ودأب عبد الملك ، ثم الوليد ، على نقل لغة الدواوين من اليونانية الى العربية في الشام ، ومن البهلوية الى العربية في العراق والامصار الشرقية ، وسك النقود العربية . وكان من الطبيعي ان يعقب تغييرَ لغة الكتابة تغييرُ الموظفين ايضاً الذين كانوا الى ذلك العهد من المسيحيين . وجرى الامر طبقاً لسياسة مرسومة ، ولم يكن نتيجة ارتجال او امر تافه كالذي رووا من ان رجلاً من كتّاب الروم احتاج الى ان يكتب ، فلم يجد ماء في الدواة ، فبال فيها . . .[٥] .

وتجدر الاشارة الى ان الحَجّاج هو الذي عُني بضبط الخط العربي ، وساعد على نقل صور الحركات عن السريانية ، كما انه اهتم بالشعر والعلم ، واتّخذ جريراً الشاعر البدوي الهجّاء شاعراً له ، وقد صار بعدئذ شاعراً للخليفة عمر ابن عبد العزيز (٧١٧ -

(٣) في **تاريخه** ، ص ٣٥٦.

(٤) **تاريخ اليعقوبي** ٢، ص ٢٣٨؛ فيليب حتي ١، ص ٢٦٠.

(٥) فيليب حتي ،١، ص ٢٨٣ نقلاً عن البلاذري ؛ **فتوح البلدان** ، مصر ١٩٥٩، ص ١٩٣.

٧٢٠) . وكان جرير والفرزدق والاخطل ثالوث الشعر في العصر الاموي [٦] . كما ان الحجاج جعل تياذوق النصراني طبيبَه الخاص . وقيل انه دخل على الحجاج يوماً ، فقال له الحجاج : «اي شيء دواء اكل الطين ؟ - فقال : عزيمة مثلك ، ايها الامير ! » فرمى الحجاج بالطين ولم يعد الى اكله بعدها[٧] .

ونقل الخليفة الوليد الاول (٧٠٥ - ٧١٥) قبة مصنوعة من النحاس مغشاة بالذهب من كنيسة في بعلبك الى المسجد الذي كان قد شيّده ابوه في بيت المقدس . كما انه استولى على كاتدرائية القديس يوحنا المعمدان في دمشق وحوّلها الى مسجد يُعَدّ من اروع المساجد في العالم . وكان المسلمون قبل عهد الخليفة الوليد يشاركون المسيحيين في هذه البقعة المقدسة .

وقد عُرف الخليفة عمر ابن عبد العزيز (٧١٧ - ٧٢٠) بورعه وزهده . وكان هشام (٧٢٤ - ٧٤٣) رابع ابناء عبد الملك الذين ولوا الخلافة ، وهو يُعتَبر بحق ثالثَ الساسة العظام من خلفاء بني أمية وخاتمة عصرهم الذهبي .

ورغم ان عاصمة الخلافة الاموية كانت قد اصطبغت في آخر العهد الاموي بصبغة الاسلام ، فقد ظلت سوريا بوجه عام محافظة على صبغتها المسيحية حتى القرن الثالث للهجرة ، كما ان المدن الصغيرة والقرى والمناطق الجبلية عامة قد حافظت على طابعها الوطني وعلى ميّزات حضارتها القديمة . وظل لبنان نصراني المذهب سرياني اللغة الى ما بعد الفتح العربي بأجيال طويلة . وليس لدينا أدلة تثبت ان اهل الامصار دخلوا في الاسلام دفعة واحدة او جماعات كبيرة ، الا بعد الاحكام الصارمة التي وُضعت في عهد الخليفة عمر ابن عبد العزيز (٧١٧ - ٧٢٠) ، ثم في عهد الخليفة العباسي المتوكل (٨٤٧ - ٨٦١) .

وقد تمتع اهلُ الكتاب - اي النصارى واليهود والصابئة ايضاً - في عهد الخلفاء الامويين بقسط وافر من الحرية لقاء تأديتهم الجزية والخراج . وارتبطت قضاياهم في الامور الدينية والمدنية برؤسائهم الروحيين ، الا ما يمسّ بعلاقاتهم بالمسلمين . ولم تُطبَّق عليهم الشريعةُ الاسلامية . وهذا لم يمنع حدوث حالات استثنائية ، كتلك التي فيها امر الوليد الاول (٧٠٥ - ٧١٥) بقتل زعيم بني تغلب ، القبيلة العربية المسيحية ، لانه

(٦) من الجدير بالذكران الاخطل تغلبي نصراني ومن القبائل اليمنية ، في حين ان الشاعرين جرير والفرزدق من القبائل القيسية ، وبين اليمنية والقيسية عداء مزمن .

(٧) ابن العبري ، **تاريخ مختصر الدول**، طبعة الاب صالحاني ، بيروت ١٨٩٠، ص ١٩٤.

ابى ان يعتنق الاسلام[٨] . وقد فرض الخليفة عمر ابن عبد العزيز قيوداً صعبة على رعاياه المسيحيين . الا ان هذه القوانين لم يُعمَلْ بها طويلاً . فقد ابتنى خالد ابن عبدالله القسري عامل هشام على العراق كنيسة لأمه النصرانية[٩] تتعبد فيها ، كما انه منح النصارى واليهود حقَّ ابتناءِ المعابد لهم .

٣ .العلوم في العهد الاموي

قيل ان العهد الاموي كان عصر حضانة فكرية واستعداد حضاري . ففي هذا العهد ، ظهر في البصرة اوَّل واضع للنحو العربي ، وهو ابو الأسوَد الدُؤلي (+ ٨٨٦)[١٠] . وفي هذا العصر ايضاً بدأوا بتدوين التاريخ . وظهرت حركات دينية فلسفية كثيرة ما عتمت ان عبثت بالاسلام ، فزعزعت اركان وحدته الدينية ، كالمعتزلة والقدرية . . .

ومن اشهر المسيحيين الذين برزوا في منطقة الروم في هذا العصر هو القديس يوحنا الدمشقي (٦٧٥ - ٧٤٩) حفيد منصور بن سرجون رئيس ديوان المالية على عهد معاوية . . . وُلد يوحنا في دمشق ، وكان ارامي اللسان . وكان في شبابه نديم يزيد الثاني بن عبد الملك (٧٢٠-٧٢٤) ، ثم خلفَ اباه وجده في استلام زمام الادارة المالية ، ولم يزل مشرفاً عليها حتى خلافة هشام ، ثم اعتزل الادارة وانصرف الى حياة الزهد ، واقام في دير القديس سابا بالقرب من بيت المقدس حتى وفاته . وكتب يوحنا محاورة مع مسلم في موضوع الوهية المسيح وحرية الارادة البشرية ، وهي بمثابة دفاع عن المسيحية . ووضع أيضاً كتاباً لارشاد المسيحيين في جدالاتهم مع المسلمين . وربما ان يوحنا نفسه باحث في كثير من هذه المسائل في حضرة الخليفة . وهو يعتبر آخر لاهوتي كبير قام في كنيسة الروم الشرقية ومفخرة من مفاخر هذه الكنيسة التي ازدهرت في ظل الخلافة الاموية ، وذلك لما اتّصف به من النضوج والمقدرة كمرنّم ولاهوتي وخطيب وكاتب بارع في الجدل[١١] . وقد مهّد بكتاباته

---

(٨) **الأغاني** ١٠، ص ٩٩.

(٩) ابن خلكان ، **وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان** ، ٨ اجزاء ، القاهرة ١٩٤٨ - ١٩٤٩، ص ٢٠٣.

(١٠) ولو أن الزيات يقول ، في كتابه **الأدب العربي**، ط ٥، القاهرة ١٩٣٠، ص ١٤١: «الغالب في ظننا ان ابا الاسود الدؤلي لم يضع النحو والنقاط من ذات نفسه وانشائه ، وانما نظن انه ألمّ بالسريانية او اتصل بقساوستها واحبارها ، فساعده ذلك على وضع ما وضع» .

(١١) طالع حياته في : مين ، **الباترولوجيا اليونانية** ٩٤، عمود ٤٣٩ - ٤٨٩.

لنشأة تعليم الفلسفة واللاهوت في اوربا . وتُرجم بعضُ مؤلفاته الى العربية ، منها كتابه «منهل المعرفة» . كما ان يوحنا قاوم بدعة «محطّمي الصور» او الايقونات (ايكونوكلاست) التي سنتكلم عنها لاحقاً .

وكانت وظيفة المؤدّب او المعلم ، بعد ايام عبد الملك ، من الوظائف الهامة في البلاط . وكانت تُعهَد في الغالب الى الموالي او النصارى . واشتهر في الطب في ذلك العهد ابن أثّال طبيب معاوية[١٢] وتياذوق طبيب الحجاج ، كما ورد ذكرهما سابقاً ، وكانا مسيحيين . وقد تولى الطبيب اليهودي البصري ماسرجويه ، في ايام مروان ابن الحكم ، ترجمة «كنّاش» سرياني كان قد وضعه في الاصل باللغة اليونانية قس من اهل الاسكندرية يُدعى اهرون[١٣] . فنقله ماسرجويه من السريانية الى العربية . وهذا اول كتاب طبي علمي باللغة العربية .

اما فن البناء الاسلامي ، فقد تأثر في سوريا بما سبقه من الطراز السوري البيزنطي المسيحي واصوله الرومانية ، وفي العراق تأثر بالطرازين النسطوري - البيزنطي والساساني .

وفي دمشق ، اعاد الوليد الاول (٧٠٥ - ٧١٥) بناء كاتدرائية القديس يوحنا المعمدان وحوّلها الى مسجد . وقيل ان المسلمين اشتركوا مع المسيحيين في العبادة في حمص . فقد قُسمت كنيستها الكبرى قسمين = حُوِّل شطر منها الى مسجد جامع ، وظل الشطر الآخر كنيسة[١٤] .

وكانت سوريا اول بلد قامت فيه مئذنة ، وقد أتّخذ لها شكل خاص هو شكل برج الحراسة او برج الكنيسة الذي تلاه ، وكان مربّع الشكل . وذكر المؤرخون ان المئذنة في الجامع الاموي في دمشق كانت برجاً لكنيسة القديس يوحنا . . .

وقصارى القول ، ان اساليب التسامح والمعاملة الحسنة كانت تختلف باختلاف الخلفاء والعصور والاوضاع السياسية الجارية بين المسلمين واهل الذمة من جهة ، وبين المسلمين والدول المجاورة ، ولاسيما الامبراطورية البيزنطية ، من جهة اخرى . وكان عهد الامويين عامة عهد العظمة والبذخ ، بل عهد الترف واللهو ، تتخلله فترات من التزمّت الديني . فقد أعطى الامويون المظاهر الخارجية الأولويةَ على الدين . وهذا ما

(١٢)ابن أبي أصيبعة ، **عيون الانباء في طبقات الاطباء** ، بيروت ١٩٦٥، ص ١٧١ - ١٧٢.
(١٣)ابن العبري ، **تاريخ مختصر الدول** ، ص ١٩٢.
(١٤)الاصطخري، **المسالك والممالك** ، مصر ١٩٦١، ص ٦١؛ ابن حوقل، **كتاب صورة الارض**، بيروت ؛ ١٩٧٩، ص ١١٧؛ المقدسي ، **احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم**، ط ٢، ليدن ١٩٠٩، ص ١٥٦ .

جعل المسلمين يشمئزون منهم ويحاولون الاطاحَة بحكمهم الذي دبّ فيه الضعف والانحلال والفساد في عهد الخلفاء الاخيرين . . .

وهكذا انتهى عهدهم سنة ٧٥٠، ليخليَ الموضعَ للخلافة العباسية . . .

الفصل الثامن

كنيسة المشرق في العهد الاموي

١ . الجاثليق كيوركيس الاول (٦٦٠ - ٦٨٠)

بينما يذكر ماري[١] هذا الجاثليق ذكراً عابراً ، يخصص له صليباً[٢] صحيفة كاملة فيها يصفه ويروي اهم احداث حياته . اما توما المرجي[٣] فيزوّدنا بتفاصيل دقيقة عن حياة هذا الجاثليق . . .

ابصر كيوركيس النور في الربع الاول من القرن السابع في بلدة كفري الواقعة على نحو ١٠٠ كم جنوبي شرقي كركوك . دخل دير بيث عابي بعد وفاة مؤسسه مار يعقوب اللاشومي . ثم التحق بايشوعياب الحديابي حينما كان مطراناً لحدياب . ولما صار هذا جاثليقاً ، اقام كيوركيس مكانه مطرافوليطا لحدياب . وقبل وفاة البطريرك ايشوعياب ، اوصى بان يقام كيوركيس خلفاً له . وكان هناك شخصان آخران بهذا الاسم نافساه في الجثلقة : كيوركيس مطرافوليط نصيبين وكيوركيس مطرافوليط فرات ميشان . وعرف كيوركيس البطريرك الجديد ، بتواضعه العميق ، ان يصالح هذين المطرافوليطين اللذين اوشكا ان يحدثا انشقاقاً في كنيسة المشرق . فذهب الى نصيبين وصالح مطرانها . واستعان بالربان خوداهوي رئيس دير بيث حالي (اودير الطين) الواقع في منطقة الحيرة ، لمصالحة مطرافوليط فرات ميشان ايضاً . ثم وجّه

(١) **المجدل** ، ص ٦٣.
(٢) **المجدل** ، ص ٥٧.
(٣) **كتاب الرؤساء** ، ص ٧٦ - ٨٣.

البطريرك اهتمامه الى اعادة النظام الى منطقة بيث قطرايي (قطر) المضطربة ، اذ كان المؤمنون هناك قد شقوا عصا الطاعة على كرسي رواردشير في منطقة فارس . فنزل كيوركيس الى هناك ودخل جزيرة ديرين[٤] ، وتمكن من اعادة السلام الى تلك المنطقة . وعقد هناك سنة ٦٧٦ مجمعاً ضمّ المطرافوليط واساقفة ديرين والطيرهان والمازونيين وهجر والخَطّ[٥] . وهو الذي طلب الى عنانيشوع ان ينظم سير الآباء والرهبان في كتاب اسماه «فردوس الآباء» . وتوفي هذا الجاثليق سنة ٦٨٠ في الحيرة ودُفن بجانب مار آبا الجاثليق . وفي عهده ، وضع كيوركيس مطران نصيبين التسبحة البديعة التي ما تزال متداولة في كنيسة المشرق ، ومطلعها «المجد لمراحمك»[٦] . وكان الجاثليق كيوركيس نفسه قد وضع كاروزوث (مناداة) اثنين الباعوث التي مطلعها «ايها الاله الموجود منذ الازل . . . »[٧] .

واشتهر في عهد الجاثليق كيوركيس ايليا مطران مرو الذي وضع تآليف عديدة وشروحاً في مختلف اسفار العهدين ، ولاسيما كتاباً نفيساً في التاريخ .

وخلفه الجاثليق يوحنا برمرتا الذي لم تدم مدة رئاسته سوى سنتين وبضعة اشهر[٨] . ثم شغر الكرسي البطريركي مدة تزيد على السنتين . . .

٢. الجاثليق حنانيشوع الاول (الاعرج) (٦٨٥ – ٧٠٠)

وُلد في النصف الاول من القرن السابع . وانتُخب جاثليقاً في نحو سنة ٦٨٥ . ولكنه تعرّض لشدائد كثيرة طوال رئاسته . فقد ناوأه ايشوعياب مطران البصرة ، واغتصب البطريركية مدة ، ولكنه اضطر الى التخلّي عنها لصالح حنانيشوع البطريرك الشرعي . اما يوحنا الداسني مطران نصيبين المسمى بالابرص ، فقد سبب للبطريرك متاعب كثيرة . وافلح في اكتساب تأييد الخليفة عبد الملك ابن مروان نفسه

(٤) تقع عند جزيرة البحرين ، ويسميها ياقوت الحموي «دارين» (**معجم البلدان** (٥ اجزاء) ، بيروت ١٩٥٥، ٢، ص ٤٣٢) .

(٥) طالع **المجامع الشرقية** ، ص ٢١٥-٢٢٦، والترجمة ص ٤٨٠ – ٤٩٠، والمازونيون هم سكان مازون وهو اسم فارسي كان يُطلق على منطقة عُمان ، وكانت صحار اهم مدنها . اما «هجر» فكانت المدينة الرئيسة في البحرين ومقر اقامة مرزبان المنطقة . اما «الخطّ» وتسمى «حطا» بالآرامية ، فكانت تقع على الساحل الغربي من الخليج العربي في المنطقة التي تدعى اليوم الاحساء وبالقرب من القطيف في المملكة العربية السعودية .

(٦) راجع **الحوذرة الكلدانية** ٣، ص ٣٩٦ – ٣٩٧.

(٧) الموضع نفسه ١، ص ١٨٣ – ١٨٤.

(٨) ماري ، ص ٦٣؛ صليبا ، ص ٥٧ – ٥٨.

الذي اومأ الى ابنه بشر المقيم في الكوفة باقالة حنانيشوع واقامة يوحنا الابرص عوضه . ولم يقف يوحنا عند هذا الحد ، بل اراد التخلّص من حنانيشوع ، فأوعز الى بعض اعوانه في اختطافه والذهاب به الى احد الجبال وطرحه في احد الاودية ليلقى حتفه . واوشك حنانيشوع ان يموت ، وتهشم جسمه وانكسرت احدى ساقيه . الا ان عناية الله تداركته ، فرآه بعضُ الرعاة ، واهتموا به الى ان استعاد صحته . ولكنه صار يعرج طوال حياته من جراء تلك الحادثة . وتمكن من الوصول الى دير يونان[٩] . ومن هناك اخذ يدير دفة الامور في كنيسة المشرق . اما منافسه يوحنا الابرص ، فلم يستطع ان يفي بما وعده من الاموال للحاكمين ، واضطر الى الهرب من موضع الى آخر الى ان توفي بعد سنة وبضعة اشهر . وهكذا ظل حنانيشوع البطريرك الوحيد للكنيسة ، وشرع يصلح ما اصابها من الصدع والاضطراب من جراء تصرف يوحنا الداسني ، وعكفَ على تنظيم شؤونها ، الى ان وافته المنية في الدير ذاته . ولم يستطع العودة الى المدائن خوفاً من الحجاج الذي كان يسيطر على تلك المنطقة . ويقول صليبا في المجدل[١٠] : «انه استناح ودُفن به ، وجُعل جسدُه في تابوت من خشب الساج . ومن بعد ستماية وخمسين سنة انفتح الناووس الذي كان التابوت فيه ، وظهر جسده وهو منطور كأنه نائم ، وبادر الى رؤيته اكثر اهل مدينة الموصل ، وشاهدناه بأعيننا مع جملة الحاضرين ، والى الآن كل من يقصد ان يراه ويتبارك منه فذلك له مباح . ومن يشك في ذلك ، فليمضِ يبصر ويصدّق» . وفي الواقع لقد وُجدتْ في البناية سنة ١٣٤٩ رفاة البطريرك حنانيشوع ، واعتبرت عندئذ عائدة الى النبي يونان (اويونس) ، وصار المسجد يعرف من ثمة بمرقد النبي يونس[١١] .

---

(٩) يعزى تأسيس هذا الدير الى راهب يدعى يونان لا نعرف شيئاً عنه ولا عن تاريخ تأسيس ديره . انما نعلم ان الدير كان مركز كرسي اسقفية نينوى منذ سنة ٥٥٠ الى ان تكوّنت مدينة الموصل بعد الفتح العربي سنة ٦٣٧، فانتقل الكرسي الاسقفي اليها في نحو سنة ٦٥٠. وآخر ذكر ورد لدير يونان هو في سنة ٩٣٧. ويظهر ان التوسيعات التي اجرتها جميلة بنت نصر الدولة سنة ٩٨٥ للمسجد المجاور لهذا الدير شملت بقايا الدير ايضاً ، فزالت معالمه (طالع **كتاب الرؤساء** في الترجمة العربية ، ص ٥٢ حاشية ٥) .

(١٠) **المجدل** ، ص ٦٠.

(١١) طالع ، عن حنانيشوع ، كتابنا **ادب اللغة الآرامية** ، ص ٢٩٩ - ٣٠١؛ **كتاب الرؤساء** ، ص ٤١ حاشية ١ وص ٥٢، وحاشية ٥؛ ماري ، ص ٦٣- ٦٥؛ صليبا ، ص ٥٨ - ٦٠؛ ابن العبري ، **التاريخ الكنسي** ٢، ١٣٣، ١٣٩؛ ادي شير ، **كلدو واثور** ٢، ص ٢٩٧ وحاشية ٧؛ ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ٢، ص ٥٤٣، الخ . . .

٣ . ابرز كتّاب القرن السابع

عاش في القرن السابع كتّاب كثيرون في كنيسة المشرق ، نخص بالذكر منهم :

- **اسحق النينوي** الذي وُلد في بيث قطرايي ودرس في دير بيث عابي . وفي سنة ٦٦٣ اقيم اسقفاً على نينوى . ولكنه بعد بضعة اشهر ، تخلّى عن كرسي الاسقفية وانزوى في منطقة الاهواز حيث عكف على الحياة النسكية والدرس والكتابة حتى وفاته . . . كتب في مواضيع عديدة ، لاسيما في النسك . ونشر له الأب بولس بيجان كتاباً[١٢] في طريق الرهبانية يتضمن ٨٢ مقالة في الكمال الرهباني ومقالات اخرى في شؤون روحية ونسكية .

- **تيودورس بركوني** الذي اشتهر بكتابه الذي اسماه «سكوليون» ، وهو شرح للكتاب المقدس . كما انه وضع تاريخاً كنسياً وارشادات نسكية وخطباً تأبينية[١٣] .

- **يوحنا برفنكايي** الذي عاش في مقاطعة بيث زبدى وترهب في دير كمول الواقع في سفح جبل جودي في تركيا الحالية . وضع كتابات كثيرة في سبعة مجلدات وفي مواضيع شتى . طبع منكنا بعضاً منها[١٤] . واليه تنسب صلاة «اياك يا رب الكل . . .» (لاخومارا) ومقالتان لصلاة الصبح لعيد الميلاد ، مطلعها «شْرارا كليا بَدِّقْ . . .»[١٥] ، وصلوات اخرى لمناسبات ليتورجية مختلفة[١٦] .

- **باباي الجبيلتي** الذي ابصر النور في مدينة جبيلة في منطقة الطيرهان . اهتمّ كثيراً بتأسيس المدارس في مختلف مناطق كنيسة المشرق ، وزوّدها بمستلزمات التعليم ، واهتم خاصة بالالحان والموسيقى الكنسية ، ووضع مقالات وارشادات كثيرة و ٢٢ ترجاماً بعدد الأحرف الابجدية يقولها الصبيان في اعياد السعانين ، وصلوات وانشودات لمختلف المناسبات[١٧] .

- **داديشوع القطري** الذي عاش في نهاية القرن السابع ووضع شرحاً لكتاب فردوس المغاربة الذي وضعه بلاديوس ، وكتاباً في السيرة الصالحة وفي مواضيع اخرى

(١٢) باريس ، سنة ١٩٠٩ .

(١٣) طالع عنه **أدب اللغة الآرامية**، ص ٣٠٣ - ٣٠٥. وقد نشر المطران ادي شير كتاب **سكوليون** بمجلدين في باريس سنة ١٩١٠ - ١٩١٢ .

(١٤) **المصادر السريانية** ١، الموصل ١٩٠٨، ص ١ - ١٧١. ونشر **كتاب الفتات** الذي طُبع في أورميه، ١٨٩٨، ص ٢٩٥ - ٣٠٢، الفصل الخاص بالرموز التي جاءت عن المسيح في العهد القديم .

(١٥) **الحوذرة الكلدانية** ١، ص ٣٣٤ - ٣٣٧ .

(١٦) راجع ادي شير ، **كلدو واثور** ٢، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(١٧) طالع توما المرجي ، **كتاب الرؤساء** ، ص ١٢٥ - ١٣٠ .

كثيرة . ويقول ادي شير ان بعضاً من كتاباته كانت محفوظة في احدى مخطوطات مكتبة سعرد الكلدانية[١٨] .

٤ . الجاثليق صليبا زخا (٧١٤ - ٧٢٤)

يبدو ان الحجاج كان قد منع الاساقفة من اقامة جاثليق جديد لهم ، وذلك نتيجة للفتن والمشاغبات التي جرت في الكنيسة بسبب يوحنا الابرص . لذا فقد ظلت كنيسة المشرق بدون رئيس الى وفاة الحجاج سنة ٧١٤. اذ ذاك تمّ انتخاب صليبا زخا بطريركاً . وكان صليبا زخا من مقاطعة الطيرهان ، وتلقى العلم في المدائن ، ثم اقامه حنانيشوع الاول اسقفاً على الانبار . لكن يوحنا الابرص تمكن من طرده من هناك . فذهب الى نصيبين ، ثم اقيم مطراناً لحدياب والموصل . ولدى موت الحجاج وتولّي يزيد بن عقيل منصبه ، سمح باقامة بطريرك للكنيسة . وتم اختيار صليبا زخا ، فأقيم جاثليقاً في المدائن . وبينما يصفه توما المرجي بالجشع والتعجرف بسبب تجاوزه على حقوق دير بيث عابي واستيلائه على انجيل نفيس كان في مكتبة الدير[١٩] ، يصفه المجدليان بالحزم وحسن الادارة في الشؤون الكنسية . فقد اهتم باصلاح ما تسرّب الى الكنيسة من الفوضى والارتباك في عهد يوحنا الابرص ، واسقط الاساقفة غير الشرعيين ، وعيّن آخرين عوضهم . كما انه عيّن اساقفة جدداً لهرات والهند وسمرقند . ويقول ماري[٢٠] : «بعد موت عمر ابن عبد العزيز رحمه الله ، تقلد الخلافة يزيد ابن عبد الملك ، وردّ النصارى الى خدمته واكرمهم ، وخرج عليه يزيد بن المهلب بالبصرة ، وادّعى الخلافة ، وانفذ اليه اخاه مسلمة وظفر به بكشكر» . ثم يضيف قائلا= «ومات ايضاً في ايامه (اي ايام صليبا زخا) يزيد بن عبد الملك وتقلد الخلافة هشام ابن عبد الملك» (٧٢٤ - ٧٤٣) . وهذا ما يتيح لنا القول ان وفاة البطريرك كانت بُعَيد سنة ٧٢٤. وفي عهد هذا البطريرك خاصة مارس باباي الجبيلتي المذكور آنفاً نشاطه التعليمي وجهوده الجبارة في تأسيس المدارس وتنظيمها واعادة الرتب الدينية الى رونقها والى عذوبتها الموسيقية .

---

(١٨) الموضع عينه ، ص ١٠؛ **ادب اللغة الآرامية** ، ص ٣١٤.

(١٩) الموضع عينه ، ص ٩٥ - ٩٦.

(٢٠) **المجدل** ، ص ٦٥.

٥ . الجاثليق فثيون (٧١٣ - ٧٤٠)

ظل الكرسي البطريركي شاغراً مدة تزيد على ست سنين لأسباب لسنا مطلعين عليها بكفاية . ولم يجر انتخاب فثيون بسهولة . وكان البطريرك صليبا زخا قد اقام فثيون اسقفاً على الطيرهان . ويشهد المؤرخون لسيرته الفاضلة . . . ولما اجتمع الاساقفة للانتخاب ، وكان من بينهم آبا اسقف كشكر ويوحنا الازرق اسقف الحيرة ، اظهر يوحنا الازرق رغبته في تسليم الرئاسة الى ابا اسقف كشكر . الا ان عبدالمسيح الحيري ابدى معارضته الشديدة . ونشأت خصومات ادت الى رفع القضية الى الحكام المدنيين وحتى الى الخليفة (هشام) نفسه . فأمر الخليفة باقامة فثيون بطريركاً لكنيسة المشرق سنة ٧٣١. ويقول عنه صليبا : «انه لم يكن محباً للمال قدّس الله روحه الطاهرة ، فانها اكرم خلّة في رؤساء البيعة»[٢١] . ويقول ايضاً انه جدد ما كان عمله مارآبا الاول ، وانه كان كثير الشبه به ، واجتهد في الذود عن المسيحيين . ويقول ماري : «كان خالد بن عبدالله القسري يتقلد العراق وامه رومية الجنس ويقصد الجاثليق كثيراً ويكرمه . وكان فثيون اذا دخل اليه بالكوفة يجلسه على كرسي ويخلع عليه ويطلب الحنان ويسأله الدعا ، ووافقه على شيء يسير يؤديه عن الخراج بالمداين ، وكتب له كتاباً وتقدم الى طارق خليفته بصيانته . فتشبه به الاساقفة في عمارة البيع والاسكولات»[٢٢] . . .

ويذكر صليبا عدداً من القديسين والعلماء الذين عاشوا في عهد فثيون ، منهم : بولس اسقف الانبار ، ويوحنا اسقف الحديثة ، وسبريشوع صاحب دير واسط ، وغريغوريوس اسقف حران العالم بالكيمياء ، ويوحنا اسقف البوازيج العالم بها ايضاً . . .

وتوفي الجاثليق فثيون سنة ٧٤٠ ودفن في المدائن .

٦. الجاثليق آبا الثاني (٧٤١ - ٧٥١)

هو آخر جاثليق عاش في العهد الاموي . ويُدعى «بريخ صويانه» (ذو الارادة الصالحة) . وُلد في كشكر في نحو منتصف القرن السابع ، وتلقى العلم في مدرسة المدائن . ثم اقيم اسقفاً لكشكر حيث ظل مدة طويلة عاكفاً على الدرس والمطالعة

(٢١) صليبا في **المجدل**، ص ٦١.
(٢٢) ماري في **المجدل**، ص ٦٦.

وتفسير الكتب . وحين شغر الكرسي البطريركي بموت الجاثليق فثيون ، تولى آبا ادارة شؤون الكنيسة بحكم منصبه ، الى ان اجتمع الآباء لانتخاب بطريرك جديد . وانقسمت آراء الآباء والمؤمنين بينه وبين مطران جنديسابور . الا ان كفّة آبا رجحت اخيراً ، فانتُخب وأُقيم بطريركاً سنة ٧٤١ في المدائن .

وبعد ان اقام آبا ست سنوات في المدائن ، غادرها لسوء تصرف سكانها ، وفضّل الاقامة في دير واسط في كشكر . ويقول ماري : «كان يوسف بن عمر يتقلد العراق وكان باغضاً للنصارى ، فكره مار آبا ان يقيم بالمداين الا بعد لقائه . فقصد الكوفة ، فلما رآه هذا عجب به وسأله عن اسبابه وعن اشياء استحسن جوابه فيها»(٢٣) . وترك آبا في المدائن تلميذيه ، شاهدوست اسقف الطيرهان ، وميلس اسقف الزوابي . اما هو فتوجه الى الحيرة حيث التقى يوحنا الازرق الذي لم يتمكن من حضور رسامته البطريركية لاسباب الصحة والعمر . ومن هناك عاد الى كشكر . الا ان احوال كنيسة المدائن ساءت بغياب رئيسها ، واستبد البعض بأموال الكنيسة والمدرسة ، حتى اضطر المؤمنون الى استعطاف مار آبا ليعود الى كرسيه ، واعدين اياه بالطاعة وحسن التصرف . فعاد الى المدائن حيث توفي سنة ٧٥١، في مطلع العهد العباسي ، وله من العمر نحو ١١٠ سنين . ويُقال ان آبا كان على حظ وافر من العلم والفصاحة والغيرة .

---

(٢٣) الموضع عينه .

الفصل التاسع

الكنائس الشرقية في المنطقة الغربية

١. قضية الايقونات

في سنة ٧٢٣، اصدر الخليفة الاموي يزيد الثاني (٧٢٠ - ٧٢٤) مرسوماً يقضي بازالة جميع الصور من المعابد والكنائس وحتى من البيوت، وارسل اناساً للقيام بعمل الهدم هذا في ارجاء المملكة، ولاسيما في المنطقة الغربية. وربما ظن هذا الخليفة انه بعمله هذا يرضي الله ويماشي روح القرآن. مع ان القرآن لم ينص على الصور، بل على الاصنام. انما «الحديث» والتقاليد الواردة بعد موت رسول العرب هي التي دعت الى ازالة الصور والاشكال. فان صور كائنات حية كانت تزيّن قصور الخلفاء الامويين، منها مثلاً «قصير عمرة» الذي يعود عهده الى ما بين سنة ٧١٢ و ٧١٥ والواقع شرقي نهر الاردن على ضفة البحر الميت الشمالية[١]. وحتى عهد عبد الملك (٦٨٥ - ٧٠٥) تبنى الخلفاء الامويون نقود البيزنطيين الحاملة صورة الامبراطور. وبتحريض من علماء الدين، قام هذا الخليفة بسك نقود لا تحمل صوراً بل آيات قرآنية، وذلك في نحو سنة ٦٩٥[٢]. فالى هذا العهد يرقى ابتعاد العرب المسلمين عن التصاوير. وهناك ما يؤيد هذا القول، وهي الفسيفساء التي عُثر عليها سنة ١٩٢٨ في الجامع الاموي في دمشق. لقد أُنجزت في عهد الخليفة الوليد (٧٠٥ - ٧١٥) وهي تمثّل مناظر طبيعية مع

(١) فيليب حتي، **تاريخ العرب** (المطول) (٢ ج) ط ٤، بيروت ١٩٦٥، ١، ص ٣٣٩.
(٢) **تاريخ** ميخائيل السرياني، طبعة شابو، ٢، ص ٤٧٣.

بنايات رائعة تحيط بها الاشجار وتتخللها المياه الجارية ، ولكن لا رسم فيها يمثل كائناً حياً . ويظهر ان يزيداً اراد ان يعمّم على الكنائس المسيحية ما كان نافذاً منذ بعض الوقت عند المسلمين . وكان لمرسومه صدى واسع ، ليس لدى الاوساط المسيحية في البلاد السورية حسب ، بل في قلب الامبراطورية البيزنطية نفسها ايضاً . فنشأت حملة عاتية ضد الصور والايقونات ادت الى فوضى كبيرة عمّت الكنيسة الغربية ودامت زماناً طويلاً : انها حركة محطّمي الصور او محاربي الايقونات (ايكونوكلاست) .

٢ . بطريركيات الكنائس الشرقية

لقد ادى الفتح العربي الى شيء من الفوضى في بطريركيات الكنائس الشرقية ، ولاسيما الارثوذكسية (الخلقيدونية) منها والملكية . فظهر الاساقفة المنوفيزيون من جديد في مصر وفي ما بين النهرين وسوريا ، تدعمهم السلطة الجديدة التي كانت تعتبر الارثوذكس موالين للبيزنطيين واعداء للعرب المسلمين .

٣ . بطريركية انطاكيا

على اثر فتح سوريا ، التجأ البطاركة الملكيون الانطاكيون الى القسطنطينية حيث تعاقبوا حتى سنة ٧٤٢ ، دون ان يستطيعوا الوصول الى مركزهم الاصلي ، ما خلا مدة وجيزة . ومن المؤكد ان الكرسي الملكي الانطاكي اصبح شاغراً من سنة ٧٠٢ الى سنة ٧٤٢ ، وكان مطران صور هو الذي يشرف على ادارة الشؤون الكنسية في انطاكيا .

اما البطاركة المنوفيزيون ، فقد انضووا تحت راية الفاتحين العرب الذين منحوا كنيستهم ، مثل سائر الجماعات المسيحية الاخرى ، تنظيماً ذاتياً مستقلاً . الا ان هؤلاء البطاركة انفسهم لم يتمكنوا من الاقامة في انطاكيا ، بل عاشوا في اديرة بعيدة ، في ديار بكر ، وملطية . . . . واذا حصل البطريرك ايليا (٧٠٩ - ٧٢٤) على السماح ببناء كنيسة في انطاكيا ، فانه لم يحصل على السماح بالاقامة فيها[٣] .

الا ان المسيحيين اخذوا يعانون كثيراً من وطأة الضرائب المتزايدة . فبعد مرسوم عبدالملك (٦٨٥ - ٧٠٥) ، جاءت سياسة الوليد الاول (٧٠٥ - ٧١٥) الصارمة[٤] . وقلنا سابقاً ان هذا الخليفة استولى على كنيسة مار يوحنا المعمدان في

---

(٣) ابن العبري ، **التاريخ الكنسي** ١، ٢٩٨.

(٤) **تاريخ** ميخائيل السرياني ٢، ص ٤٨١ - ٤٨٢؛ ابن العبري ، **التاريخ السرياني** ، طبعة بيجان ، باريس=

دمشق واحالها الى جامع ، في حين ان معاهدة الاستسلام سنة ٦٣٥ كانت تضمن بقاءَها للمسيحيين . وشرع الخلفاء ، خلافاً لسياستهم القديمة ، يشجعون على اعتناق الاسلام بكل الوسائل . فنرى مثلاً ان عمر الثاني (٧١٧ - ٧٢٠) يعفي معتنقي الاسلام من الجزية ، ويرفض قبول شهادة مسيحي على مسلم ، ويمنع استعمال الناقوس او ما يقوم مقامه[٥] . واتّخذ يزيد الثاني (٧٢٠ - ٧٢٤) اجراءات صارمة ضد النصارى ، ولاسيما ضد الملكيين ، اذ فرض عليهم ابراز جواز سفر في تنقلاتهم في اطراف مصر ، كما فرض عليهم زياً خاصاً ، ومنعهم من استعمال الشارات المسيحية البارزة للعيان .

الا ان راهباً ملكياً توصل سنة ٧٤٢ الى ان ينال حظوة لدى الخليفة هشام (٧٢٤ - ٧٤٣) وان يُنتخب بطريركاً باسم اسطيفان الثاني . ولكن الخليفة وليد الثاني (٧٤٣ - ٧٤٤) عاد فعامله بقساوة[٦] . ومع هذا فان الخليفة الاموي الاخير مروان الثاني (٧٤٤ - ٧٥٠) سمح سنة ٧٤٥ بان يُنتَخَب بطريركاً كاهنٌ كان من قبل صائغاً في الرها ، وهو تيوفيلاكتس بن قنبرة ، ومنحه مرسوماً رسمياً[٧] .

٤ .الكنيسة المارونية

حاول البطريرك الملكي تيوفيلاكتس المذكور ان يضمّ الى الارثوذكسية جماعة الموارنة الدينية والسياسية التي كانت متمسكة ببدعة المنوثيلية ، ولكنه لم يفلح . فان الموارنة كانوا شعباً محصناً في الجبال ، على مثال المردة ، وقد تمرسوا على الحروب والمقاومات ، حتى اضطروا العرب الفاتحين الى احترام حكمهم الذاتي . وكان الموارنة ملتفين حول دير بيث مارون الكبير الواقع على الضفة اليمنى من نهر العاصي (اورونت) ، بالقرب من ضريح مار مارون المتوفى في نحو سنة ٤٢٣ . وكان هذا الدير في البدء جماعة رهبانية ذات لغة يونانية ، وكان رهبانها المتمسكون بالارثوذكسية قد كافحوا بشدة ضد المنوفيزيين في القرن السادس . وقد حضر ممثلوها في المجمع المسكوني الخامس سنة ٥٥٣. الا انهم انضموا الى المذهب

١٨٩٠، ص ١٢٩. فقد امر هذا الخليفة بقتل جميع الاسرى المسيحيين ، وشرع يرغم قبيلة بني تغلب المنوفيزية على اعتناق الاسلام ، وقتل «شامل» زعيمهم الذي رفض التخلّي عن دينه المسيحي . . .

(٥) **تاريخ** ميخائيل السرياني ٢، ص ٤٨٩، وحتى يمنع الصلاة بصوت عال .

(٦) ابن العبري ، **التاريخ السرياني** ، ص ١٢٦ يقول : وقطع لسانه . وكذلك بتر لسان اسقف مايوما وبطرس مطرافوليط دمشق ، لكونهما اتّهما بالوعظ ضد الاسلام .

(٧) **تاريخ** ميخائيل السرياني ٢، ص ٥٥١.

المنوثيلي وتحمسوا له ونشروه بين سكان لبنان ، وذلك على اثر زيارة قام بها الامبراطور البيزنطي هرقل لديرهم . ومن ثمة فان اللبنانيين ، بعد الفتح العربي ، شكلوا حول الدير الذي تبنوا اسمه جماعة دينية - سياسية في آن واحد ، بادارة بطريرك واساقفة رفضوا محاولة تيوفيلاكتس الرامية الى اعادتهم عن تلك البدعة . بعد ذلك ، حينما انضمّ الموارنة الى الحقيقة الارثوذكسية ، انكروا ان تكون كنيستهم قد انضمّت قط الى البدع ، وادّعوا ان بطاركتهم كانوا الخلفاء الشرعيين لبطاركة الروم الانطاكيين ، بواسطة شخص يدعى يوحنا مارون ، قالوا انه كان بطريركاً ملكياً لانطاكيا من سنة ٦٨٥ الى سنة ٧٠٧. الا ان هذه الادّعاءات لا تثبت امام النقد العلمي والتاريخي الرصين .

٥. بطريركية اورشليم

بالرغم من سياسة التسامح التي تبنّاها الخلفاء الامويون الاوائل الذين احترموا الكنائس المسيحية ولاسيما كنيسة القبر المقدس في اورشليم[٨] ، فحينما توفي البطريرك صفرونيوس سنة ٦٣٨، لم يقم له خلف ، بل ظل الكرسي شاغرا طوال ٦٨ سنة ، وكانت كنيسة اورشليم تحت ادارة نوّاب بطريركيين كانت لهم صلات منظمة بروما والقسطنطينية ، وذلك غالباً بواسطة الحجّاج الذين كانت السلطات الاسلامية تسمح لهم بزيارة الاماكن المقدسة . الا ان هذه الزيارات التي كانت ما تزال كثيرة في القرن السابع ، اصابها شيء من الفتور بعد ذلك . ففي سنة ٦٧٠، استطاع اسقف فرنجي يُدعى اركولف ان يقيم في اورشليم تسعة اشهر ، وقصة رحلته تعطينا انطباعاً بان المسيحيين هناك كانوا ينعمون بالهدوء والامان . وعلى النقيض من ذلك ، حينما بدأ الانكلوسكسوني ويليبالد الموجود في روما برحلة لزيارة الاماكن المقدسة سنة ٧٢٢، بصحبة عدد من رفاقه ، تعرّض لصعوبات جمة . ففي حمص السورية ، اتّهم الحجّاج بالجاسوسية ، وبجهد جهيد نجوا من السجن . وبعد رحلة دامت سنتين ، وصلوا الى اورشليم ، ولكنهم لم يستطيعوا العودة الى ايطاليا الا سنة ٧٢٩، وذلك بصحبة بعض السفراء والرسميين .

وحسب التقليد الذي رسمه البابا غريغوريوس الكبير (٥٩٠ - ٦٠٤) ، كانت روما تبدي اهتماماً كبيراً بالمسيحيين في اورشليم وفي الاماكن المقدسة الاخرى،

(٨) فنسان وهابيل ، **اورشليم الجديدة** (بالفرنسية) ٢، باريس ١٩٢٢، ص ٩٣٠ - ٩٣٦.

وتتألم لكونهم اصبحوا بدون رئيس فترة طويلة . اخيراً تمّ انتخاب يوحنا بطريركاً لاورشليم سنة ٧٠٦ .

٦. بطريركية الاسكندرية

حينما انسحبت الجيوش الامبراطورية من الاسكندرية سنة ٦٤٣ امام زحف الفاتحين العرب ، استطاع البطريرك المنوفيزي بنيامين الاول العودة الى كرسيه ، بعد ان ظل مدة يتنقل من دير الى دير هرباً من البطريرك قورش الذي احتل كرسيه . فعاد بنيامين الى ا لاسكندرية مغموراً بألطاف الفاتحين الذين اعطوه الكنيسة الكاتدرائية مع سائر الكنائس التي كانت في حوزة الارثوذكس . وعكف بنيامين على تجديد الكنيسة المنوفيزية في مصر وعلى بناء الكنائس والاديرة وهداية الناس . وارسل المطرافوليط قورلس الى الحبشة ، حيث رسم شماساً «تقلا هيمانوث» الذي يُعتَبر مؤسسَ الحياة الرهبانية في الحبشة .

ومنذئذ صارت الكنيسة القبطية المنوفيزية هي السائدة في مصر ، وتضاءل فيها نفوذ الملكيين ، وظل الكرسي الملكي شاغراً بعد موت خلف قورش سنة ٦٥٢ مدة طويلة ، وقد وقعت هذه الكنيسة في البدعة المنوثيلية . اخير ، في سنة ٧٤٤، توصل الملكيون الى انتخاب قوزما بطريركا لهم . واضطر البطريرك الجديد الى الاعلان عن شجبه للبدعة المنوثيلية التي تمسك بها اسلافه البعيدون .

وهكذا فقد استطاع الملكيون ان يعيدوا تنظيم رئاستهم في البطريركيات الشرقية الثلاث = في اورشليم سنة ٧٠٦، وفي انطاكيا سنة ٧٤٠، وفي الاسكندرية سنة ٧٤٤، وتواصلت لديهم الانتخابات بصورة مستمرة ، وذلك ليس بغير صعوبة . وكانوا مضطرين الى اكتساب دعم البلاط ، لاسيما بواسطة اطباء مسيحيين . فتمكنوا من ترسيخ كيانهم وعقد بعض مجامع محلية . وكانوا على صلة دائمة بروما . وَاستطاعوا ان يمنعوا تسرّب التعاليم المخالفة للايقونات الى جماعاتهم المسيحية . ووجدوا دعماً قوياً في شخصية القديس يوحنا الدمشقي الذي صار راهباً في دير مار سابا ، كما قلنا . وكان لهذا القديس تلاميذ كثيرون قاوموا التعاليم المناوئة للايقونات . وبرز بينهم تيودورس ابو قرة الذي كان من الرها وصار اسقفاً ملكياً لحران ، وامضى حياته في محاربة البدع في ما بين النهرين وفي البلاد العربية ومصر وارمينيا ، وكتب ابحاثاً دفاعية باليونانية والسريانية والعربية .

٧. الكنيسة الارمنية

كانت الكنيسة الارمنية قد انضمّت الى المذهب المنوفيزي . الا انها كانت رسمياً ملحقة ببطريركية القسطنطينية . وقد حاول الاباطرة الروم ان يحصلوا على الاتحاد الديني بين ارمينيا والقسطنطينية . الا ان محاولاتهم جميعها باءت بالفشل . لان الارمن لم يكونوا ليفصلوا بين الخضوع لمقررات خلقيدونية والرضوخ للامبراطورية دون قيد او شرط . فكانوا يعتبرون استقلالهم الديني مرتبطاً كلياً باستقلالهم السياسي . اما العرب ، فعلى النقيض من ذلك ، كانوا قد تركوا للكنيسة الارمنية حريتها الكاملة ورئاستها وكنائسها وامتيازاتها ، دون ان يقوموا بأية دعاية لنشر الاسلام هناك . فكانت ارمينيا تشكّل عالماً مغلقاً عن كل تأثير خارجي ، تحت ادارة جاثليقها واساقفتها واديرتها الكثيرة المزدهرة ورتبها الليتورجية وفنها الديني الخاص بها ومجامعها القومية والاقليمية . ومهما حاولت المجامع الرومانية ان تؤثر في كنيسة ارمينيا وتقاليدها ، فقد ظلت هذه الكنيسة صامدة في عزلتها الدينية . وجاءت محاولات أخرى بذلها يوستنيانس الثاني سنة ٦٩٠، ثم فيليبيكس سنة ٧١١ في سبيل تحقيق اتحاد بين الارمن والامبراطورية البيزنطية . الا ان مجمع «مانزيكرت» الارمني القومي قطع سنة ٧١٩ نهائياً كل صلة بالذين دعاهم «خلقيدونيين» .

٨ . النشاط الفكري في الكنيسة السريانية

لقد تكلمنا عن ماروثا التكريتي (+ ٦٤٩) وعن الدور الذي قام به إبّان الفتح العربي لتكريت . فنتطرق الآن بايجاز الى العلماء السريان الذين برزوا في العهد الاموي :

- **ساويرا سابوخت** (+ ٦٦٧) ، ويُدعى ساويرا الرياضي لتضلّعه من شتى العلوم اللاهوتية والفلكية والطبيعية والرياضية . مارس نشاطه الفكري في دير قنسرين . وضع تآليف كثيرة ضاع معظمها . له مقالة في شرح قياسات التحليلات الاولى لارسطو ، ونبذ في تفسير هرمنوطيقا ، وكتاب اسماه «صور البروج» ، ومقالة في الاسطرلاب ذات اهمية كبيرة للاطلاع على تاريخ العلوم ومدى تقدمها في الشرق .

- **اثناسيوس الثاني البلدي** (+ ٦٨٦) ، الذي تلقى العلم على ساويرا سابوخت وصار بطريركاً سنة ٦٨٣. نقل الى السريانية ايساغوغي فرفيروس ونخبة من رسائل

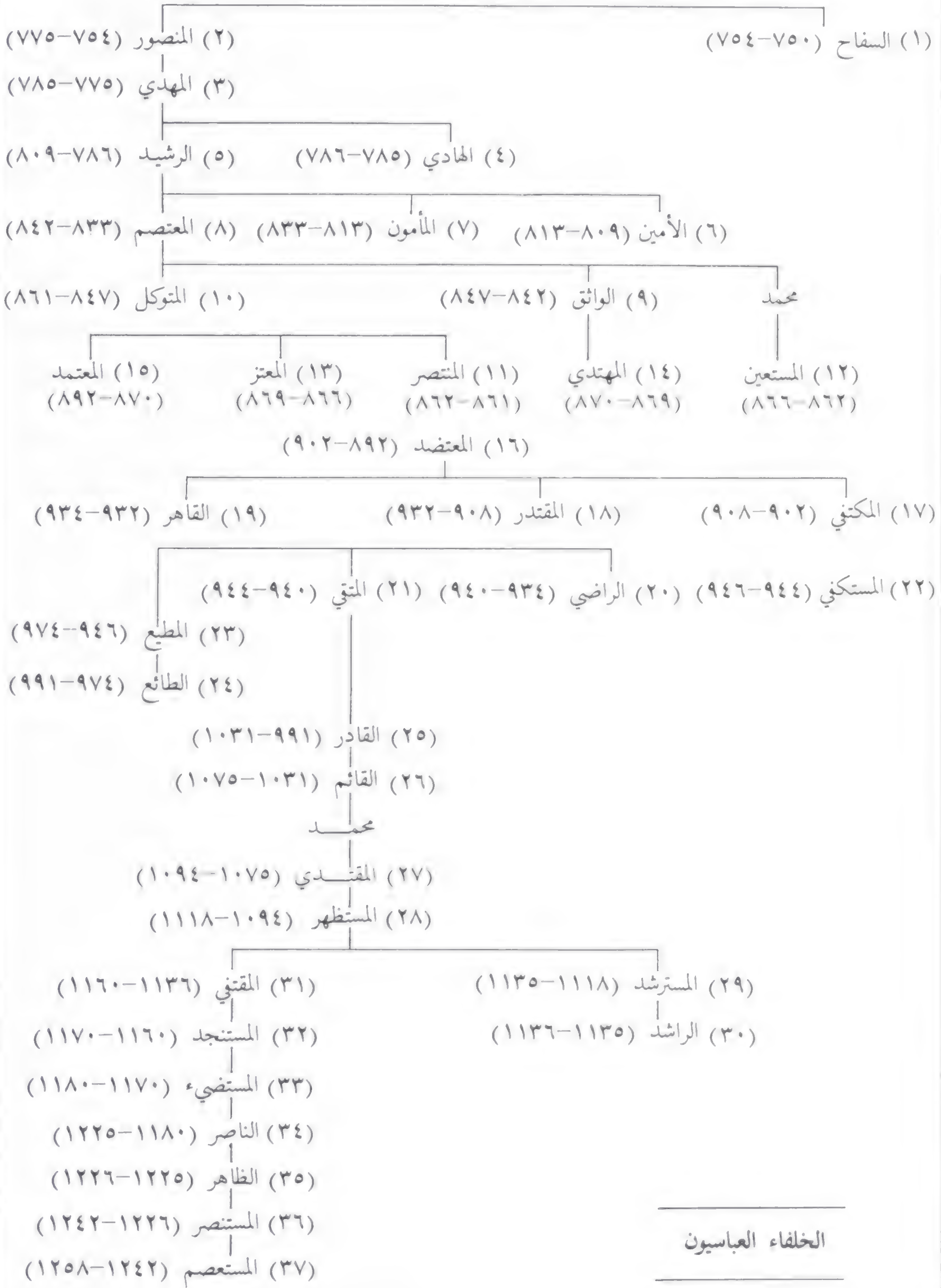
سويريوس الانطاكي وقسماً من مواعظ غريغوريوس النزينزي ، بالاضافة الى رسائل كثيرة وقطع ليتورجية .

- **يعقوب الرهاوي** (+ ٧٠٨) ، وهو اخصب كاتب قام في الكنيسة السريانية في القرن السابع . فهو اللاهوتي الكبير والفيلسوف القدير والمؤرخ والمفسر والنحوي . وكتاباته اكثر من ان تُعَدّ ، وتتناول شتى المجالات . اشتغل في تصحيح الترجمة البسيطة للعهد القديم ، وقسم الكتاب الى فصول وصدّر كل فصل بمضمونه . ووضع تاريخاً نسج فيه على منوال اوسابيوس القيصري الشهير . وكتب ليتورجيات عديدة ، واعاد نقل خطب سويريوس الانطاكي الكاتدرائية . وله المكانة الاولى بين النحويين السريان المغاربة . فقد اهتمّ بضبط اللغة الفصحى وبوضع قواعد لكتابتها وايجاد حروف العلة والنقاط التي تتيح قراءتها بصورة صحيحة . وما اكثر الرسائل التي كتبها ، وفي بعضها يتطرق ايضاً الى مسائل علمية او نحوية هامة . وله كتاب نفيس في الخلقة والخلائق : **هكساميرون**(٩) .

- **جرجس اسقف العرب** (+ ٧٢٤) وتلقى العلم في دير قنسرين وتضلع من اللغة السريانية والعُلوم الفلسفية والفلكية واللاهوتية . أُقيم اسقفاً للقبائل العربية المتواجدة بين سوريا وما بين النهرين . اكمل كتاب «هكساميرون» ليعقوب الرهاوي . ونقل الى السريانية كتاب الاورغانون لارسطو ، ووضع لكل باب منه مقدمة وعلّق عليه . ونقل كتباً فلسفية اخرى من اليونانية ووضع شروحاً في الكتاب المقدس ، وشرح خطب غريغوريوس النزينزي . وله ايضاً كتابات اخرى كثيرة في مختلف المواضيع(١٠) .

(٩) ونقله المطران غريغوريوس صليبا شمعون الى العربية وطبعه في حلب سنة ١٩٩٠.

(١٠) طالع عن هؤلاء الادباء : البطريرك افرام الاول برصوم ، **اللؤلؤ المنثور** ، ط ٢، حلب ١٩٥٦، ص ٣٥٢ - ٣٩٠؛ **ادب اللغة الآرامية** للمؤلف ، ص ٣٦٣ - ٣٧٧.



الخلفاء العباسيون

العهد العباسي الاول

١. نشأة الدولة العباسية

قامت الدولة الاموية نتيجة الصراع بين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان . وقد افلح معاوية في الوصول الى الخلافة بعد مقتل علي ، واقام دولة بني أمية . وخلال حكم الامويين ، قامت ثورات علوية ترمي الى نقل الخلافة الى البيت العلوي ، يؤيدهم في دعوتهم اهل الكوفة ومن شايعهم في حب آل البيت . اما العباسيون ، فلم تشر الاحداث الى اتجاههم السياسي . فالعباس عم الرسول كان يؤيد علي بن ابي طالب ، ولم يطلب الخلافة لنفسه . كذلك زهد عنها ابنه عبدالله وحفيده علي . ولم يظهر سعيهم الى الخلافة الا عند محمد بن علي بن عبدالله ابن العباس . وقد اتصل به ابو هشام بن الحنفية رئيس الدعوة الشيعية المعروفة بالكيسانية او الهاشمية ، واوصى بأن يرثه في امامة الشيعة ، وامر اتباعه بالطاعة له . فشرع محمد ينظّم الدعوة تنظيماً سرياً سعياً في الاطاحة بالحكم الاموي . وكانت خراسان[١] مركز دعايته التي رحّب بها معظم الموالي وكثير من العرب ، رغم مقاومة ولاة خراسان لها والتنكيل بالمنتمين الى الدعوة الجديدة . . . ثم عمل ابراهيم بن محمد ، الذي تولى

(١) خراسان منطقة تتقاسمها اليوم ايران الشمالية الشرقية وافغانستان الشمالية (هرات وبلخ) ومقاطعة تركمانستان السوفياتية (مرو) .

قيادة الدعوة العباسية بعد وفاة والده سنة ١٢٤ هـ/٧٤١ م على ان تكون خراسان مركزاً للدعوة ، فولى قيادة اتباعه ابا مسلم الخراساني ، وحثّه على نصرة آل البيت والتفريق بين طوائف العرب . ولما قوي امر ابي مسلم ، اظهر دعوته في شهر رمضان سنة ١٢٩ هـ/٧٤٦ م ، ورفع الاعلام السود منذ ذلك الوقت رمزاً للدولة العباسية .

وكانت الاحداث في الدولة الاموية قد مهّدت لنجاح الدعوة الجديدة . فقد تعاقب على العرش الاموي ، بعد هشام (٧٢٤ – ٧٤٣) ، اربعة خلفاء ضعفاء ، بعضهم قاصر وبعضهم خليع ، وعكفوا على اللهو والترف ، مغفلين الدين وشؤون الدولة . فاستشرى البذخ وعمّ الفساد في الطبقة الحاكمة ، وساد التذمر بين الناس ، واصبح الخلفاء الامويون الاخيرون عاجزين اكثر فاكثر عن الحفاظ على الوحدة بين العناصر المختلفة التي ضمها الاسلام ، بالاضافة الى العرب ، وامتداد حدود الدولة امتداداً واسعاً جداً . فتعذر على هذه الدولة ذات الطابع العربي المحض ان تضمّ جميع الجنسيات والقوميات التي اعتنقت الاسلام .

وهكذا فقد تكتلت ثلاث فئات ضد الامويين = الشيعة اصحاب علي الذين لم يعترفوا بدولة الامويين ولم يغفروا لهم ما جنوه على علي والحسين ، وفئة الناقمين من الاوضاع المتردية والمظالم الكثيرة والفساد المتفشي في الدولة الاموية ، وابناء العباس الذين انضموا الى هذه المعارضة واستغلوا هذا الاستياء العام بغية الاطاحة بالامويين ، وكانوا يطالبون بحقهم في الخلافة لكونهم من بني هاشم ومن اقرب الناس صلة بالرسول العربي . واختار هؤلاء منطلقاً لحركتهم قرية «الحُمَيمة» الواقعة جنوبي البحر الميت على طرق القوافل والحجيج .

ووجدت هذه الحركة تربةً صالحة في ارض خراسان حيث كان المسلمون من العرب ، وخاصة من الفرس ، في حالة شديدة من الاستياء من الامويين الذين كانوا يعتبرونهم مسلمين من الدرجة الثانية ، بل من الموالي ، ويفرضون عليهم الجزية المرسومة على غير المسلمين . وتمّ الاتفاق بين الشيعة واهل خراسان والعباسيين ، واسندوا زعامة الحركة الثورية ، بعد مقتل ابراهيم ، الى ابي العباس سليل العباس عم الرسول ، واتخذت الثورة طابعاً دينياً . واندلعت نيران الثورة في ٩ حزيران ٧٤٧، ورفع ابو مسلم الخراساني رايتها السوداء ، ودخل عاصمة المنطقة «مرو» . ولم يستطع مروان الثاني مقاومة هذه الحركة لانشغاله بقمع ثورة اخرى قامت وانتشرت من فلسطين الى حمص بين القبائل القيسية واليمنية المتناحرة . وكان مروان الثاني قد ارتكب خطأً

جسيماً حينما نقل بلاطه وادارته الى حران ، بحيث اخذت قلوبُ اهل الشام انفسهم تنصرف عنه[٢] .

وفي سنة ٧٤٩، سقطت الكوفة في ايدي الثوار دون مقاومة كبيرة لكونها ملجأ ابي العباس . وفي ٣٠ تشرين الاول ٧٤٩، نودي فيها بأبي العباس خليفة للمسلمين[٣] . واندحر الامويون ، واخذ علمهم الابيض يتراجع في كل مكان امام الراية السوداء التي رفعها العباسيون وحلفاؤهم . وفي كانون الثاني سنة ٧٥٠، دارت معركة حاسمة بين جيش مروان الثاني وجيوش الثوار التي كانت بقيادة عبدالله بن علي عم الخليفة الجديد ، وذلك في الضفة اليسرى من الزاب الكبير . ودامت هذه المعركة الرهيبة يومين هُزم فيها مروان الثاني وغرق كثير من جيشه . وكان سبب هزيمته انه لم يكن مسيطراً على طوائف الجيش . فاذا طلب الى القيسيين الخروج للقتال قالوا له لتخرج اليمانية . واذا طلب من اليمانية قالوا لتخرج القيسية ، حتى لم يكن باستطاعته الاشتباك في الحرب . فدارت الدائرة عليه وهزم وفرّ الى الشام بينما العباسيون يلاحقونه ، حتى امسكوه في قرية بوصير في صعيد مصر فقتلوه في ١٥ آب سنة ٧٥٠ وأرسل رأس مروان وشارات الخلافة الى الخليفة ابي العباس . وبهذا الانتصار الحاسم ، انفتحت امام العباسيين ابواب سوريا ، واستسلمت دمشق في ٢٦ نيسان ٧٥٠ بعد حصار قصير . وامعن العباسيون في الانتقام من الامويين وفي استئصال شأفتهم بشتى الطرق والوسائل . ولم تسلم قبور الامويين ذاتها من هذه الاعمال الانتقامية[٤] . وقد نجا الفتى عبد الرحمن ابن معاوية ابن هشام من ايدي بني العباس وهرب الى الاندلس حيث افلح في انشاء دولة اموية زاهرة . . .

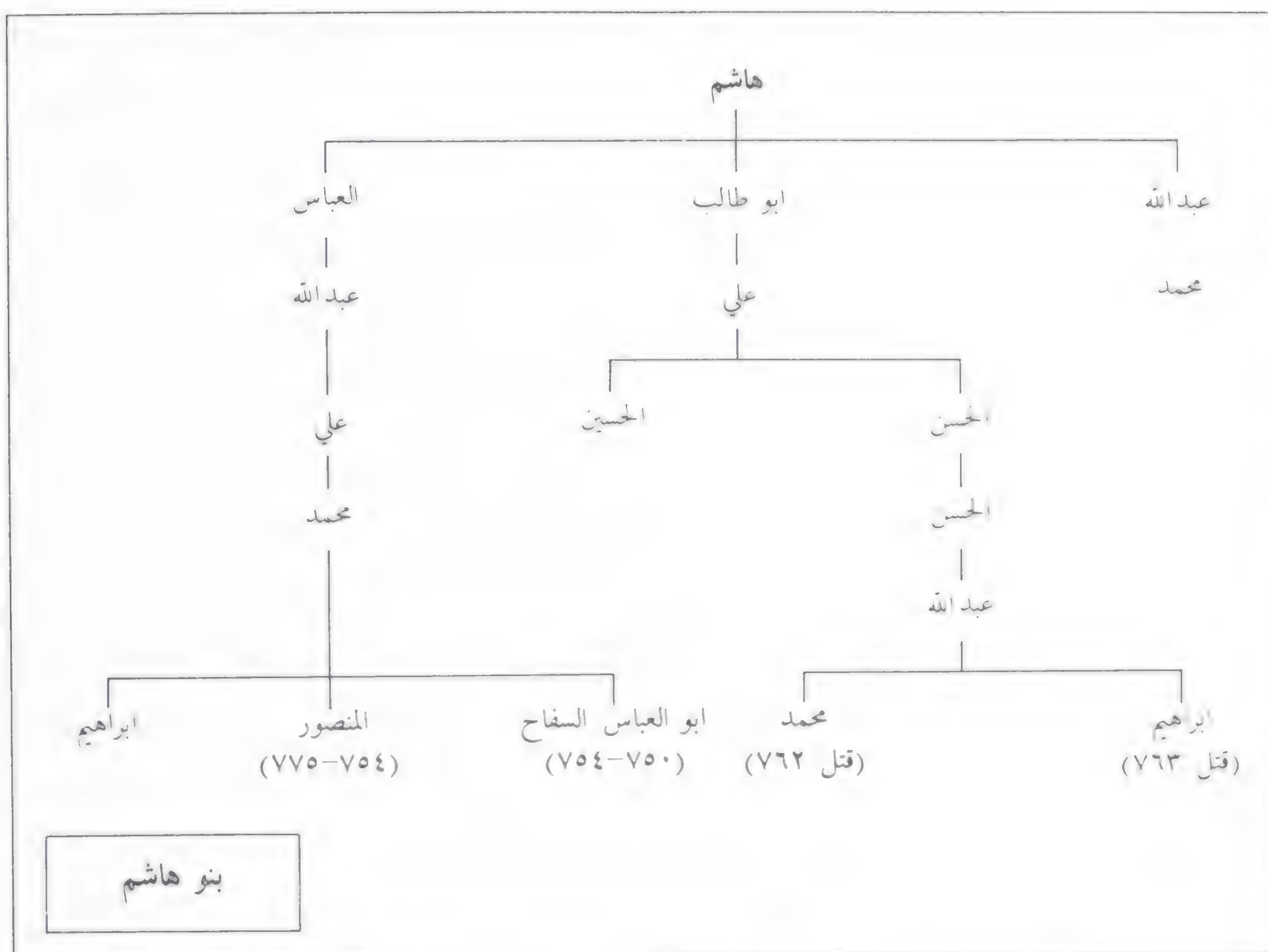
. . . زال مجد دمشق وانتهى عهد سلطانها ، وانتقل مركز العالم الاسلامي الى الشرق ، كما ان العصر العربي الخالص في تاريخ الاسلام قد انقضى ، وتحرر العراق من سيطرة الشام ، وبلغت الشيعة ثأرها ، وتمت للموالي حريتهم ، واصبحت الكوفة عاصمة للدولة الجديدة ، واصبح حرس الخليفة الخاص من اهل خراسان ، واحتلّ الفرس شيئاً فشيئاً المناصب الرفيعة في الدولة . . . .

---

(٢) فيليب حتي ، **تاريخ العرب** (المطول) ١، ص ٣٥٣ - ٣٥٥.

(٣) **تاريخ اليعقوبي** ٢، ص ٣٤٥.

(٤) أخرجت جثثُهم وأحرقت وامتُهنت حرمتُها. وأُخرجت جثة هشام من قبره بالرصافة ، فوُجدَ جسمُه لا يزال صحيحاً ، فجُلد ثمانين جلدة ثم أُحرق وذُري رماده . ولم يسلم من قبورهم سوى قبر الامام الزاهد عمر بن عبد العزيز .



٢ . ابو العباس «السفّاح» (٧٥٠ - ٧٥٤)

هو عبدالله ابن محمد . وكنيته «ابو العباس»[٥] . وضع ابوالعباس - الذي لقّب نفسه بالسفّاح - الحجر الاساس للدولة الثالثة من دول الاسلام ، وكانت اشهرها واطولها عمراً ، اذ تعاقب بنو العباس على الملك من سنة ٧٥٠ الى سنة ١٢٥٨. واستبشر المسلمون بهذه الدولة ذات الصبغة الدينية . واخذ الخليفة العباسي يرتدي بُردَة محمد في الحفلات الرسمية وفي صلاة الجمعة . وشرع الخلفاء الجدد يجمعون حولهم الفقهاء ويشملونهم برعايتهم ، حتى انتشر بين الناس اعتقاد بان الامر يجب ان يبقى في بني العباس حتى يسلموه الى عيسى بن مريم[٦] . الا ان تديّن العباسيين لم يكن الا ظاهرياً . فسرعان ما مال الخلفاء الجدد ايضاً الى امور الدنيا .

الا ان الفرق الجوهري ينحصر في ان الدولة الاموية كانت دولة عربية ، بينما صارت الدولة العباسية دولة جميع الشعوب الاسلامية ، واصبحت حدود الخلافة فيها غير حدود الاسلام . فهناك شعوب اسلامية كثيرة لم تبايع الخليفة تماماً (اسبانيا ،

(٥) **تاريخ اليعقوبي** ٢، ص ٣٤٩.
(٦) الطبري ٣، ص ٣٣.

شمالي افريقيا ، عمان ، مصر ،الخ . . .) . وانفرد العباسيون بالحكم دون العلويين الذين خابت آمالهم ، اذ كانوا يعتقدون ان بني العباس يقاتلون في سبيل قضيتهم .

ولم يطمئن السفاح الى اهل الكوفة وهم اصحاب علي ، فانتقل الى الانبار ، واتّخذ فيها مقراً سماه «الهاشمية»[٧] . وهناك توفي سنة ٧٥٤ بعلة الجدري ، وهو ابن ست وثلاثين سنة[٨] .

٣ . ابو جعفر المنصور (٧٥٤ - ٧٧٥)

لم يكن عهد الخليفة العباسي الاول طويلاً . ولم يكد يرد ذكر فيه للمسيحيين . وخلفه اخوه ابو جعفر المنصور الذي يُعتبر المؤسس الحقيقي للدولة العباسية . وكان جميع الخلفاء الذين تبعوه من ذريته . انه من اعظم الساسة العباسيين . وقد عَرف بدهائه ان يتخلص من مناوئيه ، من الأقرباء والغرباء . فقضى على ابي مسلم الخراساني ، وقضى ايضاً على فرقة «الراوندية» من الفرس المتطرفين[٩] ، وضرب بيد من حديد على زعماء الشيعة الخارجين عليه ، فقتل محمداً واخاه ابراهيم ، وهما ابنا عبدالله حفيد الحسن ابن علي . كما انه قضى على ثورات اخرى قامت في البلاد . ويقول المؤرخون العرب ان المنصور كان طويلاً نحيفاً اسمر خفيف العارضين ذا صلابة وشدة[١٠] .

٤ . تأسيس بغداد

حينما تولى المنصور الخلافة ، عاد فاستقر في هاشمية الكوفة ، ثم بنى له مدينة اخرى في ظهر الكوفة سميت «الرصافة» . الا ان تمرّد الراوندية في الهاشمية دفع العباسيين الى هجر الكوفة ، ولم يفكروا في جعل واسط حاضرة لهم ، لصلتها الوثيقة بالامويين . وكان المنصور في عهد ولايته على الجزيرة قد مرّ بموقع بغداد في طريق ذهابه وايابه من الهاشمية الى الجزيرة ، وقد وضع فيها حامية خراسانية سنة

(٧) **تاريخ اليعقوبي** ٢، ص ٣٥٨. وكان يسكن الانبار عدد اكبر من المسيحيين ، اذ تركها العرب منذ السنوات الاولى للفتح الاسلامي ، لكثرة ذبابها – طالع : الدكتور فاروق عمر ، **العباسيون الاوائل** ٢، بيروت ١٩٧٣، ص ١٥.

(٨) **تاريخ اليعقوبي** ٢، ص ٣٦٢.

(٩) فرقة اصلها من راوند وهي بلدة قرب اصبهان . ادّعت ان ابا جعفر المنصور هو إلهها .

(١٠) **تاريخ** الطبري ٣، ص ٣٩١؛ المسعودي ، **التنبيه والاشراف** ، بيروت ١٩٦٨، ص ٢٩٥.

٧٥٤. وبالقرب من موقع بغداد ، في الرومية القريبة من المدائن ، خطط للايقاع بأبي مسلم الخراساني . على ان الرحلة الاولى التي قام بها المنصور بقصد البحث عن موقع لبناء عاصمته الجديدة كانت سنة ٧٥٨، اذ كان مهدّداً من قبل العلويين في الحجاز ، وكانت سوريا والجزيرة ما تزالان تعجّان بالحركات الموالية للامويين والخوارج[١١] ، بالاضافة الى الاضطراب الذي ساد ايران بعد مقتل ابي مسلم الخراساني . ولعله اختار موقع بغداد لكونه حصيناً يحميه نهر دجلة من العجم ونهر الفرات من العرب . وكانت في الموقع قرية في عهد الساسانيين تدعى باسم بغداد ، اي عطيه الله[١٢] .

وقد قيل الكثير عن سبب اختيار هذا الموقع . فيروى ان المنصور ، حينما اراد بناء بغداد ، أمر منجّم البلاط بأخذ الطالع . ففعل واخبره بما تدل عليه النجوم من طول بقائها وكثرة عمارتها[١٣] .

يُعتبَر تأسيس بغداد عامة كأحد اهم الاحداث في تاريخ العالم الاسلامي . ومع ذلك فان المنصور لم يؤسس بغداد . ان ما اسسه ، في السنة الثامنة لحكمه (سنة ٧٦٢) فهي مدينة السلام اي المدينة المدوّرة ، حيث اراد احلال انصاره من خراسان . . . الا ان انتشار المساكن السريع حول المدينة المدوّرة ، وحتى في الطرف الشرقي من النهر ، ادى الى هذا الواقع وهو ان الاسم الفارسي لاحدى الضيع المتواجدة في المنطقة (بغداد) قد تغلّب على تسمية المجموعة العمرانية كلها .

كان السلوقيون منذ عهدهم قد تخلوا عن وادي الفرات واتجهوا نحو وادي دجلة ، اذ تركوا بابل ليؤسسوا ساليق (سلوقية) ، بغية اثبات القطيعة مع النظام السابق . اما المنصور ، فقد ابتعد اكثر عن المراكز الاموية ، وانجذب نحو العاصمة الساسانية (المدائن) . لماذا لم يتخذ المنصور مقره في هذا الموقع البديع الذي فيه يقترب دجلة والفرات ، والذي كانت «قناة الملك» تصل ما بين النهرين الكبيرين ؟ فان الفرثيين كانوا قد اتخذوا هذا الموقع من السلوقيين واضافوا الى ساليق مدينتهم الخاصة قطيسفون ثم مرفأ «ولغاش» . وقد تبناه الساسانيون انفسهم واقاموا بالقرب منه مدينة جديدة اطلقوا عليها اسم «فيه اردشير» . ولكن منذ ان تخلى عنه الامويون لصالح

---

(١١) فاروق عمر ، **العباسيون الاوائل** ٢، ص ١٦ - ١٧.

(١٢) وقيل ان الاسم مركّب من «باغ» (بستان) و «داد»(الإله داد) ، اي بستان الآله داد (فارسي) . او انه مركّب من «بيث» مكان و «غداد» (الحظيرة) ، اي موضع الحظيرة (آرامي) . وتجدر الاشارة ان اسم «بغدادو» ورد في المصادر السابقة للمصادر الفارسية (طالع **دليل خارطة بغداد المفصل**، تأليف الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة ، بغداد ١٩٥٨) .

(١٣) فيليب حتي ، **تاريخ العرب** (المطوّل) ١، ص ٣٦٥.

الكوفة ، اعتقد الناس ان الموضع مسحور بحضور الاكاسرة . ومن جهة اخرى ، كانت المدائن الملوكية قد لحق بها الكثير من الدمار ، وقد انتُزعت ابوابها ونُقلت الى الكوفة ، واصاب الخرابُ اسوارَها وعاث بها دجلة بفيضاناته الجارفة . قد تكون هذه الاعتبارات وغيرها هي التي حدت المنصور الى اختيار موقع يبعد عنها نحو ٣٠ كم صعداً على ضفة دجلة .

لقد اقترح الوزير ابو ايوب المرياني الخوزستاني على المنصور ان يهدم طاق كسرى ويستخدم طابوقه لبناء المدينة الجديدة . لكن خالداً البرمكي رأى في ذلك انتهاكاً لامجاد الاولين ، وحاول اقناع الملك بالعدول عن هذا العمل بقوله : «ان هذا الطاق احدى عجائب الاسلام (؟) ، وقد صلى فيه علي ابن ابي طالب ، ثم ان نفقات هدمه ستكون اكثر من منافعه» . فاجابه الخليفة : «انت تقول هذا لميلك الى الامور الفارسية !»[١٤] . فهُدم جزءٌ من الطاق ، وتحققوا من ان النفقات باهظة ، اذ يتطلب نقل المواد منه الى بغداد يومين كاملين ذهاباً واياباً . فاراد المنصور العودة عن قراره . لكن خالداً نصحه بمواصلة العمل لئلا يُقال ان الخليفة كان اضعف في هدم ما شيّده الآخرون . وأصرّ المنصور على رأيه ، وأمر بالكفّ عن تدمير ما تبقى من الطاق . وقبل موته باربع سنين ، امر باصلاح القصر الأبيض للساسانيين في قطيسفون وفرض جزية على كل من يمتلك في داره طابوقا يعود الى بناء كسرى .

وفي نظر الكنيسة الشرقية ، كان تأسيس بغداد يعني انها ستستعيد مركزها التقليدي في الارض الآرامية (بيث آرامايي) . وكانت الارض التي اراد الخليفة ان يبني فيها مدينته زاخرة بالاديرة ، وكان للرهبان دور كبير في الاساطير الدائرة حول التنبؤات عن تأسيسها[١٥] .

فكان دير بجانب الموضع الذي فيه بُني قصر الخلد . وفي الشرق ، قرب قرية العتيقة ، كان ايضاً دير كبير هو دير مارفثيون ، حيث نزل المنصور وطرد منه المغتصبين المسلمين[١٦] .

من البديهي ان الخليفة لم يخصص حارة للمسيحيين في المدينة الجديدة . ولكن

---

(١٤) مع ان اصل البرامكة بالاحرى من مقاطعة بختريان وبصلة مع البوذيين في الهند .

(١٥) طالع الاب جان موريس فييه، **المسيحيون السريان في عهد العباسيين**، ، خاصة في بغداد ، في ج . ك . م . ش .، لوفان ١٩٨٠، ص ٢٠ حاشية ٣٢ وقد اعتمدت هذا الكتاب في نقل كثير من الاحداث الخاصة بالفترة العباسية الاولى . وقد تُرجِمَ هذا الكتاب الى العربية بعنوان : **احوال النصارى في خلافة بني العباس** ، ونقله الى العربية حسني زينة ، ونشرت الترجمة في دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩٠.

(١٦) الطبري ٣، ص ٢٧٤ - ٢٧٥، ٢٧٧؛ صليبا في **المجدل** ، ص ٦٩ - ٧٠.

سرعان ما تكونت ، بالاضافة الى القرية ودير العتيقة (مارفثيون) ، ضاحية منوفيزية في امتداد الجنوب الغربي من الكرخ ، بالقرب من باب المحوّل ، واقاموا له كنيسة (مار توما) ، كما تكوّنت محلة من الروم والنساطرة بالقرب من الباب الشمالي ، باب الشماسية من الملحق الشرقي للمدينة ، اي في الرصافة التي بنيت سنة ٧٦٨ لابن الخليفة الذي سيصبح الخليفة المهدي .

مهما يكن من امر ، فقد شرع المنصور ببناء مدينته سنة ٧٦٢، واستغرق بناؤها اربع سنين ، وانفق عليه نحو (٤٠٠٠ر٨٨٣ر٤٠٠) درهم – وقيل ١٨ مليون دينار – واستخدم نحو مائة الف من المهندسين والصناع واهل المعرفة بالبناء ، والفعلة من شتى ارجاء الدولة . وسمّى هذه العاصمة ، بالاضافة الى اسمها الاصلي ، «مدينة السلام» ، وسُمّيت ايضاً «بالمدينة المدوّرة» ، اذ جعل بناءها على شكل مستدير . واكثر الحجارة التي دخلت في بناء بغداد نزعت من انقاض طاق كسرى في المدائن . اما اللبن فاصطنعه البناؤون .

. . . انتظمت الامور في العاصمة الجديدة ، وانشأ فيها الخلفاء حكومة على غرار النظام الساساني ، وبات الاسلام العربي تحت تأثير الثقافة الفارسية وعاداتها ، بما فيها من الألقاب ومجالس الشرب والتسرّي . وازدهر العمران وتقدمت العلوم والابحاث . الا ان العربي احتفظ بالزعامة في امرين ، هما الدين واللغة . فقد ظل الاسلام دين الامة ، والعربية لغة الدواوين الرسمية[١٧] .

وفي ٧ تشرين الأول سنة ٧٧٥، خرج المنصور حاجاً ، فمات في الطريق بالقرب من مكة ، وله من العمر ما يزيد على الستين عاماً . فحفروا له مائة قبر هناك تضليلاً للناس ، لكنه دُفن سراً في غيرها ، لئلا يهتدي عدو الى قبره فيمتهن حرمته .

٥ .البرامكة

لقد قيل خطأ ان سلطان العرب زال بزوال الدولة الاموية . فالواقع يشير الى ان دولة العباسيين أممية اسلامية ، وان مفهوم الاسلام لدى العباسيين كان يتسع لكل العناصر التي دخلت الدين الجديد ، ولا يقتصر على العرب وحدهم . فالعرب انفسهم – في الاقل في العهد العباسي الاول – كانوا القوة الفعّالة في الثورة العباسية ، وهم الذين تقلدوا ارفع المناصب في الدولة الجديدة = فمنهم الولاة

(١٧) فيليب حتى ، **تاريخ العرب** (المطول) ١، ص ٣٦٦.

والعمال وقواد الجيوش وامراء الجهاد والحج ، ومنهم صحابة الخليفة واغلب مستشاريه ، ومنهم القضاة . وكان الخلفاء العباسيون ذواتهم عرباً هاشميين . وبقيت القبائل العربية ذات اثر كبير في السياسة والجيش والمجتمع . وظلت اللغة العربية لغة السياسة والثقافة والادب والادارة[١٨] .

اما العاصمة الجديدة ، فقد استوطنتها جماعات كانت مزيجاً من العناصر المسلمة عربية واعجمية . الا ان هذه الجماعات كانت كلها ترتبط برباط واحد يشدها الى الدولة الجديدة ، الا وهو رباط الولاء للخليفة لا الولاء للقبيلة او العنصر او الاقليم .

ظهر في الدولة العباسية في عهدها الاول عنصر قام بدور هام جداً في سياسة الدولة وادارة شؤونها : انهم البرامكة ، وهم ينتسبون الى «برمك» الذي كان سادنا في معبد بوذي ببلخ[١٩] . وكان خالد ابن برمك اول من قام بأعباء الوزارة – دون ان يسمّى وزيراً – في الدولة العباسية . وكان ولاء عميق يسود بين خالد وابي العباس السفاح . فتولى خالد في اوائل العصر العباسي ديوان الخراج ، ثم وجهه المنصور سنة ٧٦٥ الى طبرستان لاخماد نيران ثورة قامت فيها . وكان الخليفة يستشيره في كثير من الامور الهامة ويسترشد برأيه . واصبح خالد مؤسس اسرة نبغ فيها وزراء مشهورون . وسرعان ما امتد نفوذ هذه الأسرة ، وابتنوا لهم قصوراً في الجانب الشرقي من بغداد ، وعاشوا في سعة ونعمة ورخاء . وقد أصاب البرامكة جاهاً عظيماً وغنى فاحشاً بحيث نثروا من العطايا في مواليهم ومدّاحيهم واتباعهم الشيء الكثير . ومُدحُوا بما لم يُمدَح به الخليفة نفسه ، وضُربت بكرمهم الامثال (برمكي = سخي ، كريم) ، وقاموا باعمال عمرانية جليلة . ويعتبرهم مؤرخو العرب ممهدِي السبيل لطبقة اهل القلم . . . الا ان الخليفة الرشيد استنكر بعدئذ استبداد تلك الأسرة الشيعية الفارسية في شؤون الدولة ، فقتل زعيمهم جعفر . وقيل ان سببَ ذلك كانت قضية العباسة اخت الخليفة . وقبض هذا الخليفة على سائر زعمائهم ونكّل بهم وقتلهم وحجز اموالهم التي كانت تُقدَّر بِ (٣٠٠٦٧٠٠٠٠) دينار ، وصودرت ضياعهم وغلاتهم ودورهم ، وذلك في نحو سنة ٨٠٣.

---

(١٨) فاروق عمر ٢، ص ٣٠ – ٣١.

(١٩) **تاريخ** الطبري ٢، ص ١١٨١. وبلخ هي الآن بلدة في افغانستان . وكانت ذات شأن في السابق ، حتى جعلها اسد ابن عبدالله القسري سنة ٧٢٥ عاصمة مقاطعة خراسان .

٦ . الفتوحات

ما ان استتبت الخلافة للعباسيين واستقرت الاحوال الداخلية في البلاد ، حتى استأنفوا الخصام مع الروم اعدائهم التقليديين ، واعادوا بناء الثغور في ملطية وقيليقية ، وتوغلوا في مناطق الروم ، حتى قيل انهم بلغوا باكو على بحر قزوين (في اذربيجان الروسية الآن). ثم احتلوا منطقة طبرستان الجبلية الواقعة جنوبي بحر قزوين ، وقضوا فيها على آخر أسرة من السلالة الساسانية . وبلغت قواتهم قندهار على حدود الهند ثم كشمير ، وارسلوا سنة ٧٧٠ عمارة بحرية من البصرة الى مصب نهر الهند للقضاء على القرصان الذين كانوا قد تجاسروا على البلوغ الى جدة ونهبها[٢٠] . الا ان مطلع العهد العباسي يتّسم عامة بموقف دفاعي تجاه الامبراطورية البيزنطية . وليست الحملات الصيفية التي تقوم بها القوات العباسية الا للحفاظ على فكرة الجهاد حية في قلوب الناس ، ولكي تتيح للامراء ان يبدوا فروسيتهم ومهارتهم ، ولكي توفر للجنود ما يكفيهم من المال والغنائم .

٧ . الطابع الديني

كان للخليفة العباسي السلطة العليا في الدولة ، لكونه يمتّ بصلة القرابة الى الرسول العربي ، فيُطلَق عليه لقب «امير المؤمنين» ، ويحاط بهالة من الاجلال والهيبة . وبالنظر الى العناصر المتنوعة في الدولة ، كان الخليفة هو الممثّل الاعلى للدين الذي يعتبر الرابط الحقيقي الذي يضم الجميع . ولم تكن العقائد الدينية قد توضحت بعد في الاسلام . فكان الجدال مستمراً حولها بين مختلف التيارات الدينية التي نشأت آنذاك . فهناك الارثوذكسية السنّية من جهة ، والحركة الشيعية من جهة اخرى ، وتيار المعتزلة في صفوف الطبقة المثقفة من جهة ثالثة . اما اهل الذمة ، فكان لهم وضعهم الخاص . واما الزنادقة – وهم المانويون خاصة – فكانوا عرضة للاضطهاد والملاحقة . وقد وفّر عهد الاستقرار هذا تفكيراً عميقاً حول العقائد ، وفسح المجال امام الفقهاء لتفسير الشريعة . فظهر ابو حنيفة الذي توفي في بغداد سنة ٧٦٧، وبعد ذلك ظهر ابن حنبل الذي توفي ايضاً في بغداد سنة ٨٥٥، ثم البخاري الذي مات في البصرة سنة ٨٧٠، واستبط كل منهم طريقة خاصة لتفسير الشريعة .

وقد خلقت بيئة البحث هذه تعايشاً سلمياً بين المسلمين وغير المسلمين ومناخاً

(٢٠) فيليب حتي ، **تاريخ العرب** (المطول) ١، ص ٣٦٣.

للحرية الدينية ستستفيد منه الفئات غير المسلمة التي كانت ذات تأثير كبير بعددها ولاسيما بثقافتها .

٨ . المسيحيون في مطلع العهد العباسي

كانت الكنيسة في ما بين النهرين قد لاقت بعض الصعوبات من عمال الامويين . وها هي ذي الآن تتنفس الصعداء في هذا العهد الجديد ، في ظل الخلافة العباسية وبجوارها . وكان توسع الادارة العباسية يتطلب اناساً مثقفين يقومون بأعباء الادارة والدواوين والجباية والشؤون المالية . وكان المسيحيون وحدهم يمتازون في ذلك الوقت بثقافة عالية ، فكانوا من اهل العلوم والحرف ، كالفلاسفة والاطباء والفلكيين . فانتُدب العديد منهم الى دار الخلافة ، خاصة في عهد المنصور وهارون الرشيد . وبهذه الوسيلة ، كان نفوذ المقرّبين الى الخلافة من اهل العلوم والفنون يؤثر تأثيره الانحيازي عند حصول النزاع في كنيسة المشرق[٢١] .

لقد دخلت كنيسة المشرق عصراً جديداً بمجيء العباسيين الى الحكم وانتقال عاصمتهم الى بغداد . فقد استعان الخلفاء والامراء المسلمون بأبناء هذه الكنيسة للقيام بالادارة والشؤون الاقتصادية . وسيتيح هؤلاء المسيحيون للمسلمين من العرب وغيرهم ان يتعرفوا الى الفلسفة الاغريقية والعلوم الغربية ، كما سيأتي الكلام عن ذلك في موضع لاحق .

ونلاحظ في نهاية عهد الخليفة المنصور ان كل شيء اصبح مهيأ لبدء حضارة عظيمة . فالادارة قد ثبّتت اقدامها ، واصبحت الخزائن الآن مليئة بما يمكنه ان يموّل الجيوش والنفقات في امبراطورية مترامية الاطراف . وصارت العاصمة الجديدة تتسع وتمتد وتزدهر وتمارس نفوذها الواسع على مختلف المناطق .

ويصحّ هذا الامر نفسه عن كنيسة المشرق . فبالرغم من بعض الاخطاء التي اقترفها نفر من بنيها كان لها صدى مؤسف على الكنيسة كلها ، وبالرغم مما تعرضت له الجماعات الملكية الحدودية والسريان الغربيون ، فان الكنيسة في هذه البلاد ، ومعظمها من السريان الشرقيين ، كانت ممثّلة خير تمثيل لدى السلطات بواسطة الامناء والاطباء والكتبة ، وستقوم بدور مرموق في تفتّح هذه الحضارة ، لا سيما حينما تكون شخصية بطريركها او أحد اساقفتها بارزة بالقداسة او بالعلم ، لان

---

(٢١) تيسران ، **الكنيسة الكلدانية** ، في الترجمة العربية، ص ٥١.

المسلمين يولون اهمية كبرى لهذين الامرين. وستشغل الديانة المسيحية حيّزاً كبيراً في الدولة، كديانة ثانية، وان غير رسمية . . .

الا ان بدء هذا التعاون كان صعباً، بالنظر الى الفوضى السائدة في كنيسة المشرق ذاتها. فقد كانت المنافسة على الكرسي البطريركي على أشدّها آنذاك بين شخصين: سورين ويعقوب الثاني. وكان سورين مطراناً لنصيبين، ثم انتقل الى حلوان. وكانت حياته مليئة بالمشاغبات والفتن. وتوصل الى ان يعيّنه امير المدائن بطريركاً على كنيسة المشرق سنة ٧٥٤. الا ان الاساقفة رفضوه، والتمسوا من الخليفة العباسي الاول، عبدالله السفاح، ان يعزله عن هذا المنصب. وتمّ لهم ذلك، وأُرسل سورين كمطران الى البصرة. ورفضه اهل هذه المدينة ايضاً، فأنهى حياته في السجن[٢٢]. اما منافسه يعقوب، فقد زجه المنصور في السجن مدة، ثم أُعيد الى الكرسي البطريركي الذي شغله حتى وفاته سنة ٧٧٣. وخلفه سنة ٧٧٥ البطريرك حنانيشوع الثاني الذي مات مسموماً سنة ٧٧٩ بيد حجام الخليفة[٢٣]. وقد خلّد اسم هذا البطريرك في مسلّة «سي - نغن - فو» المار ذكرها سابقاً.

٩. ثورات اهل الذمة

ان اشهر الانتفاضات التي قام بها اهل الذمة في هذه الفترة هي انتفاضات الاقباط في مصر والمسيحيين في الجزيرة وجبل لبنان وارمينيا، والمناوشات التي حصلت مع المسيحيين المنعزلين في شاطئ افريقيا والمغرب.

اما في مصر، فقد ثار الاقباط على والي الأمويين، وكانوا عاملاً مساعداً للعباسيين في احتلال مصر. وقد عفا العباسيون بعض الاقباط من الضرائب وخففوا عن البعض الآخر. الا ان ذلك لم يدم طويلاً. فقد أُعيدت الضرائب على سابق عهدها، كما اعاد المنصور الضريبة على بعض اهل الذمة الذين تزيوا بزي الرهبان تهرباً منها. فثاروا سنة ٧٥٠ ثم سنة ٧٦٧ و ٧٧٣. ولم يكن تذمر الاقباط بسبب الاعباء المالية حسب، بل لكونهم يتعرضون ايضاً من حين الى آخر لبعض القيود المجحفة، وكانوا عرضة للنهب والسلب، كما كانت كنائسهم عرضة للهدم، خاصة اثناء

(٢٢) ماري، ص ٦٧؛ صليبا، ص ٦٢ - ٦٣.

(٢٣) يسمّي ماري (ص ٧١) هذا الخليفة «ابا العباس» في حين ان حنانيشوع مات في عهد الخليفة المهدي. أما صليبا (ص ٦٤) فيقول ان الطوسي مسترهن الدوقرة هو الذي انفذ له هذا الحجام ودفع اليه مشراطاً مسموماً شرطه به، فانتفخت رقبته ومات بعد ثلاثة ايام ودُفن في المدائن.

ثوراتهم ضد الدولة العباسية . وكان بناء كنيسة جديدة يتطلب موافقة قاضي مصر .

ومن الثورات المعروفة في لبنان في هذه الفترة ثورة بندار المسيحي سنة ٧٥٩ – ٧٦٠. فقد اعلن هذا نفسه ملكاً على منطقته ، ونادى بالمسيحية ديناً رسمياً لأتباعه ، ثم هاجم القرى الاسلامية في سهل البقاع . ولكنه دُحر واجتاز الحدود ملتجئاً الى البيزنطيين . وقد امر صالح بن علي والي الشام بهجرة سكان جبل لبنان جماعياً ، ووزّعهم على مناطق مختلفة من بلاد الشام .

اما سكان الشام والجزيرة المسيحيون ، فقد اعتبرهم العباسيون متواطئين مع البيزنطيين لوحدة العقيدة المشتركة . وكان على الوالي العباسي في الجزيرة ان يتخذ وسائل دفاعية ويفرض بعض القيود على المسيحيين في هذه الاقاليم المجاورة للحدود الشمالية[٢٤] .

وكان مركز الخلفاء العباسيين يحتّم عليهم اصدار المراسيم التي تتضمن قيوداً معيّنة لاهل الذمة ، ولكن حاجة الدولة الى مهارتهم وكفاءاتهم كانت تدعو الخليفة الى استخدامهم . وقد عامل ابو العباس الذميين معاملة حسنة وخفض من الضرائب المفروضة عليهم في الكوفة . وتشير الادلة الى ان اهل الذمة استُعملوا في الديوان منذ اوائل العباسيين .

وكانت العلاقات العباسية البيزنطية في عهد المنصور تؤثر في سياسة الخليفة تجاه اهل الذمة . ومع ذلك ، جميع الدلائل تشير الى وجود عدد كبير من الذميين في وظائف الدولة المالية والادارية ، وكذلك في المهن الاخرى كالطب والهندسة ، كما برعوا في الترجمة الى العربية وفي الكتابة في العلوم[٢٥] .

١٠ . المنوفيزيون في العهد العباسي الاول

كان المنوفيزيون ايضاً من رعايا الدولة العباسية . وكان بطريركهم ينتسب الى كرسي انطاكيا ، وشأنهم شأن النساطرة في انتخاب خلفاء لبطاركتهم . فقد اثارت هذه الخلافة ازمة افضت الى لجوء الحزبين المتنافسين الى السلطة المدنية الحاكمة[٢٦] . فعلى اثر وفاة البطريرك يوحنا (الرابع) سنة ٧٥٥، اقنع حاكم الجزيرة مقاتل بن حكيم

(٢٤) فاروق عمر ، **العباسيون الاوائل** ٢، ص ١٦٥ – ١٦٧.
(٢٥) المصدر عينه، ص ١٧٠ – ١٧١.
(٢٦) ابن العبري ، **ت.ك** . ١، ٣١٦ – ٣٢٨.

العكي[٢٧] الخليفة المنصور بان ثمة راهباً من دير قرتمين يدعى اسحق الحراني يتعاطى الكيمياء . وقد اهتم الخليفة بهذا الامر ، اذ كان يعتقد بمبدأ التحويل في الكيمياء ، وكان محتاجاً الى المال لتمويل جيوشه . فعلى امره ، اضطر الاساقفة المنوفيزيون الى اقامة اسحق بطريركاً لهم . الا ان الكنيسة السريانية الغربية تعتبره غير شرعي بسبب عدم توفر الحرية في انتخابه . وما كادت تمر سنة على انتخابه حتى امر الخليفة بشنقه والقاء جثته في الفرات ، حينما تأكد من خداعه .

وفي السنة عينها (٧٥٦) ، ظهر دخيل آخر يدعى اثناسيوس شندلايا ، وافلح في الوصول الى السدة البطريركية على انطاكيا ، وحصل بواسطة اصدقائه في البلاط على مرسوم تأييد من الخليفة[٢٨] . الا ان الامور لم تستقم له طويلاً ، اذ لقي حتفه سنة ٧٥٨.

وفي سنة ٧٥٨، عقد الاساقفة المنوفيزيون مجمعاً في منبج وانتخبوا جرجس (الاول) البعلثاني[٢٩] بطريركاً بصورة قانونية . الا ان البطريرك الجديد لم ينعم بالراحة مدة طويلة . فقد اتهمه احد اساقفته ، وهو داود اسقف دارا ، بالجشع والظلم لدى مالك سكرتير الخليفة المنصور ، واضاف الى تهمته اموراً اخرى من شأنها ان تؤثر في المسلمين ، وهي ان البطريرك الجديد لم يلتمس مرسوماً من الخليفة ، لئلا يضطر الى حمل اسم محمد في حقيبته . . . وبالرغم من خشونة هذا الافتراء ، فقد أُلقي القبض على جرجس وعُذّب . ولكنه استطاع بسهولة ان يرفع التهمة عن نفسه . الم تكن الدنانير التي يحملها في محفظته تحمل اسم محمد وآيات قرآنية ؟ واذ سأله الخليفة هل يعرف صناعة الكيمياء ، واجاب نفياً ، زجه في السجن في بغداد حيث ظل رهن الاعتقال تسع سنين[٣٠] ، حتى مجيء خلف المنصور الى الحكم ، اي من سنة ٧٦٦ الى ٧٧٥ . وفي تلك الاثناء كان الخليفة المنصور قد عَيّن داود اسقف دارا بطريركاً لانطاكيا . ويقال ان الجنود احاطوا بالمذبح ، في حفلة رسامته ، وسيوفهم مستلة ، وارغموا المؤمنين على التناول من يد هذا الدخيل الذي

---

(٢٧) **تاريخ** ميخائيل السرياني ٣، ص ٥٢٣ - ٥٢٤ يتهمه باغتيال راهب للاستيلاء على كتاب للكيمياء كان يعتقد انه في حوزته . وفي سنة ٧٥٤ خلف العكي ابا جعفر ذاته في ادارة الجزيرة ، بعد ان اصبحَ المنصور خليفة .

(٢٨) كان اثناسيوس ، منذ عهد الملك مروان ، قد اتُّهم بطريركه يوحنا (الرابع) بالسيمونية وسوء الاخلاق (ابن العبري **ت .ك** . ١، ٣٠٨-٣١٠).

(٢٩) بعلثان قرية في جوار الرها ، وكان جرجس قد ترهب في دير قنسرين (م . س . ص ٥٢٥)

(٣٠) طالع ميخائيل السرياني ٢، ص ٥٢٧ - ٥٢٩.

لم يُدرَج اسمه في لائحة البطاركة . وفضّل العديد من الاساقفة ان يمارسوا رسالتهم الراعوية في الخفاء ، متنكرين بزي العلمانيين ، خوفاً من الوقوع في ايدي انصار داود ، ولاسيما ان الخليفة زوّده بمرسوم وخوّله صلاحيات بالقبض على جميع مناوئيه وتعذيبهم وقتلهم . ولا يسعنا ان ننسب هذه الجرائم الى المسلمين، بل الى المسيحيين الذين انقلبوا مضطهدين لاخوتهم المؤمنين ، بدافع المناصب والمصالح المادية والكبرياء . . .

وهكذا فقد استغلّوا احياناً ثقة الخليفة لخلق الفوضى في الكنيسة بممارسة تأثيراتهم ، او بالقيام باعمال تعسفية ضد اخوانهم المسحيين . فنرى ان راهباً من دير مار متى يُدعى زعورا ، اذ اراد الاستيلاء على اموال ديره ، اتّهم اخوته الرهبان بانهم يمسكون في حوزتهم بجميع كنوز العائلة الاموية المندثرة . وهذا ما ادى بالسلطات الى القبض على رؤساء الاديرة والكنائس والاستيلاء على جميع اموال الوقف . وبلغ بهم الغرور احياناً الى ممارسة تعسفهم حتى على المسلمين انفسهم ، مما ادى الى ردة فعل عنيفة افضت الى اقالة كثيرين من الموظفين المسيحيين من مناصبهم .

١١ . ابرز الكتّاب الشرقيين في هذا العهد

كان النشاط الفكري ما يزال كبيراً في كنيسة المشرق وقد انجب القرن الثامن كتّاباً بارزين نخص بالذكر منهم :

ابراهيم بردشنداد (الاعرج) ، وُلد في قرية بيث صيادي القريبة من اربيل ودرس فيها ، ثم اصبح استاذاً في مدرسة باشوش (شوش الحالية في منطقة عقرة) . وقد درس عليه هناك بطريك المستقبل طيمثاوس الاول . وذهب ابراهيم الى الدير الاعلى في الموصل حيث علّم مدة . وهناك وافاه الاجل في نحو منتصف القرن الثامن . وقد سُمّي هذا الدير باسمه ايضاً ، بالاضافة الى اسم مار كبرئيل . ووضع ابراهيم ، بالاضافة الى نشاطه التعليمي ، كتاباً في النصائح وشرحاً في مؤلفات مرقس الراهب وجدالات ضد اليهود وكتاباً في طريق الملك ومقالات في التوبة ورسائل عديدة[٣١] .

يوسف حزّايا ، هو من كبار اللاهوتيين والمتصوفين في القرن الثامن . لكن الاخبار التي ينقلها لنا كتاب العفة عن حياة يوسف مشوشة كثيراً[٣٢] ، مع ما فيها من

(٣١) طالع عنه **ادب اللغة الآرامية** ، ص ٣١٢ - ٣١٣.
(٣٢) **كتاب العفة** لايشوعدناح البصري ، العدد ١٢٦.

المعلومات النفيسة . ونستخلص منها ان يوسف حزّايا(اي الرائي او البصير) ابصر النور في مطلع القرن الثامن في «بيرس نمرود» وهي بورسيبا القديمة التي تقع اطلالها على مسافة ٣١ كم في الجنوب الغربي من مدينة الحلة القريبة من بابل الاثرية .

تلقى يوسف العلم في دير الانبا صليبا[٣٣] ، تحت ارشاد قرياقوس الذي اصبح بعدئذ اسقفاً لبلد (اسكي موصل) ، وذلك قبل سنة ٧٦٧. وعاش يوسف الى عهد طيمثاوس الاول الكبير الذي اصبح بطريركاً لكنيسة المشرق سنة ٧٨٠. وبلغ نشاطه الادبي ذروته في الحقبة الاخيرة من حياته ، بينما كان يقيم في دير الربان بوختيشوع المدعو «دير مركانا» الواقع بالقرب من قرية زيناي (مخمور) في منطقة حدياب . ويبدو ان كتابات يوسف كانت جريئة لا تساير تماماً المعتقد الشرقي . لذلك تعرّض لمضايقات من قبل السلطة الرسمية في الكنيسة . ويورد لنا كتاب العفة[٣٤] هذه العبارة في سياق حديثة عن اسحق النينوي قائلاً : «بما انه كان من بيث قطرايي ، اظن ان الحسد اثار عليه الرهبان ، كما اثاره على يوسف حزّايا ويوحنا الافامي ويوحنا الدلياثي» . ومما جاء على لسان البطريرك طيمثاوس الاول في حرم هؤلاء الاشخاص الثلاثة الاخيرين يبان انهم كانوا معاصريه او ممن سبقوه بقليل[٣٥] .

اما كتابات يوسف حزّايا فاكثر من ان تُحصَى . وقد ذكر عبديشوع الصوباوي الكثير منها في **فهرسه**[٣٦] . وبقي القليل منها في بعض المخطوطات . وتناول فيها يوسف مختلف نواحي الحياة الروحية ، ولا سيما التأمل (المشاهدة- تيوريا) . وتجدر الاشارة الى ان معظم ما كتبه يوسف قد وُضع باسم عبديشوع اخيه الذي ترهب هو ايضاً في دير مركانا . اما الدافع الذي حدا يوسف الى ذلك فقد يكون تواضعه العميق او رغبته في التستر على اسمه تجنّباً لملاحقات السلطة الكنسية[٣٧] .

يوحنا الدلياثي ، يُعتبر يوحنا دلياثا او الدلياثي اكبر المتصوفين في كنيسة المشرق

(٣٣) هو دير الصليب الكائنة اطلاله بالقرب من قرية بيرستك الواقعة في سفح الجبل ما بين عين سفني والقوش .
(٣٤) العدد ١٢٥.
(٣٥) يقول عبديشوع الصوباوي (في كتابه تنظيم **الاحكام الكنسية** ١،١) : «ان الجاثليق ايشوع برنون رسم يوم الاحد ١٨ حزيران سنة ١١٣٤ يونانية (٨٢٣ م) . وعقد مجمعاً فيه برّأ ساحة هؤلاء الاشخاص الثلاثة : يوحنا الافامي والدلياثي وحزّايا ، وسمح للرهبان بقراءة كتاباتهم ، اذ لم يكن فيها ما يؤخذون عليه». وتجدر الاشارة الى ان الاب فوستي نشر هذا الكتاب في ترجمته اللاتينية سنة ١٩٤٠، ضمن **مصادر الحق القانوني** في الفاتيكان .
(٣٦) انظر الحاقلاني، ص ٥٩-٦١. وقد نشر نصّه السرياني وترجمته اللاتينية في روما سنة ١٦٥٣؛ **فهرس المؤلفين** للصوباوي ، تحقيق وتعريب الدكتور يوسف حبي ، بغداد ١٩٨٦، ص ٧٢ - ٧٣.
(٣٧) طالع عنه **أدب اللغة الآراميّة**، ص ٣٢٢ - ٣٢٨.

في القرن الثامن. وقد خلطه البعض بيوحنا برفنكايي المار ذكره. الا ان يوحنا هذا شخص متميّز كان معاصراً ليوسف حزايا وللبطريرك طيمثاوس الاول.. وقد وردت اشارات اليه في كتاب العفة[٣٨] الذي يقول انه من مقاطعة بيث نوهدرا[٣٩]، وقرأ جميع الكتب في المدرسة واقتبل الاسكيم في دير مار يوزاداق في منطقة قردو في نحو سنة ٧٠٠، وتبع الطوباوي اسطيفانوس الذي كان تلميذ مار يعقوب حزايا وربان افنيماران. ثم خرج من الدير وانطلق فاقام في جبل دلياثا، وكان يقتات بعنب الدوالي عوض الخبز، ومن ثمة اسمه «الدلياثي»، وسمي ايضاً يوحنا سابا (الشيخ) بالنظر الى حكمته الروحية السامية. وقد حرمه البطريرك طيمثاوس الكبير، في المجمع الذي عقده سنة ٧٨٦/٧٨٧، مع آخرين ممن لم يسيروا تماماً حسب نهج كنيسة المشرق، والذين تجلّت في كتاباتهم افكار جريئة لم تقبلها هذه الكنيسة. وقد زاره سليمان اسقف الحديثة (حديثة دجلة) (٧٦٠-٧٨٠) بغية التفاوض او الاسترشاد... ثم غادر يوحنا هذا الموضع، فسكن جبل قردو بجانب قرية اركول القريبة من جبل جودي، حيث شيّد ديراً. وفي هذا الدير وافته المنية[٤٠]ودفن.

يقول عبديشوع الصوباوي، في فهرس المؤلفين[٤١]ان يوحنا الدلياثي وضع كتابين ورسائل شجية في الطريقة الرهبانية. ويكون مجموع ما وضعه ٢٥ مقالة و٥١ رسالة تتطرق الى مواضيع نسكية وتصوفية ساميه جداً (المواهب الالهية، التعزيات الروحية، علم الاسرار، الصراع ضد الشيطان، ممارسة الفضائل، الخ...) الا ان بعضاً من المنوفيزيين قد حرّفوا شيئاً من هذه الكتابات، شأن ما فعلوه بكتابات اسحق النينوي، على حد قول بعض المؤرخين.

ويقول ايشوعدناح البصري، في نهاية ترجمة يوحنا الدلياثي: «ان الكتب التي الّفها لم يقبلها طيمثاوس الجاثليق، وعقد مجمعاً فحرمه، لانه قال في كتابه ان ناسوت ربنا يرى لاهوته»[٤٢]. كما أُلصقت به تهمة «السابلانية» لقوله ان الابن والروح القدس هما قوى وليسا شخصين، وان الكلمة دُعي ابناً ليس لكونه من الآب، بل لأن الآب خلق به كل شيء. الا ان معاصري يوحنا قد اساؤوا فهم افكاره العميقة التي

---

(٣٨) العدد ١٢٧.

(٣٩) وُلد في قرية اردموت، وهي كواشي الواقعة في سفح جبل بيخير في منطقة دهوك.

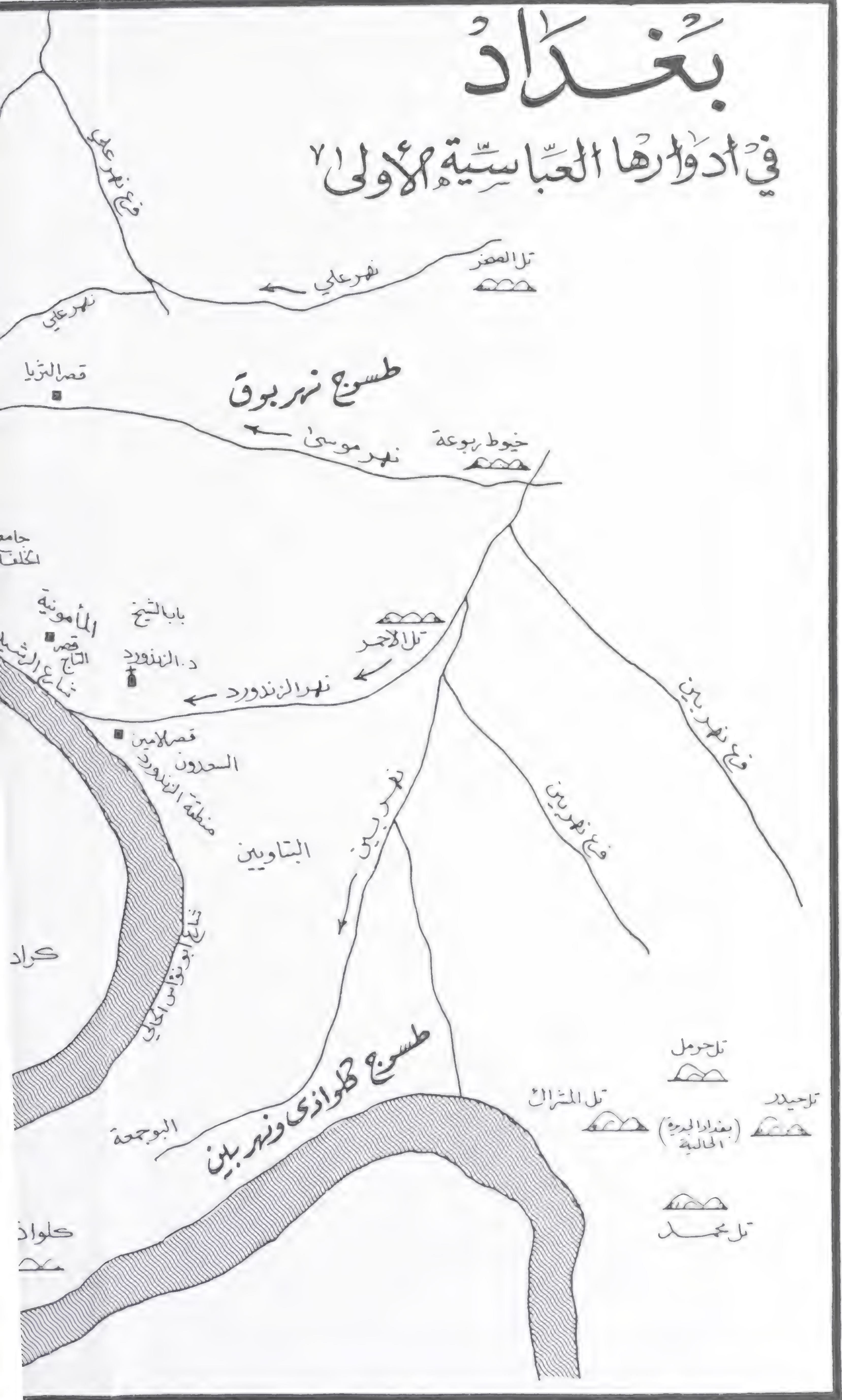
(٤٠) طالع **كتاب العفة**، العدد ١٢٧؛ الأب روبير بيولى الكرملي، في مجلة **كلمة المشرق**، مجلد ٨ لسنة ١٩٧٧/١٩٧٨، ص ٨٧ - ١٦٦.

(٤١) في الحاقلاني، ص ٦٠، حبي، ص ٧٣ - ٧٤.

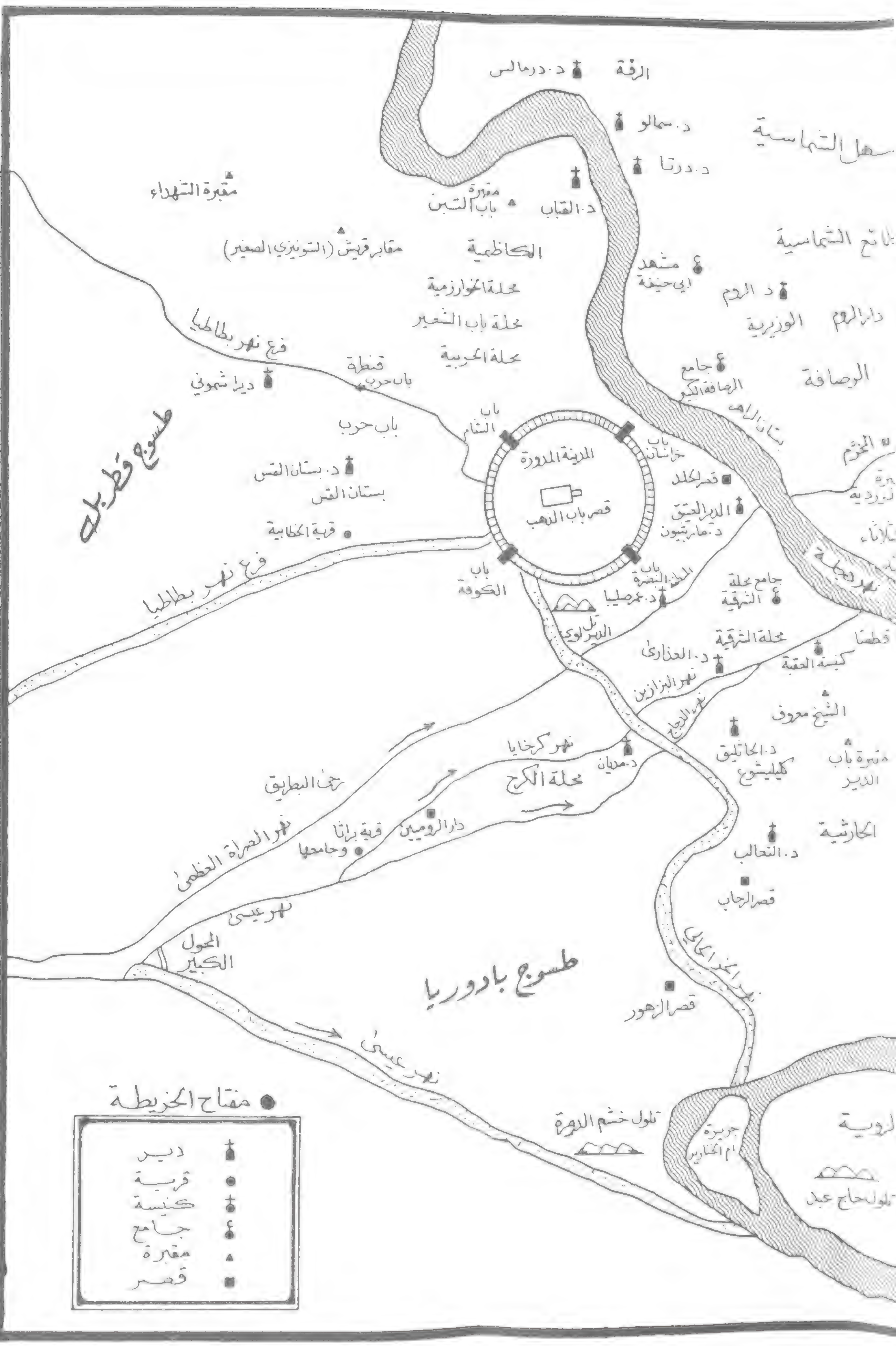
(٤٢) **كتاب العفة**، العدد ١٢٧.

كانت غير مألوفة في كنيسة المشرق . اما من يقرأها الآن على ضوء معطيات اللاهوت التصوفي ، فيتحقق من أنَّ يوحنا كان قد اوغل في التصوف الى درجة سامية وان كتاباته جاءت نتيجة خبرة روحية قلّما عاشها شخص آخر في زمانه(٤٣) .

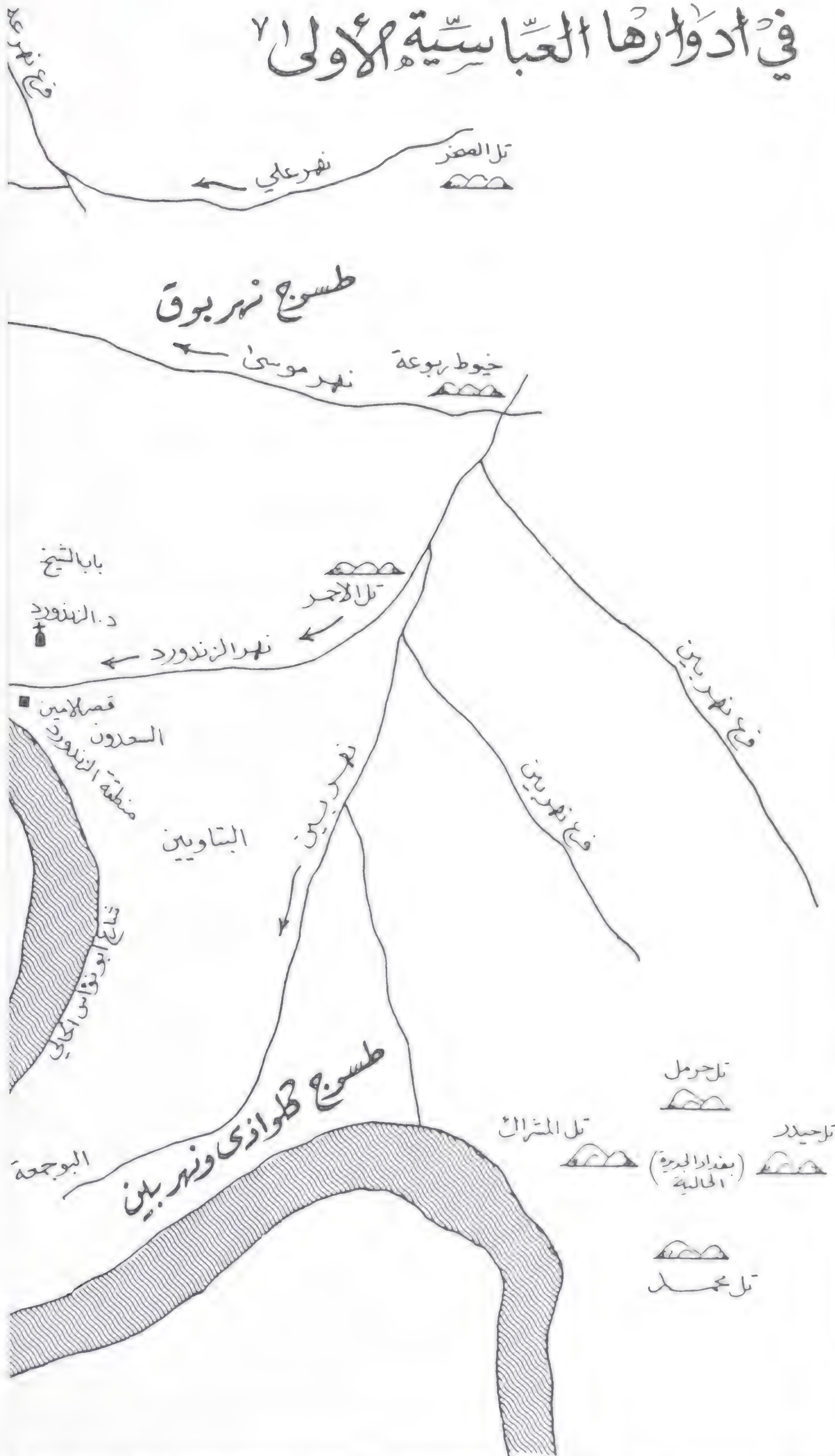
(٤٣) طالع عنه **ادب اللغة الآرامية** ، ص ٣٠٦ - ٣١٠، وقد ترجم الأب سليم دكاش اليسوعي **مجموعة رسائله الروحية** الى العربية ونشرتها دار المشرق في بيروت ، سنة ١٩٨٦ .



بغداد
في أدوارها العباسية الأولى ٢
فرع نهر علي
نهر علي
نهر علي
قصر الثريا
طسوج نهر بوق
نهر موسى
المأمونية
باب الشيخ
قصر التاج
تل الأحمر
د. الزندورد
نهر الزندورد
قصر الأمين
السعدون
منطقة الزندورد
البتاويين
نهر بين
فرع نهر بين
فرع نهر بين
شارع أبو نؤاس الحالي
طسوج كلواذى ونهر بين
البوجمعة
تل حرمل
تل حيدر
(بغداد الجديدة الحالية)
تل محمد



الرقة
د. درمالس
د. سمالو
د. درتا
د. القباب
مقبرة باب التبن
مقبرة الشهداء
مقابر قريش (التونيزي الصغير)
الكاظمية
محلة الخوارزمية
محلة باب الشعير
محلة الحربية
فرع نهر بطاطيا
قنطرة باب حرب
ديرا شموني
باب حرب
د. بستان القس
بستان القس
قرية الخطابية
طسوج قطربل
مشهد ابي حنيفة
د الروم
دار الروم
الوزيرية
جامع الرصافة الكبير
الرصافة
باب الشام
باب خراسان
المدينة المدورة
قصر باب الذهب
قصر الخلد
الدير العتيق
د. مارتبيون
باب الكوفة
باب البصرة
د. عمرصليا
جامع محلة الشرقية
محلة الشرقية
د. العذارى
نهر البزازين
نهر الدجاج
كنيسة العقبة
الشيخ معروف
د. الجاثليق
كليليشوع
مقبرة باب الدير
الحارثية
د. الثعالب
قصر الرجاب
نهر كرخايا
د. مديان
محلة الكرخ
دار الروميين
قرية براثا وجامعها
نهر الصراة العظمى
نهر عيسى
المحول الكبير
طسوج بادوريا
قصر الزهور
تلول خشم الدهرة
جزيرة ام الخنازير
تلول حاج عبد
مفتاح الخريطة
دير
قرية
كنيسة
جامع
مقبرة
قصر



بغداد
في أدوارها العباسية الأولى
تل العقر
نهر علي
فرع نهر عيسى
طسوج نهر بوق
نهر موسى
خيوط ربوعة
باب الشيخ
تل الاحمر
د. الزندورد
نهر الزندورد
قصر الامين
السعدون
منطقة الزندورد
البتاويين
نهر بين
فرع نهر بين
فرع نهر بين
تل حرمل
تل المشرالي
(بغداد الجديدة الحالية)
تل حيدر
تل محمد
البوجمعة
طسوج كلواذى ونهر بين

الفصل الحادي عشر

طيمثاوس الاول الكبير (٧٨٠ – ٨٢٣)

يُعتبر طيمثاوس الاول أَبرزَ شخصية قامت في كنيسة المشرق في العهد العباسي الاول . فهو الاداري المحنَّك والعالم النحرير والسياسي المرن . شمل نشاطه مختلفَ الاصعدة الدينية والمدنية . ومهما اختلفت الآراء حول طريقة بلوغه السدة البطريركية في كنيسة المشرق ، فهو سيظل علماً من اشهر اعلام هذه الكنيسة . فقد عرف ان يبلغ بكنيسته الى اوج مجدها وازدهارها ، وان يذود عنها في الفترات الصعبة التي حاول فيها البعض ان يثيروا عليها عواصف المحن والاضطهادات . وكثيرة هي المصادر القديمة والحديثة التي تناولت حياة هذا البطريرك العظيم ونشاطه الداخلي والخارجي[١] .

(١) اهم هذه المصادر هي : **المجدليان** ، ماري،ص ٧١ – ٧٥؛ صليبا، ص ٦٤ – ٦٦؛ ابن العبري ، **التاريخ الكنسي** ٢، ص ١٦٥ – ١٧٢ و ١٧٩ – ١٨٢؛ توما المرجي ، **كتاب الرؤساء** في الترجمة العربية للاب البير ابونا ، الموصل ١٩٦٦، ص ١٦٣ – ١٦٥؛ السمعاني ، **المكتبة الشرقية** ٣، ١، ص ١٥٨ – ١٦٣؛ بروان ، **البطريرك طيمثاوس الاول ورسائله** ، في **مجلة الشرق المسيحي** ١، لسنة ١٩٠١، ص ١٣٨ – ١٥٢؛ لابور ، **طيمثاوس الاول بطريرك النساطرة**، باريس ١٩٠٤، ص ١ – ١٤؛ بومشترك ، **تاريخ الادب السرياني** ، بون ١٩٢٢، ص ٢١٧ – ٢١٨؛ اورتيزدي اوربينا ، **الباترولوجيا السريانية** ، ط ٢، روما ١٩٦٥، ص ٢١٥ – ٢٢٦؛ منكنا ، **جدال البطريرك طيمثاوس الاول امام الخليفة المهدي** ، ١٩٢٨، ص ١ – ١٥؛ تيسران ، في **معجم اللاهوت الكاثوليكي** ، ١٥، لسنة ١٩٤٦، عمود ١١٢١ – ١١٣٩؛ روفائيل بيداويد ، **رسائل البطريرك النسطوري طيمثاوس الاول** ، روما ١٩٥٦، ص ١ – ٨٧؛ البير ابونا ، **ادب اللغة الآرامية** ، بيروت ١٩٧٠ ص ٣٢٨ – ٣٣٨؛ بوتمان. **البطريرك طيمثاوس الاول او الكنيسة والاسلام في العصر العباسي الاول** ، بيروت ١٩٧٥، ص ١٣ – ٢٣؛ حنا شيخو ، **رسالة طيمثاوس الاول الى سرجيس** ، روما ١٩٨٣، ص ١ – ٤١.



١) نشأته

ابصر طيمثاوس النور في نحو سنة ٧٢٨/٧٢٧ في قرية حزة الواقعة في الجنوب الغربي من اربيل الحالية ، في حضن عائلة نبيلة . ولا تتوفر لدينا معلومات دقيقة حول نشأته الاولى . لكننا نعلم ان عمه كيوركيس كان اسقفاً لبيث بغاش التابعة لابرشية حدياب . فاهتم هذا بتربية ابن اخيه ، وارسله الى مدرسة باشوش الواقعة في المنطقة الجبلية بين نهري الخازر والزاب الكبير . وكان مدير هذه المدرسة ابراهيم بردشنداد الملقّب بالاعرج ، وهو من مشاهير علماء عصره ، وقد تلقى العلم على باباي الجبيلتي .

وعلى ابراهيم تخرج طيمثاوس وايشوع برنون الذي سيخلفه في البطريركية ، وكذلك ابو نوح الانباري الذي اصبح بعدئذ امين سر حاكم الموصل . وكان هذا الاستاذ الكبير يدرّس ، بالاضافة الى العلوم الدينية ، فلسفة ارسطو ، ويدرّب تلاميذه على قراءة الآباء اليونان وترجمة كتاباتهم الى السريانية . وتعلم طيمثاوس في هذه المدرسة ، طوال سنوات عديدة ، العربية واليونانية ، بالاضافة الى السريانية . وتلقى الفلسفة اليونانية وتعليم آباء الكنيسة . وتبع معلمه حينما انتقل الى مدرسة اخرى في منطقة المرج . وقيل انه تبعه ايضاً الى مركزه الجديد في دير مار كبرئيل (الدير الاعلى) في الموصل .

٢) اسقف بيث بغاش

بعد ان اكمل طيمثاوس دراسته ونال قسطاً وافراً من العلوم ، عاد الى عمه الذي كان قد طعن في السن . فاراد هذا ان يُقام ابنُ اخيه خلفاً له على كرسي اسقفية بيث بغاش ، والتمس ذلك من «مارن عمه» مطرافوليط حدياب . الا ان هذا رفض مطلبه في بادئ الامر . ولكن كيوركيس افلح في اقناعه والتأثير فيه بواسطة اصدقاء طيمثاوس ، ولاسيما ابو نوح الانباري . فقبل المطرافوليط ذلك على مضض . وأُقيم طيمثاوس اسقفاً لبيث بغاش خلفاً لعمه في نحو سنة ٧٦٩/ ٧٧٠. ولا نعرف الشيء الكثير عن اسقفيته . انما نعلم ان موسى بن مصعب ، حاكم الموصل ، عامل طيمثاوس كصديق ، وذلك بتأثير ابي نوح الانباري ، واعفى اسقفيتَه من الضرائب المترتبة عليها تجاه الدولة .

٣) انتخابه بطريركاً

كان انتخابه للبطريركية طويلاً وعسيراً ، بالنظر الى اختلاف آراء الناخبين والى كثرة المتنافسين على هذا المنصب . ففي سنة ٧٧٩، توفي البطريرك حنانيشوع الثاني مسموماً . وحسب العادة الجارية ، دعا توما اسقف كشكر الى عقد مجمع انتخابي . فاجتمع الآباء في دير مارفثيون في بغداد . وكان طيمثاوس بين المرشحين . اما المرشحون الآخرون فكانوا : كيوركيس الراهب من بيث حالي ، وايشوعياب اسقف نينوى ، وافرام مطرافوليط عيلام ، وتوما اسقف كشكر .
فشرع طيمثاوس يشقّ طريقه بين هؤلاء المنافسين الاقوياء . فأقنعَ اولاً ايشوعياب بتقدّم سنه ، ووعده بمطرافوليطية حدياب . اما كيوركيس الراهب الذي كان مرشَّحَ الاساقفة والمؤمنين في كشكر ونصيبين ، فقد وافاه الاجل قبل بلوغ الخبر اليه . واما

افرام العيلامي ، فامتنع هو واساقفته من الحضور لأسباب البُعد او الرفض او الاستقلالية التي كانت كنيسة عيلام تميل اليها دوما . وكان توما اسقف كشكر ايضاً يحظى بتأييد مناصرين اقوياء . الا ان طيمثاوس افلح في اقناع الاركذياقون بيروي مع التلاميذ الكثيرين ، واعداً اياهم بمبلغ دسم اذا انتخبوه . واراهم اكياساً اوهَمَهُم بأنها مليئة بالدراهم التي ستكون من نصيبهم إذا هم أيّدوه ، في حين انها كانت مليئة بالحصى . وقد نجح في حيلته هذه ، وتمَّ انتخابه بطريركاً في نهاية سنة ٧٧٩ او مطلع سنة ٧٨٠، بعد شغور الكرسي طوال ثمانية اشهر . وفي ٧ ايار ٧٨٠، سيم بطريركاً في المدائن بوضع ايدي مطرافوليطي دمشق وحلوان وبيث كرماي ، وقيل مرو ايضاً ، بصحبة اساقفة عديدين . وحينما انحى البعض باللائمة على البطريرك الجديد لكونه ابتاع البطريركية بالسيمونية ، اجابهم : «اني لم أشترِ البطريركية ، اذ لم يكن في الاكياس سوى حَصى ، وكان بالاحرى على الذين انتخبوني بدافع المال ان يخجلوا من عملهم هذا»[٢] .

الا ان عواصف المعارضة ثارت ضد البطريرك الجديد . فتزعم يوسف مطران مرو الحزبَ المناوئ ، وانضمّ اليه عدد من الاساقفة . ورسموا رسطم اسقف حنيثا لكرسي حدياب عوض ايشوعياب الذي عيّنه طيمثاوس لهذا المنصب ، حسب وعده السابق له . الا ان رسطم مات بعد مدة قصيرة ، في ظروف مأسوية[٣] ، وتمكن ايشوعياب بعده ان يصبح مطرافوليطاً لحدياب . لكن الحزب المناوئ لطيمثاوس عقد مجمعاً في دير الطين (بيث حالي) القريب من حديثة الموصل ، واقال البطريرك وعيّن عوضه الراهب كيوركيس من بيث حالي ، كما قلنا . لكن هذا توفي قبل تسلمه الكرسي البطريركي . اما سليمان اسقف الحديثة الذي كان قد انضمّ الى المعارضة ، فاستقال من منصبه وانعزل في دير الربان هارون بالقرب من «بلد» (اسكي موصل) . وظل يوسف مطران مرو مصرًّا على موقفه المناوئ للبطريرك . فاضطر هذا الى عزله وتعيين شخص يدعى غريغوريوس عوضاً عنه مطراناً لمرو . فالتجأ يوسف الى الخليفة المهدي ، ولكن دون جدوى . اذ ذاك اعتنق الاسلام . ويقول ماري ان المهدي قلّده بعض اعمال البصرة ، فاقام هناك مدة ، ثم ذهب الى منطقة الروم[٤] .

---

(٢) ابن العبري ، **ت . ك** . ٢، ١٧٠؛ براون ، ص ١٤٠؛ بيداويد ، **الرسائل** ، ص ٣؛ بوتمان ، ص ١٧ حاشية ١؛ حنا شيخو ، ص ١٠، حاشية ٢٦.

(٣) طالع توما المرجي ، **كتاب الرؤساء** في الترجمة العربية ، ص ١٦٦- ١٦٩.

لكن المعارضة لم تنتهِ. فقد اقبل افرام مطرافوليط عيلام (جنديسابور) الى بغداد ، وعقد مجمعاً ضمّ ١٣ اسقفاً في دير مار فثيون في بغداد ، في الاحد الثالث من الصوم سنة ٧٨١، وعزلوا البطريرك طيمثاوس[٥] . وعقد طيمثاوس بدوره مجمعا ضمّ ١٥ اسقفاً حرم فيه افرام ومناصريه . . .

وهكذا طال الخلاف نحو سنتين بعد موت حنانيشوع الثاني ، وعمّ الاستياء بين المؤمنين . فلجأوا الى بعض الاشراف المتنفذين ، امثال عيسى ابي قريش طبيب **الخليفة** المهدي ، وابي نوح الانباري . فتدخلوا لحسم النزاع الذي طال امده ، وتوصلوا الى تحقيق المصالحة بين **البطريرك** والمطرافوليط افرام وانصارهما . ورضي البطريرك بان يتمّ تنصيبه ثانية بين يدي افرام . وجرت الحفلة في كنيسة العباد ، اي في بيعة اصبغ العباد في دار الروم في بغداد . ويقول ماري ان افرام تأثر جداً بتواضع البطريرك ، فركع امامه . اذ ذاك انهضه طيمثاوس وعانقه ، وهكذا تمت المصالحة وتلاشى التمزّق الذي كان يهدّد كنيسة المشرق[٦] .

٤) البطريرك

تلاشت المعارضة وحلّ السلام في كنيسة المشرق ، وعكف البطريرك الجديد ، طوال اكثر من اربعين عاماً ، على ادارة شؤون الكنيسة ، تحت حكم خمسة خلفاء متعاقبين . وعرفت الكنيسة في عهده فترة هدوء وازدهار وامتداد نحو الخارج قلما عرفت لها مثيلاً واقام البطريرك العظيم علاقات حسنة مع المسلمين ومع سائر الفئات المسيحية ، واكتسب احترام الجميع لحسن ادارته ولعلمه الغزير . وبالرغم مما يقوله ماري من ان «طيمثاوس لم يكن يقدر ان يخطب بحضرة الناس» ، فانه يعود ويقول : «له رسائل في كل فن وكتاب **الكوكب**»[٧] . ويطري صليبا علمه الغزير في كل المجالات[٨] . وحينما بلغ من العمر ٩٥ سنة واقتربت ساعة رحيله من هذا العالم ،

---

(٤) ماري في **المجدل** ، ص ٧٢؛ توما المرجي ، **كتاب الرؤساء** ، ص ١٦٩. ويُقال انه في منطقة الروم عاد الى المسيحية .

(٥) يقول البعض ان توما اسقف كشكر هو الذي دعا الى عقد هذا المجمع. الا ان ماري (ص ٧٢) **والمجامع الشرقية** (ص ٦٠٢ - ٢٠٧) يشيران الى ان توما كان قد توفي ، وان شخصاً آخر شغل كرسيه يُدعى شوبح باروبه .

(٦) ماري ، ص ٧٢ - ٧٣.

(٧) ماري ، ص ٧٤.

(٨) صليبا ، ص ٦٥.

اوصى بأن يقام ايشوع برنون خلفاً له . وتوفي طيمثاوس في ٩ كانون الثاني ٨٢٣، ودُفن في دير كليليشوع في بغداد ، وكان قد جدّد هذا الدير واتخذه مقراً لاقامته ، لذا فقد دُعي ايضاً بدير الجاثليق[٩] .

عاش طيمثاوس في ظل خمسة خلفاء عباسيين تعاقبوا على الخلافة في بغداد . لذا يجدر بنا ان نقول كلمة وجيزة في كل منهم ، لكي نهيّئ ارضية صلبة لما سنتطرق اليه من حياة طيمثاوس ونشاطاته وعلاقاته .

٥)المهدي (٧٧٥ - ٧٨٥)

هو ابو عبدالله محمد الملقب بالمهدي . خلف والده المنصور ، ولكنه اختلف عنه كثيراً . فمنذ ان تسلم مقاليد الخلافة ، فتح ابواب السجون ، واطلق سراح نزلائها . وقد استفاد من هذه الرأفة البطريرك المنوفيزي جرجس الذي كان في السجن منذ تسع سنين[١٠] ، وكذلك يوحنا مطرافوليط نصيبين النسطوري الذي كان مسجوناً في الموصل مع عدد من اعيان المسيحيين . الا ان المهدي ، احتراماً لاوامر والده الراحل ، لم يسمح لجرجس بحمل لقب البطريرك[١١] . وقد اظهر المهدي هذه الجودة طوال حياته . فيقول المسعودي : «انه كان محبّباً الى العام والخاص ، لانه افتتح امره بالنظر في المظالم ، والكف عن القتل ، وأمن الخائف ، وانصاف المظلوم ، وبسط يده في العطاء ، فأذهب جميع ما خلفه المنصور ، وهو ٦٠٠ الف درهم و١٤ الف الف دينار . . .»[١٢] . ولم ينفق هذه الاموال على الجيش والشؤون العامة للدولة حسب ، بل بذرها ايضاً على المغنيات والنساء وعلى المتزلفين[١٣] . وكان المهدي يعتقد ايضاً بالعرافة والفأل والتنبؤات حول المستقبل وبجميع كتب السحر[١٤] .

(٩) طالع الشابشتي ، **الديارات** ، تحقيق كوركيس عواد ، ط ٢، بغداد ١٩٦٦، ص ٢٨ - ٣٢ **والذيل** ٦، ص ٣٤٧ - ٣٥٢.

(١٠) **تاريخ الرهاوي المجهول**، المطبوع في لوفان سنة ١٩٥٣، ١، ص ٣٤٠، وترجمته اللاتينية ، لوفان ، سنة ١٩٥٦، ص ٢٦٦.

(١١) **تاريخ ميخائيل السرياني** (م . س .) ٣، ص ٣ - ٤؛ ابن العبري ، **التاريخ الكنسي** ١، ٣٢٨.

(١٢) المسعودي ، **مروج الذهب** ، ط ٤، مصر ١٩٦٤، ٢٣، ص ٣٢٢؛ **التنبيه والاشراف** ، بيروت ١٩٦٨، ص ٢٩٧.

(١٣) تاريخ الرهاوي المجهول ١، ص ٣٤٠، والترجمة ٢٦٦.

(١٤) ابن العبري ، **التاريخ السرياني** (ت . س .) ، طبعة بيجان ،باريس ١٨٩٠، ص ١٢٦.

وكان له منجّم خاص هو تيوفيلس بن توما الخلقيدوني . وقد تنبأ هذا ان موت الخليفة سيتبع موته الخاص عن كثب . وهذا ما تحقق بالفعل[١٥] .

وجرت علاقات بين المهدي والامبراطور البيزنطي لاون . فطلب المهدي اليه ان يرسل له الكتب العلمية اليونانية القديمة . وهكذا فان حركة الترجمة التي ابتدأت في عهد المنصور منذ تأسيس بغداد ازدادت واتّسعت في عهد المهدي . فقام تيوفيلس نفسه بترجمة مؤلفات هوميروس وبعض كتب ارسطو من اليونانية الى السريانية . ونعلم ان السريان كانوا منذ عهد بعيد قد شرعوا بترجمة الكتب اليونانية الى لغتهم وبتعليمها في مدارسهم . وأجريت النقول العربية الاولى على الترجمات السريانية ، واحياناً على النص اليوناني رأساً . وهكذا فقد كان دور المسيحيين السريان كبيراً في نقل الحضارة والثقافة والعلوم الاغريقية الى العرب . وسنتكلم عن ذلك في موضع لاحق . ولكن سيأتي زمان ، في عهد الخليفة المتوكل فيه سينظر العرب المسلمون الى دخول هذه العناصر الغريبة في الفكرة الاسلامية نظرة سلبية ، وسيرون فيها عنصراً هدّاماً لفكرتهم الدينية . وبتأثير هذه الترجمات ، نشأ تيار جديد في الاسلام في المنصور والمهدي أُطلق عليه اسم «الشعوبية»[١٦] .

وكان للمهدي طبيبه المسيحي الخاص وهو موسى بن اسرائيل الكوفي . كما كان للخيزران ، زوجة المهدي المفضّلة ، صيدلاني خاص هو عيسى ابو قريش ، يحظى بنفوذ كبير في البلاط ، ويحمي بني مذهبه ، ويدافع عن حقوقهم . وكان له صيدلية بالقرب من احد ابواب البلاط . ويروى[١٧] ان جارية اقبلت اليه في احد الايام من سنة ٧٦٠ وهي تحمل قنينة تحتوي على ادرار . وطلبت من الصيدلاني ان يكشف لها عن المرض الذي تعاني منه صاحبته ، دون ان تكشف له عن اسمها . فتظاهر ابو قريش بفحص السائل ، ثم قال للجارية : «ان هذه السيدة حامل ، وستلد ولداً ذكراً سيرتقي ارفع المناصب ، وسيحكم يوماً» . ويا لارتباك الصيدلاني المسكين حينما باحت له الجارية بان صاحبة الادرار ليست الا الخيزران ، حظية الامير ولي العهد ، الذي سيصبح الخليفة المهدي . . . فاستحوذ الهلع على المتطبب ، وشرع يلجأ الى الاديرة والكنائس ويرفع الصلوات الحارة ويقوم بالاصوام والنذور الى اليوم المنتظر . . . ولحسن

(١٥) الموضع عينه ، ص ١٢٧.

(١٦) طالع عبدالله سلوم السامرائي ، **الشعوبية** ، بغداد ١٩٨٠؛ عبد العزيز الدوري ، **الجذور التاريخية الشعوبية** ، بيروت ١٩٦٢.

(١٧) ابن العبري ، **ت . ك** . ٢، ١٦٤ - ١٦٦.

حظه فقد وُلد موسى سنة ٧٦١، وهو الذي سيصبح الخليفة الهادي . وعلى اثر هذا الحادث السعيد ، استُقبل عيسى ابو قريش في البلاط بحفاوة واكرام ، وقُدّمت له هبات نفيسة ، وأُعلن طبيبَ الاميرة الخيزران الرسمي ، وحظي بنفوذ كبير في البلاط حينما اصبح المهدي ، والد موسى ، الخليفةَ في بغداد ، والخيزران زوجته ملكةَ القصر ذات النفوذ الواسع .

واول عمل قام به عيسى ابوقريش هو الحصول من المهدي على السماح بانتخاب بطريرك جديد لكنيسته المشرقية[١٨] . وكان ثمة مرشحان لهذا المنصب : حنانيشوع اسقف لاشوم[١٩] ، وكيوركيس الراهب من دير بيث حالي . وكان كل منهما يحظى بتأييد حزب من الكنسيين والعلمانيين . ولما لم يسفر المجمع الانتخابي المنعقد في دير مارفثيون في بغداد عن نتيجة حاسمة ، اضطروا الى رفع القضية امام المهدي . ويبدو ان المهدي ، بعد ان دعا المرشَّحَين الى الاسلام - حسب العادة المألوفة آنذاك - ورفضا العرض ، عكف على طرح اسئلة دينية عليهما ، منها هذا السؤال الغريب : «من أي خشب كانت عصا موسى ؟» وبالرغم من ان كيوركيس احسن الجواب (من خشب اللوز) ، الا ان هيئة حنانيشوع وجلاله - ولا شك تأثير ابي قريش ايضاً - دفعا الخليفة الى تفضيله على منافسه . فاختير حنانيشوع بطريركاً ، وعُهد الى الوزير الربيع بن يونس بتنفيذ هذا القرار . وكان ذلك في مطلع عهد المهدي .

لقد قيل ان المهدي اضطهد المسيحيين احياناً[٢٠] ، وانه ارسل «المُحتَسِب» لهدم الكنائس التي بُنيت في عهد العرب ولبيع عبيد المسيحيين . وقد هدم الكثير من الكنائس وفرّ العديد من العبيد . وجرى هذا الامر في منطقة حلب . وهناك ايضاً اضطرّ المهدي سنة ٧٧٨ نحو ٥٠٠٠ شخص من العرب المسيحيين من بني تنوخ الى اعتناق الاسلام . ويُذكر ههنا ايضاً استشهاد شخص يُدعى «ليث»[٢١] . ويضع ميخائيل السرياني هذه الاحداث في سياق ردة فعل الخليفة تجاه الزنادقة ولا سيما المانويين . ويبدو ان ذلك كان نتيجة اخفاق الخليفة امام الامبراطور البيزنطي لاون الرابع ، وان هذا الاضطهاد لم يشمل سوى بعض الفئات المسيحية الساكنة قرب

---

(١٨) صليبا هو الوحيد الذي يضع هذا الانتخاب في عهد المنصور . اما ماري وعمرو (في ملحق صليبا، ص ١٢٩) فيضعانه في عهد المهدي ، وكذلك ايليا النصيبيني الذي يضعه في سنة ٧٧٥، اي في مطلع عهد المهدي .

(١٩) موضع يقع على بعد ١٢ كم من داقوق (طاووق) في منطقة بيث كرماي (كركوك) .

(٢٠) طالع م . س ٣، ص ٣.

(٢١) الموضع عينه ، ص ٣٧٨ - ٣٨٠.

الحدود البيزنطية . الا ان هذه الاجراءات كانت استثنائية ، ويمكننا القول ان موقف المهدي كان يتّسم بكثير من التسامح تجاه المسيحيين . وسنرى ذلك واضحاً في علاقاته الودية مع البطريرك طيمثاوس الاول الكبير .

وبينما كان المهدي سائراً الى طَبرستان ، ومعه ابنه الاصغر هارون ، وافته المنية في ظروف غامضة في الرذ في ٤ آب ٧٨٥[٢٢] . وقيل ان موته كان نتيجة سقوطه من فرسه وهو يلاحق غزالاً . وتشير رواية اخرى الى تسممه ، حيث وقع ضحية للمنافسة والحسد بين جواريه . وربما كان لموسى الهادي واعوانه دورٌ في انهاء حياة الخليفة الذي اخذ يميل الى هارون (الرشيد) دون موسى الهادي ابنه البكر ، وذلك بتأثير من الخيزران التي كانت تفضّل هارون على موسى .

٦) الهادي (٧٨٥ - ٧٨٦)

خلف اباه المهدي . ولم تدم خلافته سوى سنة[٢٣] ، وتوفي وهو في السادسة والعشرين من سنه . ويصفه المسعودي بقوله : «كان موسى قاسي القلب ، شرس الاخلاق ، صعب المرام ، كثير الادب ، محباً له ، وكان شديداً ، شجاعاً ، جوّاداً ، سخياً»[٢٤] .

وكان المهدي قد بذر بذور الشقاق بين الاخوين ، موسى (الهادي) وهارون (الرشيد) . ومع ان هارون قد اخذ البيعة لأخيه ، فكان موسى يبحث عن ابعاد هارون عن ولاية العهد وتعيين ابنه الصغير لذلك . ولم يمض وقت طويل حتى تأزمت العلاقات بين الهادي وامه الخيزران . فمنعها من التدخّل في شؤون السياسة والادارة ومن عقد الاجتماعات[٢٥] . وأدّى به الامر الى احتجاز هارون اخيه مع مستشاره يحيى البرمكي ، وقد عزم على قتلهما . الا ان المنية عاجلته قبل تنفيذ خطته ، وذلك في ظروف غامضة . فيقول ماري[٢٦] : «خرج (الهادي) الى الموصل . فلما صار بالحديثة ، امر بكسر تابوت بعض الشهداء ورميه في الماء . فتألم

---

(٢٢) فاروق عمر ، **العباسيون الاوائل** ٢، ص ٢٢٢.

(٢٣) ويقول المسعودي في **مروج الذهب** ٣، ص ٣٣٤ سنة وثلاثة اشهر ، وفي **التنبيه والاشراف** يقول : «كانت خلافته سنة وشهراً وخمسة وعشرين يوماً» ، وهو يصف هنا ايضاً هيئته الخارجية ، ص ٢٩٧.

(٢٤) **مروج الذهب** ٣، ص ٣٣٥.

(٢٥) فاروق عمر ، **العباسيون الاوائل** ٢، ص ٢٢٤.

(٢٦) **المجدل** ، ص ٧٣.

في عينيه وصداع شديد . فأمر بتركه . وعاود وعاوده ثانية وثالثة هكذا وعاد من مطلبه واعتلّ ومات ، ومدته ثلثة عشر شهراً» . ويقول الدكتور فاروق عمر[٢٧] : «ازدادت الازمة بين الهادي والخيزران سؤا خاصة بعد عودته من رحلة الى حديثة الموصل ، وكان في صحة جيدة وفي مقتبل العمر(٢٧ سنة !) ، حيث ان قلقها كان ظاهراً على ابنها المحبوس هارون . وفجأة يقع الهادي مريضاً في الفراش . فتنتهز الخيزران الفرصة وتأمر خدمها بخنقه او سمّه» . وقيل ان جارية له سمته بطريق الخطأ . اما المسعودي[٢٨] ، فيروي ان الهادي مات وامه عند رأسه وهو ممسك بيدها واضعاً اياها على صدره . . . ويبدو ان الرواية التي تشير الى دور الخيزران في موت الهادي اقرب الى الصحة ، بالنظر الى جميع الظروف التي ادت الى تلك الازمة بين الام وابنها البكر .

٧) هارون الرشيد (٧٨٦ – ٨٠٩)

ما ان مات الهادي ، حتى تولى الخلافة اخوه هارون المسمى بالرشيد . وفي اليوم ذاته وُلد ابنه المأمون . فجاءت على لسان الشاعر «الصولي» هذه الجملة الشهيرة : «في ليلة ، مات خليفة ، وقام خليفة ، وولد خليفة»[٢٩] . وامضى هارون سني خلافته الاولى تحت وصاية امه الخيزران . وبهذا المعنى يقول المسعودي[٣٠] : «تسلط على الامور بعد مدة من خلافته» ، اي بعد موت الخيزران سنة ١٧٣ هـ/٧٨٩ م[٣١] . ويُقال ان الرشيد كان يشبه جده المنصور في نواح كثيرة . فكان رجلاً دقيقاً وسياسياً قديراً[٣٢] ، ومتديناً يقوم بمائة ركعة كل يوم ، ويتصدّق بألف درهم[٣٣] . حجّ الى مكة ثماني مرات ، وفي كل مرة كان يقوم بحملة ضد البيزنطيين ايضاً . وكان موقفه من المسيحيين ، لا سيما سكان الحدود البيزنطية ، يختلف حسب نجاحه او اخفاقه في هذه الحملات . وكان هارون قد قام بحملة ضد البيزنطيين وهو دون سن العشرين ، وقد ارسله ابوه المهدي ، بمعية خالد البرمكي ، الى محاربتهم في البوسفور . الا ان

(٢٧) **العباسيون الاوائل** ٢، ص ٢٢٦.
(٢٨) **مروج الذهب** ٣، ص ٣٤٣.
(٢٩) السيوطي ، **تاريخ الخلفاء** ، القاهرة ١٩٦٤، ص ٢٨٣؛ ابن العبري ، **تاريخ مختصر الدول** (ت . م . د) ، ص ٢٢٣؛ بوتمان ، ص ١٣٥.
(٣٠) **التنبيه والاشراف** ، ص ٢٩٩.
(٣١) **مروج الذهب** ٣، ص ٣٤٨.
(٣٢) بوتمان ، ص ١٣٥
(٣٣) السيوطي ، ص ٢٧٤؛ ابن العبري ، **ت . م . د** ، ص ٢٢٥.

الانتصار الكبير الذي احرزه هارون عليهم كان سنة ٧٩٧/٧٩٨ في عهد ملكتهم ارينه[٣٤]. ثم دارت حروب اخرى بينه وبين نقفور، لم يكن النصر فيها دوماً حليفَ هارون. ومن ثمة موقفه المعادي للمسيحيين الساكنين في الحدود البيزنطية وامره بهدم الكنائس. ويقول الرهاوي المجهول: «عندما استتب له الملك، اظهر عنفاً وقساوة على المجرمين، فخيّم السلام منذ مطلع عهده»[٣٥]. وكان موقفه تجاه المسيحيين متسامحاً ورحوماً عامة. فينقل لنا الرهاوي المجهول هذه الحادثة قائلاً: «في سنة ٧٩٧، قدم الملك هارون ليجتاز الى بلاد الروم، ومرّ بالرها. فاجتمع مسلمو المدينة ووشوا بالمسيحيين، متهمين اياهم بالتجسس لحساب ملك الروم، وادّعوا ان ملك الروم يأتي سراً كل سنة لاقامة الصلاة في كنائسهم. وكانوا يطالبون بهدم الكنيسة الكبرى وبابطال الناقوس. غير ان الواشين طُردوا، ولم يلقَ كلامُهم اذناً صاغية، بتدخل يحيى – وهو ابن خالد البرمكي – كاتب هارون الذي اشار عليه بعدم الانصياع لهم»[٣٦].

اجل، لقد كان للبرامكة دور كبير في ادارة دفة الامور في الدولة وتأثير عميق في تصرفات الرشيد. فمنذ سنة ٧٨٠، كان يحيى ابن خالد البرمكي قد سكن مع ذويه حارة ارستقراطية من بغداد الشرقية هي الشماسية (الصليخ) واسكنوا فيها فرقة من الروم المسبيين. فأُطلق على مقرهم اسم «دار الروم»، ثم اصبح اسمه «دير الروم» بعد ذلك العهد. وكان للبرامكة صلات عميقة بالمسيحيين. ويقول المسعودي: «كان يحيى بن خالد ذا علم ومعرفة، وبحث ونظر»[٣٧]. وجمع البرامكة حولهم العديد من المترجمين. وفي عهدهم تأسست «خزانة الحكمة» التي اصبحت فيما بعد نواة لاكاديمية الترجمة التي عُرفت باسم «بيت الحكمة»[٣٨]. ويحيى هوالذي استقدم للمستشفى الذي اسسه في بغداد طبيبا هندياً. وفي سنة ٧٩١، استخدم جعفر البرمكي جبريل بن بختيشوع طبيباً لديه. وقد لعب هذا الطبيب النسطوري دوراً كبيراً لدى هارون الرشيد نفسه. ومن جنديسابور اقبل ماسويه ابو يوحنا لمعالجة الرشيد، وقد اصبح اول مدير لاول مستشفى في بغداد. وصار ابنه يوحنا ماسويه

---

(٣٤) **م. س ٣**، ص ٥٠٣؛ ابن العبري، **ت. م. د**، ص ٢٢٣.

(٣٥) **تاريخ الرهاوي المجهول** ٢، تعريب الأب البير ابونا، بغداد ١٩٨٦، ص ١٣.

(٣٦) الموضع عينه، ص ١٤.

(٣٧) المسعودي، **مروج الذهب** ٣، ص ٣٧٩.

(٣٨) كوركيس عواد، **خزائن الكتب القديمة في العراق**، بغداد ١٩٤٨، ص ١٠٥ – ١١٢؛ سعيد الديوه جي، **بيت الحكمة**، ط ٢، الموصل ١٩٧٢.

(ابو زكريا) رئيس المترجمين في عهد المأمون ، وخدم المتوكل حتى وفاته في سامراء سنة ٨٥٧.

سعى الرشيد في جمع المخطوطات وشرائها من المنطقة البيزنطية . وعكف المترجمون المسيحيون على نقل الكثير منها الى العربية . وسنتكلم عن هؤلاء المترجمين في موضع لاحق .

الا ان الرشيد غضب على البرامكة ، بدافع الخوف او الطمع او الانتقام لقضية العباسة اخته التي تزوجت سراً من جعفر البرمكي . وقضى على معظمهم سنة ٨٠٣. اما الطبيب جبريل بن بختيشوع ، فقد استُدعيَ الى البلاط كطبيب خاص لهارون ، ورافقه في جميع أسفاره ، وصار محامياً قديراً في البلاط للمسحيين . الا انه في النهاية اختلف مع البطريرك طيمثاوس الاول . فان جبريل ، مثل الجوهري الثري عون العبادي في الحيرة ، اتّخذ له جواري اسوة بالمسلمين . ولما أنّبه البطريرك ، رفض ان يطيع ، بل شتم البطريرك ، مما جلب على ذاته لعنةَ طيمثاوس . ولدى عودته الى البيت ، سقط من الحصان وتكسرت اطرافه . فاضطر الى اللجوء الى البطريرك وطلب المغفرة والشفاء منه ، فأبرأه بعد ان فرض عليه ثلاثة ايام من الصوم الصارم ومن التوبة . وقد استمر جبريل في ممارسة مهنة الطب في عهد الامين ايضاً .

وكانت زبيدة زوجة الرشيد وام الامين سنداً فعّالاً للمسيحيين في البلاط ومحسنة كبيرة الى الكنائس والاديرة . ويقول عنها ماري : «كانت زبيدة ام الامين تكرّم طيمثاوس كثيراً وتميل الى النصارى وتستخدمهم ، واخرجت توقيع الرشيد باعادة المستهدم من الدير وتوسيعه ، وعملت اعلام الشعانين وصلبان من ذهب وفضة ، وعاونت سرجيس مطران البصرة على بناء البيع وعضدت جبريل الطبيب في خطابه في ذلك»[٣٩] . وتختلف الروايات حول طلاقها ودور طيمثاوس في اعادتها الى وضعها الشرعي . مهما يكن من امر ، فانها احتفظت في قلبها باحترام عميق للبطريرك وعملت جهدها في مساعدته في شتى المجالات .

كان عهد الرشيد من ألمع العهود العباسية على مختلف الاصعدة ، فيه ازدهرت العلوم وكثرت الترجمات ، وفيه ساد الرخاء والسلام . وضُرب المثل بأبهة البلاط ومجده . انه عصر الف ليلة وليلة ، عصر البذخ والجواري ، وعصر الحرية والاستقرار ، وعصر العلاقات الواسعة مع العالم الخارجي ، حتى قيل ان الرشيد

(٣٩) ماري في **المجدل** ، ص ٧٣.

تبادل الهدايا مع شارلمان امبراطور الغرب الكبير . ويقول المؤرخون ان عدد سكان بغداد بلغ في عهد الرشيد نحواً من مليون نسمة .

وتوفي هارون الرشيد في قرية سناباد من طوس من اعمال خراسان سنة ٨٠٩، بعد ان حكم ٢٣ سنة وشهرين وستة عشر يوماً ، وكان لدى وفاته ابن اربع واربعين سنة[٤٠] .

٨) الامين (٨٠٩ – ٨١٣)

هو ابو موسى محمد الذي اتخذ اسم «الامين» ، ابن هارون من زبيدة . خلف اباه سنة ٨٠٩ وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وكان اصغر من المأمون بستة اشهر . ويقول عنه المسعودي : «انه كان في نهاية الشدة والقوة والبطش والبهاء والجمال ، الا انه كان عاجز الرأي ، ضعيف التدبير ، غير مفكّر في أمره»[٤١] . اما الرهاوي المجهول[٤٢] فيقول ان هارون كتب وصية امر فيها بان يملك بعده ابنه محمد (الامين) الذي انجبته له زبيدة ، وتركه في بغداد ، وجعل ابنه القاسم على سوريا ، وانزل معه الى بلاد فارس ابنه المأمون المدعو عبدالله . وقد اوصى هارون بان تكون المملكة لاولاده الثلاثة بالتعاقب ، اولاً لمحمد ، ثم لعبدالله المأمون ، وبعده للقاسم . الا ان الامين ، ما ان استولى على زمام الملك في بغداد ، حتى شاء مبايعة ابنه موسى من بعده بالملك . وهذا ما اثار المأمون واغاظه كثيراً . ودارت حروب طاحنة بين انصار الامين والمأمون[٤٣] دامت نحو ثلاث سنين ، الى ان تم النصر لجيوش المأمون ، فقطعوا رأس الامين في بغداد وارسلوه الى المأمون في خراسان . وكان الامين شهوانياً يميل الى اللهو وسفّاكاً للدماء ، يركب هواه ويهمل امره[٤٤] .

لم يتح للامين حكمُه القصير ان يتّخذ موقفاً واضحاً من المسيحيين . انما يظهر عادلاً نحوهم . فقد امر بتنفيذ ما كان الرشيد قد رسمه بارغام حمدون بن علي باعادة بناء البيع في البصرة[٤٥] . واقام في الحيرة لدى عون الجوهري المسيحي مدة ثلاثة

---

(٤٠) المسعودي ، **التنبيه والاشراف** ، ص ٢٩٩؛ **تاريخ الرهاوي المجهول** ٢، ص ١٩.
(٤١) **مروج الذهب** ٣، ص ٤٠٣.
(٤٢) **تاريخ الرهاوي المجهول** ٢، ص ١٩.
(٤٣) السمعودي ، **التنبيه والاشراف** ، ص ٣٠٠ – ٣٠١؛ **مروج الذهب** ٣، ص ٤٠٦ – ٤٢٢؛ ابن العبري **ت . م . د** ، ص ٢٣٠ – ٢٣٢.
(٤٤) المسمعودي ، **التنبيه والاشراف**، ص ٣٠٢.
(٤٥) ماري في **المجدل** ، ص ٧٣.

اشهر . وادنى منه جبريل بن بختيشوع واقامه امين سره . وقد اصبحت اموال جبريل وممتلكاته عرضة للسلب والنهب في الحرب والفتن التي جرت ضد سيده في بغداد وفي المناطق الاخرى . ودارت احدى المعارك بين انصار الامين وانصار المأمون في القطاع المسيحي الواقع شمالي بغداد الشرقية ، عند باب الشماسية . وربما انهم استخدموا في هذه المناسبة قطع عواميد بعض الكنائس لقذفها في المجانيق ضد الاعداء ، اذ ليس في بغداد حجارة(٤٦) .

٩) عبد الله المأمون (٨١٣ - ٨٣٣)

هو عبدالله بن هارون ، ويُكنّى ابا جعفر . تولى الخلافة بعد اخيه الامين . ولكنه مكث بضع سنوات في بلاد خراسان . ولم يدخل بغداد الا سنة ٢٠٤ هـ/٨١٩ م . وتوفي في ارض الروم (الرقة) سنة ٢١٨ هـ/٨٣٣ م . ويصفه المسعودي بقوله : «كان كاملاً عالماً جوّاداً عظيم العفو ، كريم المقدرة ميمون النقيبة حسن التدبير ، جليل الصنائع . . . وربما حرّك فيه الغضب فعجّل بالعقوبة»(٤٧) . ويقول الرهاوي المجهول بدوره : «كان المأمون رجلاً حكيماً فصيحاً ماهراً في علم الفلك والنحو ، وكان قد صنف كتاباً عجيباً في علم الفلك ما زال شهيراً عند علماء الفلك»(٤٨) .

الا ان السنوات التي دارت فيها الحروب بين الامين والمامون ، وتلك التي تلتها قبل مجيء المأمون الى بغداد ، كانت مليئة بالفتن والحروب والاضطرابات في مختلف ارجاء الدولة ، لا سيما في قسمها الغربي . وفيها عانى المسيحيون من حالة الفوضى هذه التي عمّت المناطق ومن المنازعات بين مختلف الحكام والامراء . وقد روى الرهاوي المجهول نتائج هذه الاضطرابات على المسيحيين في الرها وحران وغيرهما من البلدان(٤٩) .

وفي عهد المأمون ، بلغت ذروتَها حركةُ الترجمة الى العربية التي كانت قد ابتدأت منذ عهد المنصور ، كما قلنا سابقاً . وكان للخليفة صلات عديدة بالاباطرة الروم(٥٠) فطلب منهم ان يسمحوا لوفد من العلماء العرب والسريان بالتوجه الى منطقتهم لجمع

(٤٦) **م . س .** ٣، ص ٣٠؛ ابن العبري، **التاريخ السرياني (ت . س .)**، ص ١٣٨.
(٤٧) **التنبيه والاشراف**، ص ٣٠٤.
(٤٨) **تاريخ الرهاوي المجهول** ٢، ص ١٩.
(٤٩) المصدر نفسه، ص ٢٢ - ٢٥.
(٥٠) ونُقل عن المأمون انه اوعز الى جماعة من حكماء عصره فوضعوا له خارطة العالم التي نُسبت اليه ودُعيت «الصورة المأمونية» وقد فاقت هذه الصورة ما تقدّمها من دراسات في جغرافية العالم على عهد بطليميوس=

المخطوطات الخاصة بالفيزياء والهندسة والطب ، وان يرسلوا الى بغداد عالماً بالرياضيات شهيراً يُدعى «لاون» . والمأمون هو الذي أسس «بيت الحكمة» على غرار الاكاديمية السريانية في جنديسابور . وكان في بادئ الامر معظم المترجمين مسيحيين من الملكيين والمنوفيزيين ولا سيما من علماء النساطرة . وبفضلهم اجتازت العلوم اليونانية الى العرب ، ومنهم ستعود بعد ذلك الى اوربا من جديد . وقد لقّب بعض المؤرخين المأمون باستاذ الحضارة العربية .

وكان المأمون ذا عقل مُنفتح . واتّسمت سياسته الدينية بالتسامح وبحرية كبيرة في الرأي والتعبير .وثقافته الواسعة جعلته في احتكاك متواتر مع مختلف فئات العلماء ، من مسلمين ومسيحيين . وغالباً ما كانت النقاشات تدور حول مواضيع دينية أو فلسفية أو سياسية ، مع توفير حرية التعبير لمختلف الفئات والشيع ، الامر الذي سبّب شيئاً من عدم الارتياح في الاوساط المسلمة المتزمتة . وكان الخليفة ذاته ، بتأثير من امه وزوجته الفارسيتين ، يميل الى الشيعة . واذا به يعلن يوماً استبدال اللون الاسود الرسمي باللون الاخضر للشيعة[٥١] ، مما اثار استياء الناس . وكان ثمة تيار آخر يستهوي الخليفة هو تيار «المعتزلة»[٥٢] . وبرضاه اعلن القاضي الكبير ابو داود ، وهو معتزلي حميم ، ان القرآن ، مع كونه ملهماً ، مخلوق ، وان الحرية الانسانية لا تُلغَى من جراء سبق معرفة الله . وأنشأ المأمون نوعاً من محاكم «التفتيش» تُدعى «المحنة» ، فيها يُبدي العلماء المسلمون معتقدهم ، ويُقضى على المارقين المنحرفين . وكان تبنّي المذهب المعتزلي نتيجة دخول الفلسفة في الفكرة الاسلامية ، من جراء حركة الترجمة التي فيها كان المسيحيون يتحملون القسط الاكبر من المسؤولية . لذا فان ردة الفعل السنّية ستشملهم بنقمتها الغاضبة لدى موت الخليفة المأمون . وهكذا راح ضحيتها العديد من المسيحيين في مناطق دارا ونصيبين وآمد ورشعينا[٥٣] .

وغيره من جغرافيي اليونان ، وقد وضع له علماء الهيأة والجغرافية - وكانوا سبعين رجلاً من فلاسفة العراق - كتاباً في الجغرافية اعان عمال الدولة على تعرف البلاد والأمم التي كانت خاضعة للدولة العباسية (الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة ، **دليل خارطة بغداد** ، بغداد ١٩٥٨، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٥١) المسعودي ، **التنبيه والإشراف** ، ص ٣٠٢.

(٥٢) المعتزلة سموا بهذا الإسم لأن زعيمهم ، واصل بن عطاء (ت ٧٤٨) اعتزل عن الحسن البصري (ت ٧٢٨) ، وهم جماعة من المسلمين اعتمدوا المنطق والقياس في مناقشة قضايا الكلام . واهم تعاليمهم :
١. ان مقترف الكبيرة ليس بالكافر ولا بالمؤمن ، بل في منزلة بين المنزلتين .
٢. حرية الإختيار ، اي ان الإنسان ذو ارادة حرة وليس مجبراً على اتيان اعماله .
٣. خلق القرآن . . . كما انهم ناقشوا قضايا التوحيد والعدل والصفات الالهية . . .

(٥٣) **تاريخ الرهاوي المجهول** ٢، ص ٤٢ - ٤٣ .

الفصل الثاني عشر

طيمثاوس الاول ، العالم والاداري والسياسي

١ . طيمثاوس العالم

قلنا ان طيمثاوس تلقى العلم على ابراهيم بردشنداد . ولم تشغله مهامه الرفيعة في الكنيسة عن توسيع آفاقه العلمية ، بل امتدت حتى شملت شتى الاصعدة . فقد كتب نحو مئتي رسالة الى اشخاص عديدين في الكنيسة ، ووضع ستة كتب ، وترجم اربعة كتب لفلسفة ارسطو . الا ان معظم هذه الكتابات قد اتى عليها الزمن ، ولم يبقَ منها سوى القليل .

أ) رسائله

لم يبقَ منها سوى ٥٩ رسالة في مخطوطة دير السيدة بالقرب من القوش (هي المخطوطة ٥٠٩، حسب الترقيم الجديد للمخطوطات الموجودة في دير الابتداء للرهبان الكلدان في الدورة – بغداد) التي تَرقى الى ما قبل القرن الرابع عشر . وجاءت هذه الرسائل بغير ترتيب وبدون تاريخ يتيح لنا التعرف الى احداث كنيسة المشرق . وهي تتطرق الى مواضيع عديدة ، خاصة فلسفية ولاهوتية وجدلية وقانونية وراعوية . وقد قام اشخاص كثيرون بدراسة هذه الرسائل عامة او بعض منها بصورة خاصة ، ونشروا

بعضاً منها ، منهم العالم الالماني براون[١] ، والمطران (بطريرك الكلدان الحالي) روفائيل بيداويد[٢] .

ب) كتبه

لم يبق لنا من الكتب الستة التي وضعها سوى كتابين . فلم يصلنا كتاب الكواكب[٣] ، ولا كتاب الاسئلة ، ولا تفسير اللاهوتي الذي يبدو انه تفسير لكتابات القديس غريغوريوس النزينزي ، ولا الكتاب الآخر الذي يتناول «المواعظ والانشودات في اعياد الرب على مدار السنة الليتورجية» .

اما كتاب «المجلدات المجمعية» ، فربما انه جُمع في عهده[٤] . وقد وصلتنا منه ايضاً بعض انشودات ليتورجية وكتاب في الاحكام الكنسية . فتعزى الى طيمثاوس (الاول او الثاني ؟) انشودة «الاسرار التي اقتبلناها» (رازي دَنْسَون) التي تُقال في نهاية القداس الكلداني ، وانشودتان اخريان وردت احداهما في فهرس منكنا[٥] ، واخرى في مكتبة باريس الوطنية[٦] .اما كتاب الاحكام الكنسية فيتطرق الى المواضيع الكنسية والى الزواج والارث ، الخ . . .

ج) الترجمات

كانت الفلسفة اليونانية قد دخلت مدرسة الرها منذ القرن الخامس ، ولا سيما المنطق ، وتُرجم معظم كتب اورغانون ارسطو الى السريانية ، بالاخص «طوبيقا» والتحليلات الثانية والشعر والفصاحة . ولم تكن هذه الكتب قد تُرجمت الى العربية حتى زمان طيمثاوس الاول . فطلب الخليفة هارون الرشيد الى طيمثاوس ان يترجم كتابات ارسطو الى العربية . واستعان هذا بفرقة من اصدقائه الذين يجيدون اليونانية والسريانية او اليونانية والعربية . وشرعوا ينقلون الى العربية مباشرة او من خلال ترجمة سريانية كثيراً من هذه الكتب . وكان من بين الذين ساعدوا الجاثليق ابو نوح الانباري

---

(١) في ج . ك . م . ش .، النص في مجلد ٥٦، باريس - ليبسيك ١٩١٤، والترجمة اللاتينية باريس - روما ١٩١٥.

(٢) في مجموعة **دراسات ونصوص** ، عدد ١٨٧، فاتيكان ١٩٥٦.

(٣) ماري في **المجدل**، ص ٧٤.

(٤) عبديشوع الصوباوي، **فهرس المؤلفين**، الترجمة العربية، ص ١٩٤.

(٥) **فهرس منكنا**، ص ٧٢.

(٦) **فهرس زوتنبرغ**، ص ٩ ؛ رايت ، **الادب السرياني**، ص ٩٤.

والبطريرك الملكي . وقال طيمثاوس عن ترجمة كتاب طوبيقا : «ان كتاب طوبيقا لارسطو الفيلسوف طلب منا بأمر ملكي بان نترجمه من السريانية الى لغة العرب . وقد تحقق الامر بعون الله وبتعاون الاستاذ ابي نوح»[٧] . وترجم طيمثاوس ايضاً التحليلات الثانية وكتاب الشعر وكتاب الفصاحة لارسطو . ويبدو ان الخليفة فضّل ترجمة طيمثاوس على غيرها ، لوضوحها ودقتها[٨] . . .

وهكذا فقد ترك لنا طيمثاوس كنزاً نفيساً في كتاباته . ولا يتردد ماري في ان يسميه «عالماً وملفاناً»[٩] . ويقول صليبا : «انه كان عالماً فاضلاً حيولاً في الامور . . . وكان مكرّماً عند الخلفاء والملوك لكثرة علمه وفضائله وحسن اجوبته عن المسائل التي كانوا يرمون عليه»[١٠] .

٢ . الاداري الحكيم

أدرك طيمثاوس ان أهمّ عنصر للاستقرار في كنيسة المشرق ولازدهارها يكمن في حسن اختيار رؤسائها وتهذيب كهنتها وصفات اساقفتها . وكان هذا الامر خير وسيلة لكسب اعتبار السلطة الحاكمة نفسها : ان يكون المؤمنون ، ولاسيما الاقليروس ، على مستوى رفيع من الثقافة والادب . وكان الاحترام الذي حظي به في البلاط العباسي يرتكز على شخصيته الفذة وعلى معرفته للعلوم اليونانية ولعلم الفلك .

أ) تثقيف الاقليروس

عرف طيمثاوس ان العلم خير وسيلة للمسيحيين لكي ينتزعوا احترام الناس لهم . لذلك فقد بذل جهوداً جبّارة في سبيل تثقيف الاقليروس في كنيسة المشرق . ونلاحظ هذا الاهتمام من خلال رسائله التي معظمها موجّه الى صديقه سركيس . فاذ كان مديراً لمدرسة باشوش ، كان طيمثاوس يحرّضه دوماً على الاهتمام بالطلاب ، وعلى بذل جهوده في صعيدي العلم والفضيلة ، والا ينسى ان هدف جميع الدراسات هو ملكوت الله ، وحينما اصبح سركيس مطرافوليطاً لعيلام ، في نحو سنة ٧٩٥، فتح

(٧) براون ، **الرسائل** ، ص ٤؛ بيداويد ، **الرسائل** ، ص ٣٧ - ٣٨ ؛ فييه ، **المسيحيون السريان في عهد العباسيين**، ص ٣٨ - ٣٩.
(٨) المصادر عينها .
(٩) ماري ، ص ٧١.
(١٠) صليبا ، ص ٦٤ - ٦٥.

هناك مدرسة بيث لافاط . فكتب اليه البطريرك يوصيه بالاهتمام بمدرسة ابرشي ويقول : «اذكر ان عليها ان تلد وتهذب ابناء الكنيسة» . ثم يقول له مرة اخرى «اعتنِ بالاخوة الدارسين مثل حدقتي عينيك ، وحرّضهم على تلقّي العلم الصحي ومخافة الله ، وانت ذاتك أعطِ المثل في جميع الفضائل» . ولا يكتفي بابداء النص والارشاد ، بل ساعد بنوع فعّال في تنظيم المدرسة المادي وفي حسن ادارتها ، وف تزويدها بمستلزمات الدراسة والمعيشة .

ب) تعيين الاساقفة

عرف طيمثاوس ان حيوية الكنيسة منوطة بغيرة رؤسائها وبقداسة حياته وبوحدتهم مع الكرسي البطريركي . وفي سبيل الوصول الى اختيار رؤساء ذو صفات وكفاءات عالية ، لا يتردد البطريرك أحياناً في تعيين اشخاص جديري بالمناصب الهامة في الكنيسة ، متجاوزاً بذلك رأي المؤمنين والاجراءات القانونية كلما دعت الضرورة الى ذلك . فهو يدعو الى ان ينال المطرافوليطون الرسامة م البطريرك . اما الاساقفة الذين يُرسَمون برضاه في مختلف المناطق ، فعليهم ان يأت لاحقاً عند البطريرك لينالوا منه رتبة الكمال اي التثبيت (شوملايا) .

وما يقتضيه طيمثاوس من طاعة المطرافوليطين والاساقفة تجاه البطريرك ، يقتضي ايضا من المؤمنين والكهنة تجاه رؤسائهم الروحيين المحليين . فهو يحرّض سكان عيلا على الطاعة لمطرافوليطهم سركيس ، ويهدد بانزال العقوبات الكنسية الصارمة بكل كاهن او مدرّس او مؤمن تسوّل له نفسه بالعصيان على اوامر رؤسائه المحليين . وق تجلّت فطنة البطريرك وادارته الحكيمة في السياسة الكنسية في حالات عديدة نضرب صفحاً عن ذكرها ، لئلا يطول بنا البحث .

الا ان حالة الكنيسة في منطقة عيلام كانت تسبّب للبطريرك الشيخ الكثير م الهموم ، حتى أدى به الامر احياناً الى اليأس منها ، وكأنها مريض يأبى الشفاء وتذهب جميع الجهود في ابرائه ادراج الرياح . فان جذور المقاومة في هذه الابرشية تَرقى الى عهد بعيد ، الى سنة ٤١٠ . فحتى ذلك العهد ، كانت عيلام تعتبر ذاتها على قد المساواة مع ابرشية المدائن . واذا بهذه الاخيرة تصبح الابرشية الكبرى وتطالب بخضوع جميع الابرشيات الأخرى لها . فشقّ الامر على ابرشية عيلام التي اخذت تنتهز جميع الفرص لاعلان استقلالها عن الكرسي البطريركي ، وتستغل جميع الازمات لكي تؤكد على هذا الاستقلال . وقد بذل كثير من الجثالقة جهودهم في

نهاية هذه الأزمة [illegible] على [illegible] مع [illegible]
نتائج كانت [illegible]، ولا [illegible] كانت كثيرة [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible].

ج) احفظ على وديعة الإيمان القويم

إن وحدة الكنيسة [illegible] على [illegible]. [illegible] على تيارات [illegible] في [illegible] الإيمان في كنيسة المشرق [illegible] على [illegible] تأكيده أن [illegible] حقيقي [illegible] عن [illegible] أو أن [illegible] المسيح [illegible] (المصلين)، [illegible] في مجمع سنة [illegible] الشرقية من [illegible] [illegible] الكتاب المقدس.

[illegible] في هذه [illegible] الحفاظ على وحدة العقيدة في كنيسته.

وفي رسالة [illegible] كنيسته، ويقول [illegible] حقيقية [illegible] زيادة أو نقصان، وذلك لأن هذه الكنيسة [illegible] كنيسة [illegible] كنيسة المشرق [illegible] والاضطهادات [illegible] نسطوريوس [illegible] في

الحفاظ على وحدة العقيدة .

لقد قيل الكثير عن اقرار طيمثاوس باولوية الكرسي الروماني . الا ان النصوص التي ينسبونها اليه بهذا الشأن ليست واضحة ، كما يدّعي البعض ، وكثيرا ما حمّلوها اكثر مما احتوته من المعاني والابعاد . فان كتابات طيمثاوس كلها تشير الى ان جميع القضايا العقائدية والمسلكية تعود اليه مباشرة ، وان كرسيه يحظى باستقلال ذاتي ولا يبدو متعلقاً برئاسة عليا اخرى . الا ان تمسّكه بارثوذكسية كنيسته لم يمنعه من ان يكون له افكار واسعة حول مفهوم الوحدة في الكنيسة الجامعة ، وحول امكانية التعددية فيها ، اذ كان للبطريرك طاقة خارقة للتوافق او الانفتاح . وهو يرى ان الفروق الطفيفة القائمة بين مختلف فئات المسيحيين يجب الا تكون عائقاً في سبيل وحدة القلوب بشأن ما هو جوهري للخلاص .

د) مفهوم السلطة

مارس طيمثاوس سلطته بنوع ثابت ، بل مستبد احياناً . وقد تجلّى ذلك ، كما قلنا سابقاً ، في تعيين بعض المطرافوليطين . وهو لا يخشى مجابهة ذوي النفوذ من مؤمنيه ، حينما يرى مخالفاتهم . فلا يتردد مثلاً في حرم الطبيب جبريل بن بختيشوع بسبب تسرّيه ، وفي مقاومة اطماع بعض الاساقفة ومؤازريهم ، ويحرص على ان تقدّم الشكاوى عنده وليس امام القضاة المسلمين .

ويمارس طيمثاوس هذه السلطة على كلا الصعيدين الاداري والعقائدي ، حينما تقتضي الامور توضيح نقطة او تصحيح امر خاص بالمعتقد . وهو في ذلك يستند دوماً الى سلطة المجامع والقوانين الكنسية ، ولا ينسى ان موقفاً مستبداً وصرامة مفرطة يفضيان غالباً الى المقاومة والمعاندة . ولذلك فهو يتحلى بكثير من الفطنة والمرونة حيثما اقتضى الامر ذلك . ولا يتردد في استشارة الآخرين فيما يخص ادارة الكنيسة وتعيين رؤسائها . وعرف ان يقرن الصرامة بالتواضع والسلطة بالخدمة . وهذا ما يتجلى بوضوح في تعيين ايشوع برنون خلفاً له ، بغضّ النظر عما كان بينهما من الخلاف .

٣. القانوني المحنّك

ان تعايش المسيحيين والمسلمين سيطرح معضلات على الصعيد القانوني . فكان يترتب على رؤساء كنيسة المشرق ان يهتموا بها ويحاولوا معالجتها . ثم ان الارتباط الوثيق في الاسلام بين الدولة والدين سيؤثر في حياة الكنيسة على الصعيد القانوني .

فالجاثليق يُعتَبر الرئيس الروحي والمدني لطائفته ، والمسؤول ، في بعض الاحيان ، حتى عن دفع الضرائب . وهو يتلقى شهادة رسمية من الخليفة تعترف بشرعية رئاسته ، ويصبح هو والاساقفة حكّاماً في الشؤون الدنيوية . فاضطر الاساقفة الى سنّ قوانين توضح كيفية تصرفهم في الشؤون القضائية .

وكان ايشوعبخت ، مطرافوليط فارس ، قد وضع اول بحث شامل في الحق المدني في عهد حنانيشوع الثاني (+ ٧٧٩) . وقد ترجم كتابه ، على طلب طيمثاوس الاول ، من البهلوية الى السريانية .

ويذكر عبد يشوع الصوباوي[١١] ان طيمثاوس عقد مجمعين عامين : الاول سنة ٧٩٠، والثاني سنة ٨٠٤. وقد ورد نص المجمع الاول كملحق لمجموعة السنهادوسات الشرقية ، ابتداءً من مجمع اسحق سنة ٤١٠ حتى مجمع حنانيشوع الثاني سنة ٧٧٥ . ويقول يوحنا شابو ، ناشر هذه المجموعة ، في المقدمة ، ان هذه المجموعة كتبت في نهاية القرن الثامن ، أي في السنين الاولى لبطريركية طيمثاوس[١٢] . ومع ذلك فان المقررات المجمعية لطيمثاوس الاول لسنة ٧٩٠ لا ترد في هذه المجموعة . فيسعنا القول اذن ان المجموعة تكوّنت بين سنة ٧٧٥ و ٧٩٠ . لذا فمن المحتمل جداً ان يكون طيمثاوس هو الذي اخذ المبادرة في جمع هذه القوانين وضمها في كتاب يُعتَبر كنزاً نفيساً لدراسة حياة كنيسة المشرق (راجع مخطوطة ٥٠٩ في دير الرهبان الكلدان في بغداد) .

فيبدو اذن ان المجمع الذي عقده طيمثاوس سنة ٧٩٠ – والذي اضيف نصه الى سلسلة المجامع الشرقية[١٣] – ليس سوى اعلان رسمي للقرارات المتَّخذة سابقاً في مجمع سنة ٧٨١، والتي أُرسلت على شكل رسالة في السنة عينها الى افرام مطرافوليط عيلام الذي لم يشأ الحضور في انتخاب طيمثاوس . وكان هذا المجمع الاول يهدف الى ازالة كل خلاف بين الجاثليق الجديد وخصومه وتجنّب كل انفصال كان يهدّد كنيسة المشرق .

ويقول صليبا[١٤] ان طيمثاوس « وضع باجتماع الآباء ثمانية وتسعين قانوناً في الفرائض والاحكام وفي كل قانون منها مسألة وجواب» . وهذه المجموعة من القوانين

(١١) في **مجموعة القوانين المجمعية** ٩، ٦، وقد نشر «ماي» هذه المجموعة في روما سنة ١٨٣٨ مع ترجمة لاتينية قام بها يوسف لويس السمعاني .
(١٢) **المجامع الشرقية** ، ص ١٣.
(١٣) **المجامع الشرقية** ، ص ٥٩٩ – ٦٠٣، والترجمة الفرنسية، ص ٦٠٣ – ٦٠٨.
(١٤) **المجدل** ، ص ٦٦.

المنسوبة الى طيمثاوس ، والتي تضّم في الواقع ٩٩ قانوناً ، عرفت نجاحاً كبيراً في القرون اللاحقة ، بفضل الترجمة العربية التي حققها لها ابو الفرج ابن الطيّب في القرن الحادي عشر [١٥] ، حينما شرعت اللغة السريانية تفقد مكانتها المرموقة. وتنقسم المجموعة الى ثلاثة اقسام - يتطرق القسم الاول الى الرئاسة الكنسية ، والثاني مخصص بالزواج ، ويتناول الثالث الارث (مخطوطة ٥١١ و٥١٣ دير الرهبان) .

وفي قوانين اخرى ، يتطرق طيمثاوس الى الحق القانوني الكنسي فيما يخص انتخاب البطريرك ومكانته ، وحقوق المطرافوليطين والاساقفة والتزاماتهم ، ثم يتناول المحاكم الكنسية وواجب المسيحيين في اللجوء اليها وليس الى المحاكم الغريبة لحسم النزاعات فيما بينهم .

ومن خلال جميع هذه القوانين ، نلاحظ اننا امام شخصية عظيمة ورئيس همام منتبه الى احتياجات جماعته المسيحية التي يريد قيادتها في سواء السبيل والذود عنها وعن كيانها واستقلالها الروحي .

٤ . انفتاحه على الكنائس الاخرى

كانت في بغداد وفي مناطق اخرى ضمن حدود كنيسة المشرق جماعات مسيحية اخرى لها تاريخها ورئاستها الخاصة ومعتقدها . فكيف كانت علاقات طيمثاوس بهذه الكنائس غير النسطورية ؟

عرفنا في الفصول السابقة كيف انتشر المنوفيزيون في الشرق ، لاسيما منذ مطلع القرن السابع ، وان الاضطهادات العنيفة التي شنها عليهم برصوما النصيبيني في نهاية القرن الخامس عجزت عن القضاء عليهم . اذ سرعان ما عادوا وكوّنوا جماعاتهم حول المركزين الرئيسين لهم ، في دير مار متى الواقع في سفح جبل الالوف (مقلوب) وفي تكريت . وقد ساعدتهم الظروف في عهد كسرى الثاني ليحققوا انتشاراً واسعاً ويشكلوا ابرشيات عديدة داخل حدود كنيسة المشرق . حتى ان ابن العبري يتكلم عن تكوين ١٢ ابرشية حينما جرى انتخاب ماروثا مطرافوليطا لتكريت[١٦] .

---

(١٥) غراف ، **تاريخ الادب السرياني العربي** ، ٥ اجزاء ، فاتيكان ١٩٤٤ - ١٩٥٣، ٢، ص ١١٥.

(١٦) ابن العبري ، **ت .ك** . ٢، ١٢٣ - ١٢٤. الا ان لابور يعتقد ان هذه اللائحة مبالغ فيها في القرن السابع (طالع لابور ، **المسيحية في الامبراطورية الفارسية**، ط ٢، باريس ١٩٠٤، ص ٢٤٠ - ٢٤١).

وبعد استيلاء العرب المسلمين على المدائن واعلانهم الاسلام دين الدولة ، تم نوع من التقارب بين النساطرة والمنوفيزيين . وقد علمنا ان الجاثليق النسطوري يعقوب الثاني (٧٥٤ - ٧٧٣) والبطريرك المنوفيزي جرجس (٧٥٨ - ٧٩٠) ، مع بطريرك انطاكيا الملكي ، وُجدوا في السجن معاً في عهد الخليفة المنصور . واذا بالمشاحنات بين النساطرة والمنوفيزيين تنقلب الى مفاوضات سلمية . فاعاد نساطرة نصيبين الى المنوفيزيين كنيسة دومطيانوس الكبرى . ونال اسقف الطيرهان النسطوري صليبا زخا السماح ببناء كنيسة نسطورية في تكريت ذاتها سنة ٧٦٧[١٧] .

وقد استمر هذا التفاهم الاخوي بين الفريقين في عهد طيمثاوس الاول . ونجد في رسائله مقاطع عديدة تشير الى موقف البطريرك من المنوفيزيين . فبصفته رجل علم ، لا يميّز بين النساطرة والمنوفيزيين والملكيين . فانه في ترجماته لكتب ارسطو من السريانية الى العربية يلتجئ الى مساعدة ابي نوح الانباري ، كما يتعاون مع ايوب الملكي ، ويلتمس من الربان فثيون ان يذهب الى دير مار متى لتحقيق بعض النصوص والمفردات في مخطوطات هذا الدير . ويذكر دير مار متى مرات عديدة في رسائله كمركز هام للمنوفيزية والعلم . وقد طلب مرات كثيرة الى صديقه سركيس - وكان ما يزال مديراً لمدرسة باشوش - بان يذهب الى دير مار متى ويبحث في مكتبته عن مخطوطات لكتابات الآباء او للتحقيق في بعض الترجمات .

اما موقف طيمثاوس تجاه المسيحيين الآخرين ، بصفته رئيساً لكنيسة المشرق ، فانه موقف متشدّد يهدف الى الذود عن ارثوذكسية كنيسته والدفاع عنها وعن تعاليمها . ولكن هذا الموقف لا يحول دون رغبته الصادقة في احترام المذاهب الاخرى وفي الوحدة المسيحية . ويقول لنا ابن العبري انه جرى جدال بين طيمثاوس والبطريرك المنوفيزي جرجس[١٨] . الا ان هذا الجدال قد ضاع . وقد عبّر طيمثاوس عن موقفه الانفتاحي حينما أقرّ ان سويريا (اي منوفيزيا) او ملكيا ، عند عودته الى كنيسة المشرق ، يجب الا يُعمَّد من جديد ، لان الجميع يعتمدون باسم الثالوث ، بالرغم من الاختلافات الاخرى .

هل كان للجاثليق النسطوري السلطة على جميع المسيحيين في بلاد المشرق ؟ هذا امر لا يمكننا البتّ فيه في عهد طيمثاوس . انما اخذت هذه السلطة الشاملة بالظهور منذ عهد الجاثليق ابراهيم الثالث (٩٠٥ - ٩٣٦) الذي رفض ان يكون رئيسٌ (اسقف)

---

(١٧) ابن العبري ، **ت .ك .** ٢، ١٥٥ - ١٥٨.
(١٨) الموضع عينه ٢، ١٨١ - ١٨٢.

للبيزنطيين في بغداد . وبدت جليةً في عهد الجاثليق عبد يشوع الثاني (١٠٧٥ - ١٠٩٠) وفي المرسوم الذي اصدره له الخليفة القائم بامر الله ، حيث جاء = «أوعزَ (الخليفة) ترتيبَكَ جاثليقا لنسطور النصارى في مدينة السلام والاصقاع وزعيماً لهم والروم واليعاقبة طراً ولكل من تحويه ديار الاسلام من هاتين الطايفتين ممن بها يستقر واليها يطرأ ، وجعل امرك ممتثَلاً . . .»[١٩] .

وكان انفتاح طيمثاوس يشمل العالم الواسع الذي اراد تبشيره . فالكنيسة في عهده لم تكن منكمشة على ذاتها وضائعة وسط اكثرية مسلمة ، بل كانت كنيسة تتدفق حيوية ونشاطاً رسولياً . فامتدت الى مختلف الجهات ، الى الهند والصين واليمن والى المناطق المجاورة لبحر قزوين[٢٠] . الا ان هذه الشعلة الوهاجة اخذت تخبو بعد وفاة طيمثاوس ، فتقلّص حقل الرسالة الخارجية ، لان خلفاءه لم يتميزوا بنشاطه وغيرته العارمة ، ولم يدم عهد كل منهم سوى سنين قلائل[٢١] .

(١٩) ماري في **المجدل**، ص ١٣٥.
(٢٠) طالع توما المرجي ، **كتاب الرؤساء**، ص ٢١٢ - ٢٣٠.
(٢١) طالع ما كتبه الاب فييه عن مقاطعات الكنائس السريانية جنوبي بحر قزوين ، في مجلة **كلمة الشرق** اللبنانية ، ٢، لسنة ١٩٧١، ص ٣٢٩ - ٣٤٣.

الفصل الثالث عشر

طيمثاوس الكبير والبلاط العباسي

لقد تكلمنا سابقاً عن الخلفاء العباسيين الاوائل باختصار . فنحاول الآن ان نرى علاقة البطريرك طيمثاوس بكل منهم . فقد خدم البطريركية طوال ٤٣ سنة تحت ظل خمسة خلفاء متعاقبين ، وحاول ان يحافظ على الاتزان وعلى التسامح الديني بين المسلمين والمسيحيين ، وان تكون له علاقات حسنة بالخلفاء ، بالرغم من تقلباتهم غير المتوقعة احياناً ، فيحافظ على نوع من الاستقلالية الدينية لكنيسته ، بقوة مرسوم من الخليفة[١] .

حينما كان طيمثاوس اسقفاً لبيث بغاش ، استطاع ان يحصل من حاكم الموصل ، موسى بن مصعب ، على اعفاء ابرشيته من الضرائب . وهذا امر يبيّن مدى سياسته ولباقته في التعامل مع الحكام المسلمين ، ونحن نعلم ما كان عليه موسى من الصرامة والقساوة[٢] .

ان رغبة التفاهم مع الحكم العباسي كانت في نظرة طيمثاوس ضرورة حيوية لكنيسته . ولكي يكون المسيحيون حقاً على مفترق الحياة السياسية والثقافية ، قرر منذ مطلع عهده ان ينقل مقر البطريركية من المدائن الى بغداد العاصمة الجديدة .

(١) ماري في **المجدل**، ص ٧٤.
(٢) طالع شابو ، **تاريخ ديونيسيوس التلمحري** ٤، باريس ١٨٩٥، ص ٩١؛ م.س. ٢، ص ٥٢٦ - ٥٢٧.

فقد ادرك ان للكنيسة دوراً هاماً تقوم به تجاه المجتمع ، وان خير وسيلة لتجنّب الظنون والشكوك تجاهها هي ان تكون في صميم حياة المجتمع وان تتعاون في بناء البلاد ، بوساطة أطبائها وكتّابها وعلمائها ومترجميها . وكان طيمثاوس نفسه ، كما قلنا ، عالماً كبيراً ، ليس بالفلك حسب ، بل بالفلسفة واللاهوت وبالمنطق ايضاً ، وكان هو ذاته يساهم في نقل بعض الكتب الفلسفية الى العربية . وقلنا انه كان يشدّد كثيراً على ان يكون اقليروس كنيسته متحلياً بثقافة عالية ، ليتسنى لهم القيام بدورهم الحقيقي في المجتمع .

ففي عهد **الخليفة المنصور**(٧٥٤ - ٧٧٥) ، كان طيمثاوس اسقفاً لبيث بغاش . الا ان تأثير الاطباء المسيحيين بدأ منذ ذلك العهد ، حينما استقدم المنصور سنة ٧٦٥ الطبيب النسطوري جرجس بن بختيشوع الى بغداد ، وشرعت حركة الترجمة من اليونانية الى العربية برئاسة جرجس والبطريق . وبدأت العلاقات الوثيقة بين البلاط العباسي والعلماء المسيحيين .

اما **المهدي** (٧٧٥ - ٧٨٥) الذي كان ذا طبع بشوش وسخي ، فقد اتخذ تجاه المسيحيين عامة موقف التعاطف ، بسبب ثقته بعلمائهم واطبائهم الذين ذكرنا من بينهم عيسى ابا قريش . وكان الخليفة نفسه يميل الى العلم والشعر والفلسفة والموسيقى . واذ كان طيمثاوس ضليعاً بالفلك والفلسفة ، فقد استدناه الخليفة وكلّفه بترجمة«طوبيقا» ارسطو من السريانية الى العربية ، ووضع فيه ثقته كلها . وكثيراً ما كان الخليفة يدعوه الى البلاط للمناقشات العلمية او الدينية مع الفلاسفة الآخرين . واحياناً كان النقاش يدور بين البطريرك والخليفة ذاته حول مختلف الشؤون الدينية (الثالوث - المسيح - الاعاجيب ، التنبؤات التي رافقت وهيأت التجسد ، سلطة محمد والقرآن ، جريمة اليهود ، البحث عن الحقيقة ، الخ . . .) . وقد نُشر نص النقاش او المحاورة التي دارت بين المهدي وطيمثاوس[٣] وفيها تظهر حرية كبيرة في تبادل الافكار والطاقات الفكرية والسياسية الكبيرة لدى طيمثاوس ، وموقف الخليفة المتسامح المنفتح . ويقول طيمثاوس في احدى رسائله[٤] : «ان هذا الامر (اي مواجهات الخليفة) كان يجري دوماً ، تارة لشؤون الدولة ، وطوراً لمجرد محبة الحكمة المتقدة في نفسه (اي نفس الخليفة) . فهو في الواقع لطيف ، ويحب ان يتعلم الحكمة التي يلقاها عند الآخر» . وقد افلح طيمثاوس في الحفظ على صداقة

---

(٣) بوتمان ، **الكنيسة والاسلام في العصر العباسي** ، ص ٧ - ٥٧ من القسم العربي .
(٤) بيداويد ، رقم ٧٧.

الخليفة ، بالرغم من تقلباته المفاجئة والدسائس التي حاكها ضده بعضٌ من المسيحيين ، امثال يوسف مطران مرو السابق الذي ناوأ انتخابه ثم اتهمه لدى المهدي بتواطئه مع الاعداء الروم . فكان ثمة من يهدئ الخليفة في هذه العواصف ويوقفه على دخائل الامور ، عيسى ابو قريش .

واتّبع **الهادي** (٧٨٥ - ٧٨٦) سياسة صارمة ضد المانويين[٥] . وفي نهاية حياته ، اوشك ان يقضي على اطبائه المسيحيين عيسى ابي قريش وعبدالله الطيفوري وداود بن سرافيون ، لكونهم لم يفلحوا في شفائه . وبالنظر الى حكمه القصير ، لا نعلم مدى احتكاك طيمثاوس به . وما يقوله صليبا عن هذا الخليفة يُعزى بالأحرى الى سلفه المهدي[٦] .

وفي عهد **هارون الرشيد** (٧٨٦ - ٨٠٩) ، حينما اصدر هذا الخليفة امره بهدم كنائس البصرة وغيرها من المدن ، بوشاية حمدون بن علي الذي ادّعى بان المسيحيين يعبدون عظام الموتى في كنائسهم ، تدخلت ثلة من الموظفين المسيحيين في البلاط - منهم ابو نوح الانباري وعيسى ابو قريش وجبريل بن بختيشوع وعون الجوهري - وشرحوا للخليفة حقيقة الامر . اذ ذاك اصدر الخليفة امره باعادة بناء الكنائس المهدومة[٧] . وقد يكون هؤلاء المسيحيون المتنفذون قد تصرفوا بتأثير طيمثاوس ، المدافع الكبير عن المسيحيين . وهذا ما نستشفه من الرسالة التي وجهها الى افرام مطران جنديسابور : «اذا سمح الله القدير باعادة بناء الكنائس ، واذا رضي الملك بذلك ، فان الامر قد اضطرني الى المثول امامه ست مرات لهذا الشأن»[٨] . وكانت زبيدة تساعد طيمثاوس في مساعيه لدى الملك ، وتساعد الكنائس ، وفاء بمعروف البطريرك نحوها في أزمتها المعروفة .

وكان طيمثاوس من بين الذين يطيب لهارون الرشيد التحدث اليهم ومحاورتهم . وينقل لنا صليبا[٩] ما جرى في احد لقاءات طيمثاوس بهارون الرشيد : «من جملة ما جرى له معه ذات يوم عند انقضاء المجلس ، قال له : يا أبا النصارى ، أجبني عما اسألك باختصار : اي الاديان عند الله حق ؟ فقال له مسرعاً :

(٥) السيوطي ، **تاريخ الخلفاء**، ص ٢٧٩.
(٦) صليبا في **المجدل**، ص ٦٥.
(٧) ماري في **المجدل** ، ص ٧٥.
(٨) **المجامع الشرقية**، ص ٦٠٢ و ٦٠٧؛ بيداويد، رقم ٣٩.
(٩) صليبا في **المجدل**، ص ٦٥.

الذي شرائعه ووصاياه تشاكل افعال الله في خلقه . فأمسك عنه . فلما انفصل عن المجلس ، قال : لله درّه ! لو قال النصرانية ، لاسأت اليه ، ولو قال الاسلام ، لطالبته في الانتقال اليه ، ولكنه اجاب جواباً كلياً لا دفع له . . .»

اجل ، لقد كانت العلاقات متواترة بين البطريرك والخليفة . فيقول طيمثاوس في احدى رسائله الى سركيس : «في نهاية تشرين الاول ، دخلت ثلاثة ايام متتابعة عند ملكنا المظفر ، وتلقاني بالفرح والبهجة واعطاني ٨٤٠٠٠ درهم كانت تعود الى دير مارفثيون»[١٠] . ويواصل طيمثاوس رسالته بقوله ان الخليفة غادر الى البصرة ، وانه ينوي اللحاق به الى هناك . وكان البطريرك يرافق الخليفة في بعض من تنقلاته ، حتى الى الحدود البيزنطية . فهو يكتب في رسالته : «بدأنا السفر في السابع من شهر حزيران من هذه السنة ، ١٨٣هـ/٧٩٩م ، واستعملنا المطايا العامة لكي نسرع في السير ، مع اكرام الملك وهباته ونفقاته»[١١] .

اما في عهد **الامين**(٨٠٩ - ٨١٣) ، فلا يظهر اي دور هام قام به البطريرك في الشؤون السياسية . وكذلك في عهد **المأمون**(٨١٣ - ٨٣٣) الذي لم يدخل بغداد الا في نحو نهاية حياة هذا البطريرك .

فنرى عظمة شخصية طيمثاوس في علاقاته بالبلاط العباسي كرئيس للكنيسة وكرجل علم وثقافة . وقد بذل جهوداً جبارة في سبيل انفتاح المسيحيين للعالم المعاصر لهم ، ولدفع المؤمنين والاقليروس الى المشاركة في حياة البلاد السياسية والاقتصادية والثقافية ، والى مساندة «الملوك الظافرين» . وقد اتّهمه البعض بالانتهازية (في انتخابه وفي قضية زبيدة) . الا انها تهمة باطلة ، اذا عرفنا حقيقة الظروف التي عاشها . فلم يكن امام البطريرك العظيم خيارات كثيرة في تصرفاته تجاه السلاطين المسلمين ، ولم يرد من جهة اخرى ان يقع في الخطأ الذي طالما يقع فيه كثير من الجماعات المسيحية في الشرق ، اي العيش في الخفاء وعلى هامش الحياة العامة ورفض كل تعاون مع الحكم القائم . فاراد طيمثاوس ان يستفيد من جميع الفرص لكي يُظهِرَ تضامنَ الجماعة المسيحية . الا ان هذا الموقف لا ينطوي قط على انتهازية دينية . ونحن نعلم ان موقفه داخل الكنيسة كان موقفا ثابتاً لا يسمح بالتجاوزات على القوانين ولا بالانحرافات عن المعتقد القويم .

---

(١٠) بيداويد ، رقم ٧٧.

(١١) الموضع عينه ، رقم ٣٧ و ٧٧.

اجل ، كان طيمثاوس رجل المبادئ ، ولكن موقفه كان يتسم بالمرونة ايضاً . فكان متديناً اصيلاً ودبلوماسياً لبقاً . كان رجل علم ، وفي الوقت ذاته رئيساً يعيش في صميم الواقع . لذا فقد كان عهده عهد يمن وبركة لكنيسة المشرق التي تذكره باجلال وتطلق عليه لقب «الكبير»[١٢] .

وماذا عن المنوفيزيين في عهد المأمون ؟

قلنا ان المنوفيزيين كانوا قد انتشروا انتشاراً واسعاً في مختلف مناطق الدولة العباسية المترامية الاطراف . وكان لا بد لهم من ان يأخذوا موقفاً معيّناً من السلطات الحاكمة . وكان البطريرك الانطاكي قرياقوس (٧٩٣ - ٨١٧) قد قدم الى تكريت لاقامة مطرافوليط لهذا المركز الهام للمنوفيزيين في الشرق . وكان الشخص المعيّن لهذه المهمة هو باسيليوس من بلد (اسكي موصل) الذي كان قد شغل مناصب مدنية في المحاكم وفي جمع الضرائب[١٣] . الا ان عجرفته ومقاومته لاهل الموصل ولرهبان دير مار متى حالتا دون افلاحه . فأدى الامر إلى الشكاوى والسجون والغرامات . وقد افضى استعلاؤه على المسلمين انفسهم الى اضطرابات واعمال تعسفية . ورفع باسيليوس شكواه الى بغداد . الا ان خصومه المسلمين سبقوه اليها وقدموا سلسلة من الشكاوى ضده وضد احد اعيان جماعته يدعى عبدون . فصدر الامر بالقبض على باسيليوس وعبدون . الا ان الاول فرّ واختبأ في دير بالقرب من «بلد» حتى موته سنة ٨٢٩، دون ان يستطيع العودة الى ابرشيته تكريت . اما عبدون فألقي القبض عليه ، وبعد سبعة اشهر امضاها في السجن ، ولم يفلح معه لا الوعد ولا الوعيد ، حُكم عليه بالموت وأُعدم .

اما عن المأمون ، فنرى ان ماري يقول انه كان يميل الى النصارى[١٤] ، بينما يكيل له ميخائيل السرياني الذم[١٥] . لكن الرهاوي المجهول ، مع كونه من المنوفيزيين ، يمتدح المأمون كثيراً ويقول : « . . . حينما استقر المأمون في بغداد ، كان الفرح للناس وتعزوا في مضايقهم ، وأصدر عفواً عن المجرمين ، وهرب من ولايته كل

(١٢) اعتمدت في معظم هذه المعلومات كتاب الاب بوتمان، **الكنيسة والاسلام في العصر العباسي** .
(١٣) **م.س** . ٣، ص ٦٠ - ٦١.
(١٤) ماري في **المجدل** ، ص ٧٤.
(١٥) **م.س** . ٣، ص ٧٥.

فاعلي الشرور، وارسل حكاماً الى البلدان واستتب فيها السلام»[١٦]. ثم يردف بقوله: «في سنة ١١٣٥ يونانية (٨٢٥م) . . . صار الفرح للعالم وساد الرخاء وحلّ الامن في الطرق واستتب السلام في العالم، لا سيما بفضل لطف الخليفة المأمون ورحمته. وامر جميع الحكام التابعين له بان يسوسوا بالعدل والاستقامة ويعيدوا الاراضي والاموال الى كل من لحقه ظلم او تعرّض للسلب والغبن. واصدر المأمون ايضاً امراً بان يُرفَع عن كواهل المسيحيين واجبُ ايواءِ العساكر في منازلهم، والا يضرهم احد من العرب او الفرس. فصار المسيحيون في هذا الزمان ينعمون برخاء ويصلّون دوماً لاجل حياة المأمون[١٧].

وقد لقي البطريرك ديونيسيوس التلمحري (٨١٨ - ٨٤٥) مساعدة فعّالة من عبدالله بن طاهر الذي كان المأمون قد تبنّاه وربّاه، ثم خوّله السلطة على ما بين النهرين كلها، ثم على البلاد المصرية. وكان عبدالله رجلاً حكيماً وعادلاً ورحوماً مثل والده. فساعد البطريرك ديونيسيوس للتخلص من منافسه الدخيل «ابيرام». ثم جاء ديونيسيوس وواجهه حينما كان حاكماً على مصر، ورفع اليه شكواه على أخيه محمد الذي كان نائبه يقظان يعيث فساداً في الرها ويهدم كنائسها. وكان عبدالله نفسه قد رفض مطلباً لبعض المتزمتين الذين كانوا يلتمسون منه امراً بهدم الكنائس وابطال النواقيس في حران والرها وشميشاط. فاجابهم اذ ذاك الامير الصالح عبدالله وقال لهم: «ان المسيحيين المساكين لم يبنوا حتى العُشر من الكنائس التي خربت وأحرقت». ثم امر بالا ينتقص للمسيحيين شيء من شرائعهم وعاداتهم القديمة، والا يستأصل شيء من كنائسهم . . . وعاش المسيحيون في عهده في رخاء وسلام[١٨]. وكان عبدالله يجلّ البطريرك ديونيسيوس واخاه تيودورس مطران الرها. وقد لبى ملتمسهما ورفع الغبن والظلم عن المسيحيين في المناطق الخاضعة لحكمه.

وقد اظهر الخليفة المأمون نفسه الكثير من الصبر والتفاهم مع البطريرك ديونيسيوس التلمحري بشأن شكوى المنوفيزيين في بغداد ضد اسقفهم لعازر بن شبثا. وبعد محاورات ونقاشات عديدة، رضي الخليفة باقالة لعازر، ولكنه لم يسمح للبطريرك بطرده من الكنيسة ولا بابعاده عن الصلاة.

---

(١٦) **تاريخ الرهاوي المجهول** ٢، ص ٢٣ - ٢٤.

(١٧) الموضع عينه، ص ٢٩.

(١٨) الموضع عينه، ص ٣٠.

وفي سنة ٨٢٩، هدم حاكم الموصل احدى كنائس المنوفيزيين هناك . فتدخل البطريرك ورفع الامر الى الخليفة الذي امر بتسوية الخلاف واعادة الامور الى نصابها . . . فنرى الصبر الكبير الذي ابداه الخليفة المأمون تجاه المنوفيزيين وبطريركهم . ولكنه في الاخير ملّ منهم ولم يتمالك من ابداء ضجره تجاه المشاحنات الدائرة في جماعتهم وقال : «انكم تضجرونني وتقلقونني كثيراً ، ايها المسيحيون ، ولاسيما انتم يا معشر اليعاقبة ، مع اننا نتغاضى عن الشكاوى التي يقدمها بعضكم على البعض الآخر»[١٩] .

وفي سنة ٨٣٠، التحق ديونيسيوس مع الهدايا بالخليفة في دمشق حيث نزل المأمون ضيفاً على سبريشوع المطرافوليط السرياني الشرقي . ووجد الخليفة من المناسب ان يرافقه البطريرك الى مصر حيث حدث تمرّد قامت به فئات من المسيحيين المغبونين ، فلعل البطريرك ديونيسيوس يفلح في اقناعهم بالاقلاع عن تمردهم ، وكانت وساطة بطريركهم الخاص يوسف الاسكندري قد عجزت عن الوصول الى اتفاق في هذا الشأن . الا ان وساطة ديونيسيوس ايضاً لم يُكتَب لها النجاح .

وما زاد الطين بلّة هو أن ديونيسوس القى مسؤولية هذا التمرد على جابي الضرائب الذي كان ابراهيم ، وهو اخو المأمون نفسه . فاغتاظ المأمون لهذه الجسارة ، وحجب حظوته عن البطريرك الى نهاية عهده . وتفاقمت الامور سوءاً ، حينما اصبح ابراهيم ، سنة ٨٣٣، خليفة باسم المعتصم . فاضطر البطريرك الى الاختفاء ، الى ان استطاع بعض الوسطاء تهدئة خاطر الخليفة الجديد بعض الشيء . . .[٢٠] .

---

(١٩) **م.س.** ٣، ص ٦٥ - ٦٧، ٧٠، ٧٣، ٧٦؛ ابن العبري ، **ت.ك.** ١، ٣٦٦.
(٢٠) فييه ، **المسيحيون السريان . . .**، ص ٦٨ - ٧١.

الفصل الرابع عشر

الكتّاب والمترجمون والاطباء المسيحيون في البلاط العباسي

قلنا في حديثنا عن الامويين ان جميع سجلات الادارة في دمشق وسجلات الضرائب والخدمات العامة كانت باللغة اليونانية، في الاقل في مطلع العهد الاموي. وكان معظم القائمين على هذه السجلات من المنتمين الجدد الى الاسلام، او من المسيحيين الذين كانوا يمسكون بأزمة العلوم والثقافة، وقد تخرّج كثيرون منهم على مدارس الاديرة الشهيرة، مثل دير قنسرين وغيره(١).

وكان مجيء العباسيين الى الحكم ونقل حاضرة الامبراطورية الجديدة الى بغداد دافعاً جديداً الى تشجيع العلوم والى توطيد الادارة ومكوّناتها التي اكتسبت اهمية كبرى وصارت الركيزة الثابتة التي بواسطتها سيحكم العباسيون مدة نحو خمسة قرون دولةً تمتد الى مناطق واسعة من الشرق الاوسط ومن شمالي افريقيا. واعتمدوا في هذه الادارة على الكوادر المسيحية المثقفة. فقد استطاع هؤلاء العلماء والمثقفون المسيحيون، بامكاناتهم العلمية وخبراتهم الادارية، ان يدخلوا بلاط العباسيين. وان

(١) فييه، **اشور المسيحية** (بالفرنسية)، ٢، بيروت ١٩٦٥، ص ٦٤٥؛ ابن العبري، **ت. ك.** ١، ٢٥٩ - ٢٦٠.

يطلعوا اسيادَهم الجدد على الفلسفة والعلوم . وبوسعنا ان نقسم هؤلاء المثقفين الى ثلاث فئات : الكتّاب ، والمترجمين ، والاطباء[٢] .

١ . الكتّاب

طرأ تغيير على القيم داخل النظام ، حينما استقرت الامور في ايدي العباسيين . وكأني بالسلطة تجتاز من المقاتل الى الموظف ، ومن الجندي الى الذين يشرفون على كتابة الوثائق الحكومية وينظمون الشؤون الادارية .

لقد اصبح الكتّاب اصحابَ الحياة اليومية في الدولة العباسية . وكان موظفو الدوائر الحكومية ينقسمون الى طبقتين ، بحسب مهامهم المتميزة : «كتابة الانشاء» ، وهي وظيفة يشرف عليها مثقفون يهتمون بالانشاء او الاسلوب الحسن ويعكفون على كتابة الوثائق الرسمية ، و«كتابة الاموال» وهي مهمة يشرف عليها خبراء في الشؤون الحسابية والمالية وكل ما يتعلق بالضرائب .

وكان تأثير المسيحيين كبيراً ونفوذهم واسعاً في كلا هذين المجالين . وظن البعض ان الامر يُعزى الى كونهم من «اهل الذمة» ، وان حالتهم هذه تفرض عليهم طاعة اوسع واسرع للحكام . الا ان السبب الحقيقي يكمن في ان المسيحيين كانوا قد نالوا قسطاً وافراً من الثقافة في مدارس بعض الاديرة الشهيرة (مثل مدرسة مار ماري في دير قنّي) ، وكانوا يعرفون اليونانية والسريانية ، واخذوا يتقنون العربية ايضاً اكثر فاكثر . لذا فقد كانوا الاكثر تأهلاً للدخول في خدمة العباسيين بصفة كتّاب[٣] .

ويضاف الى ذلك سبب آخر ، وهو ان جباية الضرائب وكل مهنة تتعلق بتجارة المعادن النفيسة كانت محظورة على المسلمين شرعاً[٤] . فكانت هذه المهام تعود الى

---

(٢) لقد احصى الاب كميل حشيمة اليسوعي اللبناني ، في كتابه لويس شيخو ، **علماء النصرانية في الاسلام**، روما – جونية ١٩٨٣، المقدمة، ص ٢١، ما لا يقل عن ٣٦٣ عالماً من العلماء المسيحيين الذين برزوا في العهود العباسية ، منهم :
٢١٥ طبيباً ، ٦٣ ناقلاً ، ٤٠ فيلسوفاً ومنطقياً ، ١٥ فلكياً ، ١٠ رياضيين ، ٧ منجّمين ، ٥ كيمائيين ، ٤ صيدلانيين ، ١ جغرافي ، ١ نسّابة ، ١ حجّام ، ١ اصطرلابي . . . .

(٣) قلنا سابقاً ان كتّاب الانبار كانوا قد دُعُوا الى المدينة (يثرب) لكي ينشئوا الكتابة الليتورجية للاسلام ، وهي الكتابة الكوفية القريبة جداً من الكتابة الآرامية ، بل المشتقة من الكتابة الاسطرنجيلية السريانية .

(٤) طالع سورة **البقرة**، ٢٤٧ سورة **آل عمران**، ١٢٩.

المسيحيين واليهود ، الذين كانوا في البداية الجباة الوحيدين للضرائب والصيارفة والتجار . وتجدر الملاحظة ان كثيرين من هؤلاء الموظفين المسيحيين كانوا يعتنقون الاسلام بغية نيل الحظوة لدى اسيادهم ، وفي سبيل البلوغ الى مناصب ارفع[٥] .

٢ . المترجمون

كان للمترجمين المسيحيين مكانة مرموقة في الدولة العباسية . فقد نما لدى العباسيين الاوائل خاصة ميلٌ شديد الى الثقافة والعلوم . فانهم اعتبروا ذواتهم اسيادَ العالم وورثة التراث اليوناني . وكانت الحضارة اليونانية وعلومها قد أهملت في الغرب منذ انتشار المسيحية فيه ، اذ رأى المسيحيون في تلك العلوم تراثاً وثنياً خطراً على الديانة المسيحية . ويقول ابن النديم (في الفهرست) ان معظم المخطوطات القيّمة النفيسة كانت ترقد في زوايا بعض الخزانات من مكتبات بيزنطية واثينا والاسكندرية وانطاكيا ، وقد تراكم عليها الغبار لعدم استعمالها .

الا ان ما اهمله المسيحيون في الغربِ ، عاد مسيحيون آخرون في الشرق ، من نساطرة او منوفيزيين ، وبحثوا عنه ، نزولاً عند رغبة ملوك مسلمين . . .

ولكننا نعلم ان حركة الترجمة من اليونانية كانت قد بدأت قبل هذا العهد بمدة طويلة . الا ان العباسيين شجعوا وساعدوا المترجمين بكل الوسائل ، واستنفروا لهذا الغرض جميع الذين كانوا قد تهيأوا في مدارس الرها ونصيبين ودير قني وجنديسابور وساليق . فقام النساطرة بدور رئيس في هذا الشأن بالترجمات والشروح والتآليف ، وبهذا نقلوا الثقافة اليونانية الى العالم العربي ، ومن خلاله عادت الى الغرب من جديد ، كما قلنا سابقاً .

واحدى الخواص التي امتاز بها هؤلاء العلماء المسيحيون كانت كفاءاتهم الواسعة التي شملت مختلف العلوم . فكثير منهم اطباء ممارسون يعلّمون الطب والفلسفة ، ولهم اطلاع واسع على الرياضيات والعلوم الاخرى ، وهم كثيراً ما من الاقليروس ايضا . وسنتطرق الى اسرة بختيشوع ومدى تضلّع ابنائها بالطب ، وما ترجموه من الكتب الطبية والعلمية لجالينوس وابقراط واقليدس وارسطو ، من اليونانية الى السريانية اولاً ، ثم من السريانية الى العربية ، واحياناً من اليونانية الى العربية رأساً .

---

(٥) هناك بعض الكتّاب الذين تحوّلوا عن الامويين وانضموا الى العباسيين ، مثل أسرة الوزراء من بني وهب ، الذين يبدو ان نساءَهم استمررن في مسيحيتهن مدة طويلة .

وكان الخليفة المنصور اولَ من عُني منهم بالعلوم اليونانية . «فكان مع براعته في الفقه ، كلِفاً في علم الفلسفة ، وخاصة في علم النجوم»[٦] . وهو اول من استدعى جرجس بن بختيشوع الذي انجز له الترجمات الاولى بالعربية[٧] .

ونعلم ان الخليفة المهدي هو الذي كلّف الجاثليق طيمثاوس الكبير بترجمة طوبيقا ارسطو من السريانية الى العربية . ويذكر طيمثاوس هذه الترجمة في رسالته الى الربان فثيون ، وهو خلف ابراهيم بردشنداد في ادارة مدرسة باشوش[٨] . وفي رسالة اخرى ، يتكلم طيمثاوس ايضاً عن الترجمة التي انجزها بمساعدة بعض من اليونان ، فيما يخص النص الاصلي[٩] .

اما الخليفة هارون الرشيد ، فبتأثير من جعفر البرمكي ، شرع يجمع العلماء حوله ، ويبحث عن المخطوطات في مختلف المناطق . ولما احتلّ عمورية وانقرة ، انتدب علماء ومترجمين من بغداد لاختيار الكتب النفيسة من مكتباتهما فيما يخص الطب والفلسفة والفلك . وولى الخليفة تعريب هذه الكتب الى جبريل بن بختيشوع والى يوحنا بن ماسويه ، وعيّن لهما كتّابا يشتغلون بين ايديهما ويساعدونهما في عملهما[١٠] .

وفي عهد المأمون ، اتخذت حركة الترجمة طابعاً منظماً وفعّالاً . ويروي لنا ابن النديم ان ارسطو ظهر في الحلم للمأمون . وهذا ما حمل الخليفة على المزيد من البحث عن كتب هذا الفيلسوف العبقري . فاخذ المأمون يراسل ملوك الروم ويعقد الصلح معهم ، شريطة ان يرسلوا له كتب الحكمة الموجودة في مكتباتهم الكبرى ، مثل مكتبة القسطنطينية التي عثروا فيها على كتاب بطليموس في الفلك . وارسل المأمون الى منطقة الروم بعثة علمية تتألف من عدة علماء ، منهم الحجاج بن مطر ، ويحيى ابن البطريق ، وسلام الابرص المشرف على «بيت الحكمة» ، ويوحنا بن ماسويه[١١] . فحمل هؤلاء الى بغداد عدداً كبيراً من الكتب النفيسة تتناول الحكمة والفلسفة والمنطق والموسيقى والرياضات والنجوم . . .

وفي سبيل تسهيل عمل الترجمة ونقل النصوص ، أسس المأمون في بغداد «بيت

---

(٦) ابن العبري ، **ت . م . د** ، ص ٢٣٥.

(٧) غراف ٢، ص ١١٠.

(٨) بيداويد ، رقم ٦٦؛ طالع غراف ٢، ص ١٨٨.

(٩) بيداويد ، رقم ٣٧ – ٣٨.

(١٠) طالع غراف ٢، ص ١١٠ و١١٣؛ روفائيل بابو اسحق ، **احوال نصارى بغداد** ، بغداد **١٩٦٠، ص ١٤٤**.

(١١) ابن العبري ، **ت . م . د** ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦.

الحكمة»[١٢] الذي كان العلماء يقصدونه من كل صوب ، فيجدون فيه مكتبة كبيرة عامرة بمختلف انواع الكتب ، وفيه يجتمع النسّاخ والمجلّدون وتتوفر الوسائل العلمية ، وحتى مرصد للنجوم[١٣] .

وقد ساند هذه الحركةَ الثقافية بعضٌ من اثرياء المسلمين ، لاسيما بنو موسى بن شاكر الثلاثة : محمد واحمد وحسن ، الذين كانوا من الرياضيين المتخصصين في بلاط المأمون . ويبدو انهم ارسلوا بعثة اخرى نحو الغرب للبحث عن المخطوطات ، برئاسة حنين بن اسحق ، جلبوا من هناك كتباً نفيسة ونادرة في الفلسفة والهندسة والموسيقى والرياضيات والطب[١٤] .

اما **حنين بن اسحق** (٨١٠ - ٨٧٣) فهو اشهر من نار على علم بين المترجمين ، حتى قيل عنه انه «اهم من نقل علم الاغريق الى العرب»[١٥] . تلقى حنين العلم على والده اولاً ، ثم على يوحنا بن ماسويه . وقصد بلاد الروم حيث اتقن اليونانية ومختلف العلوم . وعاد الى بغداد حيث كوّن مدرسة للعلم والترجمة . ويقال ان المأمون كان يعطيه ذهباً زنة ما ينقله من الكتب . وكان يساعده في الترجمة اشخاص عديدون ، منهم اصطفان بن يسيل وموسى بن خالد ويحيى بن هارون وحُبَيش بن حسن الاعسم وعيسى بن يحيى واسحق بن حنين[١٦] . وكانت طريقة حنين في الترجمة طريقة علمية ونقدية ، فيها يقابل المخطوطات ويرجع ايضاً الى ترجمات سابقيه ، وهي طريقة تختلف عن نهج ابن البطريق الذي كان يتقيد بالحرف . وأقيم ابن البطريق ايضاً اميناً على ترجمة الكتب الفلسفية من اليونانية الى العربية ، فتولى ترجمة كتب ارسطو وابقراط وغيرها[١٧] .

هكذا نلاحظ ان بعد موت طيمثاوس بمدة وجيزة ، استقطب بيت الحكمة جمهرة من خيرة المترجمين والعلماء المسيحيين والمسلمين ، حتى اربى عددهم على المائة . وقد ذكرنا من بين المسيحيين اسحق بن حنين وحبيش ابن الحسن ، وهو ابن اخت حنين ، وكلاهما من المتعاونين مع حنين في الترجمة .

---

(١٢) طالع سعيد الديوه جي ، **بيت الحكمة** ، ط ٢، الموصل ١٩٧٢.
(١٣) ابن العبري، **ت . م . د** ، ص ٢٣٧؛ احمد امين ، **ضحى الاسلام**، القاهرة ١٩٣٨، ص ٦١ - ٦٦.
(١٤) ابن النديم ، **الفهرست** ، تحقيق رضا - تجدّد ، ١٩٧١، ص ٢٤٣.
(١٥) الموضع عينه ، ص ٢٩٤، ابن العبري ، **ت . ك** . ٢، ١٩٧ - ٢٠٠؛ غراف ٢، ص ١٢٢ - ١٢٩.
(١٦) ابن النديم ، **الفهرست** ، ص ٤١٥؛ رفائيل بابو اسحق ، **احوال نصارى بغداد** ، ص ١٤٦؛ **مهرجان افرام وحنين** ، بغداد ١٩٧٤، ص ٣٠٧.
(١٧) ابن العبري ، **ت . م . د** ، ص ٢٣٩.

واشتهر بعدهم ثابت ابو قرة الحراني وقسطا بن لوقا البعلبكي (+٩٢٣) . والمسلم الاول الذي برز بين هذه المجموعة من العلماء المسيحيين هو أبو يوسف بن اسحق الكندي الملقب ب «فيلسوف العرب» . ومن الذين واصلوا مدرسة حنين وتقليده في القرنين التاسع والعاشر ابو بشر متى بن يونس (+٩٤٠) النسطوري والمنطقي الاول في عصره . وكان من بين الذين قرأوا عليه الفسلفة والمنطق الفيلسوف المسلم الكبير ابو نصر محمد الفارابي الذي يُعتَبر «الاستاذ الثاني» بعد ارسطو . وقد توفي الفارابي سنة ٩٥٠/ ٩٥١ . ويأتي اخيراً في هذه الحقبة الفيلسوف المنوفيزي الكبير يحيى بن عدي التكريتي (٨٩٣ - ٩٧٥) ، الذي قرأ على ابي بشر بن متى وعلى ابي نصر الفارابي وعلى جماعة من علماء عصره . وقد جمع في مدرسته عدداً كبيراً من العلماء الشباب ، من مسلمين ومسيحيين . وقيل عنه انه كان يكتب في اليوم والليلة مائة ورقة واكثر[١٨] . ومن الذين برزوا في الترجمة في القرن العاشر عيسى بن زرعة (+١٠٠٨) النصراني المنوفيزي . وقد قرأ الفلسفة والمنطق على يحيى بن عدي . ويقول عنه ابن العبري[١٩] انه احد المتقدمين في علم المنطق والفلسفة واحد النقلة المجودين ، وله تصانيف ونقول من السريانية الى العربية ، حتى ان ابا حيان فضّله على يحيى بن عدي التكريتي .

عمل هؤلاء العلماء المسيحيون والمسلمون جنباً الى جنب في بغداد في جوّ يسوده التسامح وحرية التعبير ، بفضل ما اتّسم به الخليفة المأمون من سعة الفكر ومحبة العلم ، مما اتاح للجميع ان يعبّروا عن آرائهم بحرية وموضوعية . ودارت محاورات عديدة ، فلسفية ولاهوتية ، بين الخليفة وبين مختلف الفئات من علماء بلاطه . لذا فقد دعاه المسلمون المتزمتون «امير الكافرين» عوض «امير المؤمنين» . ويبدو ان بيت الحكمة الذي أنشأه المأمون لم يدم طويلاً بعد ردة فعل الخليفة المتوكل (٨٤٧ - ٨٦١) الذي اثار اضطهاداً على المسيحيين سنة ٨٥٢، ووضع حداً ، لوقت ما ، للتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين .

٣. الاطبّاء

ان الطب في ما بين النهرين يَرقى الى عهود موغلة في القدم . فقد اهتم به السومريون والاكديون والبابليون والاشوريون ، وحاولوا اكتشاف اسباب الامراض

(١٨) ابن العبري ، **ت . م . د** ، ص ٢٩٧.
(١٩) الموضع عينه ، ص ٣١٥ - ٣١٦.

وطرق معالجتها بشتى الوسائل المتوفرة لديهم آنذاك ، تارة بالعلاجات الطبيعية ، وطوراً بالاعشاب والعقاقير ، وحيناً بالطرق السحرية ، وآخر بالوسائل النفسية . ونحن لا نريد العودة الى تلك العصور الغابرة ، بل نرمي الى القاء نظرة عاجلة على اصول الطب الذي بلغ ذروته في العصر العباسي مع آل بختيشوع .

حينما أغلقت مدرسة الرها سنة ٤٨٩ ، على اثر الخلافات العقائدية التي ذكرناها في الجزء الاول من تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ، اضطر عدد كبير من العلماء النساطرة الى مغادرتها . وقد ذهب كثيرون منهم فاستقروا في جنديسابور ، وهي مدينة في منطقة الاهواز كان قد اسسها شابور الاول الفارسي الساساني (٢٤١ - ٢٧٢) على اثر انتصاره على الامبراطور الروماني واليريانس (٢٥٣ - ٢٦٠) واستيلائه على أنطاكيا سنة ٢٦٠. وفي سنة ٥٢٩، اصابَ المصيرُ نفسُه مدرسةَ اثينا الشهيرة ، فاغلقها الامبراطور البيزنطي يوستنيانس الاول (٥٢٧ - ٥٦٥) . فاقبل عدد من فلاسفتها من النزعة الافلاطونية الجديدة الى جنديسابور ايضاً . فاجتمع فيها العلماء النساطرة واليونان في عهد كسرى الاول انوشروان (٥٣١ - ٥٧٩) . وكان هذا بدء الاكاديمية والمستشفى . وستزوّد هذه الاكاديمية العالم الشرقي ، طوال اكثر من ثلاثة قرون ، بأطباء طبقت شهرتهم الآفاق . وكانوا يستخدمون في تلك الجامعة الكتب نفسها المترجمة من اليونانية الى السريانية انطلاقاً من القرن الخامس ، وكانوا يتبعون الطريقة عينها المتَّبعة في مدرسة الاسكندرية الشهيرة .

وفي عصر الاسلام ، تنبه الخلفاء الامويون الى هذا الفن ، بالنظر الى ضرورته . واول من اهتم به هو الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت ٧٢٠) . فنشر كتاب الطب الذي كان ماسرجويه اليهودي قد نقله الى العربية . وقد ذكرنا سابقاً ان معاوية بن ابي سفيان (ت ٦٨٠) كان قد اختار لنفسه الطبيب ابن أثّال ، كما انه كان يعتمد على الطبيب ابي الحكم الدمشقي ، وكلاهما مسيحيان .

الا ان الطب لم ينل في عهد الامويين ما ناله من العناية في عهد العباسيين . ولم تقم مستشفيات حقيقية الا في عهد العباسيين . وقد كثر عددها في بغداد في القرنين التاسع والعاشر . وكانت كتب جالينوس في الطب تشكّل اساساً للمناهج الطبية . وكان سرجيوس الرأسعيني (رشعينايا) قد ترجم عدداً من رسائله الى السريانية . ثم اعاد حنين بن اسحق ترجمتها وتنقيحها في بيت الحكمة في بغداد . وكان الاطباء والصيادلة يجتازون امتحاناً ليحصلوا على اجازة ممارسة مهنتهم .

وكان نفوذ الاطباء في البلاط وفي الحياة اليومية كبيراً. وكانت شهرة الطب المسيحي المنبثق من مدرسة جنديسابور من السعة بحيث تعتقد العامة ان مسلماً لا يستطيع ان يصبح طبيباً ماهراً. وهذا ما ينقله الينا الجاحظ بتهكمه المألوف[٢٠]. وبفضل هؤلاء الأطباء المسيحيين، استطاعت كنيسة المشرق ان تضمن لذاتها وضعاً استثنائياً داخل النظام الاسلامي. فان المسلمين يكنّون دوماً احتراماً عميقاً للطب وممثليه. ففي نظرتهم يتنافس الطب مع علم الكلام. «فقد قيل: العلم علمان، علم الاديان وعلم الابدان». وما اكثر ما يرويه المؤرخون العرب والسريان في هذا الشأن[٢١].

وقد اشتهرت جنديسابور كمركز لدراسة الطب ومنها انبثقت حركة الاشتغال بالعلوم الطبية في البلاد الاسلامية العربية. وكان اساس هذه الحركة اسرة بختيشوع الشهيرة[٢٢]. فبادارة هذه الاسرة النسطورية، بلغت الاكاديمية والمستشفى في جنديسابور ذروة مجدهما. الا ان انتقال عاصمة الامبراطورية الجديدة الى بغداد ادى الى استقطاب خيرة العناصر العلمية الى البلاط العباسي، وفي مقدمتهم الاطباء.

– **جرجس بن بختيشوع (+٧٦٩)**، اول من وافى بغداد من هذه الاسرة هو جرجس بن بختيشوع. فبعد ثلاثة اعوام من تأسيس بغداد، اي سنة ٧٦٥، أصيب المنصور بداء في معدته لم يفلح اطباء المدينة في شفائه. فذكروا امامه اسم طبيب شهير يدير مستشفى جنديسابور وكان في الوقت نفسه مديراً للاكاديمية الطبية هناك، وهو جرجس بن بختيشوع. فأرسل الخليفة رجاله ليأتوا به على الفور. واذ تباطأ الطبيب في امتثال الامر، همّ رجال الخليفة بأخذه قسراً، مما سبّب ثورة في المدينة، بالنظر الى

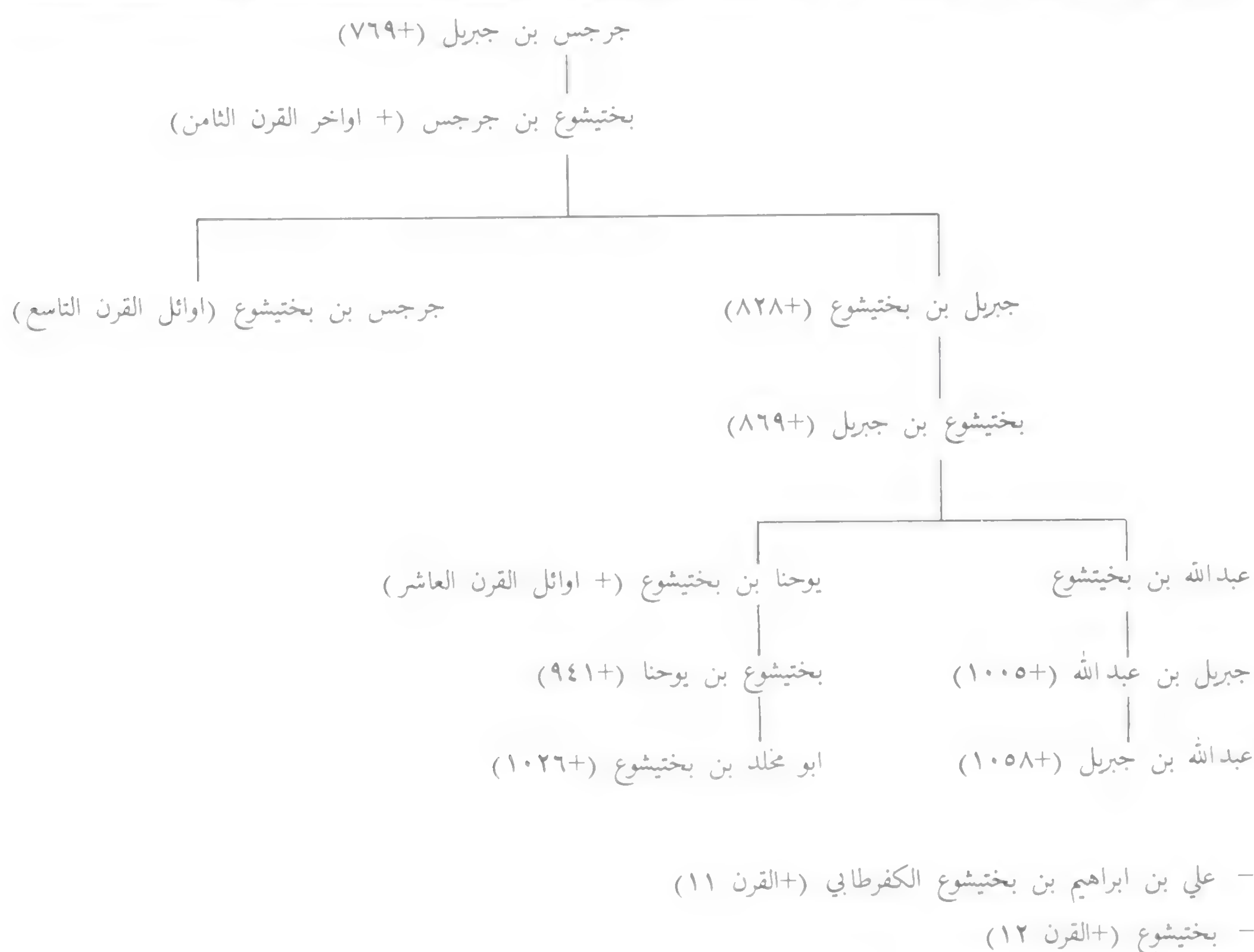
(٢٠) يقول الجاحظ (**في كتاب البخلاء**، دار الفكر، بيروت، ص ٨٥) عن الطبيب المسلم اسعد بن جاني: «كان طبيباً فأكسد مرة، فقال له قائل: السنة وبئة، والامراض فاشية، وانت عالم، ولك صبر وخدمة، ولك بيان ومعرفة. فمن اين تؤتى في هذا الكساد؟ قال: اما واحدة، فاني عندهم مسلم، وقد اعتقد القوم قبل ان اتطبب، لا بل قبل ان أخلق، ان المسلمين لا يفلحون في الطب. واسمي اسد، وكان ينبغي ان يكون صليبا ومرايل (ميخائيل) ويوحنا وبيرا (بطرس). وكنيتي ابو الحارث. وكان ينبغي ان تكون ابو عيسى وابو زكريا وابو ابراهيم. وعليّ رداء قطن ابيض، وكان ينبغي ان يكون رداء حرير اسود. ولفظي لفظ عربي، وكان ينبغي ان تكون لغتي لغة اهل جنديسابور (اي السريانية)».

(٢١) امثال ابن النديم في **الفهرست**، وابن ابي أصيبعة في **عيون الانباء في طبقات الاطباء**، وعلي بن يوسف القفطي في **تاريخ الحكماء**، وابن العبري في **تاريخ مختصر الدول**، وغيرهم كثيرين...

(٢٢) قنواتي، **المسيحية والحضارة العربية**، ط ٢، بغداد ١٩٨٤، ص ١٥٠؛ يوسف غنيمة، «بختيشوع الطبيب النسطوري وأسرته»، في مجلة **المشرق البيروتية** ٨، لسنة ١٩٠٥، ص ١٠٩٧ – ١١٠٥.
وبوسعنا تقديم شجرة آل بختيشوع على الشكل التالي:

مكانة جرجس المرموقة وتعلق الناس به . وتوصل مطران المدينة الى اقناعه بالذهاب وبترك المستشفى في عهدة ابنه بختيشوع . فاصطحب جرجس تلميذه ابراهيم وشخصاً آخر يدعى عيسى بن شحلوفا الذي يبدو ان مستشفى جنديسابور اراد التخلص من مساوئه . وسيخلق مجيء جرجس الى بغداد تقليداً طويلاً توارثه آل بختيشوع خلفاً عن سلف ، فمارسوا الطب وعالجوا المنصور والرشيد والامين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمقتدر والراضي ، كما عالجوا البرامكة وملوك بني بويه ووجهاء دولتهم[٢٣] .

ويقول المؤرخون ان الخليفة المنصور دهش من ثقافة جرجس ومنطقه وفصاحته ، وذلك منذ المقابلة الاولى التي فيها وجّه الطبيب خطاباً بليغاً الى الخليفة باللغتين الفارسية والعربية ، وطمأنه بان العلاج يكون طويلاً ولكنه سيكون ناجحاً . وقد افلح الطبيب في شفاء الخليفة الذي اجزل له العطاء . ويقول الطبري[٢٤] ان الطبيب



(٢٣) رفائيل بابو اسحق ، **أحوال نصارى بغداد** ، ص ١٦٣ . والبويهيون اسرة فارسية من اصل ديلمي ، حكمت سنة ٩٣٢ - ١٠٥٥ . أسسها ابو شجاع بويه . استولى ابناؤه على اصفهان وشيراز وكرمان وبغداد (٩٤٥) فغدا امير المؤمنين العوبة في ايدي البويهيين الى ان غلبهم طغرل بك السلطان السلجوقي سنة ١٠٥٥.

(٢٤) **التاريخ** ٣، ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

كان معتاداً على تناول الخمرة مع الطعام . ولكن قيل له ان لا خمرة على مائدة الخليفة . فاكتفى بشرب ماء دجلة واستعذبه . هناك رواية اخرى ينقلها ابن ابي اصيبعة(٢٥) يقول فيها ان الخليفة لاحظ ذبولاً في وجه طبيبه ، فسأل وزيره : «هل منعته من شرب الخمر ؟» وعند اقراره ، امر الخليفة بان تقدّم لطبيبه افخر خمرة من قطربل . . . واراد الخليفة في ميلاد سنة ٧٦٨ ان يقدم هدية لطبيبه ، فارسل له ٣٠٠٠ دينار مع ثلاث جاريات روميات بارعات الجمال ، عالماً ان زوجته العجوز المريضة بعيدة عنه اذ بقيت في عيلام . وما كان اشد دهشة الخليفة حينما اعاد الطبيب اليه الجاريات الثلاث واوصى بان يقال للخليفة مع شكره : «اني لا اريد السكنى مع هؤلاء ، لاننا مسيحيون وقد أُمرنا بألا نتخذ سوى زوجة واحدة ، وزوجتي ما زالت على قيد الحياة في بلادي !» ومذ ذاك سمح الخليفة لطبيبه بالدخول الى بلاطه والذهاب لرؤية زوجته وبناته كلما شاء ذلك .

وبوجود جرجس في البلاط العباسي ، صار للنساطرة محام قدير يحظى بثقة الخليفة . فقد يكون بتأثير من جرجس ان الخليفة الذي ، على طلب قائده نصر ، كان قد مال الى سورين الدخيل ضد البطريرك النسطوري الشرعي يعقوب ، عاد فقبل بيعقوب وسجن سورين . كما ان هناك حدثاً آخر ينقله لنا ابن العبري ربما جرى بتأثير من جرجس ايضاً ، وهو بناء كنيسة نسطورية صغيرة في تكريت سنة ٧٦٧ . ففي تلك الفترة ، خرج الاسقف صليبا زخا من السجن حيث كان بصحبة البطريرك يعقوب . وشرع الاسقف بترميم كنائسه في ابرشية الطيرهان . وجرى اتفاق ثلاثي بين بولس مطرافوليط تكريت المنوفيزي (ولا بد انه جرى برضى البطريرك يعقوب المسجون آنذاك) وبين قبريانس مطرافوليط نصيبين النسطوري وصليبا زخا اسقف الطيرهان النسطوري ، واتاح هذا الاتفاق لصليبا زخا ان يشيد كنيسة صغيرة في تكريت ، مقايضة باعادة كنيسة دومطيانس الى المنوفيزيين في نصيبين ، وكان النساطرة قد استولوا عليها(٢٦) .

الا ان المرض داهم الطبيب نفسه ، فسمح له الخليفة بالعودة الى ذويه . ويقول ابن

---

(٢٥) في **عيون الانباء** ، ص ١٨٣ - ١٨٦ .

(٢٦) يظن الأب فييه ان انقاض كنيسة النساطرة هذه قد اكتُشفت سنة ١٩٧١ في تكريت ، وهي ملاصقة لسور المدينة من الجهة الشمالية الغربية ، على بعد نحو ٧٠ متراً من دجلة ، وقد وجدوا فيها ثلاثة قبور بكتابات اسطرنجيلية ، ويعلو واحداً منها صليب (طالع **المسيحيون السريان** . . .، ص ٢٣ حاشية ٤٠) .

العبري[٢٧] انه قال له عند توديعه : «ياحكيم ، اتّقِ الله واسلمْ، وانا اضمن لك الجنة ! » فقال له جرجس : «قد رضيت حيث آبائي ، في الجنة او في النار» . فضحك المنصور وقال : «انني مذ رأيتك وجدت الراحة من الامراض التي كانت تعتادني» . فقال جرجس : «انا اخلف بين يدي امير المؤمنين عيسى تلميذي ، فهو ماهر» . فامر الخليفة بعشرة آلاف دينار لطبيبه ، واذن له بالانصراف الى بيته . ويبدو ان المنصور طلب في وقت لاحق من طبيبه ان يعود الى بغداد ، ولكنه اعتذر لتقدّم سنه ، وارسل اليه احد تلاميذه ، وهو ابراهيم . . . وقد نقل جرجس للخليفة كثيراً من كتب اليونان . وله «كنّاش» طبي بالسريانية .

اما عيسى بن شهلاثا او شحلوفا الذي تركه جرجس طبيباً للخليفة ، فكان شمّاساً ، وقد ثمّن المنصور مهارته في الطب . ولكن عيسى لا يُعَدّ بين الاطباء الشهيرين ، ولم يترك لنا اي مصنف في هذا الفن . وقد لعب دوراً سيئاً في الامور السياسية والكنسية . فاذ كان الخليفة بأمسّ الحاجة الى المال ، اراد ان يزيد الخراج ، وعهد بالامر الى طبيبه فيما يخص المسيحيين . فاستدعى هذا بطريركه يعقوب الذي جاءه بصحبة ٣٦ اسقفاً للتأثير في نفس الطبيب المشاغب . الا ان عيسى لم يحترمهم ، مما جلب عليه تأنيب شليمون اسقف حديثة دجلة الذي سمّاه «يهوذا الثاني» . وسيدفع شليمون ثمن جسارته غالياً . واذ كان الخليفة منهمكا في ملاحقة الزنادقة امثال ابن المقفّع ، كان للطبيب الحرية التامة في تصرفاته التعسفية ضد بني مذهبه . وقد ادت به الجسارة الى حبس البطريرك يعقوب نفسه ، وامر الاساقفة بتسليم اموال الكنائس اليه ، واقال الذين لم ينفذوا اوامره . وكان سورين مستعداً لرسامة اساقفة جدد عوضهم . وأطلقت ايدي العمال على المسيحيين ، وفارقَ بعضُهم دينَه[٢٨] . وكان ابراهيم بن يحيى عاملاً على حديثة الموصل ، وهي ابرشية شليمون المسمى «الباكي» . وبايعاز من عيسى سبّب هذا متاعب جمة للاسقف المسكين . وعلى ضوء هذه الظروف يمكن شرح ما قام به موسى بن مصعب حاكم منطقة الجزيرة من الاعمال التعسفية ضد المسيحيين والمسلمين ، وذلك على فترتين : ٧٦٩/٧٧٠ و٧٧٤/ ٧٧٥. لكن حبل الظلم قصير . فلقد طفحت الكأس وبلغ الاستياء ضد عيسى ذروته . فغضب عليه المنصور ونفاه مع زوجته الى الهند . وتحسنت احوال المسيحيين شيئاً فشيئاً ، وأُطلق

(٢٧) ت . م . د . ، ص ٢١٥ .
(٢٨) ماري ، ص ٦٨ ، وكان من بين الذين اسلموا والد معروف الكرخي .

سراح المسجونين امثال البطريرك يعقوب وشليمون الحديثي وغيرهما ، واستطاع الاساقفة المقالين العودة الى كراسيهم الشرعية . . .

– **بختيشوع بن جرجس (+٧٩٨)** كان بختيشوع قد خلفَ أباه في ادارة الاكاديمية والمستشفى في جنديسابور . وبلغ خبرُه الخليفة الهادي ، فاستدعاه الى بغداد سنة ٧٨٥ لمعالجته . ويبدو ان الخليفة قضى نحبه قبل وصول الطبيب اليه . وسرعان ما شعر بختيشوع ، في بغداد ، بحسد الطبيب عيسى ابي قريش وبمناوأة الملكة الخيزران له . فعاد الى جنديسابور . الا ان هارون الرشيد استدعاه الى بغداد من جديد سنة ٧٨٧، على نصيحة يحيى البرمكي ، لكي يشفيه من صداع طال امده وعجز الاطباء الآخرون عن شفائه . ولما جاء بختيشوع وعالج الرشيد حتى برئ ، اكرمه الخليفة اكراماً جزيلاً وغمره بالهبات[٢٩]

ولبختيشوع «كنّاش» مختصر اسماه كتاب التذكرة ، وضعه لابنه جبرائيل او جبريل .

– **جبريل بن بختيشوع (+٨٢٨)** ، اخذ جبريل الطب عن ابيه وبرز فيه . وكانت نشاطاته تشمل الطب والترجمة ، بالاضافة الى قيامه بمهمة في الكنيسة . وقد شرع يمارس مهنته الطبية في بغداد في خدمة جعفر بن يحيى البرمكي الذي شُفي على يده ، فأحبه مثل نفسه . ثم استدعاه هارون الرشيد لكي يشفي احدى جواريه التي شلّت ذراعها ولم يفلح الاطباء في معالجتها . فاستخدم جبريل الحيلة او بالاحرى وسيلة نفسية لشفائها ، اذ استدعى الجارية امام الجميع ، ثم اسرع اليها جبريل ونكّس رأسها وامسك ذيلها وهمّ ان يرفعه . وفي ردة فعل من الحياء والدفاع عن النفس ، بسطت الجارية يدها الى اسفل وامسكت ذيلَها فبرئت ذراعها[٣٠] . فنال جبريل حظوة كبيرة لدى الرشيد ، وارتفعت منزلته لديه ، حتى جعله رئيساً على جميع الاطباء . وقال يوماً لاصحابه : «كل من كانت له حاجة ، فليخاطب جبريل ، لاني افعل كل ما يسألني»[٣١] .

---

(٢٩) ابن العبري ، **ت . م . د** ، ص ٢٢٥ – ٢٢٦. طالع ايضاً ابن ابي أُصيبعة ١، ص ١٥٢ – ١٢٧ القفطي ، ص ١٠١ . ويروي المؤرخون ان الرشيد اراد اولاً ان يختبر طاقات طبيبه ، فقدّم له ادرار ثور زاعماً انه ادرار احدى زوجاته المريضة . ولم يخيّب بختيشوع امله – ابن ابي أُصيبعة ١، ص ١٨٦ – ١٨٧؛ ابن العبري ، **التاريخ السرياني** ، ص ١٣٣ – ١٣٤.

(٣٠) ابن ابي أُصيبعة ١، ص ١٢٧؛ القفطي ، ص ٤٣١؛ ابن العبري ، **ت . س** ، ص ١٣٤؛ **ت . م . د** ، ص ٢٢٦ – ٢٢٧.

(٣١) ابن ابي أُصيبعة ، ص ١٢٧ – ١٢٨.

وقد عرف البطريرك طيمثاوس الكبير ان يستفيد من نفوذ جبريل لصالح الكنيسة الشرقية وحسن ادارتها . فهو لا يفتأ يذكر ما ناله من الانعام بفضل جبريل . فيقول مثلاً في احدى رسائله[٣٢] : «في هذا الامر كما في امور اخرى كثيرة ، كان لي جبريل ، عند باب ملكنا المظفر ، يداً وشفاهاً ولساناً ، بل اكثر من ذلك ، كان لي ضميراً وعقلاً . لقد كان كل هذا لي وللكنيسة الجامعة كلها . ليحفظ الله لسنين عديدة حياته وحياة ملكنا المظفر» .

ورفع الرشيد منزلة جبريل واسند اليه امر التدريس والترجمة في مدرسة الطب في بغداد ومستشفاها . وكان مرتبه الشهري عشرة آلاف درهم[٣٣] . وقد ساعد الكنيسة بجزء من امواله ، بالاضافة الى مساعداته المعنوية الاخرى لبني مذهبه . وحظي مثل والده بثقة الخليفة ، فسمح له بالدخول الى حرمه . الا ان اخلاق جبريل لم تكن على ما يرام ، بل اخذ يجاري اسياده الخلفاء في التسرّي . وانذره طيمثاوس ، ولم يرعو ، فانتبذه من الجماعة المسيحية[٣٤] . وساءت العلاقات بينهما حيناً ، الى ان ثاب جبريل عن غيه بعد مكروه اصابه على اثر لعنة البطريرك اياه ، كما ذكرنا سابقاً .

الا ان هارون الرشيد غضب على جبريل قبل موته وامر بقتله . لكن الفضل ابن الربيع استبقاه في الحياة سراً . ولما ملك الخليفة الامين سنة ٨٠٩، وافى اليه جبريل ، فرحّب به واكرمه ، وكان الرشيد قد اقام جبريل «رقيباً» على الامين[٣٥] . ولدى مجيء المأمون الى الحكم ، القى القبض على جبريل وسجنه لاجل ولائه للامين . ولكنه في سنة ٨١٧، افلح في معالجة حسن بن سهل ، وزير المأمون ، ونال هذا من المأمون الصفح عن جبريل الذي استطاع العودة الى بغداد والعيش فيها الى ان وافاه الاجل سنة ٨٢٨. ودفن في دير مار سرجيس (سركيس) في المدائن[٣٦] .

– **بختيشوع بن جبريل (+٨٧٠)** خلف بختيشوع اباه جبريل في ممارسة الطب في البلاط العباسي ، وقد استدعاه اليه المأمون بعد عودته من حملة قام بها ضد الروم . وهو الذي ، مع يوحنا بن ماسويه ، عالج المأمون وهو على فراش الموت[٣٧] .

(٣٢) بيداويد ، رقم ٤٠، ٧٧ – ٧٨.
(٣٣) ويقول ابن العبري ٩٠٠،٠٠٠ دينار في السنة (**ت . س** .، ص ١٣٤) .
(٣٤) ماري ، في **المجدل** ، ص ٧٤.
(٣٥) السيوطي ، **تاريخ الخلفاء** ، ص ٢٩٠.
(٣٦) كان دير مار سرجيس في «مبركتا» وراء سور كوخي (فيه اردشير) (طالع **التاريخ السعردي** ٢، ص ٢١٨) ، ويسمى ايضاً دير الاخوة او دير ساليق .
(٣٧) المسعودي ، **مروج الذهب** ٤، ص ٤٠.

الا ان الواثق سخط على بختيشوع واستولى على املاكه ونفاه سنة ٨٤٧ الى جنديسابور . وصلحت حاله حينما تولى المتوكل الخلافة ، فنال من الحظوة والكرامة والجاه والثروة الشيء الكثير . فكان نديم الخليفة وأليفه . ويدل على ذلك الحديث الذي جرى بينه وبين الخليفة ذات يوم بشأن المجانين[٣٨] . الا ان المتوكل انقلب عليه اخيراً ، فصادر امواله واملاكه ، ثم اقصاه الى البحرين . وعاد الخليفة المهتدي سنة ٨٦٩ فأذن له بالعودة الى بغداد ، وردّ عليه ما ابتزّه المتوكل منه واكرمه كثيراً . فاستطاع ان يمارس مهنته حتى وفاته سنة ٨٧٠.

واستمر الاطباء من آل بختيشوع في خدمة الدولة العباسية ، دون انقطاع تقريباً ، حتى القرن الثاني عشر .

ويقال ان بختيشوع بن جبريل هو اول من استعمل طريقة تكييف الهواء والحرارة[٣٩] .

- **الاطباء المسيحيون الآخرون** . لقد اشتهر في عهد الخلفاء العباسيين مسيحيون آخرون عملوا في الطب جنباً الى جنب مع آل بختيشوع ، بل احياناً نافسوهم الزعامة في الطب . وقلنا ان جرجس بن بختيشوع ، لدى انسحابه من البلاط العباسي ، خلف هناك تلميذه ، وهو عيسى بن شحلوفا او شهلاثا[٤٠] الذي اكتسب ثقة المنصور واخذ يتصرف بشؤون الكنيسة تصرفاً ارعن ، لاسيما في الدور الذي لعبه مع قبريانس مطران نصيبين ومحاولته في ابتزاز اموال كنيسة نصيبين[٤١] . الا ان دوره قد افتضح ، فطُرد من البلاط[٤٢] .

وكان ثمة شخص مسيحي آخر حظي بنفوذ كبير في البلاط ، وقد تطرقنا اليه سابقاً ، وهو عيسى ابو قريش الصيدلاني[٤٣] . وقد لعب عيسى هذا دوراً هاماً في انتخاب حنانيشوع اسقف لأشوم بطريركاً[٤٤] . كما ان دوره كان عظيماً في انتخاب

(٣٨) ابن العبري ، **ت . م . د** ، ص ٢٤٩؛ **ت . س** .، ص ١٥٧.
(٣٩) رفائيل بابو اسحق ، **احوال نصارى بغداد** ، ص ١٧٥.
(٤٠) ويسميه ماري عيسى بن شهلافا - **المجدل** ، ص ٦٨ - ٦٩.
(٤١) ابن العبري ، **ت . ك** ٢، ١٦١ - ١٦٤ ماري ، ص ٦٨ - ٦٩.
(٤٢) ابن العبري ، **ت . م . د** ، ص ٢١٣ - ٢١٤.
(٤٣) طالع عنه ابن ابي أُصيبعة ١، ص ١٤٩ - ١٥٢؛ القفطي ، ص ٤٣٠ - ٤٣٥؛ ماري ، ص ٧٠.
(٤٤) ماري ، ص ٧٠. ووهم ابن العبري اذ قال ان يعقوب اسقف جنديسابور اقيم بطريركاً بتدخل عيسى الصيدلاني . لان الامر جرى سنة ٧٥٤ ولم يكن عيسى آنذاك في البلاط - راجع **ت . ك** . ٢، ١٦٣ - ١٦٤ و١٨٧.

طيمثاوس الاول وفي تهدئه خواطر منافسيه وفي تحقيق المصالحة في كنيسة المشرق ، بالتعاون مع ابي نوح الانباري .

ومن الذين اشتهروا بالطب «ماسويه ابو يوحنا» ، وكان دقاق ادوية في مستشفى جنديسابور ، وهو لا يعرف القراءة والكتابة ، لكنه كان خبيراً بمعرفة الامراض وعلاجها وبانتقاء الادوية ومراهمها ، واشتهر بمهنة الكحالة ، وعالج بها الفضل وزير الرشيد ، ثم الرشيد نفسه ، ونال منه هبات جزيلة .

واشتهر يوحنا بن ماسويه وتلميذه ايشوع برنون بطريرك المستقبل . وخلف يوحنا جبريل بن بختيشوع في ادارة المستشفى والاكاديمية في جنديسابور . ولكنه توجه هو ايضاً الى بغداد ، وانضمّ الى اطباء البلاط . وكان لمغادرته جنديسابور اثر بالغ في انحطاط المدرسة[٤٥] . ومارس يوحنا مهنة الطب في بغداد ، وعلى طلب الرشيد ، اهتم بترجمة كتب الطب اليونانية وبتعليمها . وقد وضعه المأمون على رأس المترجمين في «بيت الحكمة» . ومن الذين تلقوا العلم عليه حنين بن اسحق . وواصل يوحنا مهنته في البلاط العباسي في عهد الخليفة المتوكل ، الى ان وافاه الاجل سنة ٨٥٧[٤٦] .

ومن الذين اشتهروا بالطب ايضاً «ميخائيل بن ماسويه» وهو اخو يوحنا . وكان الخليفة المأمون يكرمه اكراماً عظيماً ولا يتناول دواء دون استشارته .

وبين اطباء المأمون جبريل الكحال ، وكان مرتبه الشهري الف درهم ، وكان اول من يدخل الى الخليفة كل يوم[٤٧] عند تسليمه من صلاة الغداة ، فيغسل اجفانه ويكحل عينيه . فاذا انتبه من قائلته فعل مثل ذلك[٤٨] .

وكان «سلمويه بن بنان» طبيب الخليفة المعتصم الذي اكرمه وقرّبه اليه . وكان سلمويه عظيم الشأن جليل القدر واسع العلم كثير الخبرة في انواع الامراض . ويقول ابن ابي اصيبعة[٤٩] انه كان نصرانياً حسن الاعتقاد في دينه كثير الخير محمود السيرة وافر العقل جميل الرأي . ولما مات ، امتنع المعتصم عن الاكل في ذلك اليوم ، وامر باحضار جنازته الى الدار وان يصلّى عليها بالشمع والبخور على رأي النصارى ، ففعل

(٤٥) طالع ابن ابي أُصيبعة ١، ص ١٧٥ - ١٨٣؛ القفطي ، ص ٣٨٠ - ٣٩١؛ ابن النديم ، **الفهرست** ، ص ٣٩٥ - ٢٩٦؛ ابن العبري **ت . م . د** ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧؛ غراف ٢، ص ١١٣ - ١١٤.

(٤٦) وقد لقّب بماسويه الاكبر تمييزاً له عن ماسويه المارديني (+١٠١٥) الذي لُقّب بماسويه الاصغر .

(٤٧) ابن العبري ، **ت . م . د** ، ص ٢٤٠.

(٤٨) قنواتي ، **المسيحية والحضارة العربية** ، ص ١٥٥.

(٤٩) **عيون الانباء** ١، ص ١٦٥ - ١٦٦.

ذلك وهو يراهم ، وقال اني سألحق به لانه كان يمسك حياتي ويدبّر جسمي[٥٠] . وكان لسلمويه طريقة خاصة لمعالجة السل[٥١] . وقد مات المعتصم فعلاً بعد عشرين شهراً من وفاة سلموية[٥٢] .

وهناك اطباء مسيحيون آخرون كثيرون عاشوا في القرنين التاسع والعاشر ، نخص بالذكر منهم سابور بن سهل (+٨٦٩) وابو يحيى المروزي (القرن التاسع) وعلي بن عيسى الكحّال (القرن العاشر) ، وغيرهم من المتأخرين الذين قد يرد ذكرهم في الصفحات اللاحقة من هذا الكتاب[٥٣] .

* * *

بانتهاء هذا الفصل ، نطوي صفحة من المع الصفحات في تاريخ كنيسة المشرق . فان هذه الكنيسة عرفت ان تفرض وجودها واحترامها بواسطة شخصية رؤسائها وبعلمائها واطبائها ومثقفيها الذين توصلوا الى شغل ارفع المناصب في الدولة العباسية وممارسة نفوذهم الكبير على الخلفاء والوزراء . حتى ان الخليفة المعتصم لم يتردد في القول يوماً : «ان سلمويه طبيبي اكبر عندي من قاضي القضاة . لان هذا يحكم في مالي ، وهذا يحكم نفسي ، ونفسي اشرف من مالي وملكي»[٥٤] .

فبوسعنا ان نوجز فنقول ان الادارة ، وهي ركن النظام العباسي ، كانت ترتكز في معظمها على الكتّاب المسيحيين ، وان صحة الخلفاء والعظماء كانت بين ايدي الاطباء المسيحيين ، وان مقاليد الثقافة والعلوم اليونانية كانت منوطة بكفاءات المترجمين والعلماء المسيحيين .

وقد استخدم هؤلاء المثقفون نفوذَهم لصالح كنيستهم المشرقية ، مما اولاهم مكانة مرموقة في هذه الكنيسة . فاستشارهم رؤساء الكنيسة في الشؤون الدينية الهامة ، لاسيما عند انتخاب بطريرك جديد ، حتى اصبح لهم الحق واقعياً في الاشتراك ، رغم كونهم علمانيين او من درجات الاقليروس الدنيا ، في هذا الانتخاب ، مع الكهنة والاساقفة . وهذا ما يدل على كونهم يشكلون رسمياً جزءاً في سينودس كنيستهم . . .

---

(٥٠) ابن العبري ، **ت . م . د** ، ص ٢٤٣.

(٥١) بابو اسحق ، **احوال** ...، ص ١٨٥ - ١٨٦؛ قنواتي ، **المسيحية** ...، ص ١٥٥.

(٥٢) القفطي ، ص ١٤١.

(٥٣) طالع قنواتي ، **المسيحية والحضارة العربية** ، ص ١٤٨ - ١٩٤.

(٥٤) ابن ابي أصيبعة ، **عيون الانباء** ١، ص ١٦٥.

. . . وهكذا واصلت كنيسة المشرق مسيرتها الثابتة ، مستندة الى ادارة رؤسائها الحازمة ، والى عبقرية علمائها ، والى امانة المنتمين اليها ، وهي تتطلع الى مستقبل زاهر ، لم يُكتَبْ له التحقيق الا جزئياً ، يا للاسف ! . . .

الكنيسة في القرن التاسع

لقد ترك البطريرك طيمثاوس الكبير، بعد رئاسة دامت ٤٣ سنة، كنيسة منظمة من الداخل، تنعم بادارة اقليروس حاصل على ثقافة جيدة، وتحظى من الخارج باحترام العالم الاسلامي، بالنظر الى علمائها واطبائها، والى مساهمة بنيها في مختلف الاصعدة من الحياة الاجتماعية في الدولة العباسية.

١. البطريرك ايشوع برنون (٨٢٣ - ٨٢٨)

هو خلف طيمثاوس الكبير. ابصر النور في قرية بيث كبّاري الواقعة بين نينوى والموصل عند مصب الخوسر بدجلة[١]. تلقى العلم على ابراهيم بردشنداد مع طيمثاوس في مدرسة باشوش في منطقة المرج. وعُيّن مفسراً في مدرسة المدائن. وكان ايضاً يهتم بتربية ابن الطبيب ماسويه بن يوحنا[٢]. الا انه غادر بغداد وذهب الى دير ايزلا الكبير في منطقة نصيبين حيث امضى فترة من الاعتكاف، واخذ يردّ على تعاليم طيمثاوس بخصوص التجسد، مما اغاظ الرهبان، فاضطر الى مغادرة الدير

(١) ماري، ص ٧٥، صليبا، ص ٦٦.
(٢) طالع عن ماسويه بن يوحنا، ابن ابي أصيبعة، ص ٢٤٢ - ٢٤٦.

والتوجّه الى دير مار ايليا القريب من الموصل ومكث هناك نحو ثلاثين سنة[٣] .

لقد قيل الكثير عن عداء طيمثاوس له . الا ان قلب طيمثاوس كان اكبر من ان يكنّ حقداً لزميله القديم . فنرى ان البطريرك العظيم يرشح ايشوع برنون لمطرافوليطية نصيبين . ولكن رفض اهل نصيبين حال دون ذلك . ونرى ايضاً ان البطريرك عند موته يوصي بان يقام ايشوع برنون خلفاً له . وهذا ما تحقق فعلاً . فتمّ انتخاب ايشوع برنون في مطلع تموز سنة ٨٢٣، وذلك بتأثير شخصيات مسيحية كبيرة ، امثال الطبيبين جبريل بن بختيشوع وختنه الطبيب ميخائيل ، والامينين يعقوب ووهب . وقام بادارة الشؤون الكنسية مدة شغور الكرسي شخص يدعى عبدا ابن عون الجوهري العبادي من الحيرة الذي كان منزله في اسفانير احدى ضواحي قطيسفون .

وما ان جلس ايشوع برنون على السدة البطريركية ، حتى اظهر ما يكنّه من العداء الدفين لطيمثاوس الكبير المتوفى ، وادى الامر به الى اسقاط اسمه من سفر الآباء . فنشأ خلاف حاد بينه وبين الاساقفة الذين ارادوا اقالته . الا ان تدخّل الاطباء المسيحيين سوّى هذا الخلاف . فاعترف البطريرك ايشوع برنون بخطئه ، وقيل انه امر تلاميذه عند موته باحراق الكتب التي وضعها ضد طيمثاوس . وتوفي ايشوع برنون في ١ نيسان سنة ٨٢٨، ودفن في دير الجاثليق (دير كليليشوع) الذي كان طيمثاوس قد جدّده . . .

وضع ايشوع برنون كتباً عديدة[٤] ، منها كتاب اللاهوت وكتب اخرى ليتورجية وقانونية وشروح في الكتاب المقدس[٥] . وعقد في السنة الاولى من بطريركيته مجمعاً سنّ فيه ١٣٠ قانوناً في الفرائض والاحكام . الا انها لم توضع موضع التنفيذ في كنيسة المشرق ، بالنظر الى موقف صاحبها من طيمثاوس الكبير .

٢ . البطريرك كيوركيس الثاني (٨٢٨ - ٨٣٠)

ويسمى ابن الصبّاح او الصيّاح[٦] . هو شرزاد ابن احد اشراف قرية «حنس» الواقعة على نهر الكومل على مسافة ١٠ كم شمال شرقي عين سفني . ويبدو ان التقاءه بمارن عمه مطرافوليط حدياب وما رآه من الخوارق التي اجراها قد دفعه الى

---

(٣) ماري ، ص ٧٥.

(٤) راجع **فهرس المؤلفين** لعبد يشوع الصوباوي ، ترجمة الدكتور يوسف حبي ، ص ٤٨.

(٥) راجع **ادب اللغة الآرامية** للمؤلف ، ص ٢٣٨ - ٢٤١.

(٦) طالع ماري ، ص ٧٦؛ صليبا ، ص ٦٨ - ٦٩؛ ابن العبري ، **ت . ك** . ٢، ١٨٨؛ توما المرجي ، **كتاب الرؤساء** ، ص ١٤٥، ١٤٦؛ بطرس نصري ، **ذخيرة الاذهان** ١، ص ٣٨٩.

اعتناق الحياة الرهبانية في دير بيث عابي في منطقة المرج . وقد بارك مارن عمه عزمه هذا وتنبأ له بمستقبل عظيم في الكنيسة . فاصبح شرزاد راهباً باسم كيوركيس ، وتلقى العلم على الانبا ايشوعداد ، ثم اصبح رئيساً للدير مدة طويلة . وفي هذه الفترة ، قصد الطبيب جبريل بن بختيشوع والتمس منه ان ينصفه من رجل استولى على احدى ضيع الدير . وقد توسم فيه جبريل الاستقامة والحصافة ، فسأل طيمثاوس ان يقيمه مطراناً على جنديسابور . فلبى البطريرك طلب الطبيب . وظل كيوركيس اكثر من عشرين سنة في رئاسة هذه الابرشية . وحينما وافت المنية ايشوع برنون ، تدخل الطبيب جبريل وصهره الطبيب ميخائيل في امر انتخاب كيوركيس للبطريركية ، رغم كونه قد تجاوز المائة من سنه واصبح عاجزاً واكتنفته الامراض . فأقيم بطريركاً سنة ٨٢٨، وتوفي سنة ٨٣٠، ودفن في دير كليليشوع في بغداد . ولم يقم بدور هام في العلاقات المسيحية - الاسلامية التي كانت آنذاك في ايدي المتنفذين من المسيحيين . وينسب اليه صليبا آيات واعاجيب ، مثل شفاء الأمراض الصعبة واخراج الشياطين[٧] .

٣. البطريرك سبريشوع الثاني (٨٣١ - ٨٣٥)

كان سبريشوع من منطقة بيث نوهدرا[٨] . وترهب في دير ايزلا الكبير . واقامه يوحنا مطرافوليط نصيبين اسقفاً لحران ، ثم نقله البطريرك طيمثاوس الكبير الى مطرانية دمشق . وقلنا سابقاً انه هناك استقبل الخليفة المأمون الذي نزل ضيفاً عليه . لم يكن سبريشوع عالماً ، بل زاهداً وحافظاً للاخبار الكنسية . ولدى وفاة الجاثليق كيوركيس ، تذكر المأمون كرم سبريشوع وسعى له بالبطريركية . فأقيم بطريركاً سنة ٨٣١، ونزل بالدير الكبير المعروف بدير كليليشوع او دير الجاثليق . وجدّد دير مار فثيون في العتيقة ، واراد ان يجعله كرسي الجثالقة في بغداد . وسعى ايضاً في تجديد العلوم في الكنيسة ، فاصدر منشورين يحرّض فيهما ابناء كنيسته ، ولاسيما الرهبان ، على العكوف على الدرس ومطالعة كتب الآباء . واقام مدرسة في دير مار فثيون فوّض فيها وظيفة التدريس الى رهبان دير صليبا المعروف بدير صرصر ، وعيّن لهم الارزاق . وتأسست في عهده مدارس اخرى ، منها ثلاث في بغداد : مدرسة مار فثيون المذكورة ، ومدرسة دار الروم ، ومدرسة دير كليليشوع او الجاثليق ، بالاضافة الى مدرسة اخرى في دير مار

---

(٧) صليبا في **المجدل**، ص ٦٩.
(٨) ماري ، ص ٧٦ - ٧٧؛ صليبا ، ص ٦٩ - ٧٠؛ ابن العبري ، **ت . ك** ٢، ١٩٠؛ بطرس نصري ، ١، ص ٣٩٠ - ٣٩١.

كبرئيل المعروف بالدير الاعلى في الموصل . ويبدو انه كان لتلاميذ هذه المدارس حق ونفوذ في انتخاب الجاثليق(٩) . كما انه اهتمّ بتعمير الضيع . فكان يضيّق على نفسه لكي يوفر النفقات للمدارس والبيع وافتقاد الغرباء . وتوفي سنة ٨٣٥، ودفن في دير كليليشوع .

٤ . الخليفة المعتصم (٨٣٣ - ٨٤٢)

هو محمد بن هارون الرشيد واخو المأمون ، ويكنّى ابا اسحق ، وامه ام ولد تسمّى ماردة بنت شبيب . تولى الخلافة بعد المأمون سنة ٨٣٣، وهو في الثامنة والثلاثين من سنه . وكان بينه وبين العباس ابن المأمون في ذلك الوقت تنازع في المجلس ، ثم انقاد العباس الى بيعته(١٠) . وكانت الحركة العلمية آنذاك في ذروة مجدها . وقد استطاع الخليفة الجديد ان ينتصر على العلويين وعلى الزط وعلى غيرهما من الشيع ، وعقد هدنة مع الملك تاوفيلس البيزنطي . وكان الجو مؤاتياً لاستمرار الحركة العلمية . الا ان الخليفة الجديد لم يكن ممن يستهويهم العلم ، بل كان يفضّل عليه الصيد والتنزّه . واذا ظل الخليفة الجديد متمسكاً بالمذهب المعتزلي ، فان «المحنة» قد اعتراها الفتور ، اذ لم يكن يولي الامور اللاهوتية اعتباراً كبيراً .

وفي عهده انتقلت عاصمة الخلافة من بغداد الى سامراء(١١) . ويمتدح ماري(١٢) ما حققه المعتصم من الهدوء والاستقرار في بلاد الموصل وباجرمي ، ثم يقول : «في السنة الثانية من خلافة المعتصم ، وقع الحريق ببغداد وتلفت اموال التجار قرباً وبعداً ، ولم يمكن طفيه ، واخرج المعتصم مالاً وسلّمه الى قاضيين لاستحلاف كل انسان على ما ذهب له ويدفع اليه خُمسه» . ثم يضيف قائلاً : «وخرج الى الطيرهان للتصيّد ، وصاد وجعل في اعناق السباع الاطواق الحديد ووسم على فخاذ الظباء وحمير الوحش

---

(٩) بطرس نصري ، **ذخيرة الاذهان** ١، ص ٣٩١.

(١٠) المسعودي ، **مروج الذهب** ٤، ص ٤٦؛ **التنبيه والاشراف** ، ص ٣٠٥؛ **تاريخ الرهاوي المجهول** ٢، ص ٤٢ .

(١١) أما اسباب انتقال العاصمة الى سامراء فكثيرة ، اهمها ان المعتصم كان يستخدم عدداً كبيراً من الجنود الاتراك الذين كانوا يمارسون جميع انواع التعدي والتعسف على اهالي بغداد ، حتى كاد السكان يثورون على المعتصم وعلى تصرفات جنده . فأسس لهم حاميات ودوراً للسكنى في سامراء ، ثم انتقلت اليها الادارة شيئاً فشيئاً (طالع احمد عبد الباقي ، **سامراء ، عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين** ، بغداد ١٩٨٩، ص ١٩ - ٢٦) .

(١٢) في **المجدل** ، ص ٧٧.

اسمه ، واستطاب الموضع ، وابتاع من سكان ذلك الموضع النصارى الخرابات المتصلة بالمطيرة وجدّد بناء سُرَّ من رأى»[١٣] . وهذا ما يؤيده المسعودي ايضاً ، مضيفاً ان «المعتصم نظر الى فضاء واسع تسافر فيه الابصار ، وهواء طيب ، وارض صحيحة ، فاستمرأها واستطاب هواءَها[١٤] ، ولو ان ميخائيل السرياني يذمّ موقعها ومناخَها ، ويقول ان السبب الوحيد لاختيار هذا الموضع هو وفرة الصيد فيه[١٥] .

كان انتقال العاصمة الى سامراء مؤاتياً للعنصر التركي على حساب العنصر العربي . وقد ساهم هذا الامر في انحطاط الدولة العباسية . ويقول ابن النديم[١٦] ان بين وزراء المعتصم كان شخص يُدعى الفضل بن مروان ، وهو ابن ماسرجيس النصراني من قرية تُعرف بنيلي من طسوج نهر بوق ، وهي قناة تقع جنوبي بغداد . ولكننا لا نعرف الدور الذي لعبه هذا الشخص تجاه المسيحيين . اما موقف الخليفة فكان مسالماً تجاه المسيحيين عموماً ، ما خلا حوادث مؤسفة اثارها بعض المسلمين المتزمتين هنا وهناك ، ولا سيما في مدينة حران حيث هدموا كنيستين للتكريتيين سنة ٨٣٧[١٧] . ويروي الرهاوي المجهول قصة مجيء ملك النوبة المسيحي لزيارة الخليفة ، والحفاوة التي لقيها عنده بعد ان تأكد من صدقه[١٨] . وبعد ان حقق المعتصم انتصارات كبيرة على الروم ، توفي في سامراء سنة ٨٤٢، بعد سنة من وفاة طبيبه الخاص سلمويه بن بنان[١٩] . وكان الخليفة يولي هذا الطبيب ثقته التامة ، ويكنّ له احتراماً ومودّة عميقين ، كما ذكرنا سابقاً .

٥. البطريرك ابراهيم الثاني المرجي (٨٣٧ – ٨٥٠)

هو من قرية «بيث ادري» الواقعة في المرج بالقرب من شلمث (شرمن) . وكان اسم والده شابور وكان يسجد للشمس . ويبدو ان مارن عمه مطرافوليط حدياب لعن

(١٣) الموضع عينه . ويبدو ان الموضع كان ديراً يُدعى دير صقر ، فاشتراه المعتصم من الرهبان باربعة آلاف دينار وابتنى فيه الحي الذي دعاه «الوزيرية» (المسعودي ، **مروج الذهب** ٤، ص ٥٤) . وورد ذكر كنيسة في الموضع المسمى القادسية جنوبي سامراء (طالع احمد عبد الباقي ، **سامراء** . . . ص ٣٢ – ٣٦) .
(١٤) المسعودي ، **مروج الذهب** ٤، ص ٥٤.
(١٥) ميخائيل السرياني ٣، ص ٨٨.
(١٦) كتاب **الفهرست** ، ص ١٤١.
(١٧) **تاريخ الرهاوي المجهول** ٢، ص ٤٤؛ ابن العبري **ت . س** . ص ١٤٦.
(١٨) الموضع نفسه، ص ٤٥ – ٤٨.
(١٩) ابن ابي أصيبعة ، ص ٢٣٤ – ٢٤٠.

القرية فخربت وقُتل شابور . اما السكان الآخرون فقد انتقلوا الى شلمث[٢٠] . . . دخل ابراهيم ديربيث عابي الشهير وترهب فيه الى ان اختير اسقفاً لحديثة الموصل . وحينما توفي البطريرك سبريشوع ، ظل الكرسي البطريركي شاغراً مدة بسبب المنافسات والخلافات الدائرة بين الناخبين . فان الطبيب سلمويه بن بنان ، تلميذ الفيلسوف الكبير الكندي[٢١] واخاه ابراهيم امين الخزينة وحارس ختم الخليفة ، بالاتفاق مع اهل الحيرة وكشكر ، تحزبوا لابراهيم واختاروه جاثليقاً ، بينما فضّل الطبيب بختيشوع واهل الاهواز آبا مطرافوليط جنديسابور . وقد اختار الآباء ايضاً هذا الاخير الذي توجّه الى المدائن لينال الرسامة . وبينما هو في الطريق ، اخبر سلمويه الخليفة واوغر صدره على ما آبا . فارسل المعتصم حاكم بغداد ليمنع رسامة آبا الذي اعتُقل على الفور ، وفُرض ابراهيم جاثليقاً بأمر الخليفة . الا ان الخلاف ساد في الجماعة المسيحية طوال سنين ، الى ان توفي آبا ، فثبتت الرئاسة لمار ابراهيم .

وبينما يقول عنه صليبا[٢٢] انه كان عاقلاً متواضعاً كثير الرحمة قليل العلم وان الامور استقامت له ودبّر تدبيراً حسناً ، يقول عنه ماري[٢٣] انه سلّم الامور بأيدي افرام ابن اخته وحوريشاه ابن عمه وحنوخ تلميذه الذين تصرفوا بالشؤون الكنسية والمالية على هواهم ، واساؤوا الى التلاميذ ، وعكفوا على جمع الاموال ، حتى ان حنوخ هرب مع مبلغ من المال واعتنق الاسلام . وسارت الامور على اسوأ حال ، ولم يكن للبطريرك عزم للتدبير ولا طاقة لايقاف المساوئ عند حدها . وكان توما المرجي ، صاحب كتاب الرؤساء الشهير ، فترة امين سر الجاثليق ابراهيم ، وهو يكيل له المدح والثناء . ودامت رئاسة ابراهيم نحو ١٣ سنة ، وتوفي ودفن في الحيرة بدير يزدفنة . الا ان رفاته أخرج من القبر في عهد الخليفة المتوكل وأُلقيت عظامه في النهر . وقيل ان نوراً كان ينحدر فوقها اياماً عديدة .

٦ . حالة الكنيسة بعد عهد طيمثاوس الكبير

شرع نفوذ الاطباء والعلماء يتضاءل بتضاؤل الاهتمام بالعلوم . فما عدا الطبيب سلمويه وبعض زملائه امثال يوسف بن صليبا وسليمان بن داود بن بابان ويوسف

(٢٠) توما المرجي ، **كتاب الرؤساء** ، ص ١٤٣
(٢١) طالع عن الكندي ، **فهرست** ابن النديم ، ص ٣١٥ - ٣٢٠؛ ابن ابي أُصيبعة ، ص ٢٨٥ - ٢٩٣.
(٢٢) **المجدل** ، ص ٧٠.
(٢٣) **المجدل** ، ص ٧٨؛ ابن العبري ، **ت . ك** . ٢، ص ١٩٠.

القصير البصري وبولس بن حنون الذي ظهروا حول الامير التركي ابي دُلَف[٢٤] ، فان المسيحيين لا يبرزون بشيء في عهد المعتصم . ومن جهة اخرى ، لم يقم الجثالقة بدور بارز . فان كلا منهم قضى فترة وجيزة في الرئاسة ولم يكن شخصية قوية بالنظر الى عمرهم المتقدم والى ضحالة ثقافتهم . فبدأت الكنيسة تجتاز بمرحلة صعبة من حياتها بعد المجد والعظمة اللذين عرفتهما في ايام طيمثاوس الكبير .

ويروي لنا ميخائيل السرياني[٢٥] ان احد ابناء المعتصم يُدعى «ابو داود» اتّخذ اجراءات مجحفة بحق المسيحيين ودفع اباه الى منع ظهور الصلبان خارج الكنائس وقرع النواقيس ورفع الصوت في الصلاة او في المآتم في الشوارع ، والى منع ظهور الخمر في كل مكان . واصبح الناس فريسة للحكام الذين كانوا يشدّدون او يخفّفون من وطأة هذه الاجراءات حسب هواهم . وهذا ما دفع بعض المسيحيين الى اعتناق الاسلام ، ثم الى الارتداد عنه بعد زوال الضغط ، مما كان يعرّضهم الى العقاب ، بل الى الموت احياناً .

اما ديونيسيوس التلمحري ، فيقول بشيء من اللامبالاة ان الكنيسة كانت تنعم بنوع من الراحة والهدوء (ويقصد بذلك رؤساء الكنيسة) ، بينما كانت الاضطرابات دائرة بين الدول والضرائب تثقل كواهل المؤمنين . . .

وبينما كان المعتصم يحاصر مدينة عمورية ويقتحمها ويروم السير الى القسطنطينية ، بلغه ان العباس ابن المأمون والقائد عجيف قد تآمرا عليه ، وان اناساً بايعوا العباس . فالقى الخليفة القبض على العباس وشيعته وقضى على هذا التمرد[٢٦] .

ويبدو ان طبيباً نسطورياً هو الذي اطلع الخليفة على هذه المؤامرة . ويُقال ان العباس قضى عطشاً في الطريق[٢٧] .

واذا ظهر حول الخليفة بعض المسيحيين من حين الى آخر ، فلا يبدو ان لهم تأثيراً كبيراً عليه او دوراً هاماً في علاقات الدولة بالمسيحيين . وقد يكون شيء من المبالغة في ما يقوله ميخائيل السرياني ، على اثر ديونيسيوس التلمحري ، عن المظالم التي كانت في عهد المعتصم[٢٨] . ويقول الرهاوي المجهول ان المعتصم كان جشعاً محباً للمال وان

---

(٢٤) ابو دلف هو القاسم بن عيسى العجلي . وكان سيد قومه ورئيس عشيرته ، من عجل وغيرها من ربيعة . وكان شاعراً وبطلاً ومغنياً .

(٢٥) **م . س .** ٣، ص ٩٦ – ٩٧؛ ابن العبري ، **ت . ك .** ١، ص ٣٨٤.

(٢٦) المسعودي ، **مروج الذهب** ٤، ص ٦٠.

(٢٧) **م . س .** ٣، ص ٤٠١؛ ابن العبري ، **ت . س**، ص ١٥١.

(٢٨) **م . س .** ٣، ص ١٠٤.

مظالم كثيرة جرت في عهده بين الناس ارتكبها حكام ظالمون وولاة المدن الخاضعة لسلطته(٢٩) . وهذه اشارة الى ان الخليفة لم يكن دوماً على علم بما يقترفه الحكام من المساوئ . ويروي لنا المسعودي(٣٠) حادثة جرت للمعتصم مع شيخ نبطي (مسيحي) زلق حماره في الطين . اما الرهاوي المجهول ، فيروي لنا جملة من الاحداث التي تشير الى المظالم التي ارتكبها الحكام في عهد المعتصم(٣١) .

٧. الخليفة الواثق (٨٤٢ - ٨٤٧)

هو هارون بن المعتصم بن هارون ، ويكنّى ابا جعفر ، وامه ام ولد رومية تسمّى قراطيس(٣٢) . فرح الناس بمجيئه الى الحكم راجين ان يخفف عنهما الضرائب القاسية ، اذ كان والده قد فاق اسلافه جشعاً(٣٣) . الا ان الخليفة الجديد خيّب الآمال . فقد استخلف على السلطة اشناس التركي(٣٤) ، وسلّم زمام الامور بأيدي القاضي الكبير احمد بن ابي داود ومحمد بن عبد الملك الزيات وغيرهما من الاشخاص الذين دبروا الامور كما شاؤوا(٣٥) . اما الخليفة فقد عكف على الاكل والشرب واللهو(٣٦) ، وقد ازدادت وطأة الضرائب على الناس ، كما اشتد نفوذ الاتراك في البلاد . وكان الخليفة يسجن المسيحيين والمسلمين في سبيل ابتزاز الاموال منهم لتمويل خزائنه الخاوية . ومع ذلك فكان مهتماً ايضاً بالشؤون العلمية والدينية ، وكثيراً ما كانت تدور امامه نقاشات يشترك فيها علماء وأطباء امثال بختيشوع ويوحنا بن ماسويه وميخائيل اخيه وحنين بن اسحق . وبدأت محاكم التفتيش ضد المسلمين الرافضين للمذهب المعتزلي . فيقول المسعودي ان الخليفة شغل نفسه بمحنة الناس في الدين ، فأفسد قلوبهم واوجدهم السبيل الى الطعن عليه(٣٧) . ولم يكن في خلفاء بني

(٢٩) **تاريخ الرهاوي المجهول** ٢، ص ٥٠.
(٣٠) المسعودي ، **مروج الذهب** ٤، ٥١.
(٣١) **تاريخ الرهاوي المجهول** ٢، ص ٥٢ - ٥٥.
(٣٢) المسعودي ، **مروج الذهب** ٤، ص ٦٥؛ **التنبيه والاشراف** ، ٣١٢؛ السيوطي ، ص ٣٤٠.
(٣٣) م **. س** . ٣، ص ١٠٤ - ١٠٨، ١١٣؛ **تاريخ الرهاوي المجهول** ٢، ص ٥١.
(٣٤) السيوطي ، **تاريخ الخلفاء** ، ص ٣٤٠.
(٣٥) ابن ابي أصيبعة ، ص ٢٠١ - ٢٠٢؛ المسعودي ، **مروج الذهب** ٤، ص ٦٦؛ **التنبيه والاشراف** ، ص ٣١٣؛ السيوطي ، ص ٣٤١
(٣٦) **م . س** . ٣، ص ١١٣؛ ابن العبري ، **ت .س** .، ص ١٥٤.
(٣٧) **التنبيه والاشراف** ، ص ٣١٣.

العباس اكثر رواية للشعر من الواثق ، حتى قيل انه كان اروى من المأمون[٣٨] .

وادّت جميع هذه المتناقضات في الواثق الى قيام حركاتٍ ثورية كثيرة في البلاد ، مثل تمرد احمد بن نصر الخزاعي في بغداد ، وقد قُبض عليه وأُعدم سنة ٨٤٥. كما ان الطبيب بختيشوع نُفي الى جنديسابور من جراء حسد المقربين الى الخليفة . واستدعى ابّان مرض الخليفة ، ولكنه جاء بعد فوات الاوان . . . وتوفي الواثق سنة ٨٤٧، وكان له من العمر نحو ثلاثين سنة .

٨. الخليفة المتوكل (٨٤٧ - ٨٦١)

هو جعفر ابو الفضل بن المعتصم بن الرشيد . امه ام ولد خوارزمية تُدعى شجاع . اتّبع الخليفة الجديد سياسة تختلف كل الاختلاف عن سياسة اسلافه ، اذ انتبذ مذهب المعتزلة ، ووضع حداً للمحنة ، وعاد الى السُنَّة ، وذلك على مراحل . فشرع بالعمل على دحضِ الهرطقات ، وبايع لاولاده الثلاثة بولاية العهد بعده ، وجفا الموالي من الاتراك واطّرحهم . فصفت له الدنيا ، فنال منها اعظمِ الحظ على ايثاره الهزل والمضاحك والامور التي تشين الملوك[٣٩] . حتى قيل : الخلفاء ثلاثة ابو بكر الصديق رضي الله عنه في قتل اهل الردة ، وعمر بن عبد العزيز في ردّ المظالم ، والمتوكل في احياء السنّة واماتة التجهّم[٤٠] . وفي سنة ٨٥٠، اصدر الخليفة امراً بهدم قبر الحسين في كربلاء ، ثم اقام قاضياً سنّياً ، ومنع دراسة الكلام او تعليمه ، وفرض ان يكون القرآن والسنّة قاعدة لكل سلوك وتعليم . وقد اشتهر المتوكل بسورات غضبه التي كانت تنصبّ على المسلمين والمسيحيين على السواء . فيقول صليبا : «انه قتل كثيراً من الكتّاب واستصفى اموالهم وهدم منازلهم . ولقيِ اهلُ الذمة منه الشدائد وكل اذى ومكروه[٤١] . وفي سنة ٨٥٠، اصدر الخليفة امراً ضد المسيحيين واليهود . ويبدو ان الدافع الى ذلك كان حسد بعض المسلمين الذين اوغروا صدر الخليفة على اهل الذمة ، لانهم يشغلون مناصب مرموقة في الدولة ، ولان لهم نفوذاً كبيراً في البلاط وحتى بالقرب من شجاع والدة الخليفة . وقد يكون في الأمر ايضاً شيء من عدم الفطنة لدى المسيحيين او نوع من الاستعلاء على المسلمين . وكان المتوكل بحاجة الى دعم من

(٣٨) السيوطي ، ص ٣٤٣.
(٣٩) المسعودي ، **التنبيه والاشراف** ، ص ٣١٣ - ٣١٤.
(٤٠) السيوطي ، ص ٣٤٦.
(٤١) **المجدل** ، ص ٧١.

اللاهوتيين السنّيين ومن الشعب . لذا فقد اضطر الى تنفيذ بعض القوانين البالية ضد الذميين ، تلك القوانين التي سنّها اسلافه بين فترة واخرى ، بالنظر الى الظروف الطارئة ، والتي لم يكن لها اي اساس في القرآن ولا في المبادئ الاخلاقية الاسلامية الصحيحة . وتذرّع الخليفة في ذلك بالعودة الى الاحكام التي فرضها عمر (الاول او الثاني ؟) بشأن الذمّيين . الا ان النقد المعاصر يميل الى الظن ان تلك الاجراءات لم تصدر الا عن اصحاب المتوكل ذاته ، بتأثير من الفتح بن خاقان التركي الذي كان مولى الخليفة وأغلب الناس عليه واقربهم منه[٤٢] .

وتنقسم هذه الاحكام الى قسمين كبيرين يحتوي كل منهما على ست مواد :

وتُعتبر الست الاولى منها اساسية ومتفقة مع روح الشريعة الاسلامية ، وتهدف الى حماية الاسلام . وتشكّل مخالفتها خرقاً للعهود (المزعومة) الممنوحة لحماية المسيحيين . وهذه هي : كل تهجّم ، وان بالاقوال ، على المسلمين او على القرآن او على النبي ، واهتداء مسلم ، وظلم يُقترَف ضد مسلم او امواله ، وكل صلة بامرأة مسلمة للزواج او للفجور ، ومساعدة اعداء المسلمين .

اما الست الاخرى ، فمن الارجح انها صادرة عن الفقهاء ، وهي لا تشكل خرقاً للعهود :

- منع قرع النواقيس وتلاوة المزامير علناً .
- عدم عرض الخمور والخنازير والصلبان امام الانظار .
- عدم اقامة بنايات اعلى من بيوت المسلمين .
- عدم الاحتفال العلني بالمآتم .
- منع ركوب الخيل واستعمال السرج لركوب البغال والحمير .

ويُضاف الى هذه الاحكام منع المسيحيين من استعمال اسماء او ألقاب اسلامية ، وغير ذلك من الامور المشينة[٤٣] . وكانت نتيجة هذه المضايقات المتوقعة ان كثيرين من المسيحيين اضطروا الى اعتناق الاسلام تخلصاً من الظلم والتعسف .

ولكن لا ينبغي لنا التسرع في الحكم على هذه الاجراءات التعسفية التي كانت وليدة نفسية خاصة وفترة من التعصّب الديني الذي تكرر احياناً في التاريخ ، لاسيما في عهدي المغول والعثمانيين . الم يستخدم الامراء المسيحيون انفسهم في العصر الوسيط اجراءات اكثر صرامة في اوربا ضد اليهود وفي اسبانيا ضد المسلمين ؟ فعلينا ان نضع

---

(٤٢) المسعودي ، **مروج الذهب** ٤، ص ٨٦.
(٤٣) طالع صليبا في **المجدل**، ص ٧١.

ونفهم الامور في اطارها التاريخي ، دون ان تثير في نفوسنا استياءً او حقداً او تزمتاً دينياً .

٩. البطريرك تاودوسيوس (تاذاسيس) الاول (٨٥٣ - ٨٥٨)

توفي البطريرك ابراهيم الثاني المرجي في ٩ تشرين الثاني سنة ٨٥٠، بعد ان شهد بدء المخاض للمسيحيين . وتدخّل العلمانيون المسيحيون في انتخاب خلف له . الا ان الانتخاب كان عسيراً . فاتفق الاطباء بختيشوع ويوحنا بن ماسويه واسرائيل بن زكريا الطيفوري(٤٤) متطبب الفتح بن خاقان ، واختاروا يوحنا مطران دمشق . ولكنه أصيب بالشلل قبل رسامته . ثم اختاروا بعده ميخائيل اسقف الاهواز ، وكان اصله من كشكر . الا ان هذا ايضاً أُصيب بعلّة في حلقه فمات . وجاء دور الكتّاب ، فاختار ابراهيم بن نوح الانباري وعثمان بن سعيد صاحب بيت المال ابراهيمَ اسقف كشكر . ولكن هذا ايضاً لحقته علّة فمات . فاختير ايشوعداد اسقف الحديثة . الا ان الناخبين رجعوا عنه ، وفوّضوا امر الاختيار الى بختيشوع الذي اختار تاذاسيس(٤٥) . وكان هذا من اهل باجرمي ، وقد صار مدة اسقفاً للانبار ، ثم مطراناً على جنديسابور . وأيّد الخليفةُ هذا الاختيار .

ولكن ما ان مضى شهر على رسامة البطريرك الجديد ، حتى تمكن منافسو بختيشوع ، بزعامة ابراهيم بن نوح الانباري ، من تغيير رأي الخليفة في البطريرك وفي بختيشوع ذاته . فأودع البطريرك السجن ، وفقد الطبيب الكبير حظوة الخليفة . وقيل ان الخليفة انتقم من بختيشوع بدافع الحسد والطمع في امواله الطائلة وفي البذخ المفرط لدى الطبيب الذي كان يذهب كل يوم الى البلاط في عربة من الابانوس ويسمح لنفسه بما لا تسمح به القوانين الكنسية ، متخذاً زوجتين معاً ، انجبت له احداهما جبريل ، والاخرى يوحنا الذي سيصبح مطراناً على الموصل . ويقول ابن العبري(٤٦) ان بختيشوع كان يمضي اول الليل في الاكل والشرب واللهو ، وكان يقوم في منتصف الليل ويعكف على الصلاة ثم على قراءة الانجيل حتى انبلاج الفجر . وفي الصباح كان يتوجه الى البلاط . وظهرت نوايا المتوكل فيه اثر وليمة كبرى اقامها له

(٤٤) طالع عنه ابن ابي أصيبعة ، ص ٢٢٥ - ٢٢٨.
(٤٥) ماري ، ص ٧٨؛ صليبا ، ص ٧٢؛ ابن العبري ، **ت . ك** . ٢، ص ١٩٢ - ١٩٤.
(٤٦) ابن العبري ، **ت . س** . ص ١٥٨.

الطبيب في منزله الخاص ، فاستولى على جميع امواله[٤٧] . وعاش بختيشوع في الفقر والعوز الى ان وافته المنية في البحرين سنة ٨٧٠. وجدّد الخليفة احكام سنة ٨٥٠ ضد المسيحيين ، فهدم بعض الاديرة والكنائس ، وطرد الكهنة والشمامسة من سامراء ، وفرضت على المسيحيين جملة اجراءات مشينة ومهينة[٤٨] . وقد ساهم الجاحظ في الحط من منزلة النصارى بكتاباته الكثيرة ، لا سيما بكتابه «الرد على النصارى» . وكذلك فعل المرتد علي بن سهل الطبري الذي كان في السابق كاتباً لدى المازيار[٤٩] . وكان بنوخاقان من وراء هذا التعصب كله يذكون اواره ويوغرون صدر الخليفة على المسيحيين والفئات الاخرى .

اما البطريرك تاودوسيوس ، فقد ظل في السجن ثلاث سنين ونصف السنة ، في بغداد اولاً ، ثم في سامراء . وقد اتّهم مرة بموالاته للروم . الا ان هذه التهمة لم تثبت عليه ، فأعيد الى سجنه ، بعد الاستنطاق امام الخليفة الذي دعاه الى القَسَم ، فرفض البطريرك قائلاً : «ان رؤساء الدين لا يُقسمون» . فأُعيد الى سجنه . واستمرت الصعوبات للمسيحيين في مختلف المَناطق من الدولة .

في سنة ٨٥٧، توفي يوحنا بن ماسويه طبيب الخليفة المفضّل . فامر الخليفة بان يجري تجنيزه بأبّهة . فقيل له ان الكهنة والشمامسة قد طُردوا من سامراء . واذا بالخليفة يتغيّر كلياً . واذا به يأمر بالافراج عن البطريرك على الفور ، ودعا الكهنة والشمامسة للدخول الى سامراء والبقاء فيها . . . لقد اجتازت الازمة العسيرة . . . وبعد الدفنة المهيبة التي أُقيمت لابن ماسويه ، تقدم الكتّاب والاطباء المسيحيون من الخليفة والتمسوا منه بأن يسمح للبطريرك بالعودة الى مقره في بغداد . فاصدر الاوامر الى حاكم بغداد بأن يجري للبطريرك استقبال لائق بمقامه .

وهناك حدث آخر ثبت الخليفة في موقفه الجديد تجاه المسيحيين . ففي سنة ٨٥٨، حينما ذهب المتوكل الى دمشق ، هيّأ شخص استقبالاً رائعاً له . ولما سأل الخليفة امين سره الفتح بن خاقان عن منظّم هذا الاستقبال العظيم ، قيل له انه سركيس مطرافوليط

---

(٤٧) قيل ان ما تبقى في داره من الخطب والفحم والخمر اشتراه حسين بن مقلد بستة آلاف دينار ، ثم باعه باثني عشر الف دينار . اما اثمان امواله وممتلكاته فقد اضافت الى الخزينة عشرة ملايين درهم .

(٤٨) طالع مثلاً ما يقوله القلقشندي في **صبح الاعشى**، القاهرة ١٩١٩ - ١٩٢٠، ١، ص ٤١٥. وقد ادت هذه الاجراءات الى اجتياز عدد من الكتّاب المسيحيين الى الاسلام وبلوغهم اعلى المناصب في الدولة ، امثال عيسى بن فروخنشاه واحمد بن اسرائيل الانباري والاخوة بنو مخلد من دورقني . . .

(٤٩) المازيار هو ابن قارن بن بندار هرمس صاحب جبال طبرستان . وكان المأمون قد اصطنعه . ولكنه عصى في ايام المأمون ، فغلب على امره واقتيد الى سامراء حيث لقي حتفه .

نصيبين السرياني الشرقي الذي كان موجوداً في دمشق آنذاك . فاستقدمه الخليفة ووهبه على الفور عشرة آلاف درهم . وبحث عن وسيلة يكافئه بها مكافأة اعظم ، وفكّر في اقامته جاثليقاً عوض تاودوسيوس . الا ان امين سره قال له ان الامر لا يجري عند المسيحيين . فطلب الخليفة أن يُخبروه عند وفاة البطريرك تاودوسيوس .

وتحسنت احوال المسيحيين ، وكان العظماء يفدون في نصيبين لزيارة المطرافوليط الذي نال حظوة الخليفة . وما عتم البطريرك تاودوسيوس ان مات في ٦ تشرين الثاني سنة ٨٥٨ ، وبذلك أفسح المجال واسعاً امام سركيس للبلوغ الى البطريركية(٥٠) . وقد دُفن البطريرك المتوفى في دير كليليشوع في بغداد .

وفي نحو ذلك الزمان ، حدث اضطراب ايضاً في جماعة السريان الارثوذكس . فقد نشأ خلاف بين مطرافوليط تكريت باسيليوس الثاني وبين بطريركه يوحنا الخامس (٨٤٧ - ٨٧٤) . وقدم كل منهما شكواه على الآخر امام الخليفة المتوكل ، وجاء الحكم لصالح البطريرك ، وأُقيل باسيليوس وأُقيم عوضه ملكيصادق(٥١) .

١٠ . البطريرك سركيس الاول (٨٦٠ - ٨٧٢)

هو من اهل باجرمي ، وصار مطراناً لنصيبين . وبهذه الصفة احتفى بالمتوكل لدى اجتيازه بدمشق . فبالرغم من رغبة الخليفة في ان يكون خلفاً لتاودوسيوس المتوفى ، فان بعض الاساقفة احتجوا على ذلك ، ورفضوا ان يصبح مطران نصيبين بطريركاً ، متذكرين ما كان برصوما النصيبيني قد اقترفه ضد الجاثليق بابوي ، وكيف سبّب في قتله ، وما كان يوحنا الداسني الابرص قد احدثه بعد ذلك ضد البطريرك حنانيشوع الاول (الاعرج) (٦٨٥ - ٧٠٠) وكيف توصل الى عزله . فهذه الاحداث كلها جعلت الاساقفة يترددون في قبول مرشح الخليفة . ولكنهم اخيراً اضطروا الى الرضوخ لارادة المتوكل . فأُقيم سركيس بطريركاً في ٣١ تموز سنة ٨٦٠. ولا يذكر المؤرخون شيئاً عن علاقات البطريرك الجديد بالسلطات الحاكمة . ويكتفي صليبا بالقول انه جدد بناية هيكل ماريونان ، وانه رسم اساقفة عديدين لمختلف المراكز المسيحية(٥٢) . اما ماري فيقول ان الناس فرحوا برئاسته ، وانه لم ينحدر الى دير قني ، بل عاد الى بغداد ثم ذهب الى سُرَّ من رأى ليكون قريباً من السلطات في ادارة

---

(٥٠) فييه ، **المسيحيون السريان** . . . ، ص ١٠٠ ؛ طالع ايضاً ماري في **المجدل** ، ص ٨٠.
(٥١) **م . س** . ٣، ص ١٢٤ ؛ ابن العبري ، **ت .ك** . ٢، ١٩٥ .
(٥٢) **المجدل** ، ص ٧٣.

شؤون كنيسته ، وان النصارى تخوّفوا لدى موته من دفنه في دير يزدفنه في الحيرة ، لما جرى لابراهيم المرجي ، فَحُمِلَ الى دير كليليشوع في بغداد[٥٣] .

في هذا العهد نرى بين المسيحيين البارزين دُلَيل بن يعقوب ، امين سر الزعيم التركي بغا الصغير المسمى بالشرابي . كما ان الطبيب ابن سرجويه يظهر بين بطانة هذا الامير .

وكان نجم حنين بن اسحق يتألق ايضاً في ذلك الزمان . ونلاحظ جرأته المسيحية في الرد على المسلم يحيى بن المنجم الذي دعاه الى الاسلام في بيّنة كتبها اليه في هذا الشأن ، وقد امتدح الملكي قسطاً بن لوقا نفسه هذه الظاهرة الجديدة لدى المسلمين ، وهو اعتمادهم طريقة العقل والمنطق للبرهان عن صحة ديانتهم . اما حنين ، فقد ردّ بشيء من العنف على مراسله ابن المنجّم ، مؤكداً له تمسّكه بديانته التي يعتبرها الديانة الصحيحة ، وبهذا يضع حداً لالحاح ابن المنجم عليه في اعتناق الاسلام . . . الا ان الطبيبين بختيشوع واسرائيل الطيفوري اتّهما حنين بكونه من بدعة محطمي الايقونات ، ورفعا امره الى المتوكل ، وهذا بدوره رفع القضية الى البطريرك سركيس . ويُقال ان البطريرك رشق حنين بالحرم . ويقول ابن العبري[٥٤] ان حنين «قطعَ زنّارَه» ، وانصرف الى دارِه ومات من ليلته فجأة ، وقيل انه سقى نفسه سماً . الا ان هذا محض ادّعاء ، لا أثر له حتى عند المؤرخين المسلمين انفسهم . فالجميع يقرّون بان حنين مات مسيحياً سنة ٨٧٣

١١ . خلفاء متنافسون

اغتيل الخليفة المتوكل في ١١ كانون الاول سنة ٨٦١ بأيدي نفر من المتآمرين مع ابنه «المنتصر» ، وقُتل معه ايضاً أمينُه الفتح بن خاقان .

واستولى على الخلافة بعده ابنه «المنتصر» محمد بن جعفر المتوكل ، ويُكنّى ابا جعفر ، وامه ام ولد رومية تُسمّى حبشية[٥٥] . وتبنّى المنتصر سياسة الانفراج تجاه العلويين . ولكن حكمه لم يدم سوى ستة اشهر ، وقيل انه مات مسموماً ، بالنظر الى موقفه المعادي تجاه اخوته . وكان له من العمر ٢٥ سنة فقط .

---

(٥٣) ماري في **المجدل** ، ص ٨١.

(٥٤) ابن العبري ، **ت .م .د** ، ص ٢٥٢. ويعني بقطع الزنار انه صار مسلماً ، اذ ان الزنار كان العلامة المميزة التي فُرضت آنذاك على المسيحيين .

(٥٥) المسعودي ، **مروج الذهب**، ص ١٢٩؛ **التنبيه والاشراف** ، ص ٣١٤.

وخلفه «المستعين بالله» احمد بن محمد بن محمد المعتصم ، ويُكنّى ابا العباس ، وامه ام ولد صقلبية يقال لها مخارق ، وذلك سنة ٨٦٢. واضطر المستعين ، أمام الضغط المتزايد عليه ، ان يستقيل ويعود الى بغداد . ولكنه لم ينجُ من غضب منافسيه . فقد اغتيل في تشرين الاول سنة ٨٦٦، وله من العمر ٣٥ سنة . وكان الكتّاب والامناء المسيحيون ، امثال دُلَيل وسلامة بن سعيد ، في حيرة من امرهم ازاء تلك التقلبات المفاجئة في الحكم .

وبُويع «المعتز بالله» بن جعفر المتوكل ، ويُكنّى ابا عبدالله ، وامه أم ولد رومية تُسمّى «قبيحة»[٥٦] ، وذلك سنة ٨٦٦. وشاءِ الخليفة الجديد ان يقتدي بسياسة ابيه المتوكل ، ولكنه اخفق في كل شيء ، اذ كان عاكفاً على اللهو وعديم الحزم وناقص الرأي . واساء الى المحيطين به من مسلمين ومسيحيين . ونجد طبيباً مسيحياً هو ابراهيم بن ايوب الابرش يعتني بصحة اسماعيل بن المعتز . الا ان المعتز أُرغم على الاستقالة في تموز سنة ٨٦٩. ثم أحجر عليه في زنزانة حيث مات جوعاً ، وله من العمر ٢٤ سنة .

وبُويع «المهتدي بالله» محمد بن هارون الواثق ، ويُكنّى ابا اسحق ، وامه ام ولد رومية تُسمّى «قرب» وقيل وردة . ويقول عنه المسعودي انه كان ورعاً ، وكاد ان يكون في بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية هدياً وفضلاً وقصداً وديناً[٥٧] . ويضيف قائلاً انه جلس في قبة المظالم للعام والخاص ، وامر بالمعروف ونهى عن المنكر وحرّم الشراب ونهى عن القيان واظهر العدل[٥٨] . الا ان صرامة هذا الخليفة ازعجت الناس . واذا استطاع القضاء على الكثير من مناوئيه ، فقد اخفق امام الخصم الاكبر وهو التركي موسى بن بغا الكبير الذي دخل سامراء في ٣٠ كانون الاول سنة ٨٦٩ واعتقل الخليفة ، ثم قضى عليه بعد مدة وجيزة ، حينما دارت معركة بين انصار موسى وانصار الخليفة ، فهزم فيها جيش الخليفة ، وأمسك الخليفة فعُصِرَ على خصيتيه فمات[٥٩] . الا ان الروايات اختلفت في موته[٦٠] .

(٥٦) المسعودي ، **مروج الذهب** ٤، ص ١٦٦؛ **التنبيه والاشراف** ، ص ٣١٦؛ السيوطي ، ص ٣٥٩.
(٥٧) طالع **التنبيه والاشراف** ، ص ٣١٨؛ السيوطي ، ص ٣٦١.
(٥٨) **مروج الذهب** ، ٤، ص ١٨٣.
(٥٩) السيوطي ، ص ٣٦٣.
(٦٠) **مروج الذهب** ٤، ص ١٨٦.

١٢ . المعتمد على الله (٨٧٠ – ٨٩٢)

هو ابو العباس – وقيل ابو جعفر – احمد ابن المتوكل ، وامه رومية – كوفية اسمها فتيان[٦١] . وكان المعتمد محبوساً حينما قُتل المهتدي بالله ، فاخرجوه وبايعوه . الا ان الخليفة الجديد اهمل امور رعيته وتشاغل بلهوه ولذاته ، وكان مشغوفاً بالطرب والغناء والمعاقرة ، فغلب على امره وتدبير ملكه وسياسة سلطانه اخوه احمد الموفق طلحة بن جعفر المتوكل ، ويُسمّى بالناصر لدين الله[٦٢] .

وفي عهد الخليفة المعتمد الطويل نسبياً ، توالى الجثالقة على كرسي المشرق .

فقد توفي البطريرك سركيس الاول سنة ٨٧٢. الا ان الكرسي ظل شاغراً نحو خمس سنين بسبب الخلافات الدائرة حول الشخص الذي ينبغي انتخابه . وكان كل من المرشحين يجد له اصدقاء متنفذين يساعدونه . ويبدو ان اسرائيل اسقف كشكر اختير لهذا المنصب ، وانه كان مستحقاً لعلمه وفضله . الا ان منافساً قوياً ظهر له بشخص انوش مطران الموصل . وانقسم الناس بين الشخصين ، وسادت الفوضى بين المسيحيين . وكانت البلاد آنذاك مضطربة بالعلوي البصري . فانفذ امير بغداد واستقدم اسرائيل من سامراء الى بغداد ، ومنعه من الادّعاء بالجثلقة . وبينما كان اسرائيل يوماً يهم بالنزول من البيم الى المذبح ، لدى انشودة الرازين (عونيثا درازي) ، وفي وسط الازدحام ، مدّ شخصٌ معادٍ يده وعصر على مذاكيره عصراً شديداً ، فحُمل مغشياً عليه ، وبقي بعد ذلك اربعين يوماً ، ثم مات ودفن في دير مار فثيون[٦٣] . واستمر الخلاف بين مختلف الفئات المسيحية . وقد اختير يوحنا بر نرسي ، واوشك ان يسام جاثليقاً ، ولكن . . .

فان انوش(٨٧٧ – ٨٨٤) حرّض انصاره وتوصل الى قلوب «اصحاب الاختيار» ، ويُشار بذلك الى الاطباء المتنفذين في البلاط . ففاز انوش بمبتغاه وأُقيم بطريركاً في ١٣ كانون الثاني سنة ٨٧٧. ونعلم ان بين الاطباء الذين كانوا في خدمة الموفق كان يوحنا بن بختيشوع الذي كان مترجماً ايضاً . ويُقال ان الوصي القدير كان له كل الثقة في طبيبه حتى كان يسميه «مفرج كربي»[٦٤] .

وكانت سنة ٨٧٩ منعطفاً جديداً في سياسة الخليفة المعتمد . اذ فيها نرى ظهور

---

(٦١) **مروج الذهب** ٤ ، ص ١٩٨؛ **التنبيه والاشراف** ، ص ٣١٨؛ السيوطي ، ص ٣٦٣.

(٦٢) طالع المراجع عينها كما في الحاشية السابقة .

(٦٣) ماري ، ص ٨١؛ صليبا ، ص ٧٤.

(٦٤) ابن ابي أُصيبعة ، ص ٢٧٦.

موظفين شيعيين في الدولة . وفي السنة ذاتها ، حدث امر مزعج للشيعة ، وهو ان الامام الثاني عشر – محمد بن الحسن – الذي كان له نحو اثنتي عشرة سنة ، اختفى سراً في سامراء ، وقيل في احد السراديب . وقد نُسب الامر حينذاك الى عملاء الخليفة .

وكانت هذه السنة ايضاً هامة بالنسبة الى المسيحيين ، اذ شهدت اجتياز العديد من المثقفين المسيحيين الى الاسلام ، لا سيما من سكان دير قني . وقد توصل هؤلاء المسلمون الجدد الى شغل مناصب رفيعة في الدولة . ومع ذلك فقد ظل بعض من افراد أسرهم مسيحيين ، لا سيما النساء منهم ، دون ان يلاقوا معارضة ، بل بالعكس تحسنت ظروفهم . فنرى من الآن نوعاً من التعايش السلمي بين المسيحيين والمسلمين . فنشاهد الى جانب الوزير المسلم سعد بن مخلد اخاه المسيحي عبدون .

وفي هذه السنة عينها ، وجد الراهب حبيب في برميثا نسخةً من العهد المنسوب الى نبي الاسلام لأهل نجران . وكان الراهب من بيت الحكمة ويتولى حفظ ما فيه قبل ان يترهب ، وقال انه وجد النسخة مكتوبة على جلد ثور اصفر ومختومة بخاتم محمد[٦٥] . وقد تكلمنا سابقاً عن مدى صحة هذه العهود . وكان لهذا الاكتشاف تأثيره الحسن في النفوس في ذلك العهد الذي فيه كان شخص علوي من البصرة يحدث الاضطراب في الدولة ، وكان له تأثير كبير على الخليفة المعتمد في موقفه السلبي تجاه المسيحيين . الا ان هذا الشخص المزعج قُتل قبل نهاية عهد البطريرك انوش ، وطرأ من ثمة تغيير مؤاتٍ في موقف الخليفة .

وتوفي البطريرك انوش في ٢٣ ايار سنة ٨٨٤، وشغر الكرسي خمسة اشهر ونصف الشهر . وقد فكر الاشراف المسيحيون ، منهم عبدون بن مخلد وسلامة بن سعيد اللذان كانا يسكنان في سامراء ، في اختيار يوحنا بر نرسي مطران الانبار . الا انهم لم يفرضوا ارادتهم ، بل فوّضوا امر الاختيار الى الآباء . وكان ثمة ثلاثة مرشحين : يوحنا وراهب من قرابته ومطران الموصل . وقد وقعت القرعة على يوحنا بر نرسي[٦٦] .

١٣ . البطريرك يوحنا بن نرسي (٨٨٤ – ٨٩٢)

كان من اهل الكرخ ، وقد أُقيم اسقفاً على الانبار . واضطر الى القبول باختياره

(٦٥) **التاريخ السعردي**، ٦٠١.
(٦٦) ماري ، ص ٨٢ – ٨٣؛ صليبا ، ص ٧٤ – ٨٠؛ ابن العبري ، **ت . ك** . ٢، ٢١٠ – ٢١٤.

بطريركاً ، فأُسيم في ١٤ كانون الاول سنة ٨٨٤. وقد اجرى اعجوبة في يوم رسامته ، مما زاد اعتبار الناس له .

الا ان المشاكل كانت على موعد من البطريرك الجديد . فما ان مضت بضعة اشهر على تسلمه رئاسة الكنيسة ، حتى انقضّ بعضُ اللصوص على دير كليليشوع الواقع وراء نهر عيسى في بغداد الغربية[٦٧] ، وكان هذا الدير قد اصبح مقراً للبطريرك منذ عهد طيمثاوس الاول . فنهبوا الاواني المقدسة ، وانتزعوا الابواب ، وهدموا قسماً من الجدران والسقف . الا ان السلطات المحلية اوقفت الجناة عند حدهم . ثم أُعيد بناءُ القسم المتهدم من الدير بتأثير عبدون بن مخلد[٦٨] . وفي سنة ٨٨٦، اعاد الرعاع الكرة على الدير وهدموا فيه ما كان قد أُعيد بناؤه . ويختلف المؤرخون في اسباب هذه المساوئ . فيقول ايليا النصيبيني انها كانت ردة فعل شعبية ضد تجاوزات المسيحيين للقوانين المفروضة عليهم ، مثل منعهم من ركوب الخيل . اما ابن العبري فيعزو السبب الى بخل البطريرك . فكانت العادة قد جرت ان يُدفَع مبلغٌ من المال لشيخ عربي كان إمامَ الجامع المجاور للقلاية البطريركية . وحينما امتنع البطريرك عن دفع هذا المال ، دبّر الشيخ واعوانه انتفاضة ضده ، زاعمين ان حجارة أُلقيت عليهم لدى عبور جنازة احد المسلمين ، وان مصدر الحجارة كان دير كليليشوع . فما ان رجع القوم من الدفنة ، حتى انهالوا على الدير سلباً وتخريباً .

واعاد البطريرك بناء الدير ، بمساعدة عبدون ، ولكنه لم يسكن فيه قبل نهاية عهد المعتمد ، بل فضّل الاقامة في واسط بعيداً عن مركز الخلافة . ومكث هناك خمس سنين . وحينما عاد الى بغداد ، في اواخر عهد بطريركيته ، استقر في دار الروم في الكنيسة التي كان قد شيدها «اصبغ» العبادي[٦٩] . وهكذا فقد ترك البطريرك ضفة دجلة الغربية – اي الكرخ – وانتقل الى الجهة الشرقية – اي الرصافة ، واستقر مؤقتاً في الجهة الشمالية من المدينة ، اي في الشماسية (الصليخ) .

وشُنّت حملة عاتية على بني مخلد بتأثير من مسلمين متزمتين ، فأُلقي القبض في نهاية سنة ٨٨٥ على كلا الاخوين . ومات سعد المسلم سنة ٨٨٩ متأثراً بالمعاملات

(٦٧) كان دير كليليشوع المعروف بدير الجاثليق يقع في بغداد الغربية (الكرخ) في الموضع المعروف الآن بمقبرة الشيخ معروف الكرخي .
(٦٨) ابن العبري ، **ت . س .**، ص ١٦٤.
(٦٩) ماري ، ص ٨٣.

السيئة التي لقيها . اما عبدون المسيحي ، فقد أطلق سراحه ، فترهب في دير قني حيث عاش حتى وفاته سنة ٩٢٢.

اما البطريرك يوحنا بر نرسي فقد تعرّض لصعوبات جمة في نهاية عهده . فان الوزير اسماعيل بن بُلبُل استولى على قرى عائدة الى البطريركية . وذهب البطريرك وقابل المغتصب ، ولكن يبدو ان ذلك لم يؤدِّ الى نتيجة ايجابية .

وفي تلك الغضون ، مات الوصي «الموفق» في ٢ حزيران سنة ٨٩١. وفي السنة التالية تبعه الى اللحد الخليفة المعتمد نفسه في تشرين الاول ٨٩٢، وكان له من العمر نحو خمسين سنة . ويُقال انه مات مسموماً على يد خلفه .

وفي عيد ميلاد سنة ٨٩٢، وافت المنية البطريرك يوحنا بر نرسي . وختم عهده باعجوبة ، كما كان قد افتتحه باعجوبة . فقد بصق احد المسلمين على تابوته وهم يجتازون به الى الكنيسة ، فأُصيب المسلم على الفور بداء مرعب . ولما ادنوه من التابوت ، زال عنه الداء حالاً[٧٠] . . . ودُفن البطريرك الى جانب المذبح الصغير في بيعة اصبغ . ويروي صليبا[٧١] اعجوبة أُخرى جرت بشفاعة البطريرك بعد موته ، وكيف انه حفظ من اللصوص تاجراً اسمه ابو نصر عيسى بن الصلت . ويجري القسم الاول من الاعجوبة في مصر امام طولون ، وكاتبه هو ابن يعقوب اسحق بن نصير . وتنتهي القصة في دار الروم في بغداد باهتداء اللصوص الذين اطلق التاجر سراحَهم وعفا عنهم .

١٤. الخليفة المعتضد بالله (٨٩٢ – ٩٠٢)

هو المعتضد احمد بن طلحة الموفق ويُكنّى ابا العباس . وامه ام ولد رومية تُسمّى ضرار ، وقيل حرز ، وقيل صواب[٧٢] . وكان المعتضد ادارياً حازماً وذكياً ، وهو احد المتميزين بين الخلفاء العباسيين . وكان شجاعاً وافر العقل شديد الوطأة ، فسكنت في عهده الفتن وصلحت البلدان ورخصت الاسعار . وكان مع ذلك قليل الرحمة كثير الاقدام سفاكاً للدماء ، شديد الرغبة في ان يمثّل بمن يقتله .

(٧٠) ماري ، ص ٨٣؛ صليبا ، ص ٧٧.
(٧١) صليبا ، ص ٧٨ – ٨٠.
(٧٢) المسعودي ، **مروج الذهب** ٤، ص ٢٣١؛ **التنبيه والاشراف** ، ص ٣٢٠؛ السيوطي ، ص ٣٦٨.

وتمتدح المصادر المسيحية ادارته مع المسيحيين . فيقول ماري : «ظهر من نعم الله على النصارى بحسن رأي المعتضد فيهم ما شكروه وحمدوه عليه»[٧٣] . الا ان بعض المسلمين ، مدفوعين بالحسد لما يوليه الخليفة من الثقة بالمسيحيين ، ولاسيما بكاتبه المسيحي عبدالله بن سليمان ، شرعوا يشيعون الكلام عن ان المعتضد يفضّل المسيحيين . وينقل لنا ماري ذلك بقوله : «اتصل الخبر بعبدالله (ابن سليمان) ، فجزع ودخل على المعتضد فدفع اليه الرقعة ، فتغيّر المعتضد واعتذر وقال : «ما ولّيتُ نصرانياً سوى عمر بن يوسف للانبار ، والجهابذة يهود ومجوس ، واعتمدت عليهم لثقتهم لا ميلاً إليهم» ثم أضاف المعتضد قائلاً لكاتبه : «اذا وجدتَ نصرانياً يصلح لك فاستخدمه ، فهو آمن من اليهود ، لان اليهود يتوقعون عَودَ المُلك اليهم ، وآمنُ من المسلم ، لانه بموافقته لك في الدين يروم الاحتيال على منزلتك وموضعك ، وآمنُ من المجوس ، لان المملكة كانت فيهم» . ثم اوصى عبدالله بالاحسان اليهم ، وخرج هذا من عند الخليفة مسروراً[٧٤] . واستمرّ وضع المسيحيين حسناً واستطاعوا ان يقيموا لهم بطريركاً جديداً بعد موت البطريرك يوحنا بر نرسي .

١٥ . البطريرك يوحنا الثالث (٨٩٣ - ٨٩٩)

كان هذا من اهل باجرمي وهو ابن اخي البطريرك تاودوسيوس (٨٥٣ - ٨٥٨) . وقد رُسم اسقفاً لخانيجار اولاً[٧٥] ، ثم نقله انوش الى الموصل . وشغر الكرسي البطريركي سبعة اشهر بالنظر الى منافسة يوحنا اسقف الزوابي له . الا ان مطران الموصل هو الذي اختير ورسم بطريركاً في ١٥ تموز سنة ٨٩٣. وقد ساعده الحسين بن عمر كاتب الامير ولي العهد الذي سيصبح الخليفة المكتفي . واستقبله شخص آخر من وجهاء المسيحيين يدعى فروخنشاه اولاً في بيعَة اصبغ في دار الروم ، ثم في دير كليليشوع على الشاطئ الغربي من دجلة . ومن بين الاعمال التي قام بها هذا البطريرك انه وسع مركز اقامته في كنيسة اصبغ ، اذ ابتاع داراً لبعض الملكية تتصل بالبيعة ، وذلك ايضاً بمساعدة عمر بن يوسف ، وجعلها قلاّية . واسام مطارنة كثيرين ، منهم ابن اخيه تاودورس على باجرمي . لكن هذا آل امره الى الاسلام اخيراً . . .

---

(٧٣) ماري ، ص ٨٤.
(٧٤) الموضع نفسه .
(٧٥) خانيجار اسقفية كانت تقع على ضفة نهر العظيم في مقاطعة بيث كرماي .

لقد اختلف المؤرخون في اوصاف هذا البطريرك . فبينما يقول عنه صليبا[٧٦] انه كان «تام الفضل جامعاً للفضايل» ، يعود فيقول ايضاً انه كان «شديد الحب للمال» . ويقول ماري : «انه كان يأكل كثيراً ويشرب مفرطاً»[٧٧] . ويوافقه ابن العبري على هذا القول[٧٨] . وأُصيب البطريرك بداء الفالج في اواخر عهده ، ثم توفي بعد سنة ، وذلك في ٨ ايلول ٨٩٩، ودُفن في دار الروم ببيعة السيدة . . .

. . . وقد واصل الاطباء المسيحيون مهمتهم بالقرب من الخليفة المعتضد . واشهرهم في هذا العهد هو غالب الذي كان اولاً طبيب الموفّق طلحة بن المتوكل[٧٩] ، وكان له في خدمته ٧٠ غلاماً من المسيحيين . وقد اتّهم يوماً احد هؤلاء الغلمان باهانة نبي الاسلام[٨٠] . فاجتمع المسلمون وارادوا الايقاع بالغلام . ولكنهم لم يتجاسروا على ذلك ، بل رفعوا الدعوى امام الخليفة الذي قال ، حسب ابن العبري : «ان العرب يكذبون» . وارسل جنوده وخلّص الغلام ، وانتهت المشكلة بسلام . وعند وفاة غالب في آمد (دياربكر) سنة ٩٠٠، كان الخليفة هناك ، فحضر مأتمه . وكان سعيد ابوعثمان بن غالب هو ايضاً طبيباً ، وقد عاش في بغداد الى نهاية سنة ٩١٩.

١٦. البطريرك يوحنا الرابع (ابن الاعرج) (٩٠٠ – ٩٠٥)

كان انتخابه عسيراً ودام بعض الوقت . فهنا ايضاً كان المتنافسون على البطريركية عديدين : يوحنا بن مرتا (او ابن ابجر او الاعرج) اسقف الزوابي ، ويوحنا بن بختيشوع مطران الموصل ، وتاذاسيس مطران جنديسابور ، بالاضافة الى غيرهم . . . واشتغلت الوساطات ، وقدّمت الشكاوي امام المعتضد الذي كلّف الامير «بدر» بالنظر في هذه القضية . فسأل بدر اشرافَ المسيحيين في هذا الشأن ، ومنهم : كاتبه مالك ابن الوليد ، وابنا أسلم اللذان كانا يسكنان منطقة الزعفرانية ، وداود بن مسلم . ودارت المداولات والمشاورات . ودعا بدر الى اجتماع عام يضمّ المتنافسين الرئيسين والاساقفة والكتّاب والاطباء . واستمرت المناقشات حتى المساء . وبعد ان قدّم للحاضرين طعام

---

(٧٦) ص ٨٠.

(٧٧) ماري ، ص ٨٥.

(٧٨) ابن العبري ، **ت . ك .** ، ٢، ٢١٨ – ٢٢٢.

(٧٩) ابن ابي أُصيبعة ، ص ٣١١.

(٨٠) **الكامل** لابن الاثير ، (١٣ جزءاً) بيروت ، ١٩٦٥ – ١٩٦٧، ٧، ص ٤٨٤؛ ابن العبري ، **ت . س .** ص

الافطار - اذ كانوا في شهر رمضان - تواصلت المداولات ليلاً . وكان بدر يميل الى يوحنا بن بختيشوع مطران الموصل . واذا بايشوعزخا اسقف عكبرا[٨١] . يصرّح قائلاً عن ابن بختيشوع : «لا يصلح لنا جاثليق يلعب بالكلاب والقرود» ، مشيراً بذلك الى حياة ابن بختيشوع العلمانية . واخيراً قدموا لبدر السبب الحقيقي الذي يمنعهم من انتخاب ابن بختيشوع ، وهو كونه ابناً غير شرعي ، اذ قد وُلد من امرأة سرية . وحينما احتجّ القاسم بن عبيد الله عليهم بقوله : «فلِمَ جعلتموه اذن مطراناً على الموصل ؟» اجابوه : «لقد اختاره اهل الموصل وهم لا يعلمون ، ولما علموا بذلك تندموا»[٨٢] . وانتهت المشكلة بابعاد يوحنا بن بختيشوع وانتخاب يوحنا بن ابجر (الاعرج) الذي رسم بطريركاً في ١١ ايلول سنة ٩٠٠. قد كتب البطريرك الجديد وثيقة يتعهد فيها بالالتزام بالقوانين الكنسية وبالمجامع وبالعمل على ازالة المخالفات من الكنيسة ، لاسيما فيما يتعلق بالسيمونية والمظالم والتلاعب في الامور الكنسية[٨٣] .وكان البطريرك الجديد من أهل بغداد . ويقول عنه صليبا انه كان شيخاً طاهراً قديساً لم يلمس بيده درهماً ولا ديناراً ، ولم يكن في اخوته مثله ولا من لحقه في قدسه وفضله .

وتوفي الخليفة المعتضد سنة ٩٠٢. وتوفي البطريرك يوحنا ايضاً في ١٦ ايار سنة ٩٠٥، ودفن في كنيسة دار الروم الى جانب سلفه ، بعد ان التزم بالعهد الذي قطعه على نفسه . فقد دبّر البطريركية احسن تدبير ورحم المساكين والضعفاء واعان المحتاجين ، ولم يأخذ رشوة على الرسامات[٨٤] .

١٧ .اشهر الكتّاب السريان الشرقيين في القرن التاسع

بالاضافة الى الذين ذكرناهم في سياق كلامنا عن الاطباء والمترجمين والمؤلفين ، فقد برز في هذا القرن جملة من المؤلفين والادباء الذين اغنوا الكنيسة الشرقية بكتاباتهم التاريخية او اللاهوتية او النسكية . ونخص بالذكر منهم :

- **توما المرجي** ، وُلد في بلاد سلاخ الداخلية التابعة لاقليم حدياب في الربع الاول من القرن التاسع . وترهّب في دير بيث عابي سنة ٨٣٢. وحينما اصبح ابراهيم الثاني

.١٦٧

(٨١) عكبرا بلدة من نواحي دُجَيل ، شرقي دجلة ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ .

(٨٢) ماري ، ص ٨٧.

(٨٣) صليبا ، ص ٨١ - ٨٣.

(٨٤) ماري ، ص ٨٩.

المرجي جاثليقاً سنة ٨٣٧، اتخذ توما امين سر له . وبعد مدة اقامه اسقفاً على مقاطعة المرج (مرج الموصل) . وظل هكذا الى وفاته (بعد سنة ٨٥٠) .

اشهر ما وضعه توما المرجي هو «كتاب الرؤساء» الذي يتضمن احداث كنيسة المشرق والشخصيات الذين تخرجوا في دير بيث عابي وشغلوا مناصب مرموقة في الكنيسة . ووضع هذا الكتاب بعد سنة ٨٥٠، اذ فيه اشارات الى موت البطريرك ابراهيم الثاني المرجي . اما الفصل السادس من الكتاب ، فهو ملحق له ويحتوي على قصتي الربان قفريانس والربان جبرائيل اللتين جرت احداثهما في منطقة بيرتا في المرج ايضاً . ويبدو ان هذا الملحق قد وضع قبل كتاب الرؤساء ، وهو يزوّدنا بمعلومات هامة عن الاساقفة والنساك الذين نزحوا عن بلاد الروم ابّان الاضطهاد الذي شنه الملك والنس البيزنطي (٣٦٤ - ٣٧٨) ، واقبلوا الى جبل مقلوب . ويظهر ان توما كان قد وضع كتاباً آخر اسماه «سيرة بعض الرجال القديسين» ، ويرد ذكره في نهاية قصة الربان قفريانس والربان جبرائيل . الا ان هذا الكتاب قد فُقد[٨٥] .

- **ايشوعداد المروزي** ، وُلد في مقاطة مرو في مستهل القرن التاسع . وفي نحو سنة ٨٥٠ اصبح اسقفاً على حديثة دجلة . وفي سنة ٨٥٣ انتخب بطريركاً . لكن الناخبين عدلوا عنه ، وصار تاودوسيوس بطريركاً عوضه ، كما ذكرنا سابقاً . الا ان اهمية ايشوعداد كبيرة بالنظر الى الشروح التي انجزها في العهدين القديم والجديد من الكتاب المقدس . وتُعتَبر اهم الشروح التي تركها لنا الشرقيون . وفيها يتبع الشارح آراء تيودورس المصيصي . وقد اصبحت هذه الشروح جسراً للمنوفيزيين الذين بواسطتها تعرفوا الى «المفسّر» . فاستعملها موسى بركيفا وديونيسيوس ابن الصليبي وغيرهما . . . وقد نُشر كثيرٌ من هذه الشروح ، لا سيما في ج . ك . م . ش . في لوفان البلجيكية[٨٦] .

- **ايشوع برعلي** ، وُلد في النصف الاول من القرن التاسع ، وهو تلميذ حنين بن اسحق الشهير . وقد دمج معجم حنين مع الزيادات التي كان زكريا المروزي قد اضافها اليه ، وصاغ منها معجماً جديداً لقي نجاحاً عظيماً في ذلك العصر . وقد نُشر الكتاب

(٨٥) طالع توما المرجي ، **كتاب الرؤساء** في الترجمة العربية ، الموصل ١٩٦٦؛ **ادب اللغة الآرامية** للمؤلف ، ص ٣٤١ - ٣٤٦.

(٨٦) طالع عن ايشوعداد المروزي ، **ادب اللغة الآرامية** ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧.

دفعتين : القسم الاول سنة ١٨٧٤، والثاني سنة ١٩٠١[٨٧] . هذا بالاضافة الى الكتب الاخرى التي وضعها برعلي في الطب[٨٨] .

- **ايشوعدناح البصري** ، كان مطراناً على فرات ميشان (البصرة) بعد منتصف القرن التاسع . وضع كتابات عديدة يذكرها عبديشوع الصوباوي في فهرسه[٨٩] ، ولاسيما تاريخاً كنسياً في ثلاثة اجزاء ، ولكنه ضاع ، الا ما سرد منه ايليا النصيبيني وما جاء في تاريخ ميخائيل السرياني وورد ذكره في التاريخ الكنسي لابن العبري[٩٠] . وقد وضع ايشوعدناح كتاباً أطلق عليه خطأ اسم «كتاب العفة» ، ويتناول فيه قصص الآباء الذين اسسوا اديرة في مملكتي الفرس والعرب . ويحتوي الكتاب على ١٤٠ سيرة موجزة لاشخاص اسسوا اديرة في المناطق الشرقية . وطبعه بيجان كملحق لكتاب الرؤساء ، ونقله الى العربية القس (البطريرك) بولس شيخو[٩١] وطُبع في الموصل سنة ١٩٣٩.

١٨ . اشهر الكتّاب السريان الغربيين في القرن التاسع

- **ديونيسيوس التلمحري** ، وُلد في الربع الاخير من القرن الثامن في تلمحرة (تل المناخير) على نهر البليخ . وتلقى علومه الاولى في دير قنسرين (بالقرب من حلب) . وحينما أحرق هذا الدير ، سنة ٨١٥، انتقل ديونيسيوس الى دير مار يعقوب بالقرب من بلدة كيسوم ، حيث مكث ثلاث سنين . ولدى وفاة البطريرك قرياقوس سنة ٨١٧، أنتُخب ديونيسيوس خلفاً له ، ولم يكن آنذاك سوى راهب مبتدئ . وقد تكلمنا عن جانب من حياته ونشاطاته في ادارة الكنيسة السريانية . . . واجمل ما وضعه ديونيسيوس هو تاريخه الذي يتناول احداث ٢٦٠ سنة (من سنة ٥٨٣ الى سنة ٨٤٣) . وقد وردت مقتطفات طويلة من هذا التاريخ في التاريخ الذي وضعه ميخائيل السرياني الكبير ، وعن هذا نقل ابن العبري بعض النصوص من تاريخه

---

(٨٧) طالع عنه **ادب اللغة الآرامية** ، ص ٥٣.

(٨٨) ويسميه ابن ابي أُصيبعة عيسى بن علي ، ص ٢٧٧

(٨٩) ص ٩٨ - ٩٩ من الترجمة العربية .

(٩٠) **م . س .** ٣، ص ٢٠؛ ابن العبري، **ت . ك .** ١، ٣٣٣.

(٩١) توفي البطريرك بولس الثاني شيخو في بغداد يوم الخميس ١٣ نيسان سنة ١٩٨٩ ودُفن في كاتدرائية ام الاحزان .

الكنسي[٩٢]. ويبدو ان تاريخ ديونيسيوس كان طويلاً شاملاً ، وان ما وصلنا منه ليس سوى النزر القليل[٩٣].

- **أنطون التكريتي** ، هو تكريتي الموطن ، وترهب في بلدته ، وعاش في عهد البطريرك ديونيسيوس التلمحري . ولا نعرف سوى القليل عن حياته . اشتهر بكتابه الموسوم «بمعرفة الفصاحة» ، وضعه في نحو سنة ٨٢٥. ولقي هذا الكتاب اقبالاً منقطع النظير عند السريان ، لذا فقد سمي صاحبه بانطون البليغ او الفصيح (رهطور) .

ويُعَدّ انطون ايضاً احد مبتكري القافية عند السريان . فوسّع بحور الشعر السرياني ، واستنبط بحراً ثماني الوزن عُرف باسمه . واصبح كتابه «معرفة الفصاحة» مرجعاً يعود اليه أئمة اللغة وينسج البلغاء على منواله . . . ووضع انطون ايضاً تآليف اخرى في مواضيع دينية مختلفة . ووافته المنية بين سنة ٨٤٠ و ٨٥٠[٩٤] .

-**اياونيس مطران دارا** ، أبصرَ النور في نهاية القرن الثامن . وترهب في دير مار حنانيا (الزعفران) القريب من ماردين . وكان صديقاً حميماً للبطريرك ديونيسيوس التلمحري الذي اقامه سنة ٨٢٥ مطراناً على بلدة دارا القريبة من نصيبين . وخدم هذه الابرشية حتى وفاته قُبَيْل سنة ٨٦٠.

ويوحنا هو الذي طلب الى البطريرك ديونيسيوس ان يضع تاريخه الشهير . وكان يوحنا نفسه لاهوتياً ممتازاً ، وقد وضع كتاباً في اللاهوت ضمّنه مواضيع شتى ، منها موضوع في الرتب السماوية والرتب الكنسية ، وهو شرح واسع وتعليق دقيق على ديونيسيوس الاريوفاغي المنحول ، وموضوع آخر في الكهنوت . كما وضع يوحنا كتاباً في النفس وألّف ليتورجيا[٩٥] .

- **موسى بر كيفا** ، وُلد موسى سنة ٨١٣ في بلدة كُحَيل (مشهد كحيل شمالي تكريت) . وكانت والدته من بلد (اسكي موصل) . ودُعي ابن كيفا ، اما لان والده كان يُدعى شمعون (كيفا) ، أو لأجل ما يُقال عنه من أن والدته توفيت وهو ما يزال ابن

---

(٩٢) وقد نقل الرهاوي المجهول قطعاً كثيرة من هذا التاريخ (طالع **تاريخ الرهاوي المجهول**، في الترجمة العربية للاب البير ابونا ، ٢، بغداد ١٩٨٦.

(٩٣) طالع عنه **ادب اللغة الآرامية** ، ص ٣٩٠ - ٣٩٢؛ **اللؤلؤ المنثور** ، ص ٤٢١ - ٤٢٣.

(٩٤) طالع عنه **ادب اللغة الآرامية** ، ص ٣٩٢؛ **اللؤلؤ المنثور** ، ص ٤١٨ - ٤٢١؛ ابن العبري ، **ت . ك .** ١، ٣٦٣.

(٩٥) طالع عنه **ادب اللغة الآرامية** ، ص ٣٩٤ - ٣٩٦؛ **اللؤلؤ المنثور** ، ص ٤٢٦ - ٤٢٧؛ ابن العبري ، **ت . ك** . ١، ٣٨٣.

عشرة أشهر . فكان والده يأخذه الى كنيسة بلد ، ويرضعه من ايقونة العذراء الحجرية . ويُقال ايضاً ان موسى وُلد في «بلد» .

التحق موسى في صباه بدير المعلّق الواقع على قمة الجبل القاحل فوق «بلد» (جبل بطمان الآن) . ونال هناك حظاً وافراً من العلوم . وفي سنة ٨٦٣، أُقيم اسقفاً على بارمان (الفتحة) وبيث كيونا (البوازيج) في منطقة تكريت . ثم ضُمّت اليه ابرشية الموصل ايضاً . وأنيطت به كذلك مهمة الاشراف على ابرشية تكريت ، بعد وفاة مطرافوليطها ، وذلك بصفة نائب او زائر على هذا الكرسي الذي ظل تحت رعايته عشر سنوات . وتوفي موسى سنة ٩٠٣، وقد ناهز التسعين من عمره . . .

اما كتابات موسى بر كيفا فكثيرة ، منها شروح العهدين القديم والجديد ، وصلنا بعض منها ، ومقالة في الاختيار والحرية ، وتفسير لمنطق ارسطو ، وكتاب في الايام الستة (هكساميرون) ، وكتاب «فردوس النعيم» ، وآخر في النفس البشرية ، وكتاب الجدالات ضد الهرطقات ، وكتب في اسرار الكنيسة ، بالاضافة الى خطب عديدة وكتابات طقسية ، منها ليتورجيتان[٩٦] .

---

(٩٦) طالع عنه **ادب اللغة الآرامية** ، ص ٣٩٩ - ٤٠٢؛ **اللؤلؤ المنثور**، ص ٤٣٤ - ٤٤١؛ ابن العبري ، **ت . ك .**، ٢، ٢١٥ - ٢١٨.

الفصل السادس عشر

الكنيسة في القرن العاشر

١ .الخليفة المكتفي بالله (٩٠٢ – ٩٠٨)

هو ابو محمد ، علي المكتفي بالله ابن المعتضد ، وامه ام ولد تركية يُقال لها خاضع وتلقب جيجق او جيجك[١] . ولما بويع له عند موت ابيه كان غائباً في الرقة . وسار الخليفة الجديد على نهج ابيه (المعتضد) . إلا انه امر بهدم المطامير التي كان المعتضد قد اتخذها لتعذيب الناس ، وإطلاق من كان محبوساً فيها ، وصيّرها مساجد ، وامر بردّ البساتين والحوانيت التي اخذها ابوه من الناس ليعملها قصراً لأهلها ، وسار سيرة جميلة ، فأحبه الناس ودعوا له . إلا ان وزيره القاسم بن عبيد الله غلب عليه .

واستمر المسيحيون في عهده على مزاولة اشغالهم في دوائر الدولة . وقد برز بينهم الحسين بن عمر كاتب الخليفة . وكان هذا في الواقع وزيراً تحت ستار اسم ابراهيم بن حمدان الشيرازي . إلا ان القاسم اوغر صدر الخليفة عليه ، فأبعده ، ويقال انه قُتل في الاهواز مسموماً .

اما الأطباء والمترجمون فقد واصلوا مهامهم . واشتهر من بينهم يوسف القس المكنّى بالساهر[٢] .الا ان اسحق بن حنين فقد حاميه القاسم بن عبيد الله سنة

(١) المسعودي ، **مروج الذهب** ٤، ص ٣٧٥؛ **التنبيه والاشراف** ، ص ٣٢١؛ السيوطي ، ص ٣٧١.
(٢) ابن ابي اصيبعة ، ص ٢٧٨.

٩٠٤. وهناك شخص آخر مسيحي برز في ذلك الوقت وهو ابو العباس عبد الله بن شمعون الذي كان له نفوذ كبير على المسيحيين . . .وقد دارت حروب عديدة بين جيش الخليفة واعدائه من الروم والقرامطة[٣] والطولونيين[٤] . وتوفي المكتفي سنة ٩٠٨.

٢. البطريرك ابراهيم الثالث الباجرمي (ابرازا) (٩٠٦ – ٩٣٧)

كان ابراهيم من باجرمي (بيث كرماي) ، واصبح أسقفاً على المرج . وبينما كان في احد الايام ماضياً الى بغداد للتظلم من شخص اغتصب بعض ممتلكاته ، اذا باعرابي يدفع له صرة مليئة ذهباً ليفتدي به اخاه الأسير في بغداد ، اذا وجده هناك ، وإلا فيكون له المال . ولدى وصول ابراهيم الى بغداد ، ألفى الجاثليق يوحنا على فراش الموت . فبذل له العناية ، متزلفاً اليه والى الاساقفة . وبعد موت الجاثليق ، استرضى الاساقفة بالرشاوى ، وأثر فيهم بوساطة الكاتب عبدالله بن شمعون ، فاختاروه بطريركاً . وجرت رسامته في ١٠ كانون الثاني سنة ٩٠٦. وقد شاهد الجاثليق الجديد في عهده الطويل الذي دام نحو ٣٢ سنة تعاقب اربعة خلفاء واحداثا هامة في كنيسة المشرق[٥] . واول ما فعله ابراهيم هو التخلص من نفوذ الكاتب عبدالله بن شمعون الذي اشترط عليه ثلاثة شروط : الا يعيد تاودورس الى كرسي بيث كرماي ، وان يقطع مجلسه عند دخول الكاتب ، وان يستشيره في كل شيء[٦] . الا ان البطريرك لم يولِ شروط الكاتب اعتباراً كبيراً . فبعد ان ابعد تاودورس مدة الى دير في الأنبار ، اعاده الى كرسيه في بيث كرماي . وقد ادى الأمر الى مقاطعة الكاتب للبطريرك ، ثم الى انتمائه الى الملكية . اما تاودورس فقد ساءت سيرته حتى انتهى الى «قطع زنّاره» . ولقي جفاء من المسلمين انفسهم ، فقُطعت عنه كل مساعدة ، حتى اضطر الى تعاطي الطب على الباب النوبي والى استجداء مساعدة البطريرك ، الى ان مات بائساً .

---

(٣) القرامطة ، نسبة الى شخص يدعى قِرمطِ (حمدان) وهو مؤسسهم . وكان قرمط من الباطنية واصله من خوزستان واقام في سواد الكوفة سنة ٨٧١ وبنى مقاماً فيها دعاه «دار الهجرة» وكثر اتباعه واشياعه.

(٤) الطولونيون نسبة الى طولون جدهم . وكان هذا مملوكاً تركياً من بخارى أهدي الى الخليفة المأمون ، ثم اصبحَ قائد حَرَس الخليفة العباسي المعتصم .

(٥) طالع عنه ماري ، ص ٨٩ – ٩٤؛ صليبا ، ص ٨٣ – ٨٤؛ ابن العبري ، **ت . ك**.، ٢، ٢٢٩ – ٢٤٥.

(٦) ماري ، ص ٩١.

٣ . الخليفة المقتدر (٩٠٨ - ٩٣٢)

هو المقتدر بالله ابو الفضل جعفر بن المعتضد ، وامه ام ولد تركية[٧] تُسمّى شغب . بويع في اليوم الذي فيه توفي اخوه المكتفي بالله ، وكان له ثلاث عشرة سنة . وفي مطلع عهده ، قامت عليه ثورة ، فخُلع وأُقيم مكانه عبدالله ابن المعتز . الا ان المقتدر استطاع التغلب على مناوئيه والمكوث في منصبه مدة طويلة . ولكن بالنظر الى صغر سنه ، فقد اصبح الخليفة العوبة بأيدي النساء ، ولاسيما امه شغب والكتّاب والوزراء الذين تعاقب خمسة عشر منهم في عهده[٨] .

في زمانه ، جاء من مرو الى بغداد الفيلسوف النسطوري يوحنا بن هيلان الذي كان استاذاً للفارابي .

الا ان الخليفة في مطلع عهده اصدر مرسوماً يقضي بابعاد المسيحيين واليهود عن الوظائف العامة واستبقائهم في المصارف والطب وفرض عَليهم لبس الزي المميّز . لكن هذه الاجراءات لم تدم طويلاً . فكان من المقربين الى الوزير الجديد ابن الفرات اربعة من كبار المسيحيين هم : ابو بشر عبدالله ابن الفروخان ، وابو الحسين سعيد بن ابراهيم التستري ، وابو منصور عبدالله بن جبير ، وابو عمر سعيد ابن الفروخان . وكان هؤلاءالمسيحيون يشاطرون مصير حماتهم في السّراء والضّراء .

وقد استطاع البطريرك ابراهيم الثالث ان يستحصل من الخليفة سنة ٩١٣ مرسوماً يمنع بطريرك الروم ايليا الاول من اقامة اسقف لطائفته في بغداد ، بعد اتهامات متبادلة بين البطريركين ، وبعد ان دفع النساطرة مبلغ ٣٠ الف دينار للحصول على هذا المنع . وكان مرسوم الخليفة يؤكد على اولوية الجاثليق النسطوري على الطوائف الاخرى ، المنوفيزية والملكية ، وجاء بمثابة اعتراف رسمي بشرعية كنيسة المشرق .

وكان للوفود البيزنطية القادمة الى الشرق وقع حسن في نفوس المسيحيين . وقد استُقبل هؤلاء الوفود بحفاوة بالغة في البلاط العباسي ، بعد ان انتظروا شهرين في تكريت[٩] .

وهنا يروي لنا ابن العبري[١٠] حادثتين متلاحقتين ، جرت احداهما في بغداد سنة ٩٢٠، وفيها ثار بعض الجنود العرب وحطموا ابواب السجون واطلقوا سراح مَن فيها

---

(٧) يقول المسعودي انها رومية (**التنبيه والاشراف** ، ص ٣٢٦) .

(٨) المسعودي ، **التنبيه والاشراف** ، ص ٣٢٨؛ السيوطي ، ص ٣٨١ .

(٩) السيوطي ، ص ٣٨١؛ ابن العبري ، **ت** . س ، ص ١٧٢ - ١٧٤ .

(١٠) ابن العبري ، **ت** . **س** ، ص ١٧٤ .

من المجرمين الذين شرعوا بالسلب والنهب . وقد اصبح المسيحيون بصورة خاصة عرضة لأعمال الشغب هذه . فنُهبت بيوت كثيرين من الكتّاب المسيحيين في هذه الفوضى ، وبالاخص بيت الطبيب عبدالله بن شمعون . الا ان حاكم المدينة سيطر على الوضع ، والقى القبض على المجرمين وصلب زعيمهم وقطع أيدي انصاره . . . اما الحادثة الأخرى التي يرويها ابن العبري في الموضع عينه ، فقد جرت سنة ٩٢٢، وهي تروي قصة «الحلاّج» . ويقول ابن العبري : «في سنة ٣٠٩ هـ ، أُلقي القبض على ناسك (متصوّف) من العرب اسمه حلاج في بغداد . وكان هذا يدعو نفسه «إلهاً متجسداً» ويظهر انه يجري الخوارق بالحيل . فأمر الملك بجلده الف جلدة ، ثم قطعوا يديه ورجليه واحرقوا جثته . اما رأسه فقد رفعوه على رمح وارسلوه الى بلاد فارس (خراسان) وطافوا به هناك»[١١] .

وفي سنة ٩٢٣، وردت اشارة الى هدم بعض كنائس الملكيين في فلسطين ، في الرملة وعسقلان وقيصرية ، وفي تنيس المصرية . وحينما رفع المسيحيون شكواهم الى الخليفة المقتدر ، امر هذا باعادة بناء هذه الكنائس . وحدث اضطراب آخر في تلك المنطقة ادى الى هدمها من جديد ، ثم أُعيد بناؤها مرة اخرى . وهذا كله يشير الى ضعف الإدارة والى حرية التصرف لدى الحكام المحليين الذين يتبعون هواهم او يتأثرون بالتزمت او بالرشاوى . . . وكانت الحالة العامة تتيح مثل هذه التعسفات ، ولاسيما ان «المحسّن» ابن الوزير ابن الفرات كان اذ ذاك يطلق العنان لبطشه وظلمه في البلاد[١٢] .

وما يزال في هذا العهد ايضاً بعض الكتّاب المسيحيين يحتفظون بمناصب مرموقة في الدولة : ففي سنة ٩٢٥، نرى ان مالك ابن الوليد يشرف على «ديوان الدار» ، وان ابن القناني مع اخيه يشرفان على «الخاصة» وعلى «بيت المال» . وفي سنة ٩٢٨،

---

(١١) يتفق المؤرخون المسلمون مع جوهر ما رواه ابن العبري عن الحلاج (الحسين بن منصور) ، اذ يقولون ان الجلاد ضربه نحو الف سوط دون ان يتأوه او يستعفي . ثم قُطعت يداه ورجلاه وعُلّق على الصليب وهو في حالة من الغيبوبة اشبه بالثمل . فلما صار وقت العشاء ، جاء الاذن من الخليفة بأن تُضرب العنق . لكن الامر أخّر الى اليوم التالي حيث انزله الجلاد من الصليب فضرب عنقه ولفّ جذعه في بارية وصبّ عليه النفط . وعند الظهيرة كان رأس الحسين يُنصَب على سور السجن الجديد ورماده تُذر من أعلى المئذنة في مياه دجلة (طالع ميشال فريد غريّب ، **الحلاج أو وضوء الدم**، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (بدون تاريخ) ، ص ١٤٨) . ويقول ماسينيون ، في رسالة الى الاب انستاس ماري الكرملي ، مؤرخة في ١٩٢٢/١/٢٩، ان الحلاج صُلب يوم عيد البشارة ، في ٢٥ اذار سنة ٩٢٢.

(١٢) وفي عهد وزير اخر من بني الفرات هو ابو الفتح الفضل بن جعفر ، جرت في سنة ٩٣٢ او ٩٣٨ المناقشة الفلسفية الشهيرة بين ابي سعيد السيرافي وبين المنطقي المسيحي ابي بشر متى بن يونس من دير قني . وكان ابو بشر يدّعي ان منطق ارسطو ضروري للتمييز بين الصواب والخطأ .

نلاحظ ان مسيحياً آخر يُدعى ابراهيم بن ايوب يُكلَّف بالجهبذة (اي الجباية) ، وقد سبق له ان كان مشرفاً على بيت المال .

ويبدو ان البطريرك ابراهيم كان يحظى باحترام هؤلاء الكتّاب المسيحيين ويفرض عليهم سلطته . فيقال ان علوان كاتب «مؤنس» ، لدى عودته من دمشق ، توجه على الفور الى مقر البطريرك . الا ان ابراهيم منعه من الدخول عليه يوماً كاملاً ، وفرض عليه ان يدفع ١٥ الف دينار لمشاريع كنيسة المشرق ، مقابل المبلغ المماثل الذي كان الكاتب قد وزّعه على الكنائس في مصر والمنطقة الغربية .

ولقد قيل الكثير عن كون البطريرك سيمونيا . وفي الواقع اظهر شيئاً من هذا القبيل في انتخابه . ولم تخلُ حياته ايضاً من الجشع . وتروي النصوص ، نقلاً عن ابي اسحق محمد بن احمد الاسكافي ، انه فاجأ البطريرك يوماً وهو يعدّ مبلغاً كبيراً من الدراهم والدنانير ، فقال له : ان ثوبك هو ثوب سمعان (بطرس) ، اما تصرفك فتصرف سيمون (الساحر) . اني لا اعترف بك جاثليقاً بعد الآن !» واعتبر كلٌ منهما الآخر محروماً . وتفاقمت الازمة بينهما ، ولم يتوصل الوسطاء الى اقناع ابي اسحق بالمصالحة . ولحسن الحظ كان البطريرك قد توفي حينما صار ابو اسحق وزيراً سنة ٩٤١ .

اما الخليفة المقتدر ، فبعد ان تضعضع عرشه مرات عديدة وتعرض لاضطرابات داخلية وخارجية ، عُزِل مرة اخرى ابّان الثورة التي انفجرت في بغداد سنة ٩٢٩، وتعرّض بلاطه للسلب والنهب ، ثم أُعيد الى العرش بفضل «مؤنس» ، ولكنه عاد فعارض هذا الاخير سنة ٩٣٢. اذ ذاك قُتل الخليفة على رأس جيشه في ٣١ تشرين الاول سنة ٩٣٢، بالقرب من باب الشماسية وهو الحي الذي يقع فيه مقر البطريركية الشرقية ، شمالي بغداد الشرقية (الصليخ) .

٤ . الخليفة القاهر (٩٣٢ – ٩٣٤)

هو القاهر بالله ابو منصور ، محمد بن المعتضد بن طلحة ابن المتوكل ، وامه ام ولد اسمها فتنة[١٣] . ويقول عنه المسعودي انه كان شديد الاقدام على سفك الدماء ، اهوج ، محباً لجمع المال على قلّته في ايامه ، قليل الرغبة في اصطناع الرجال ، غير مفكر في عواقب الامور . . .[١٤] . وتوجس المسيحيون خيفة منه ، ولاسيما حينما شرع باتخاذ بعض قرارات ليست من صالحهم . فانه امر بتحريم القيان والخمر ، وقبض

---

(١٣) السيوطي ص ٣٨٦. اما المسعودي فيقول انها تسمى «قبول» (طالع **التنبيه والاشراف**، ص ٣٣٦) .
(١٤) المسعودي ، **التنبيه والاشراف** ، ص ٣٣٦.

على المغنين ، ونفي المخانيث ، وكسر آلات اللهو ، وامر ببيع المغنيات من الجواري . . وكان مع ذلك هو ذاته لا يصحو من السكر ، ولا يفتر عن سماع الغناء[١٥] . وفي اول عهده ، صادر آل المقتدر وعذّبهم وضرب ام المقتدر (شغب) حتى ماتت في العذاب . وحينما ثار عليه الجند باتفاق مع «مؤنس» وآخرين راموا خلعه ، تحيّل القاهر عليهم الى ان امسكهم وذبحهم ، ثم اطلق ارزاق الجند فسكنوا واستقام الامر للقاهر .

وكان في ذلك العهد ابو سعيد سنان بن ثابت بن قرة الحراني الصابئي رئيساً على ٨٦٠ طبيباً في بغداد ، وقد ارغمه القاهر بالله على اعتناق الاسلام[١٦] . ولا يبدو ان الخليفة مارس ضغطاً على طبيبه المسيحي المفضل عيسى بن يوسف ابن العطارة ، في حين انه ألقى القبضَ على مسيحي آخر من كبار الكتّاب يُدعى اسحق بن علي القنّائي ، وذلك بتحريض من وزيره احمد الخصيبي .

الا ان نهاية عهد القاهر كانت مضطربة . فثارت عليه فتنة سنة ٩٣٤ فخلعوه ، وسُملت كلتا عينيه بمسمار محمى حتى سالتا على خديه[١٧] ، وأُلقي في السجن حيث ظل احدى عشرة سنة ، ثم أُطلق سراحه ، فعاش متسولاً في الجامع الكبير حتى وفاته سنة ٩٥٠

٥ . الخليفة الراضي (٩٣٤ - ٩٤٠)

هو الراضي بالله ابو العباس احمد ابن المقتدر[١٨] . وامه ام ولد رومية اسمها ظلوم . كان الراضي سمحاً كريماً اديباً شاعراً فصيحاً محباً للعلماء ، وله شعر دُوّن ، وهو آخر خليفة عباسي دُوِّن له شعر . انفرد بتدبير الملك وقرّبَ اليه العلماء . ولكن الخلافة ضعفت ، وقويت شوكة حكام الاقاليم ، فكان آلة في ايديهم . وتوفي الخليفة في بغداد سنة ٩٤٠ ، وله احدى وثلاثون سنة ونصف السنة .

وفي عهد الخليفة الراضي ، ظهر البطريرك ابراهيم الثالث على مسرح الاحداث مرة اخرى ليدافع عن حقوقه . فقد خصص المسيحي ابو بشر عبدالله بن فرجونة[١٩] ، قبل وفاته ، مبلغ ٧٠٠٠ دينار للمشاريع البطريركية . الا ان ارملته رفضت ان تدفع

---

(١٥) السيوطي ، ص ٣٨٦.

(١٦) ابن العبري ، **ت . س .**، ص ١٧٦؛ ابن ابي اصيبعة ، **عيون الانباء** ، ص ٣٠٠ - ٣٠٤.

(١٧) السيوطي ، ص ٣٨٨.

(١٨) المسعودي ، **مروج الذهب** ٤، ص ٣٢٢؛ **التنبيه والاشراف** ، ص ٣٣٦؛ السيوطي ، ص ٣٩٠.

(١٩) ويرد اسمه في ماري تارة «ابو فرجونة» وطورا «ابن فرجونة» (**المجدل** ، ص ٩٣) .

المبلغ بعد موته ، مما حَدا البطريرك الى منع الصلاة على جثمانه . لكن احد الشمامسة يُدعى موسى تحدّى امر البطريرك وصلّى على جثمان الفقيد . وتأزمت الامور بين البطريرك والأرملة ، حتى اضطرت هذه الى اللجوء الى دار الوزير ابي الحسن بن المقلد . فجمع البطريرك حشداً من رهبان وكهنة وتلاميذ ، وذهب الى دار الوزير مطالباً بحقوقه . وكان لهذه التظاهرة الاكليريكية تأثير في الوزير الذي امر بطرد الأرملة المسكينة وباعطاء حق البطريرك[٢٠] .

اما الشخص الذي قام بهذه الوساطة بين الوزير والبطريرك فكان مسيحياً يُدعى أبا الحسن سعيد بن عمر بن سنجلا (ويسميه ماري بن شنجلا) . وكان هذا المسيحي كاتباً عند الراضي قبل خلافته ، ثم عيّن سنة ٩٣٥ كاتباً خاصاً لولدي الخليفة ومشرفاً على مهمة المصاريف . واستطاع ان يكتسب العديد من الاصدقاء «من مال الظلم» . وتمكن ابن سنجلا ان يقدّم خدمات نفيسة للمسيحيين وللبطريرك ابراهيم . وقد تولى اخوه ايضاً ، وهو ابو القاسم علي بن يعقوب ، مناصب هامة في الدولة . وسيقوم ابن سنجلا بدور رئيس في ادارة الكنيسة مدة شغور الكرسي البطريركي بعد موت ابراهيم الثالث .

ثارت في عهد الراضي موجة من السخط على الذميين لما كانوا يحظون به من المناصب الرفيعة ومن الثروات الطائلة . الا ان هذه الموجة لم تغيّر موقف الخليفة تجاههم . وظلت العلاقات طيّبة بين المسلمين والمسيحيين على المستوى الاجتماعي الرفيع . ودارت سنة ٩٢٥ محادثات بين علماء المسلمين ، في بغداد وفي «الكنيسة الخضراء» في تكريت ، والمنوفيزي ابي زكريا دنحا الفيلسوف والمجادل والمؤرخ الكبير . . . وحينما جاء اسقف عسقلان الملكي الى بغداد في نحو سنة ٩٤٠، ليلتمس السماح بترميم كنيسة العذراء التي كان المسلمون واليهود قد هدموها واحرقوها ، لم ينل شيئاً ، وقد يعزى ذلك الأمر الى كونه ملكياً ، وان الامور كانت تجتاز بين ايدي الكتّاب النساطرة المتنفذين .

ومن بين المسيحيين الذين اشتهروا في عهد الخليفة الراضي ، نخص بالذكر :

– اسطيفان الكاتب الملكي الذي كان عند «مؤنس» ، ثم اصبح بطريرك انطاكيا باسم تاودوسيوس .

– سنة ٩٣٥، مات اسطيفان آخر ، وكان وكيلاً لخزانة الخليفة الخاصة .

(٢٠) طالع ماري في **المجدل** ، ص ٩٣،ويذكر ماري (في المجدل ،ص ٥) ان الجاثليق ابراهيم الثالث شرع في فتح قبر مار ماري ، فخرج عليه منه زنابير .

– الطبيب بختيشوع ، وقد أُصيب بنكسة لكونه لم يفلح في معالجة هارون اخي الخُليفة . فأبعد الطبيب الى الانبار ، ثم سرعان ما استُدعي من هناك على طلب الملكة الأم . ومات بختيشوع سنة ٩٤١ .

– الطبيب داود بن ديلم الذي مات في بغداد سنة ٩٤٠[٢١] .

– الطبيب متى بن يونان ، ابو بشر ، من دير قني ، وكان طبيباً ومترجماً ومنطقياً . وتوفي في بغداد هو ايضاً سنة ٩٤٠[٢٢] .

٦. البطريرك عمانوئيل الاول (٩٣٧ – ٩٦٠)

توفي البطريرك ابراهيم الثالث في حزيران سنة ٩٣٧ . وتم انتخاب ايليا اسقف الانبار ، بالنظر الى علمه وفضائله . وكتب له المجمع وثيقة الانتخاب (شلموثا) ، وحصل ابن سنجلا له على سماح من الخليفة ، ودارت الاستعدادت لرسامته في المدائن . . .

وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان . فان المنتخَب قام بزيارة الى الكاتب ابن سنجلا . وخلال هذه الزيارة وجّه اليه حديثاً غريباً . فقد قال له : «حينما اصبح بطريركاً ، ساسمح لك باتخاذ سرية بالاضافة الى زوجتك العاقر ، لتنجب لك ابناً» . فصعق الكاتب لهذا الكلام ، وانتزع الوثيقة من يدِ ايليا ومزّقها وصرخ قائلاً : «اتظن انك تقترب مني وانت تخالف شريعة المسيح ؟» وأُقصي ايليا عن البطريركية .

وبينما كان الاساقفة حائرين في امرهم ، وقد ابى ابن سنجلا ان يتدخل في انتخاب جديد ، اذا بسنان بن ثابت الطبيب الحراني الصابئي ينقذ الموقف ويروي انه شاهد راهباً قديساً في دير ابي يوسف في بلد (اسكي موصل) ، وقد يكون هو الافضل لهذا المنصب . وكان اسم الراهب عمانوئيل . وتبنى ابن سنجلا هذا الرأي ايضاً ، وحصلا على كتاب من بغداد الى ناصر الدولة الحمداني يوعز اليه في استقدام الراهب المذكور ، حتى قسراً اذا لزم الأمر . فقبل الراهب على مضض ، ورافق الحراس الى الحديثة . وهناك جاءته اشارات الى ان الرب قد اختاره لهذا المنصب . ولما وصل بغداد ، لاحظ ان بعض الآباء لم يكونوا راضين بانتخابه . فان لوقا مطران الموصل هرب على بغلة وهو بدراعة وعمامة على الجسر ليخفي نفسه فلا يُضطَر الى

(٢١) ابن ابي أُصيبعة ، ص ٣١٥ – ٣١٦.
(٢٢) الموضع عينه ، ص ٣١٧.

رسامة عمانوئيل . الا ان شخصاً من الوجهاء يُدعى ابا عيسى المنذر بن النعمان العبادي لقيه وعرفه فاعاده . وكذلك تنكر ابو عبيدة اسقف الحيرة وخرج الى دير بن هرمزد[٢٣] . ولدى وصول عمانوئيل الى بغداد ، حظي بمقابلة الخليفة الراضي الذي طرح عليه اسئلة كثيرة حول الديانة المسيحية ، ولاسيما فيما يخص محبة الأعداء . ويبدو ان اجوبة عمانوئيل اعجبت الخليفة الذي أيّد تعيينه وقدّم له هدايا نفيسة ، ثم اعاده باكرام وحفاوة الى المقر البطريركي ، في دار الروم آنذاك .

وجرت رسامة البطريرك عمانوئيل يوم الجمعة ٢٢ شباط سنة ٩٣٨[٢٤] . ولم يرد ذكر هام للبطريرك في نهاية عهد الراضي الذي اتّسم بالفوضى والارتباك .

٧ . الخليفة المتّقي (٩٤٠ - ٩٤٤)

هو المتقي لله ابو اسحق ابراهيم ابن المقتدر . بويع بالخلافة بعد موت اخيه الراضي بخمسة ايام ، وهو ابن اربع وثلاثين سنة ، وامه أمة اسمها خلوب[٢٥] . في عهده وعهد خلفيه ، ساءت الاحوال وافضى الحكم في الواقع الى الامراء الاتراك والديلميين وغيرهم ، واصبحت المقاطعات شبه مستقلة ، لاسيما النائية منها . وفي السنة الاولى لخلافة المتقي ، انهالت الكوارث على بغداد ، فحدثت مجاعة ثم وباء وفيضان[٢٦] بالاضافة الى الغزوات الكثيرة التي قام بها الروم للمناطق الشرقية . وتوالت الاحداث المؤسفة والاغتيالات بين الامراء والحكام . فقُتل بجكم التركي وتولى كورتكين الديلمي امرة الامراء مكانه . ثم ظهر ابن رائق فقاتل كورتكين في بغداد وهزمه وتولى امرة الامراء مكانه . وكان التدبير الفعلي لأبي عبدالله احمد بن علي الكوفي الذي فرض جزية باهظة على ابن سنجلا واخيه . ثم تعرضت بغداد ودار الخلافة للسلب والنهب من قِبَل عصابات ابي الحسين علي بن محمد البريدي . وشرع كثيرون يهجرون بغداد الى مناطق اخرى . وفي هذه الفوضى تعرض الجميع لمضايقات كثيرة ، واضطر البطريرك ذاته الى دفع جزية قدرها ٥٠ الف درهم للأمير ابي الوفاء توزون الذي كان قابضاً على زمام الامور في بغداد في غياب الخليفة .

وكانت نهاية الخليفة المتقي مأسوية . فقد القى الأمير توزون القبض عليه وارغمه

(٢٣) ماري ، ص ٩٥ .

(٢٤) ماري ، ص ٩٤ - ٩٨؛ صليبا ، ص ٨٤ - ٩١؛ ابن العبري ، **ت . ك**،٢، ٢٤٦ - ٢٤٨ .

(٢٥) المسعودي ، **مروج الذهب** ٤، ص ٣٣٩؛ **تنبيه والاشراف** ، ص ٣٤٤؛ السيوطي ، ص ٣٩٤ .

(٢٦) ت . **س** .، ص ١٧٩ .

على الاستقالة ، ثم سمل عينيه . وكان الخليفة في السادسة والثلاثين من سنه ، وعاش بعد هذه المصيبة ٢٤ سنة اخرى ، وتوفي سنة ٩٦٨.

٨ . الخليفة المستكفي (٩٤٤ – ٩٤٦)

هو المستكفي بالله ابو القاسم عبدالله بن المكتفي بن المعتضد ، وامه ام ولد رومية تُسمّى غصن[٢٧] . ويصفه ابو اسحق ابراهيم بن اسحق المعروف بابن الوكيل ، وهو مسيحي من كتّاب الخليفة ، قائلاً : «ان المستكفي كان في سائر اوقاته فارغاً وجلاً من المطيع ان يلي الخلافة»[٢٨] .

وفي سنة ٩٤٥، توفي الأمير توزون في بغداد ، فخلفه في الحكم كاتبه أَبو جعفر بن شيرزاد . وكان الكاتب المسيحي طازاد في حاشية هذا الامير الجديد .

الا ان الحكم انتقل سريعاً من ايدي الأتراك السنّيين الى البويهيين الشيعة . ففي كانون الاول سنة ٩٤٥، دخل أحمد بن بويه بغداد ، فاختفى شيرزاد . فدخل ابن بويه دار الخلافة ووقف بين يدي الخليفة ، فخلع عليه ولقبه «معز الدولة» ولقّب اخاه علياً «عماد الدولة» ، واخاهما الحسين «ركن الدولة» . اما المستكفي فقد لقّب نفسه «إمامَ الحق» . وسرعان ما اشتدت قبضة ابن بويه على الخليفة ، فحجر عليه ، وقدّر له كل يوم خمسة آلاف درهم فقط . وبعد شهر ، اي في مطلع سنة ٩٤٦، اعتقل الخليفة وساقه الى داره حيث خلعه وسمل عينيه ، وزّج به في السجن الى ان مات[٢٩] .

اما المسيحيون فقد واصلوا في الفترة البويهية ايضاً نشاطاتهم المعتادة بصفة كتّاب واطباء ، ولو ان وجودهم اخذ يتضاءل في بعض المناطق ، ليس من جراء الظلم والاضطهادات ، بل بسبب الملل الذي اعتراهم من الاوضاع المضطربة ومن عدم الاستقرار العام .

٩ . الخليفة المطيع (٩٤٦ – ٩٧٤)

هو المطيع لله ابو القاسم ، الفضل بن المقتدر ، وامه ام ولد اسمها شغلة[٣٠] . بويع بالخلافة بامر معز الدولة عند خلع المستكفي ، وقرر له معز الدولة كل يوم نفقة مائة دينار

---

(٢٧) يقول السيوطي : تسمى املح الناس (ص ٣٩٧) . طالع ايضاً المسعودي ، **مروج الذهب** ٤، ص ٣٥٥؛ **التنبيه والاشراف**، ص ٣٤٥.

(٢٨) المسعودي ، **مروج الذهب** ٤، ص ٣٦٢.

(٢٩) السيوطي ص ٣٩٧ – ٣٩٨، ابن العبري **ت . س** .، ص ١٨٠ – ١٨١.

(٣٠) ويقول المسعودي انها صقلبية تسمى مشعلة (**التنبيه والاشراف** ،ص ٣٤٥).

فقط . وغلب على الأمر ابن بويه الديلمي والمطيع في يده لا امر له ولا نهي ولا خلافة تُعرَف ولا وزارة تُذكر[٣١] .

. . . واستمرت الاضطرابات في الدولة . ففي سنة ٩٤٦، اضطر معز الدولة الى مقاتلة ناصر الدولة الحمداني صاحب الموصل . وكانت سلطة هذا الاخير تمتد الى رقع واسعة من البلاد وتشمل حتى الضفة الشرقية من بغداد . اما البويهي فكان مسيطراً على الضفة الغربية . وهُزم ناصر الدولة ، ورافقه كثير من اهالي القطاع الشرقي من المدينة . وقد مات نحو عشرة آلاف منهم في الطريق[٣٢] ، وتعرض الباقون لسلب الديلميين ونهبهم . ومن المعلوم ان المسيحيين كانوا يسكنون القطاعين وكان لهم كنائس في الضفتين . فكان مقر البطريركية في الشماسية في الشمال ومراكز اخرى في سوق الثلاثاء في الجنوب من الضفة الشرقية . ولابدَّ انهم شاركوا المصير العام . وحدثت امور اخرى في بغداد في ذلك العهد ، منها مجاعة مروّعة[٣٣] . وفي سنة ٩٥٢، شبّ حريق هائل في حي سوق الثلاثاء واودى بحياة كثيرين من المسلمين والمسيحيين . وفي سنة ٩٥٤ جاء دور الجراد الذي التهم كل شيء في منطقتي بغداد والموصل .

وفي نحو سنة ٩٥٣، نرى ان البطريرك عمانوئيل يقوم بترميم كنيستين = كنيسة دار الروم في الشماسية في الشمال الشرقي من بغداد ، وكنيسة دير حي العتيقة في الجنوب الغربي من بغداد (الكرخ) . وقد حصل على السماح بذلك بواسطة الطبيب المسيحي ابن علي سعيد بن داود . وكان المسيحي العبادي الحيري ابو عيسى المنذر ابن النعمان ، المذكور آنفاً ، قد اشترى ابواباً للهيكل بمائة دينار . وقد اسرع البطريرك ، بالهام خفي ، في جلب الابواب قبل ان يشب الحريق في اليوم التالي في سوق النجارين ويتلف كل شيء . وقد قام بدفع نفقات للترميم ابو علي بن غسان ، وهو كاتب مسيحي للبويهي ركن الدولة .

اجل ، لقد انضوى المسيحيون في خدمة اسياد البلاد الجدد ، البويهيين ، ورافقوهم الى المقاطعات الايرانية ، ثم عادوا معهم الى بغداد . وهكذا فقد نشأت فئة اخرى من مسيحيين قادمين من شيراز وغيرها من المناطق الشرقية ، بالاضافة الى الفئات المحلية من المدائن والحيرة وكشكر . ونرى ابن سنجلا في خدمة البويهيين سنة

---

(٣١) المسعودي ، **مروج الذهب** ، ص ٣٧٢. وينتهي كتاب **التنبيه والاشراف** عند ذكر الخليفة المطيع ، وكذلك كتاب **مروج الذهب** .

(٣٢) ابن العبري، **ت.س**.، ص ١٨١.

(٣٣) الموضع عينه، ص ١٨١ - ١٨٢.

٩٤٨، وهو يمثّل، كوكيل على ممتلكات سواد بغداد، الاميرَ الديلمي روزبيهان خورشيد، قائد معز الدولة. وحينما ثار روزبيهان على معز الدولة سنة ٩٥٦، ساورَ القلقُ معزَّ الدولة، فاوعز الى خازنه المسيحي ابن علي الحسن ابن ابراهيم الشيرازي في تهيئة زوارق لإخلاء اولاده وامواله نحو البصرة. وقبل الرحيل، ارسل الخازن ابا الحسن علي بن عون المسيحي لكي يستشير البطريرك في الأمر. واذا بالبطريرك يتنبأ ويقول: «سيأتيكم الخير في مطلع الشهر، وسيكون النصر»[٣٤]. وهذا ما قد تمّ بالفعل، اذ احرز معز الدولة النصر على خصومه. ومرة اخرى كان الخازن قلقاً بشأن صحة سيده معز الدولة الذي كان يتألم من حصى في المثانة. فارسل الخازن يستطلع البطريرك بهذا الشأن. فقال البطريرك: «كلا، لن يموت، بل سيموت البطريرك قبل الأمير».

ويستدل من الاشارات الواردة في هذا الزمان من مختلف مرافق الحياة الاجتماعية ان عدد المسيحيين في بغداد كان يتراوح آنذاك بين ٤٠ و٥٠ الف نسمة.

وقد اتّسمت نهاية حياة البطريرك عمانوئيل بسلسلة من المصائب انهالت على البلاد، منها الوباء سنة ٩٥٧، وسلسلة من المشاغبات والفتن الداخلية في احياء بغداد ٩٥٩، وجفاف وجراد. اخيراً توفي البطريرك في نيسان سنة ٩٦٠، تاركاً ثروة قدرها سبعة آلاف مثقال ذهب و٦٠٠ الف درهم. ويروي ماري[٣٥]. ان البطريرك كان قد هيّأ لنفسه تابوتاً من خشب الجوز بغير مسمار ولا حديد، وان يد البطريرك قبضت على الصولجان بعد موته. ولكن ستار الصمت أسدل على هذا الأمر، تجنّباً للفوضى وتفاقم الخصام بين الحيريين والمدائنيين.

ويروي ابن العبري[٣٦] ان مجاعة اخرى حدثت سنة ٩٦١ ادّت الى هجرة عدد من المسيحيين نحو الغرب، لاسيما من المنوفيزيين الذين هربوا الى المدن الواقعة على ساحل البحر المتوسط، وسكنوا طرابلس السورية حيث اقاموا لهم كنيسة على اسم مار بهنام الشهيد... وفي هذه السنين (٩٦١ - ٩٦٤) اصبح ابن سنجلا كاتباً خاصاً للخليفة.

١٠. البطريرك اسرائيل الاول (٩٦١)

بعد موت البطريرك عمانوئيل، تدخّل العلمانيون في انتخاب خلف له. فاتفق ابو

---

(٣٤) ماري، ص ٩٦ و ٩٨.
(٣٥) الموضع عينه، ص ٩٨.
(٣٦) ابن العبري، **ت. س.**، ص ١٨٤.

عمر بن عدي كاتب الحاجب سوبكتكين ، وابو علي الخازن في بادئ الأمر على انتخاب مطرافوليط جنديسابور . الا ان الخازن عدل عن رأيه ومال الى اسرائيل اسقف كشكر الذي كان في التسعين من سنه . فرفض الآباء مع ابي عمر هذا الحل . فاراد الخازن ان يفرضه بامر الخليفة ومعز الدولة . لذا فقد فضّل بعض الاساقفة الهرب على انتخاب اسرائيل ورسامته . وكان اسرائيل من كرخ جدان ، ثم صار معلماً في مدرسة مار ماري وترهب في دير مار سبريشوع في واسط ، ورسمه عمانوئيل اسقفاً لكشكر[٣٧] . ويصفه المجدليان بالزهد والطهارة . اما السبب الذي حدا الخازن الى تفضيله ، فهو ان اسرائيل ، اذ كان اسقفاً لكشكر سنة ٩٤٧، مرّ به الخليفة المطيع مع معز الدولة في طريقهما الى البصرة لمقاتلة ابي الحسين البريدي . فادخل الاسقف الخليفة دون الأمير الى المذبح حيث لا يدخل سوى الكاهن الصائم . وحين احتجّ الامير ، اجابه الاسقف : «ان هذا مالك الارض والامام» . وهناك تنبأ الاسقف لهما بالانتصار على البريدي . فاليوم تذكر الخازن هذا المعروف ، واراد ان يكافئ الاسقف . اما ابن سنجلا فلم يتدخل في الانتخاب ، بل اكتفى بان يقول لمطران الموصل الشاب جرجيس الذي قاطع الانتخاب : «الى المرة القادمة !» فرتّب الخازن كل شيء : الرسامة ونقل البطريرك بالزوارق الى بغداد ، وكان ذلك في ٣٠ ايار سنة ٩٦١. الا ان اسرائيل توفي بعد ١١٠ ايام ، في ١٧ ايلول من السنة نفسها ، دون ان يفتح غرف القلاية البطريركية وخزائنها . وتبعه الخازن الى اللحد بعد ستة ايام ، وقد رأى البعضُ في موته عقاباً من الله[٣٨] . اذ ذاك خرج الاساقفة من مخابئهم ليجروا انتخاباً جديداً قانونياً .

١١ . البطريرك عبد يشوع الاول (٩٦٣ – ٩٨٦)

كان انتخاب عبد يشوع من اصعب الانتخابات وأغربها[٣٩] . ويروي لنا ماري في المجدل تفاصيل حياته وظروف انتخابه . وسنعتمده بصورة خاصة دون صليبا الذي يذكره بايجاز .

كان عبد يشوع من كرخ جدان من اعمال باجرمي ، وقد هرب ابواه الى الموصل

---

(٣٧) طالع عنه ماري ، ص ٩٨ – ٩٩؛ صليبا ، ص ٩١ – ٩٣؛ ابن العبري ، **ت . ك** . ،٢، ص ٢٤٨ – ٢٥٠.

(٣٨) ماري ، ص ١٠١.

(٣٩) طالع عنه ماري ، ص ٩٤ – ١٠٤؛ صليبا ، ص ٩٣ – ٩٤؛ ابن العبري ، **ت . ك** .، ٢، ص ٢٥٠ – ٢٥٦؛ **تاريخ يوسف بوسنايا** ، ترجمة القس يوحنان جولاغ ، بغداد ١٩٨٤، ص ٥٦ – ٥٧.

وهو صغير ، وماتا هناك ، فقامت خالته بتربيته . تلقى العلم في الدير الاعلى ، ثم تعلم المنطق على ابن نصيحا تلميذ موسى بركيفا . ورُسم كاهناً وخدم في كنيسة البواري بالموصل ، ثم أقيم اسقفاً على معلثا وبيث نوهدرا . وحينما توفي البطريرك اسرائيل ، يبدو ان الاتفاق تمّ على جرجيس مطران جنديسابور . وجرت الاستعدادات ، واستأجر الناس القوارب للنزول الى كوخي للرسامة ، وتولى هارون بن حنون كاتب سوبكتكين الاشراف على تنظيم كل شيء . واذا بأمر يأتي من المطيع ومن معز الدولة ينقض كل شيء . فقد استطاع كاهن طبيب اسمه فثيون من دار الروم ، وكان غنياً ، ان يشتري هذا اللقب بِـ ٣٠٠ الف درهم ، بوساطة اسكورخ الديلمي . وحاول هذا الكاهن ان يستولي على اموال الكنائس . وفرّ مطران الموصل مع العرب (الحمدانيين) الى مقر كرسيه ، واختفى مطران جنديسابور والاساقفة ، ووضع الوزير المهلبي المقر البطريركي تحت الحراسة . وبعد مداولات كثيرة ، دعا الوزير الناس الى دفع مبلغ مقابل لما دفعه فثيون اذا ارادوا انتخاب شخص آخر . وارسل معز الدولة ابا مخلد عبدالله بن يحيى النائب عن ركن الدولة ليفتش القلاية البطريركية . وكان ابو مخلد في السابق مسيحياً واسلم ، ولكنه كان يراعي المسيحيين . فاتفق مع اهل القلاية على مبلغ زهيد قدره ١٢ الف درهم ، واوقف التفتيش . فحمل المبلغ الى معز الدولة قائلاً : «انها صدقات النصارى على الضعفاء والايتام» . فرفض معز الدولة ان يمسّ هذا المبلغ ، وامر برفع الحراسة عن القلاية وبعدم ازعاج المسيحيين .

ودامت الأزمة تسعة عشر شهراً . فدعا المهلبي المسيحيين الى المصالحة والاتفاق على مرشح . وحدثت بينه وبين ابن سنجلا مشادة كلامية حَادّة ادت الى وفاة ابن سنجلا بنوبة قلبية . ودارت المساومات المالية ، وتم الاتفاق على دفع ١٠٠ الف درهم تُوزّع على مختلف الشخصيات ، و٣٠ الف درهم تعطى للوزير . فاضطر المسيحيون الى بيع اواني الكنائس ، وأكمل المبلغ من تركة البطريرك عمانوئيل الراحل . فتقدم اربعة مرشحين . الا ان مطران فارس أبعد ، لأن اخاه كان قد اسلم . وقبل ان يجري الانتخاب ، ذكر ابو الحسن بن بهلول ، صاحب المعجم الشهير ، اسم عبديشوع اسقف معلثا ، وأيّد كلامه عمانوئيل الشهّار . فضُمّ عبديشوع الى المرشحين . واذا بعبد يشوع اسقف معلثا يفوز بالقرعة ثلاث مرات متتالية . واذ لم يكن عبديشوع حاضراً ، اضطروا الى استدعائه على الفور . ولما كانت معلثا خاضعة للموصل ، فكتب معز الدولة الى ناصر الدولة الحمداني بشأنه ، وكتب المهلبي الى دنحا الوزير المسيحي للحمداني ، وكتب المسيحيون الى مطرافوليط الموصل . وقد اوعز الكاتب المسيحي ابو

العلاء صاعد الى ابن بهلول في انشاء هذه الرسائل، وسلمها الى سعاة وصلوا الى الموصل في اربعة ايام. واضطروا اسقف معلثا الى المجيء معهم الى بغداد، وهو الذي كان قد التمس استقالته حتى من الاسقفية قبل وقت وجيز. وفي بغداد، حلّ البطريرك المنتخَب اولاً في دار ابن زهمان المسيحي الواقعة في العتيقة، ثم انتقل الى دار طازاد في الجانب الشرقي، ومنها الى دار ابي العلاء صاعد. وحاول عبديشوع الفرار، ولكنه اكتُشف امره فأعيد. وجرت رسامته البطريركية في ٢٢ نيسان سنة ٩٦٣. وبالرغم من قداسة سيرته، فان ادارته كانت ضعيفة، وترك المجال لتلاميذه ومرافقيه ان ينهبوا اموال الكنيسة، حتى اضطر المؤمنون الى التمرد عليه. فهرب من دار الروم الى دير مار فثيون في القسم الغربي من بغداد. فذهب اليه المؤمنون واعتذروا اليه، واحتملوا منه ذلك لأجل قداسته.

وقد جرت احداث كثيرة ومتنوعة في عهد عبديشوع الطويل. فعند الحمدانيين في حلب قتل هبةُ الله، وهو ابن اخي ناصر الدولة، كاتباً مسيحياً اسمه ابو الحسين بن دنحا لقضية اخلاقية فيها كان الكاتب يزعج احد غلمان هبة الله. وكان الكاتب ذا حظوة خاصة لدى سيف الدولة.

اما ابو العلاء صاعد بن ثابت المذكور في انتخاب عبديشوع، فكان يحظى بثقة الوزير المهلبي حتى صار نائباً له. ولكنه تعرض للسجن مرات عديدة. الا اننا نراه سنة ٩٦٤ يرافق معز الدولة في سفره الثالث الى الموصل. ونلاحظ انه، في سنة ٩٧٧، يشغل منصب الوزير دون اللقب.

اما على الصعيد السياسي، فكانت الأزمة تتفاقم في بغداد بين الشيعة والسنّة، وادّت سنة ٩٦٤ الى فتنة بين الفريقين تمخضت عن سقوط قتلى وجرحى عديدين.

وبين اطباء معز الدولة نلقى مسيحياً اسمه دانيال. الا انه اساء الجواب يوماً، فلكمه الأمير، فمات متأثراً بتلك اللكمة[٤٠]. اما الخليفة المطيع فكان محاطاً خاصة باطباء من الصابئة الحرانيين، وبينهم مسيحي يُدعى اسحق بن شليطا الذي كان مشاركاً في طب المطيع لثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الحراني. ولكنه سبق مولاه الى اللحد[٤١].

وفي نيسان سنة ٩٦٧، توفي الامير الكبير البويهي معز الدولة في بغداد. ويقول

(٤٠) ابن ابي أصيبعة، ص ٣٢٠.
(٤١) الموضع عينه، ص ٣٢١.

عنه ماري[٤٢]. انه كان يحب النصارى، وانه حينما بنى بلاطه في الدور غربي الشماسية على دجلة سنة ٩٦١ – ٩٦٢، ادخل فيه عدة مساجد، ولكنه امتنع من ادخال بيعة الدور الصغيرة باسم مار اسطيفانس. ويقول ماري ان الامر يعزى الى رؤيا فيها ظهر هذا الشهيد للامير وحذّره من التعرّض لكنيسته. ونعلم ما كانت هذه «الرؤى» تحدثه من التأثير في نفسية الامراء والملوك.

وخلفَ بختيار، وهو عز الدولة، اباه معزَ الدولة. وكان في خدمته الطبيب المسيحي ابو نصر فتّون، وكان مثل السفير بين بختيار والخليفة[٤٣].

ويروي لنا ابن العبري[٤٤] وماري[٤٥] حادثاً يختلفان في تفاصيله، ومفاده ان عربيين وُجدا مقتولين بالقرب من احد الاديرة المجاورة للموصل (ابن العبري = دير ميخائيل، ماري = دير سعيد). فانتهز ابو تغلب بن ناصر الدولة هذه الفرصة لكي يتهم المسيحيين بهذه الجريمة ويفرض عليهم ١٢٠ الف درهم فدية. ويبدو ان رئيس الدير – وهو ماري بن طوبى، بطريرك المستقبل – وابن سلامة الكاتب، عرضا نفسيهما رهينين في هذه القضية، وانهما تعرّضا للضرب والقيد والاغلال.

وكانت بعض تصرفات المسيحيين الخرقاء هي التي تجلب عليهم احياناً عواقب وخيمة. فان انتقاد الكاتب المنوفيزي بشر بن هارون بن جملا لبعض الوزراء ادّت الى انتقام احدهم، وهو الشيرازي، حينما عاد من جديد الى منصبه سنة ٩٧١. ففرض الجزية على المسيحيين، وخاصة على البطريرك الذي اضطرَّ الى دفع ٢٠٠ الف درهم مرة و١٠٠ الف درهم مرة اخرى[٤٦]. وكانت هذه الرسوم المضافة الى الجزية والخراج سبباً في تخلّي مسيحيين كثيرين عن دينهم.

واستولى الهلع على المسيحيين حينما بلغهم الخبر ان الامبراطور البيزنطي يوانيس شوموشكي – ويسميه العرب ابن الشمشقيق – دخل الى الحدود الاسلامية[٤٧]. وقد سبب دخوله الى نصيبين سنة ٩٧٢ ثورة في بغداد، وغزا الرعاع بلاط السلطان عز الدولة بختيار. وافضى الامر الى معركة بين الشيعة والسنّة. ولم يُمَسّ المسيحيون بأذى، وذلك لان الروم لم يقتصروا على نهب المسلمين وجوامعهم، بل سلبوا

---

(٤٢) **المجدل**، ص ٢٠٢ – ١٠٣.
(٤٣) ابن ابي أصيبعة، ص ٣٢١.
(٤٤) **ت. س.**، ص ١٩٢.
(٤٥) **المجدل**، ص ١٠٤ – ١٠٥.
(٤٦) ماري، ص ١٠٢.
(٤٧) طالع **تاريخ الرهاوي المجهول**، ٢، ص ٥٨.

ونهبوا كنائس نصيبين واديرتها ايضاً[٤٨] ، اذ اعتبروا المسيحيين من المنوفيزيين والنساطرة مثل هراطقة .

وعلى اثر هذه الاحداث ، تمكن الامير الحمداني ابو تغلب الملقّب «عدة الدولة» ، وهو ابن ناصر الدولة ، من التفاوض حول انسحاب البيزنطيين . وفي غياب السلطان عز الدولة عن بغداد ، تعرّض بلاطه للنهب . وبعد اشهر ، حينما ثارت فتنة في الضفة الغربية من بغداد ، لم يتردد الوزير الشيرازي من اضرام النار في هذه الجهة سنة ٩٧٣، ووقعت ضحايا عديدة ، وفرّ الناس الى الجهة الشرقية . ولا يبدو ان الاحياء المسيحية من الجهة الغربية ، اي الحي المنوفيزي (باب المحوّل) في الجنوب الغربي ، والحي النسطوري (العتيقة) في الجنوب الشرقي ، قد تعرضت للحريق . وقد تأثرت الحالة المالية بهذه الاحداث ، مما حدا عز الدولة الى البحث عن الاموال واستحصالها بمختلف الوسائل ومن جميع الفئات ، من المسلمين والمسيحيين على السواء . وحتى الخليفة ذاته لم ينجُ من هذه الالتزامات ، فاضطر الى بيع اثاثه وحتى ثيابه ليدفع مبلغ ٤٠٠ الف درهم لعز الدولة .

وكانت سنة ٩٧٤ مشؤومة للخليفة المطيع . فقد ثارت الحرب من جديد في بغداد بين الشيعة الذين يسندهم عز الدولة ، وبين السنّة الذين يسندهم الاتراك الموالون للحاجب سوبكتكين . فنهب الاتراك المنتصرون القطاع الغربي من المدينة وأحْرقوه . واضطروا الخليفة الضعيف والمريض الى الاستقالة لصالح ابنه الطائع في ١٥ آب سنة ٩٧٤[٤٩] . اما الخليفة المعزول فقد انزوى في دير العاقول[٥٠] ، وتوفي هناك بعد مدة وجيزة .

١٢. الخليفة الطائع (٩٧٤ – ٩٩١)

هو الطائع لله ، ابو بكر عبد الكريم بن المطيع ، وامه ام ولد اسمُها هزار[٥١] . في بدء عهده ، رجحت كفة الاتراك بزعامة سوبكتكين على الديلميين . حتى ان الطائع رفع شأن سوبكتكين وخلع عليه خلع السلطنة وعقد له اللواء ولقّبه «نصر الدولة» . الا انه لم يدم طويلاً بعد موت المطيع . وجاء بعده تركي آخر هو افتيكين الشرابي . الذي

(٤٨) ماري ، ص ١٠٣. واذ ذاك اخذ البيزنطيون جسد القديس يعقوب من نصيبين .
(٤٩) السيوطي ، ص ٤٠٤.
(٥٠) هل هو دير العاقول الواقع في نواحي الدجيل ، او دير العاقول القريب من دير قني ؟
(٥١) السيوطي ، ص ٤٠٥.

وجد نفسه ازاء شخص بويهي كان يحكم منطقة فارس وكرمان ، هو عضد الدولة فناخسرو ، الذي دخل بغداد في ٣٠ كانون الثاني سنة ٩٧٥. ودارت معارك بين البويهيَين عز الدولة بختيار والقادم الجديد عضد الدولة . واضطر عز الدولة الى تسليم وزيره ابن بقية الى عضد الدولة بعد ان سمل عينيه . وأُلقي الوزير تحت اقدام الفيلة ، ثم صُلب على ضفة دجلة .

ودخل عضد الدولة ثانية الى بغداد حيث اضاف له الخليفة لقب «تاج الملّة» . ولم تنتهِ الحرب بين البويهيين الا في ايار سنة ٩٧٨، حينما قُتل بختيار في معركة اخيرة دارت رحاها بالقرب من قصر الجص في سامراء . ونرى في ما كتبه ابن الاثير[٥٢] اسماء بعض الكتّاب المسيحيين ، أمثال ابي زكريا الذي توفي قبل الربان يوسف بوسنايا ، واخيه عبد المسيح الكاتب الذي شفى القديس يده الشلاء ، وكاتب مسيحي آخر من بلد . وكان مصير المسيحيين في هذه الاضطرابات والحروب خاضعاً لتقلبات الحكام والامراء . ومع ذلك نلاحظ وجود كتّاب مسيحيين بالقرب من فخر الدولة البويهي ابن ركن الدولة ، منهم ابو عمر وابو طيّب وابو عبيد . . .

وقد وردت اشارات الى الاحداث الاليمة التي جرت في المناطق الشمالية من البلاد في تاريخ يوسف بوسنايا[٥٣] . الا ان الكارثة الحقيقية لم تقع الا بعد موت يوسف بوسنايا سنة ٩٧٩، حيث انقضّ الاكراد على الاديرة والقرى المسيحية وعاثوا فيها فساداً .

جاء مسيحيون عديدون مع عضد الدولة من منطقة شيراز الى بغداد ، منهم ابو منصور نصر بن هارون الذي شغل منصب الوزير دون اللقب ، وكان موضع ثقة عضد الدولة الذي تركه نائباً عنه في شيراز حينما عاد هو ثانية الى بغداد . وقد حصل الوزير من سيده سنة٩٧٨ على السماح باقامة الكنائس المتهدمة . وفي نحو سنة ٩٨٠، شغر كرسي مطرافوليطية فارس . فاختار ابو منصور بن هارون لهذا الكرسي رئيسَ دير مار ميخائيل في الموصل ، وهو ماري بن طوبى بطريرك المستقبل . ورسمه في بغداد البطريرك عبديشوع . وفي هذه المناسبة ، اقام الشيرازيون في بغداد مأدبة كبيرة على شرف المطرافوليط الجديد . وقد اخرج له موظف نسطوري اسمه ابوعلي بن مكيخا من خزانة عضد الدولة خلعة بيرون ومغفر وثياب صوف مصرية[٥٤] .

(٥٢) **الكامل** ٨، ص ٦٦٩ - ٦٩١.

(٥٣) **تاريخ** يوسف بوسنايا في الترجمة العربية ، ص ٥٥ - ٥٦.

ونجد في حاشية عضد الدولة الطبيب والشاعر المسيحي ابا الحسن بن غسان الذي كان اصله من البصرة والذي غرق بالقرب من بغداد في هيامه بجارية غريبة .

وقد اسس عضد الدولة مستشفى في بغداد سنة ٩٨٠ في موضع بلاط الخلد الذي كان هارون الرشيد قد اقامه سنة ٧٨٦ على دجلة شرقي المدينة المدورة . وسمّي هذا المستشفى «العضدية» . وقد عمل فيه اطباء مسيحيون عديدون نخص بالذكر منهم :

– ابو الحسن بن كشكرايا الذي اجتاز من خدمة الحمداني سيف الدولة الى خدمة عضد الدولة . وكان تلميذاً لسنان بن ثابت بن قرة (+٩٤٣) ، ووضع كتباً في الطب[٥٥] ، وكان له اخ راهب ، وكان ابو الحسن مهذارا .

– ابو يعقوب الاهوازي[٥٦] .

– ابراهيم بن بكس وابنه علي[٥٧] .

– علي بن عباس الذي جمع الكتاب الملكي[٥٨] .

– عيسى ابو سهل المسيحي بن يحيى الجرجاني ، في خراسان ، وكان طبيباً ماهراً[٥٩] .

– جبريل (بن عبيد الله) بن بختيشوع تلميذ هرمزد وابن يوسف الواسطي . اشتغل هو ايضاً في العضدية ، وكان ذا حظوة لدى عضد الدولة . وقد ارسله بالتتالي الى صاحب بن عبّاد وزير «ري»، ثم الى خسروشاه امير ديلم ، ثم الى الخليفة الفاطمي العزيز بالله في مصر . وبعد هذه الاسفار الطويلة التي قام بها الطبيب ، جاءه طلب سنة ١٠٠٠، وهو اذ ذاك في الثمانين من سنه ، من ممهّد الدولة سعيد بن مروان امير الدولة الدوستكية في ميافرقين . وهناك وافته المنية بعد سنتين ، وقيل بعد ست سنين ، بعد ان اسبغ عليه الامراء والملوك الكثير من الهبات والعطايا .

وهكذا فقد كان تركيز المسيحيين على مهنة الطب احد العوامل التي ساهمت في الابقاء على الجماعات المسيحية ، بالرغم من جميع الضغوط السياسية والاجتماعية التي عانوا منها في تلك السنين .

---

(٥٤) ماري ، ص ١٠٥.
(٥٥) ابن ابي أصيبعة ، ص ٣٢١ – ٣٢٢.
(٥٦) الموضع عينه ، ص ٣٢٢.
(٥٧) الموضع عينه ، ص ٣٢٩.
(٥٨) ابن العبري ، **ت . س .** ، ص ١٩٥.
(٥٩) الموضع عينه ، ص ١٩٥.

في عهد عضد الدولة ، استعادت بغداد شيئاً من طابعها الانساني الذي امتازت به في عهد الخلفاء العباسيين الاوائل . فبالرغم من ليالي اللهو والمجون ، كانت النخبة تحتفظ بمجالس للقاءات علمية ولشؤون رصينة . وكان بين الفلاسفة عدد من المسيحيين ، منهم ابو الخير حسن بن سوّار المعروف بابن الخمّار ، ويحيى بن عدي ، وعيسى بن زُرعة ، ونظيف بن يُمن ، الخ . . . .

وفي سنة ٩٨٣ توفي عضد الدولة ، اعظم «مَلك الملوك» البويهيين . وستشهد السنوات التالية انحطاط السياسة البويهية وتفاقم الاضطرابات .

. . . وبينما كان البطريرك عبديشوع الاول ينهي عهده الطويل سنة ٩٨٦، كان ابناء عضد الدولة يتنافسون على السلطة . فالاول ، وهو شرف الدولة ، حارب اخاه الاصغر صمصام الدولة ، وقبض في شيراز على «الوزير» المسيحي ابي منصور نصر بن هارون الذي كان يجهل موت عضد الدولة فاراد ان يمنع شرف الدولة من الدخول الى البلاد . ويقول ماري[٦٠] : «وجرت امور كثيرة عند استيلائه على الملك ادت الى قتل نصر بن هارون بعد نهب الديلم دور جميع النصارى وقبض الوقوف» . ولما حاول المطران ماري بن طوبى استرجاع الاسلاب ولم يستطع ، استأذن البطريرك في العودة الى بلده الموصل . ولكن البطريرك رفض السماح والاستقالة . اذ ذاك قرر المطران ، وكان على علاقة حسنة بشرف الدولة الذي كان ماضياً الى بغداد لمحاربة اخيه صمصام الدولة ، ان يمضي معه الى بغداد للدفاع عن قضيته .

وحينما وصل الى خوزستان (الاهواز) ، رأى ان المطرافوليط «ديلم» كان ايضاً في الشدة ، لان كنيسة جنديسابور قد تعرضت هي ايضاً للنهب . فمكث ماري في المدينة مدة لمساعدة المطرافوليط الذي استطاع ان يسترجع شيئاً من الاموال المنهوبة ، لان المدينة كانت قد انضمّت الى شرف الدولة قبل مجيئه اليها . واستأذن ماري في الابحار نحو البصرة التي كان شرف الدولة قد احتلها . واخذ معه «ديلم» بصورة خفية . وكان ماري في البصرة حينما ورد الى شرف الدولة نبأ وفاة البطريرك عبديشوع .

١٣. البطريرك ماري بن طوبى (٩٨٧ - ٩٩٩)

ما ان سمع شرف الدولة بوفاة البطريرك ، حتى استدعى المسيحيين في حاشيته ، ومنهم ابو الفرج المسيحي وعبدالله اخو طازاد ، وقال لهم : «لِمَ لا يصبح الاسقف الذي

(٦٠) **المجدل**، ص ١٠٥.

معنا هو البطريرك ؟» واذا بالمسيحيين يقبّلان الارض امامه . وكُتب مرسوم بهذا الشأن لماري بن طوبى . وصعد البطريرك المعيّن في زوارق شرف الدولة الى بغداد[٦١] .

وبعد معركة ضارية دارت على مشارف بغداد بين الاخوين ، انتصر شرف الدولة على اخيه ودخل بغداد . ثم عقد السلام بين الاخوين ، على ان يحتفظ صمصام الدولة ببغداد ويقف عن يمين عرش الخليفة ، وان يُدعى اسم شرف الدولة في الاول في الخطب وعلى النقود . ولكن سرعان ما تمكن شرف الدولة من الإطاحة باخيه وسمل عينيه[٦٢] . وما ان استقرت الامور ، حتى انتقل البطريرك المعيّن من دير مار فيثون حيث كان نازلاً الى دار الروم حيث كان اربعة وعشرون مطراناً واسقفاً مجتمعين في سينودس . واعطى الآباءُ قرارَ الانتخاب لشرف الدولة الذي اظهر لهم رغبته في اقامة ماري بن طوبى بطريركاً . ورُسم ماري في ١٠ نسان سنة ٩٨٧ .

كان ماري من اهل الموصل ، من ابناء الرؤساء والكتّاب ، وقد تربى في الدواوين ، وكتب لفاطمة الكردية ابنة احمد وامرأة ناصر الدولة الحمداني وام ابي تغلب . ولما قبضت على زوجها ، بالاتفاق مع اولادها ، وسجنته ، واضطربت امور الحمدانيين ، فضّل ماري اعتزال العالم ، وترهب في دير سعيد (دير مار ايليا بالموصل) . ثم صار رئيساً لهذا الدير . وبعد ذلك أُقيم مطراناً على فارس ، كما جاء اعلاه .

بعد رسامته والزيارة الى الاديرة والكنائس حسب العادة الجارية ، استُقبل في بلاط الخليفة الطائع ، وكُتب له منشور (او عهد) . ويقول عنه ماري بن سليمان[٦٣] : «كان فيه رحمة وتواضع . . . ولم يكن له معرفة بالدين وكان يحب المال والاثاث وجمعهما» .

وفي السنة التالية لرسامة ماري بن طوبى ، اي سنة ٩٨٨ ، وضع ابن النديم «كتاب الفهرست» وفيه يذكر المنطقي المسيحي ابن الخمّار[٦٤] ويصفه بقوله : «هو من افاضل المنطقيين ، ممن قرأ على يحيى بن عدي ، في نهاية الذكاء والفطنة»[٦٥] . وهناك معاصر آخر لابن النديم هو ابو الحسين اسحق بن يحيى بن سريج ، الذي وضع

---

(٦١) طالع عن ماري بن طوبى = ماري ، ص ١٠٤ - ١١٠ ؛ صليبا ، ص ٩٤ - ٩٥ ؛ ابن العبري ، **ت . ك .**، ٢ . ٢٥٦ - ٢٦٢ .

(٦٢) ابن العبري ، **ت . س .**، ص ١٩٦ .

(٦٣) **المجدل** ، ص ١٠٧ .

(٦٤) **الفهرست** ، ص ٣٠٥ .

(٦٥) الموضع عينه ، ص ٣٢٣ .

كتاب الخراج الكبير[٦٦] .

وكان شرف الدولة يرعى العلماء . وفي سنة ٩٨٨ ، جمع الفلاسفة الذين في بلاد العرب ، واقام مرصداً مع مستلزماته ، كما فعل الخليفة المأمون سابقاً ، وكان مدير المرصد ابا سهل يحيى الطوري[٦٧] . وفي هذه السنة ذاتها ، كتب شمس الدين ابو عبدالله محمد المقدسي في «احسن التقاسيم» ان بغداد التي كانت مزدهرة سابقاً تسير الآن نحو الدمار وتعيش حالة من الفوضى . . .

الا ان الحالة التي تردَّت بعض الشيء بعد موت عضد الدولة ، ستزداد سوءاً بموت شرف الدولة سنة ٩٩٠ واستيلاء اخيه بهاء الدولة على السلطة في البلاد[٦٨] .

وسرعان ما ظهرت نتائج الحكم الجديد . فمنذ سنة ٩٩٠ ، اضطر بعض سكان تكريت من اثرياء المنوفيزيين الى الهجرة[٦٩] من جراء ظلم الحكام . ويقول ابن العبري[٧٠] انهم تبددوا في البلاد ، ولكنهم حيثما حلوا بنوا كنائس واديرة ، ويخص بالذكر منهم ابناء ابي عمران الثلاثة الذين رحلوا الى ملطية وبنوا فيها كنائس واديرة للنساء واخرى للرجال ، وشرعوا يوزعون الصدقات على المساكين كل يوم جمعة . واضطر الملك البيزنطي نفسه الى اقتراض اموال منهم . وحينما اسر الاتراك اخاهم الاكبر ابا سالم ، فدى نفسه وجميع الاسرى الآخرين الذين بلغ عددهم ١٥ الف اسير ، ودفع عن كل منهم خمسة دنانير .

وظهر مع بهاء الدولة اشخاص آخرون ورد ذكرهم لدى المؤرخين السريان ، منهم شخص يُدعى الكوكبي كان في السابق مربياً لبهاء الدولة . ولما اصبح مدبراً لشؤون الضرائب والجزية ، مارس ضغطاً على المسيحيين ، واختلف مع البطريرك فاعتقله مدة وتشتت اهل البلدان ، وقبض على الاساقفة والمطارنة . وحينما «عاد الناس الى الله»[٧١] ، اي تابوا وصلّوا ، سمع الله دعاءهم وانقذهم من هذا الظالم . فان الاتراك ايضاً قد استاؤوا منه وارادوا القبض عليه ، ولكن بهاء الدولة حماه مدة ، ثم تخلّى عنه امام الاستياء العام . «فسقي سماً ولم يعمل فيه ، وخُنق ولم يفت ، فأخذ بالسيف ، وكفى النصارى شره بتفضّل الله وحيل مار ماري السليح»[٧٢] . وكان ثمة احد اعوان

---

(٦٦) الموضع عينه ، ص ١٥١.

(٦٧) ابن العبري ، **ت . س** .، ص ١٩٦.

(٦٨) السيوطي ، ص ٤١٠.

(٦٩) **م .س** . ٣ ، ص ١٤٥ - ١٤٦.

(٧٠) ابن العبري ، **ت . س** .، ص ١٩٧.

(٧١) ماري ، ص ١٠٨.

الكوكبي يُسمّى ابن البقال قد انحدر الى دير قني وتناهى في القبح وشتت الرهبان واساء اليهم. فقُبض عليه وحُمل الى بغداد وقُتل ورُميت جثته في الماء. وقد عزا المسيحيون هذه النجاة الى شفاعة مار ماري الذي ظهر في الحلم لابي بشر ماري بن جابر كاتب الحسن ابن نصر صاحب البريد.

اما البطريرك ماري بن طوبى، فبالرغم من سلطة صنع الاعاجيب التي اتّسم بها[٧٣]، تعرض لمصائب عديدة في هذه الفترة المضطربة. واضطر مرتين الى ترك مقره الرسمي والاقامة في دير الانبار، ومن هناك كان يدير شؤون المسيحيين.

وكان للحروب التي شنها البيزنطيون على البلدان الشرقية وقع سيّئ على المسلمين، وغالباً ما دفعهم الى القيام باعمال الشغب وحتى الاضطهاد ضد المسيحيين. وذكر عبديشوع مطران مرو انه لما سمع المسلمون في خراسان بخروج الروم الى بلاد الاسلام، اخرجوا تابوت مار ايليا واجتهدوا في كسره واحراقه ولم يستطيعوا. فردّوه الى موضعه خائفين. وظل احد عواميد الكنيسة ينضح من جراء ذلك بسائل معطّر.

وفي سنة ٩٩١، اراد بهاء الدولة التخلص من الخليفة، وذلك اما طمعاً في ثرواته، او انه كان يعتبر ان الخليفة قد شاخ. فاتفق مع الديلميين على إرغام الخليفة على خلع نفسه لصالح القادر بالله[٧٤].

اما البطريرك ماري بن طوبى، فقد عاش الى مدة لاحقة، في عهد الخليفة القادر بالله، وتوفي سنة ٩٩٩ ودُفن بجانب المذبح في بيعة اصبغ بدار الروم، وكانت رتبة الدفن موجزة خوفاً من المسلمين ومن الفوضى الدائرة آنذاك في بغداد، كما سنذكر ذلك عند كلامنا عن عهد القادر بالله.

١٤. اشهر الكتّاب السريان في القرن العاشر

لم ينبغ في هذا القرن ادباء وكتّاب سريان كثيرون، ذلك لان نفوذ اللغة العربية اخذ يتزايد ونفوذ الآرامية (السريانية) يتقلّص شيئاً فشيئاً. ومع ذلك فاننا نلقى ادباء اشتهروا في هذا القرن بمؤلفاتهم التي تناولت مختلف النواحي العلمية، لاسيما

---

(٧٢) الموضع عينه، ص ١٠٨ - ١٠٩.
(٧٣) فقد شفى ابا الحسن بن مالك وحرم راهباً سارقاً فقطعت يده بعد مدة قصيرة (طالع ماري، ص ١٠٩).
(٧٤) ابن العبري، **ت. س.**، ص ١٩٨؛ السيوطي، ص ٤١٠ - ٤١١.

الكنسية والتاريخية منها .

ونخص بالذكر من الادباء السريان الشرقيين :

– **حنانيشوع بر سروشويه** . لا نعرف شيئاً عن حياته سوى انه كان اسقفاً على الحيرة في نحو سنة ٩٠٠ . ويقول عبديشوع الصوباوي في فهرس المؤلفين[٧٥] ان لحنانيشوع مسائل كتابية ومعجماً وتراجم . وقد ضاعت جميعها ما خلا ما ورد من معجمه في معجم ابن بهلول .

– **ايليا الانباري** . ويلقب بايليا النصيبيني ايضاً ، وقد يكون اصله من نصيبين . ابصر النور في نهاية القرن التاسع . وسيم مطراناً على فيروزشابور(الانبار) سنة ٩٢٢ . ويقول عبديشوع الصوباوي[٧٦] ان ايليا نظم ثلاثة مجلدات بأوزان وتعازي ورسائل ومقدمة وتراجم . ولم يصلنا من هذه الكتب سوى «كتاب المئويات» المنظوم .

– **جرجيس مطران اربيل والموصل** . وُلد في الربع الاول من المائة العاشرة . وفي نحو سنة ٩٤٥، اقامه الجاثليق عمانوئيل الاول مطرافوليطا على اربيل والموصل . وحاول ثلاث مرات ان يصبح بطريركاً ولكنه لم يفلح . كتب بعض ميامر ومجموعة من القوانين ومصنّفاً يُدعى «عرض الطقوس الكنسية» . وهذا الكتاب الاخير يُنسب الى غيره ايضاً . ووضع مؤلفات اخرى وقطعاً ليتورجية[٧٧] .

– **ابن بهلول** . هو ابو الحسن بن بهلول الوارد ذكره سابقاً والذي لعب دوراً في انتخاب الجاثليق عبديشوع الاول سنة ٩٦٣ .وُلد في قرية «اوانا» في ابرشية الطيرهان في الربع الاول من القرن العاشر ، وعلّم في مدارس بغداد ، ووضع معجمه الشهير الذي نشره شابو بجزئين في باريس سنة ١٨٨٦ – ١٩٠٣، وهو كتاب يُحسَب اضخم موسوعة من نوعها في ذلك العصر . ولُقّب صاحبه بجدارة بالكاتب الماهر (سافرا مهيرا) .

– **عمانوئيل بر شهّاري** . انهما اخوان : عبديشوع وعمانوئيل . كتب الاول اشعاراً ومات سنة ٩٧١ . اما عمانوئيل فقد فاق اخاه وذاع صيته وانتشرت كتاباته . وكان يعلّم في مدرسة ام الفضائل في الدير الاعلى في الموصل . وقد لعب هو ايضاً دوراً في انتخاب الجاثليق عبديشوع الاول سنة ٩٦٣. وتوفي سنة ٩٨٠. اهم تآليفه هو

---

(٧٥) ص ٢٢٥ من الترجمة العربية .

(٧٦) **الفهرس** ، في الموضع عينه .

(٧٧) طالع عنه كتاب **ادب اللغة الآرامية** للمؤلف ، ص ٤٠٥ – ٤٠٧.

كتاب الايام الستة (هكساميرون) الذي وضعه نظماً في ٢٨ مقالة، منها بالبحر السباعي، ومنها بالبحر الاثني عشري. كما ان عمانوئيل وضع عظات وتفاسير[٧٨].

- **يوحنا بر كلدون**. هو تلميذ الربان يوسف بوسنايا. دخل دير بيث صيّاري (بيراموس، في زيوبثا الواقعة فوق قرية تنا في منطقة صبنا) حيث تتلمذ للربان يوسف وصار معاوناً له وكاتماً لاسراره الى حين وفاة المعلم. وكتب يوحنا حياة معلمه بعد سنة ٩٧٩. واقبل بعد ذلك الى دير مار ميخائيل بجوار الموصل، ثم غادره الى دير مار يعقوب الحبيس بالقرب من سعرد، وهناك وافاه الاجل. ونُقل جثمانه في وقت لاحق الى دير مار ميخائيل، حَسب الرغبة التي ابداها قبيل موته... ويقول عبديشوع الصوباوي ان يوحنا وضع كتاباً كبيراً في بوسنايا وكتاباً في حسن السيرة والمتاجرة الروحية[٧٩]. وقد نشر شابو الترجمة الفرنسية لكتاب يوسف بوسنايا مع نصها السرياني. وقام القس يوحنان جولاغ بنقله الى العربية[٨٠].

وهناك شخص آخر من القرن العاشر هو **عبد المسيح الحيري**، وقد وضع كتاباً في الارشادات الرهبانية. وهو معاصر ليوحنا بر كلدون، اذ ينوّه بالجاثليق عبديشوع الاول (٩٦٣ - ٩٨٦). وقد يكون عبد المسيح اسقف الحيرة الذي عيّنه الجاثليق عمانوئيل الاول (+٩٦١) مطراناً على البصرة.

.... اما في الكنيسة السريانية الغربية، فلم يقم في القرن العاشر ادباء بارزون. والذين ورد ذكرهم في كتب التاريخ والآداب السريانية ليسوا حقاً من الذين افادوا اللغة والآداب شيئاً كثيراً، ولا من الذين لعبوا دوراً كبيراً في مسيرة كنيستهم. وقد يكون **يوحنا تلميذ مارون** هو الوحيد الذي اشتهر بعض الشيء بعلمه حتى دعاه معاصروه «محيط الحكمة». وقضى يوحنا سني شبابه في الرها ثم في دير سرجيسية القريب من ملطية. وعاد فانهى حياته في الجبل المبارك المشرف على مدينة الرها، وهناك توفي في نحو سنة ١٠٠٣ ... وكتب يوحنا شرحاً في سفر الحكمة (او سفر الامثال) وله مقالة في تجسد كلمة الله[٨١].

---

(٧٨) **فهرس المؤلفين** لعبد يشوع الصوباوي، الترجمة العربية، ص ٢٢٩؛ طالع عنه أيضاً **ادب اللغة الآرامية**، ص ٤٠٩ - ٤١٠.

(٧٩) **فهرست المؤلفين**، ص ٢٢٧.

(٨٠) **تاريخ** يوسف بوسنايا، بغداد ١٩٨٣. طالع عنه ايضاً كتاب **ادب اللغة الآرامية**، ص ٤١٣ - ٤١٥.

(٨١) طالع عنه **ادب اللغة الآرامية**، ص ٤٥٩ - ٤٦٠. ويذكر **اللؤلؤ المنثور**، ص ٤٤٢ - ٤٥٣ بعضاً من الادباء السريان في القرن العاشر، امثال يحيى بن عدي وابي الخير الحسن بن سوار المعروف بابن الخمّار، وقد ورد ذكرهما في سياق هذا التاريخ.

الكنيسة في القرن الحادي عشر

١ . الخليفة القادر (٩٩١ - ١٠٣١)

هو القادر بالله ابو العباس احمد بن اسحق ابن المقتدر ، وامه أمة اسمها «تمنى» وقيل «دمنة»[١] . واستمر نفوذ بهاء الدولة ، بل ازداد على الخليفة الجديد . فهو الذي اوعز سنة ٩٩٣ الى الوزير ابي نصر سابور بن اردشير في ان يبتاع داراً في الكرخ ويُعمّرها . وقد سمّاها «دار العلم» ، ووقفها على العلماء ، ووقف بها كتباً كثيرة[٢] .

وتفاقمت الفوضى في عهد الخليفة القادر ، ونشأت امارات عديدة في مختلف المناطق من الدولة . وظهرت مواقف معادية للمسيحيين في بغداد وفي غيرها من البلدان . ويروي ماري[٣] وابن العبري[٤] حادثة مفادها ان كاتبين مسيحيين من بني باطا كانا يمارسان التعسف في بلدة داقوق على المسيحيين والمسلمين . فحينما جاء قائد جيش بغداد ، وهو جبرائيل بن محمد ، الى داقوق ، اشتكى اليه الاهلون من ظلم هذين الكاتبين . فالقى القبض عليهما وقتلهما . وبينما يربط ماري هذا الحادث باعمال

(١) السيوطي ، ص ٤٤.

(٢) السيوطي ، ص ٤١٢. ويرى البعض ان فهرست ابن النديم قد يكون جدولاً للكتب التي احتوتها «دار العلم» هذه .

(٣) **المجدل** ، ص ١٠٧.

(٤) **ت . س .**، ص ٢٠١.

تخريب ونهب حدثت في كنيسة السيدة في سوق الثلاثاء وفي كنيسة مار سبريشوع الجاثليق ، وهو دير كليليشوع ، يربط ابن العبري اعمال الفوضى هذه بتصرفات لصّين . الا ان البطريرك ماري تمكن من تهدئة المسلمين الثائرين بشيء من المال .

وفي سنة ٩٩٩، استدعي البطريرك الى دار الخلافة للرد على تهم كانت تُلصق بالمسيحيين ، منها انهم كانوا يرفعون اصواتهم في الصلوات ، وان متسكعين من مختلف الفئات كانوا يجلسون عند ابواب الكنائس . ويبدو ان البطريرك احسنَ الجواب في رد هذه التهم . فأعادَه الخليفة الى مقره برفقة حملة المشاعل ووسط فرحة المسيحيين واستقبالهم الحار لرئيسهم[٥] .

وكان الوزير ابو نصر سابور بن اردشير يمارس ضغطاً شديداً على المسلمين والمسيحيين ، ويلزم الجميع بدفع الضرائب على البيع والشراء . وقد خلق هذا الظلم استياءً عاماً بين الاهلين . والغى المسيحيون تطواف السعانين في الشوارع . واذا بالمسلمين ينظمون مسيرة ويحملون القرآن ويجتمعون امام بلاط الخليفة . واضطروا المسيحيين ايضاً الى حمل الانجيل والانضمام الى مظاهرتهم ، وهم ينشدون اناشيد السعانين . وتوجه الجميع الى جامع الرصافة والى الشارع الاعظم الى تحت التاج ، واحرقوا دار الجانب الغربي ، لانها كانت معدن البلايا والمصادرات .

وكان الغليان على أشدّه لدى موت البطريرك . فقد ثار الاتراك ، وهرب الوزير ابو نصر من امامهم ، فلاحقوه الى الضفة الغربية من المدينة . وعارضهم الشيعة هناك على جانب الكرخ . وهرع السنّة من الجانب الشرقي الى مساعدة الاتراك . فاستفاد المسيحيون من هذه الفوضى لكي يتموا تجنيز البطريرك ويدفنوه بسرعة ، دون أن يتعرضوا لمشاكل اضافية .

٢. البطريرك يوحنا الخامس (يوانيس) بن عيسى (١٠٠١ - ١٠١٢)

كان من كرخ جدان . مات والده وهو طفل ، فقام خال امه بتربيته . ولما كبر صار يبيع البقول في كرخ جدان ويجلب النفط من المعدن على بهيم اشتراه . ثم اتصل بقوم وخطب ابنتهم . الا انه عدل عن الزواج ، وترهب في دير الكرسي في كشكر(واسط) . ورسمه البطريرك ماري بن طوبى اسقفاً للسن ، ثم نقله الى كرسي

---

(٥) ماري ، ص ١٠٨.

فارسٍ[٦] . ويصفه صليبا بقوله انه «كان سيّئ الخلق ، عجولاً ، محباً للدراهم»[٧] . اما طريقة وصوله الى البطريركية فكانت غير شرعية . فانه قبل التحاقه بابرشيته الجديدة جنديسابور ، بلغه نبأ وفاة البطريرك ماري . وكانت المنافسة على اشدّها بين البغداديين والشيرازيين . فتوجه يوحنا الى شيراز . وارضى الامير بهاء الدولة الذي امر بتعيينه جاثليقاً ، ورُسم في بغداد في ٢٦ تشرين الاول سنة ١٠٠١ ، رغم ارادة الاساقفة والمؤمنين . وتعمّد ايشوعياب مطران الموصل ان يأتي متأخراً بعد الرسامة . لكن البطريرك الجديد عاقبه على ذلك ، اذ فرض عليه لبس المسوح والركوع على الرماد مدة عند باب القلاية ، ثم فرض عليه جزية قدرها مائة دينار . . . واستُقبل البطريرك في دار الخلافة بحفاوة ، ومُنح المرسوم المعتاد . . .

الا ان الخلاف كان يتفاقم بين الشيعة الذين يسندهم البويهيون ، وبين السنّة الذين تشجعوا من جراء الانتصارات التي احرزها في الهند السلطان التركي محمود سوبكتكين . وكانت اطماع البعض تتجه الى ممتلكات المسيحيين . وجاءت فرصة مؤاتية حينما اتُّهم ابو منصور الدراجي المسيحي بارتكاب الفحشاء مع امرأة خباز مسلم ، وقد وُجد المسلم نفسه مقتولاً . فكانت هذه ذريعة انتهزها الشعب ليهجم على كنيسة مار توما لليعاقبة . فحطموا اثاثها ونهبوها . واذا بأحدهم يضرم النار فيها ، فانهار السقف على الناس واودى بحياة نحو خمسين شخصاً ، اغلبهم من المسلمين . وتعرضت كنائس اخرى للنساطرة واليعاقبة للسلب والنهب في هذه الفوضى ، الى ان تدخلت السلطة الحاكمة للحدّ من هذه الثورة العارمة . ووجدوا في كنيسة مار توما انجيلاً لم يحترق ، فعزوا ذلك الى اعجوبة .

وفي سنة ١٠٠٤ ، قدم الى بغداد مطرافوليط تكريت اغناطيوس برقيقي ، لكي يعيد بناء الكنيسة التي دمَّرها الحريق . واستقبله المسلمون والمسيحيون بحفاوة بالغة بسبب علمه الغزير ، وبالاخص لاجل عمه توما بزازا الذي كان سكرتيراً لدى السلطات الحاكمة . وقدّمت له هدايا كثيرة . وهذا ما اثار حسد البطريرك النسطوري الذي منع مؤمنيه من اللقاء بالمطرافوليط . وابى ان يستقبله عنده . وأثيرت المشاحنات من جديد بين اليعاقبة والنساطرة ، مما ادى الى العودة الى المراسيم التي تخوّل البطريرك النسطوري وحده حق الاقامة الدائمة في بغداد اما المطرافوليط اليعقوبي ، فكان بوسعه المجيء اليها من حين الى آخر ، حينما تقتضي

(٦) ماري ، ص ١١٠ ؛ صليبا ، ص ٩٥ ؛ نصري ، ص ٤٥ .
(٧) صليبا ، ص ٥٩٥ .

مهمته ذلك . . . وفي وقت لاحق ، حاول البطريرك الاستيلاء على كنيسة لليعاقبة في الكرخ ، ولكنه لم يفلح .

وازداد البطريرك يوحنا ظلماً وطغياناً ، حتى ثارت عليه رعيته ، فاضطر الى الهرب الى الضفة الغربية ، ولم يستطع العودة الى مقره الاّ بعد ان وعد باصلاح الخلل واعادة الامور الى حالتها الطبيعية . ولكن تصرف البطريرك ادى الى انتقال العديد من مؤمنيه الى الطوائف الاخرى ، منهم الطبيب علي بن عيسى «اشهر اطباء العيون» وتلميذ ابن الطيّب وقد انتمى الى الملكيين واخذ يعادي البطريرك جهراً .

وعاش في هذا العهد ايضاً علماء شهيرون ، امثال ابي حسن بن سهل الذي وضع شروحاً في كتب كنسية ووضع كتباً اخرى جدلية ، وابي علي عيسى بن زُرعة ، تلميذ يحيى بن عدي وخلفه ، وكان مترجماً وفيلسوفاً كبيراً ، وقد توفي سنة ١٠٠٧ ، كما ورد ذكره سابقاً .

اخيراً توفي البطريرك يوحنا في ٨ كانون الثاني سنة ١٠١٢ ، غير مأسوف عليه . ودُفن في بيعة الكرسي (بيعة اصبغ)[٨] . وبعد موته بسنة ، توفي بهاء الدولة ايضاً عن عمر يناهز الثانية والاربعين ، فخلفه ابنه سلطان الدولة ابو شجاع .

٣. البطريرك يوحنا بن نازوك (١٠١٢ - ١٠٢٠)

وردت اخباره بالتفصيل لدى ماري[٩] ، وباختصار لدى صليبا[١٠] . كان يوحنا من اهل معلثايا . وترهّب في دير ايشوعياب من اعمال بانوهدرا ، ثم أُقيم رئيساً للدير نفسه . واختاره البطريرك ماري بن طوبى ورسمه اسقفاً على الحيرة . ولدى وفاة يوحنا بن عيسى ، وقعت القرعة عليه ، فاختير خلفاً له بصورة شرعية . وذهب البطريرك المنتخَب الى البلاط ونال «العهد» ، ثم رُسم في ١٩ تشرين الثاني ١٠١٢ .

وبعد مدة وجيزة ، جرى ما نغّص حياة البطريرك الجديد والمسيحيين قاطبة . فقد توفيت امرأة احد كبار الامناء المسيحيين . وأُقيمت لها مراسيم دفنة مهيبة ، ونقلوا الجثمان من بيتها الى دار الروم في وضح النهار ، في موكب مهيب تخللته تلاوة المزامير وحمل الصلبان والشموع . ولدى عبور الموكب بالقرب من مشهد ابي حنيفة ، بصق احد المسلمين على الجنازة ، وانهالت الجموع المسلمة على الموكب بالحجارة والشتائم ،

---

(٨) ماري ، ص ١١٣؛ صليبا ، ص ٩٦.
(٩) ماري ، ص ١١٣- ١١٦.
(١٠) صليبا ، ص ٩٦- ٩٧.

ولحقت بالمسيحيين حتى داخل دار الروم . وشرع المسلمون ينهبون ويخربون كل شيء في الكنيسة والمقر البطريركي وحتى في البيوت المسيحية المجاورة . وادّعى المسلمون ان احدهم قتل على يد واحد من المسيحيين ، وهذا ما زاد الطين بلّة ، وتفاقمت الفوضى واعمال السلب والنهب . . . ولم يهدأ المسلمون الى أن اعلن الخليفة اعادة تطبيق «اجراءات عمر» على المسيحيين : لبس الغيار ومنعهم من ركوب الخيل ، وإجبارهم على تحرير العبيد والاماء المسلمين من دورهم . واستُدعي الجاثليق الى دار الخلافة ، وتعّهد بالالتزام بهذه الاوامر وبقراءتها من أعلى البيم (المنبر) في الكنائس[١١] .

ومن بين الذين تميّزوا بمعاداتهم للمسيحيين كان فخر الملك وزير سلطان الدولة . فقد مارس هو واعوانه ضغطاً شديداً على المسيحيين ، واستولى على اموالهم في منطقة دور قني وفي النهروانات . وكان هذا دأبه الى ان تمّ اعدامه في شيراز في مطلع سنة ١٠١٧.

وشهدت بغداد في السنواب ١٠١٥ - ١٠١٧ عودة الحركة السنّية وسط اضطرابات عديدة عانت منها الاقليات اشدّ المعاناة ، واستفاد منها اناس يصطادون في الماء العكر . وقد حاول البعض اتّهام المسيحيين بحريق وقع وراء جامع الرصافة والانتقام منهم . الا ان الخليفة القادر كذّب هذه التهمة ومنع وقوع المظالم على المسيحيين الابرياء .

اما في مصر وسوريا فقد ساءت احوال المسيحيين اكثر . فقد هُدمت لهم نحو ٤٠٠٠٠ كنيسة ودير(!) وفُرض على المسيحيين حمل صلبان من خشب تزن خمسة ارطال ، وعلى اليهود تعليق رأس عجل كبير في رقابهم . وهذا ما ادّى الى انخذال الكثيرين منهم واجتيازهم الى الاسلام .

وقد وجد المسيحيون بعض الفرج في عهد الوزير ابن سهلان الذي استقبله البطريرك واكرم مثواه . فاستنكر الوزير ما كان يلحق المسيحيين من الغبن والتعسف .

اما اغناطيوس برقيقي ، مطرافوليط تكريت المنوفيزي ، فقد ساءت تصرفاته ، واستحوذ على اموال كنائس تكريت وبغداد وقراها . وجاء الى بغداد سنة ١٠٠٧، وقد ثارت عليه جماعته بزعامة الفيلسوف بن زرعة . واذ وجد برقيقي نفسه في ذلك المأزق الحرج ، اعلن اسلامَه وقطع زنّاره واكل اللحم واتخذ اسم «ابو مسلم» وتزوج ، وانقلب ناقماً على جماعته الاولى ، واخذ يلصق بهم شتى التهم . واتفق ان الجاثليق

(١١) ابن العبري ، **ت . س .**، ص ٢٠٦.

لقي هذا الجاحد يوماً في دار احد الوجهاء المسيحيين ، وظن «ابو مسلم» ان واجبه يُملي عليه ان يدعو الجاثليق الى الاسلام . لكن هذا التصرف الأخرق اثار استياء المسلمين والمسيحيين الحاضرين هناك ، وبالاخص استياء صاحب الدار الذي رافق الجاثليق بحفاوة واكرام الى خارج الدار . ويروي ميخائيل السرياني[١٢] ان الخليفة استقبل هذا الجاحد بفتور ، دون ان يُبدي له اكراماً خاصاً . وفي النهاية اضطر «ابو مسلم» الى العيش بالذل والهوان ، وانتهى الى الاستعطاء . ويُقال انه ندم اخيراً ووضع قصائد في التوبة ما تزال باقية[١٣] .

وتوفي البطريرك يوحنا بن نازوك في ٢١ تموز ١٠٢٠، بعد ان امضى في الرئاسة نحو ثماني سنوات وشهد اصعب ازمة في الكنيسة الشرقية حتى الآن ، وعاين انخذال العديد من المسيحيين امام الصعوبات والمحن التي انهالت عليهم .

٤. ايشوعياب الرابع بن حزقيال (١٠٢١ – ١٠٢٥)

يقول ماري[١٤] انه من دير قني ، وتلقى العلم في مدرسة مار ماري هناك ، ثم رسم كاهناً ، وكان حسن السيرة . واقامه الجاثليق عبديشوع اسقفاً على القصر والنهروانات . ولدى موت البطريرك يوحنا بن نازوك واقتراب موعد الانتخابات ، بذل ايشوعياب الكثير من الاموال للسلطات ، خاصة لابي غالب الملقب بذي السعادتين الذي اصدر امره بإغراق جميع المنافسين لايشوعياب على الرئاسة . وهكذا ، بعد سبعة شهور ، اي في مطلع سنة ١٠٢١، أُقيم ايشوعياب جاثليقاً . لكن كثيرين من الاساقفة فضّلوا الهرب ، ولم يعلنوا اسمه في الكنائس . وكان اشهر من قاومه هو ايليا مطران نصيبين المعروف ببر شينايا الذي نعته بالسيمونية . وتميّز عهده القصير الذي لم يدم سوى اربع سنوات وستة شهور «بما جرى من مخالفة والتحزّب ما يقبح ذكره ولا يحسن شرحُه»[١٥] .

اما على الصعيد الخارجي ، فلابد ان الحالة كانت ما تزال متأزمة ، اذ حينما توفي ايشوعياب في ١٤ ايار سنة ١٠٢٥، اضطروا الى اجراء مراسيم الدفن ليلا . وكان

(١٢) **م . س .**، ٣، ص ١٣٤.
(١٣) **اللؤلؤ المنثور**، ط ٢، ص ٤٥٣– ٤٥٤.
(١٤) ماري ، ص ١١٧– ١١٨؛ صليبا ، ص ٩٧؛ ابن العبري **ت . ك .**، ٢، ٢٨٦.
(١٥) ماري ، ص ١١٧؛ نصري ، ص ٤٥٤.

اللصوص في تلك السنة كثيرين في بغداد ، وهم يمارسون فيها اعمال السلب والنهب والقتل ، وقد احرقوا قسماً من الكرخ .

وظل الكرسي البطريركي شاغراً ثلاث سنين ، اي من سنة ١٠٢٥ الى ١٠٢٨، وذلك بسبب الاضطرابات والخلافات السائدة في البلاد . حتى ان دار الروم ذاتها تعرّضت للنهب . وعاد الاستقرار بعض الشيء لدى دخول جلال الدولة ابن بهاء الدولة الى العاصمة في ٧ تشرين الاول سنة ١٠٢٧. وتسنى لناخبي البطريرك ان يجتمعوا للمرة الاولى لانتخاب يجري بحسب القوانين وبدون ضغط خارجي . وتمّ الاتفاق على لائحة تضم ثلاثة اسماء ، وقاموا بصلاة مدة ثلاثة ايام ، ثم اقترعوا حسب التقليد الجاري ، واذا باسم ايليا اسقف الطيرهان هو الذي يخرج من الكأس .

٥. ايليا الاول (١٠٢٨ – ١٠٤٩)

ابصر النور في كرخ جدان ، وتلقى العلوم في مدرسة المدائن ، ورسم كاهناً(١٦) . وبالنظر الى ثقافته العالية وعلمه الغزير وفضيلته الراسخة(١٧) ، اقامه الجاثليق يوانيس اسقفاً على ابرشية الطيرهان . وبهذه الصفة قدّم اسمه كمرشح للبطريركية بعد وفاة ايشوعياب بن حزقيال . وقلنا انه فاز في الانتخاب ، ورسم جاثليقا في ١٦ حزيران سنة ١٠٢٨.

وبالرغم من حضور جلال الدولة في بغداد ، فان المدينة كانت مسرحاً لفوضى والشغب . وفي سنة ١٠٢٩، توفي الطبيب الكاتب والشاعر ابو سهل النيلي(١٨) . وتواصلت اعمال السلب والنهب في بغداد . . . وفي سنة ١٠٣٠، توفي في بغداد الخليفة القادر عن عمر يناهز السابعة والثمانين ، وقد امضى نحو احدى واربعين سنة في الخلافة . ويصفه ابن العبري بقوله : «كان حليماً كريماً ديّناً ، وكان يخرج من داره في زي العامة ويزور قبور الصالحين»(١٩) .

حاول ايليا الطيرهاني ان يجدد وجه كنيسة المشرق . وكان هو اول من ادخل الاسلوب العربي في كتاب النحو الآرامي الذي وضعه في عهد شبابه ، قبل ان يُقام

(١٦) ماري ، ص ١١٨.

(١٧) ماري ، ص ١١٨– ١١٩؛ صليبا ، ص ٧٩– ٩٩؛ ابن العبري ، **ت . ك .**، ٢، ٢٨٦– ٢٨٨.

(١٨) قد يكون اصله من بلدة النيل الواقعة على منتصف الطريق بين الحلة والنعمانية جنوبي بغداد ، وكانت مركز اسقفية للنساطرة (طالع بشأنها فييه ، **اثور المسيحية** ٣، ص ٢٥٠–٢٥٣) .

(١٩) ابن العبري ، **ت . م . د** ، ص ٣١٥.

مطراناً على الطيرهان . الا ان هذه الطريقة لم تحظ بالنجاح[٢٠] . واضاف الى كتاب المجامع الشرقية المقررات التي اتّخذها الآباء في مجامعهم منذ عهد طيمثاوس الاول الكبير . ووضع مقالات في الحق المدني وفي الارث وموانع الزواج . وينسب اليه صليبا مجموعة احكام تتكون من اثنين وعشرين فصلاً في اصول الدين ، قد تكون المسائل الكنسية التي ذكرها عبديشوع الصوباوي في فهرسه[٢١] . وتنسب اليه ايضاً رتبة تقديس المذبح ، وكذلك رتبة السجود في عيد العنصرة (الفنطقوسطي) ، واضافة ملحق «نصلّي السلام معنا» الى كاروزوثا (مناداة) الرمش .

وتوفي ايليا في ٦ ايار سنة ١٠٤٩ ، ودفن في دار الروم في بيعة السيدة ، وكان في آخر عهده قد أقعد حتى انه رسم اسقف الرحبة وهو جالس في محفة ، ثم أضرّ اخيراً[٢٢] .

٦. الادباء الشرقيون البارزون في هذا العهد

- **ابو الفرج عبدالله ابن الطيّب** . ابصر النور في بغداد بعد منتصف القرن العاشر ، وعاصر الخليفتين القادر والقائم . واصبح كاتباً للجاثليق ايليا الاول ومتميزاً في النصارى ببغداد ويقرئ صناعة الطب في البيمارستان العضدي الذي اسسه نصر بن هارون المسيحي . وعكف ابو الفرج ، مثل معاصره ابن سينا ، على قراءة الكتب اليونانية . وكان الشيخ الرئيس ابن سينا يحمد كلامه في الطب ، واما في الحكمة فكان يذمه . ويزوّدنا ابن ابي أصيبعة[٢٣] بأخبار حياته وطريقة تعليمه ، وخاصة بالمؤلفات والترجمات الفلسفية العديدة التي انجزها . وتوفي ابن الطيّب في بغداد سنة ١٠٤٣ ، ودفن في كنيسة دار الروم .

وضع ابن الطيّب مجموعة من القوانين اسماها «فقه النصرانية» وكتباً اخرى في الارث وشرحاً للعهدين القديم والجديد اسماه «فردوس النصرانية» ، وكلها بالعربية . وله شرح الاناجيل الاربعة كتبه بالآرامية ثم نقله الى العربية ، وشروح اخرى كثيرة في مختلف الكتب المقدسة ، مع مقدمات ضافية[٢٤] .

(٢٠) راجع **أدب اللغة الآرامية** للمؤلف ، ص ٤١٦- ٤١٧.
(٢١) **فهرس المؤلفين** ، ترجمة الاب يوسف حبي ، بغداد ١٩٨٦، ص ٢٢٦.
(٢٢) صليبا ، ص ٩٨.
(٢٣) في كتابه **عيون الانباء في طبقات الاطباء** ، ص ٣٢٣- ٣٢٥.
(٢٤) طالع عنه **ادب اللغة الآرامية** ، ص ٤١٧ - ٤١٩؛ ابن العبري ، **ت . م . د** ، ص ٣٣٠- ٣٣١؛ **ج . ك** .

ومن بين الذين اشتهروا من تلاميذ ابن الطيب هو ابو الحسن المختار المعروف **بابن بطلان**، وهو نصراني من اهل بغداد، وتلقى العلم على علماء الكرخ المسيحيين، وخاصة على ابن الطيب، واتقن الكتب الحكمية واصبح من كبار الاطباء والمنطقيين. وترك بغداد سنة ١٠٤٩ برحلة طويلة الى الديار الغربية، وتوفي في دير في انطاكيا سنة ١٠٥٢. وله تآليف عديدة في الطب والفلسفة والشعر، يذكرها ابن ابي أصيبعة[٢٥].

– ايليا برشينايا او النصيبيني (٩٧٥ – ١٠٤٦)، ابصر النور في السن سنة ٩٧٥، وتلقى العلم في دير الانبا شمعون القريب من السن. ورسمه اسقفه نثنائيل كاهناً في ١٥ ايلول ٩٩٤، ثم عيّنه رئيساً للكهنة في الدير المذكور، ويبدو انه ذهب بين سنة ٩٩٦ و١٠٠١ الى دير مار ميخائيل القريب من الموصل، حيث اتمّ دروسه على الراهب يوحنا الاعرج. ثم رسمه البطريرك الجديد يوانيس مطراناً على بيث نوهدرا في ١٥ شباط ١٠٠٢. وفي سنة ١٠٠٧ توفي مطرافوليط نصيبين، فأُقيم ايليا خلفاً له في ٢٦ كانون الاول ١٠٠٨، ومن ثمة جاءه لقب «النصيبيني» ايضاً. ولدى موت البطريرك يوحنا بن نازوك، خلفه عبديشوع بن حزقيال سنة ١٠٢١، وقد عيّنته السلطة الحاكمة في هذا المنصب بعد ان دفع ٥٠٠٠ دينار للمسؤولين. لذا قاومه كثيرون من الاساقفة ورفضوا اعلان اسمه في الكنائس. وكان ايليا برشينايا من أشد المناوئين له، ولم يحضر الانتخاب الشكلي ولا الرسامة البطريركية. وفي سنة ١٠٢٦، التقى ايليا للمرة الاولى في نصيبين الوزير ابا القاسم المغربي، ودارت بينهما احاديث شهيرة حول الدين والمعتقدات... وبعد موت الجاثليق ايشوعياب، ظل الكرسي شاغراً ثلاث سنين، الى ان تمّ انتخاب ايليا الاول الطيرهاني بطريركاً سنة ١٠٢٨. وكانت العلاقات متوترة في البداية بين البطريرك الجديد ومطران نصيبين. الا ان البطريرك توصل الى ازالة الخلاف، وتمّت المصالحة بين الشخصين العظيمين[٢٦]. وتوفي ايليا برشينايا في ١٨ تموز سنة ١٠٤٦، ودفن في بيعة ميافرقين الى جانب قبر اخيه سعيد[٢٧].

م. **ش**.، الكتبة العرب، عدد ٢٤– ٢٥؛ غراف، **تاريخ الادب المسيحي العربي** ٢، ص ١٦٠– ١٧٦؛ دوفيليه، في **م. ح. ق**.، ٣، عمود ٣٥٥– ٣٥٦.

(٢٥) **عيون الانباء**، ص ٣٢٥– ٣٢٨؛ طالع ايضاً ابن العبري، **ت. م. د**.، ٣٣١– ٣٣٤.

(٢٦) ماري، ص ١١٨.

(٢٧) صليبا، ص ٩٩.

اما كتاباته، فيذكر عبديشوع الصوباوي منها كتاب تاريخ وقواعد ومقالات واربعة كتب تضم دعاوي محاكم كنسية ورسائل في شتى الامور، بالسريانية والعربية[٢٨]. ويُعتبر ايليا اخصب كاتب في كنيسة المشرق في النصف الاول من القرن الحادي عشر. وتمتد كتاباته الى مختلف فروع العلوم، قانونية وتاريخية ونحوية ولاهوتية وطقسية وادبية، واهمها تاريخه الاستقرائي والاحاديث التي جرت له مع الوزير المسلم المغربي، بالاضافة الى كتب اخرى مثل كتاب «دفع الهم» وكتاب «المفسر» او الترجمان. وقد نشر معظمها وترجم البعض منها الى لغات عديدة[٢٩].

– **عبديشوع بن بهريز**. عاش ابو سعيد عبديشوع بن بهريز في القرن الحادي عشر. واصبح رئيساً لدير مار ايليا (دير سعيد). وكان احد منافسي ايليا الطيرهاني على الجثلقة. وحينما فاز ايليا في الانتخاب واقيم بطريركاً سنة ١٠٢٨، رُسم عبديشوع مطرافوليطاً على الموصل واربيل. ويقول عبديشوع الصوباوي[٣٠] ان ابن بهريز رتّب تقسيم المواريث وتفسير الخدم. اما تقسيم المواريث، فهو مجموعة من شرائع واحكام قضائية بجزئين، في الاول منهما يستعرض المؤلف نظرية تقسيم الارث، وفي الثاني يتطرق الى الحالات الخاصة. اما كتاب شرح الخدم، فقد نُسب خطأً الى كيوركيس الاربيلي، ونشره كونوللي في ج. ك. م. ش.

٧. الخليفة القائم (١٠٣١ – ١٠٧٥)

هو ابو جعفر عبدالله القائم بأمر الله، ابن الخليفة القادر وامه ارمنية تدعى قطر الندى او بدر الدجى[٣١]. وُلّي الخلافة عند موت ابيه، وكان ولي عهده في الحياة، وهو الذي لقّبه بالقائم بأمر الله[٣٢]. ويصفه المؤرخون العرب بالجمال وحسن الشمائل وكثرة العبادة والتقوى والعناية بالادب.

الا ان الخليفة الجديد وجد خزائن الدولة خالية، فاضطر الى بيع بعض اثاثه وممتلكاته لسد نفقات المرتزقة الاتراك. وكانت اعمال السلب والنهب جارية في العاصمة، والخصومات على أشدّها بين السنّة والشيعة. وفي هذه الفوضى أحرقت

---

(٢٨) **فهرس المؤلفين**، ص ٢٢٧.

(٢٩) طالع **ادب اللغة الآرامية**، ص ٤٢٠ – ٤٢١؛ **فهرس المؤلفين**، ص ٢٢٧، حاشية ١٨١؛ كريم – عمانوئيل دلي (المطران)، **لاهوت ايليا برشينايا**، روما ١٩٥٧.

(٣٠) فهرس المؤلفين، ص ١٠.

(٣١) ابن الكازروني، **مختصر التاريخ**، حققه الدكتور مصطفى جواد، بغداد ١٩٧٠، ص ٢٠٢.

(٣٢) السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص ٤١٧.

اسواق الكرخ ، ودارت معارك في مختلف احياء المدينة ، خاصة في سوق الثلاثاء ، حيث عانى المسيحيون منها كثيراً . اما في المدن الاخرى ، فكانت الحالة رهن ادارة الحكام ومزاجهم . ويبدو ان عدداً من اليعاقبة هاجروا في تلك الفترة من الرها الى نواحي تكريت ، حينما سقطت الرها في ايدي البيزنطيين ، اذ كانوا معتادين على لغة العرب وعاداتهم[٣٣] .

وفي سنة ١٣٠١ عينها ، أُعيد فرض «شروط عمر» على اهل الذمة . ثم توالت على البلاد الاوبئة والمجاعات ، بالاضافة الى الفوضى السائدة فيها . وفي سنة ١٠٣٤ ، هرب ديونيسيوس بطريرك السريان المغاربة من «بلاد الهرطقة»[٣٤] ، وجاء وسكن في «بلاد المسلمين» ، اولاً في دياربكر ، ثم استقر في دير مار حنانيا بالقرب من ماردين ، اي في دير الزعفران[٣٥] .

وفي سنة ١٠٣٧ ،اضطر جلال الدولة البويهي الى الهرب من العاصمة متنكراً ، خوفاً من الجنود الاتراك الثائرين ، وتعرّض منزله للسلب والنهب . وفي هذه الفترة يحدّد المؤرخون تاريخ بدء النفوذ السلجوقي في البلاد .

وفي سنة ١٠٤٢ ، جرت فوضى في القسطنطينية ، والقى السكان مسؤولية هذه الفتنة على «الغرباء» . وكان معظم هؤلاء الغرباء من المسيحيين النازحين من المناطق الشرقية . فطالب السكان باخراج هؤلاء الغرباء من المدينة . فاضطر نحو ١٠٠٠٠٠ منهم الى مغادرة المدينة واللجوء الى مناطق اخرى . وقد خدم هذا الامر المسيحيين ، اذ لم يعد المسلمون في المناطق الشرقية ينظرون اليهم كأعوان او موالين للحكم البيزنطي .

ومات البويهي جلال الدولة سنة ١٠٤٤ ، وخلفه في العراق «ابو كاليجار» الذي كان سلطان فارس وكرمان . وفي هذه الفترة جرى حادث يشير الى التعاون القائم بين المسيحيين والمسلمين . ففي سنة ١٠٤٥ ، قام الجاثليق ايليا الاول بابلاغ الخليفة رسالة وصلته من مطرافوليط سمرقند النسطوري ، فيها يخبره بغزو بلغت موجته الى كشغر قام به سبعة ملوك جاؤوا بجيوش جرّارة يجتاحون المناطق .

الا ان احداثاً سياسية هامة تلاحقت في البلاد . فما ان جاء اليوم الثامن عشر من كانون الاول سنة ١٠٥٥ ، حتى وقفت قبائل التركمان بقيادة طغرل بك على ابواب بغداد . واضطر البساسيري ، القائد التركي الذي اقامه البويهيون على بغداد ، الى

(٣٣) **م . س .** ٣، ص ٨٠.
(٣٤) يقصد ببلاد الهرطقة منطقة الروم حيث كان المنوفيزيون يتعرضون للمضايقات
(٣٥) **تاريخ الرهاوي المجهول**، في الترجمة العربية ٢، ص ٢٥.

مغادرة العاصمة . وبادر الخليفة القائم الى استقبال الغازي السلجوقي ، ونادى به منقذاً . وبعد غياب طغرل بك عن بغداد مدة سنة ، عاد اليها وفرض سيطرته عليها من جديد ، حتى اضطر الخليفة الى اعلانه «ملك المشرق والمغرب» ، وأعطي لقب «السلطان» . وبذلك دخلت الخلافة في حماية دولة جديدة كانت اكثر رفقاً من سابقاتها . وبينما كان طغرل بك يقوم بغارة في الشمال ، ظهر البساسيري سنة ١٠٥٨ على ابواب بغداد ، وقد التحق بفاطميي مصر ، واخذ يساعدهم على نشر دعوتهم . واستطاع ان يحتل بغداد وان يحمل الخليفة على توقيع وثيقة فيها يتنازل عن حقوقه وحُقوق سواه من العباسيين في الخلافة ويبايع منافسه الفاطمي المستنصر في القاهرة ويرسل اليه شارات الخلافة . وما ان عاد طغرل بك ، حتى ارجع القائم الى منصبه ، وقضى على البساسيري سنة ١٠٦٠ ، وحلّ نظام جيش الديلم ، وقضى على سلطان بني بويه[٣٦] .

وبعد ان امضى الخليفة حياة مضطربة اكتنفتها الصعوبات والكوارث والمحن ، توفي سنة ١٠٧٥. ويقول السيوطي[٣٧] ان الخليفة افتصد ونام ، فانحلّ موضع الفصد وخرج منه دم كثير . فاستيقظ وقد انحلّت قوته . فطلب حفيده ، ولي العهد عبدالله بن محمد ، ووصاه ، ثم توفي عن عمر يناهز السادسة والسبعين ، وقد حكم اربعا وعشرين سنة وثمانية اشهر[٣٨] .

٨ . البطريرك يوحنا ابن الطرغال (١٠٤٩ - ١٠٥٧)

هو من بغداد . واصبح في حداثته كاتباً على النهروانات ، وكانت له معرفة تامة بصناعة الكتابة وجودة القريحة والحذق[٣٩] . ولكنه تخلّى عن وظيفته وترهّب . الا ان البطريرك ايليا الطيرهاني رسمه اسقفاً على القصر والنهروانات ، وظل كذلك مدة احدى وعشرين سنة . وحينما توفي البطريرك ايليا ، توجهت الانظار الى يوحنا لكونه رجلاً خبيراً بالشؤون الادارية . فاختير ورسم بطريركاً في الاحد الثالث من صوم الميلاد المصادف ١٧ كانون الاول سنة ١٠٤٩، بعد ان شغر الكرسي طوال

(٣٦) راجع فيليب حتي ، **تاريخ العرب المطول** ، ٢، بيروت ١٩٦٥، ص ٥٦٩-٥٧٠، مع الحواشي ؛ ابن الكازروني ، ص ٢٠٥- ٢٠٧.

(٣٧) **تاريخ الخلفاء** ، ص ٤٢٢.

(٣٨) ابن الكازرني ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٣٩) طالع ماري ، ص ١١٩- ١٢١؛ صليبا ، ص ٩٩- ١٠٠؛ ابن العبري ، **ت . ك** .، ٢، ٣٠٠.

سبعة اشهر . وقام بالزيارات المألوفة الى دير قني والى عمر الكرسي ، ثم عاد الى دار الروم في بغداد . ولكنه لم يستطع زيارة دير مارفثيون في بغداد الا بعد ستة اشهر ، وذلك «لاجل فتن كانت تجري في البلد من اهل المحال»[٤٠] ، اي بين الشيعة والسنّة .

في تلك الفترة ، اخذ نفوذ السلجوقيين يزداد ، وتفاقمت من جراء ذلك الفتن بين مختلف الفئات المسلمة ، وتعرّض المسيحيون ايضاً للاضرار . ففي سنة ١٠٥٤ ، ثار المرتزقة الاتراك مطالبين أجورهم وعكفوا على نهب المدينة . وكان حي دار الروم ايضاً من بين الاحياء التي تعرّضت للنهب ، وكذلك دار البطريركية وكنيستها ، ودار ابي الحسن عبيد وزير البساسيري . لكن ابا الحسن ، بالتعاون مع استاذ داره ابي الفضل ابن بهانش وباقي الرؤساء من شعب دار الروم ، تولوا اصلاح الاضرار في القلاية والكنيسة على نفقاتهم[٤١] .

وفي كانون الاول سنة ١٠٥٥ ، تعرضت هذه الامكنة للنهب من جديد ، لدى الفوضى التي نجمت عن مجيء طغرل بك السلجوقي الى بغداد ، وفي غمرة الاضطراب بين مختلف الفئات المسلمة . فاضطر البطريرك الى مغادرة المدينة والذهاب الى دير مار ماري في دورقني . ولكنه اضطر الى ترك هذا الموضع ايضاً ، لان واردات هذا الدير قد أعطيت لاسقف الموضع ولسكان البلدة .

وفي سنة ١٠٥٦ ، جرت محاولة اخرى لفرض الشارات المميّزة على اهل الذمة . الا ان تدخّل الخاتون زوجة طغرل بك منع تنفيذ هذه الاجراءات التعسفية ضد الذميين ، بتأثير من امين سرها اليهودي ابن علي بن فضلان .

واستطاع يوحنا ابن الطرغال ان يعود الى بغداد وان يسكن دار الروم التي تمَّ ترميمها . ولم تمضِ سنة وبضعة اشهر على ذلك ، حتى اعتراه المرض وتوفي في الاحد السادس من سابوع الصيف سنة ١٠٥٧ ، ودُفن في دار الروم .

وظل الكرسي البطريركي شاغراً مدة طويلة . وفي هذه الفترة ايضاً جرت محاولة اخرى لفرض الشارات المميزة على اهل الذمة ، بتحريض من علماء الدين . الا ان هذا الامر لم يلقَ تجاوباً حاراً لا من الخليفة ولا من السلطان ولا من الرؤساء المسلمين . واذا اعتنق عدد من المسيحيين الدين الاسلامي ، فانما فعلوا ذلك لغايات معروفة لم تخفَ حقيقتها على الاذكياء . وقد ذكرها ابو العلاء المعري في احدى قصائده ، اذ قال ما

(٤٠) ماري ، ص ١١٩ .
(٤١) الموضع عينه ، ص ١٢٠ .

معناه : اذا اصبح المسيحي مسلماً ، فذلك في سبيل ربح وليس محبة بالاسلام ، وهو انما يهدف الى حياة محترمة او تجنباً لحد السيف ، او لانه يروم الزواج من ظبية تجتذب الانظار باساورها وحنّاها . . .

٩. البطريرك سبريشوع زنبور (١٠٦١ - ١٠٧٢)

لدى وفاة البطريرك يوحنا ابن الطرغال ، سنة ١٠٥٧ ، تولى نطارة الكرسي اسقف النعمانية اوجين المعروف بأبي العلاء ، اذ كان اسقف كشكر قد وافاه الاجل . وظل اوجين في هذه المهمة ثلاث سنين(٤٢) . وكانت الاحداث التي واكبت مجيء السلجوقيين قد خلقت الفوضى في البلاد وفي الكنيسة ايضاً . وعلى اثر ذلك شوهد اوجين عرياناً وجريحاً في احد الاماكن ، ثم توارى عن مسرح الاحداث في ظروف غامضة . فقام بمهمة نطارة الكرسي ماري اسقف النفر والنيل . وظلّ نحو سنة في هذه المهمة . فذهب الى دور قني ، ثم جاء الى بغداد حيث وجد دار الجاثليق في حالة يرثى لها . الا ان بعض المؤمنين ، وبالاخص ابو الخير سعيد ابن منصور بن موصلايا ، ساعدوا في الترميم وتزويد الدار باللوازم الضرورية .

في تلك الاثناء ، كانت انظار المتنافسين متجهة الى البطريركية . فقد جاء عمانوئيل مطران باجرمي الى بغداد سعياً في الحصول على هذا المنصب لنفسه . الا ان بعض ذوي النفوذ من المسيحيين استحصلوا توقيعاً يقضي بتعيين سبريشوع زنبور في منصب البطريركية .

وكان سبريشوع من اهل باجرمي وتربى في دور قني في مدرسة مار ماري حيث رُسم كاهناً . وبعد مدة رُسم مطرافوليطاً لجنديسابور(٤٣) . اما الذين سعوا في البطريركية فكانوا مسيحيين اصلهم من اصفهان ، منهم الطبيب رجاء والعميد ابو سعيد الاصفهاني وابو علي منصور بن مار سركيس . وحينما عاد الخليفة القائم من منفاه الى بغداد ، رافقه الجاثليق المنتخَب مع اشراف المسيحيين . ولم يكن الاساقفة راضين بهذا التعيين . لكن تدخّل الوزير ابي الفضل منصور بن احمد بن دارست كان له الكلمة الحاسمة . واضطر الاساقفة الى الرضوخ والقبول بالواقع على مضض . فرُسم

---

(٤٢) الموضع عينه ، ص ١١٢- ١٢٢.

(٤٣) ماري ، ص ١٢١-١٢٦، صليبا ؛ ص ١٠٠ - ١٠١؛ ابن العبري ، **ت . ك** .، ٢، ٣٠٢؛ نصري ١، ص ٤٥٨- ٤٥٩.

البطريرك الجديد في ٣ آب ١٠٦١. ويقول صليبا[٤٤] ان البطريرك الجديد اقام في يوم رسامته مكيخا ابن سليمان القنكاني اسقفاً على الطيرهان، ويهبالاها اسقف معلثايا مطراناً على الموصل[٤٥]. وجدّد حضور مطران نصيبين في المجمع والانتخاب للجثلقة، الامر الذي كان من قبل محظوراً عليه، وذلك تقرّبا الى عبديشوع ابن العارض مطران نصيبين الذي كان قوي النفوذ والشخصية. ويبدو ان البطريرك سبريشوع رسم مطارنة واساقفة كثيرين لمختلف الابرشيات، واجرى تغييرات متلاحقة في صفوف الكتبة والامناء في القلاية البطريركية، مما ادّى الى شيء من الازدهار المادي والمعنوي في البطريركية.

وجاء في «المنتظم»[٤٦] انه حينما ارادوا تشييد قبة جديدة على ضريح ابي حنيفة في بغداد سنة ١٠٦٧، «انتزعوا خشبه وابوابه الكبيرة بظلم وجاؤوا بها من احدى الكنائس في سامراء». وهذه اشارة الى وجود كنائس عديدة في سامراء. ولا عجب في الامر، اذ كان في سامراء في عهد المتوكل عدد من الكهنة والشمامسة، وكان البطريرك ذاته قد سكن هناك مدة.

وفي سنة ١٠٦٩، وقع خلاف في بغداد بين النساطرة واليعاقبة يرويه ماري[٤٧] باختصار كما يلي: خلافاً للعادة الجارية بين المذهبين، لقد اعطى الطبيب النسطوري ابو غالب ابنته لابن ابي طاهر البلدي اليعقوبي. ولدى احتجاج البطريرك على هذا الامر، اجابه زعيم اليعاقبة (اي كاهنهم): «نحن رئيسين لشعبين وبيعتين»، وهذا يعني ان كلا منا حرٌّ في التصرف في شؤونه الخاصة. ثم اضاف قائلاً: «اذا كان متعدياً في ذلك واخذ ما ليس له بحق، والذي حمله على ذلك جهله وسوء طباعه» وتأثير رجل تكريتي من المذهب القورلسي (اي الملكي)[٤٨]. الا ان البطريرك طالب باعتذار رسمي. وفي سبيل الحصول على ذلك، امر مؤمنيه بالقيام باضراب عام: لا يقصد كاتب ديوانه، ولا طبيب بيمارستانه، ولا تاجر دكانه...، بغية دفع السلطات الحاكمة الى اخذ اجراء صارم بحق اليعاقبة. ثم رشق البطريركُ بالحرم والدَ الصبية

(٤٤) في **المجدل**، ص ١٠٠.
(٤٥) اما ماري فيقول: «واسام قبل الرازين جبرائيل اسقف الطيرهان مطراناً على الموصل» (**المجدل**، ص ١٤٢). ويبدو مما يقوله ماري ان سبريشوع رسم في وقت لاحق يهبالاها مطراناً على الموصل، وذلك بعد وفاة جبريل (ص ١٢٥).
(٤٦) ابن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك والامم**، حيدر اباد ١٣٥٩ هـ، ٥، ص ٢٤٥-٢٤٦.
(٤٧) ماري في **المجدل**، ص ١٢٥.
(٤٨) الموضع عينه.

ابا غالب . وبلغ الامر الى الخليفة القائم ، وابرز النساطرة المرسوم الذي منحه الخليفة المقتدر سنة ٩١٣ للبطريرك ابراهيم الثالث ، وذلك الذي منَحه القادر ليوانيس سنة ١٠٠٣/١٠٠٤. فامر القائم بمنح سبريشوع مرسوماً مماثلاً يقضي بفرض سلطة البطريرك النسطوري على اليعاقبة والملكيين . واقتضى الامر بان يحضر المحرّض التكريتي مع جماعة اليعاقبة الى القلاية البطريركية ويقدّموا اعتذارهم امام البطريرك ووجهاء الكنيسة النسطورية . اما الكاهن اليعقوبي هبة المسمى توما فقد امضى الليلة تحت حراسة مشددة في كنيسة مار ماري في دار الروم ، وفي اليوم التالي قبلَ البطريرك اعتذاره . ولدى عودته من دار البطريركية في طريق رجوعه الى البيت ، اعترضه رجال ايتكين السليماني شحنة بغداد واودعوه السجن . الا ان البطريرك النسطوري توسط له لدى الامير ايتكين فأطلق سراحه .

ويبدو ان البطريرك سبريشوع تعرض لحادث كاد ان يودي بحياته سنة ١٠٦٩. وبهذه المناسبة ، تعرضت بعض الدور ايضاً للسلب ، وجرى ذلك في موجة من الغضب على الذميين .

وأُصيب البطريرك سبريشوع بنوبة شلل اقعدته مدة شهرين ، ثم عاودته نوبة اخرى ظل بعدها شهرين دون حراك ، الى ان توفي في ١٧ نيسان سنة ١٠٧٢، ودُفن بدار الروم في بيعة السيدة ، بجوار البطريرك يوحنا ابن الطرغال .

١٠ . البطريرك عبديشوع ابن العارض (١٠٧٥ - ١٠٩٠)

هو ابو الفضل ابن العارض الموصلي[٤٩] . وكان البطريرك سبريشوع قد اعاد اليه حق الانتخاب بين مصاف الاساقفة ، بعد ان كان محظوراً عليه بصفته مطراناً لنصيبين . فانتخبه اربعة اساقفة ، والتمسوا من الخليفة القائم السماح برسامته . الا ان هذا السماح تأخر ، وكان عبديشوع نفسه بعيداً في مدينة ميافرقين التي كان الاتراك يحاصرونها آنذاك .

وفي تلك الغضون ، جرى فيضان عارم في بغداد سنة ١٠٧٤ احدث دماراً كبيراً في المدينة وقضى على الكثيرين من الاهالي ، وكاد ان يجتاح محلة الشماسية ودار الروم . فعكف الجميع على مكافحة هذا الفيضان وعلى اقامة الصلوات والادعية ليبعد الله عنهم هذا الخطر الجسيم . وفي ٢١ تشرين الثاني ، أوعز الى العلاء ابن الحسن بن

---

(٤٩) ماري ، ص ١٢٦- ١٣٧؛ صليبا ، ص ١٠١؛ ابن العبري ، **ت . ك .**، ٢، ٣٠٢- ٣١٠.

موصلايا ان يكتب «العهد» للبطريرك المنتخَب. واستطاع البطريرك ان يأتي من ميافرقين. وتمت رسامته في كانون الثاني ١٠٧٥ في المدائن. ومنها صعد باكرام كبير الى بغداد برفقة الامير صاعد الله جوهر ابن حاكم بغداد. وبعد ثلاثة اشهر، توفي الخليفة القائم في نيسان ١٠٧٥ عن عمر يناهز الخامسة والسبعين.

وكان رؤساء الدين المسيحيون يدّعون بأنهم تلقوا، منذ بدء الاسلام، عهوداً تلتزم بحمايتهم. وقد ذكرنا بعضاً من هذه العهود، مثل ذلك الذي أعطي لابراهيم الثالث سنة ٩١٣. وكانت هذه العهود تشدّد على التسلسل الرئاسي بين المسيحيين، وتخوّل البطريرك النسطوري السلطة على رعاياه وعلى اليعاقبة والملكيين المتواجدين في البلدان الخاضعة لحكم الخليفة. ويورد ماري[٥٠] نص العهد الذي منحه الخليفة القائم للبطريرك عبديشوع ابن العارض في ٢١ تشرين الثاني ١٠٧٤.

وجرت في عهد عبديشوع ابن العارض احداث كثيرة واضطرابات في بغداد وفي مدن اخرى من البلاد عانى منها المسيحيون بنوع خاص. وسنتطرق الى بعض منها في عهد الخليفة الذي تولى ادارة البلاد بعد الخليفة القائم. وحينما يصف صليبا البطريرك عبديشوع يقول انه كان شيخاً حسن الخلق والخلقة، وعالماً، وانه رسم مكيخا اسقف الطيرهان مطراناً على المَوصل عوضاً عن يهبالاها المتوفى[٥١]. وتوفي البطريرك عبديشوع في ٢ كانون الثاني سنة ١٠٩٠، ودُفن في كنيسة الكرسي في دار الروم.

١١. الخليفة المقتدي (١٠٥٧ - ١٠٩٤)

هو ابو القاسم المقتدي بامر الله حفيد الخليفة الراحل القائم. توفي والده وهو حمل. فولد بعد وفاة والده بستة اشهر. وامه ارمنية اسمها ارجوان وتدعى قرة العين. ادركت خلافته وخلافة ولده المستظهر وخلافة ولد المسترشد، وكانت صالحة[٥٢]. بويع للمقتدي بالخلافة عند موت جده وله تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر. الا ان ملكشاه السلجوقي كان الحاكم الحقيقي في البلاد، حتى انه لَقَّب

(٥٠) ماري، ص ١٣٣- ١٣٧. وقد صحح القلقشندي بعض الاخطاء الواردة في نص ماري في كتابه **صبح الاعشى**، ١٠، ص ٤٩٢- ٩٩٢. طالع ايضاً ما كتبه ادلبي في مجلة **الشرق الادنى المسيحي** ١، لسنة ١٩٥١، ص ٢٠٦- ٢٠٨.

(٥١) صليبا، ص ١٠١.

(٥٢) السيوطي، ص ٤٢٢؛ ابن الكازروني، ص ٢١٠؛ ابن العبري، **ت. م. د**، ص ٣٣٤.

نفسه «سيد العرب والفرس» . وكان الحكم بعد موته سنة ١٠٩٢ لابنه بركياروق الذي لُقّب «ركن الدولة»[٥٣] .

ويذكر ابن العبري[٥٤] موت الطبيب البغدادي يحيى بن عيسى بن جزلة الذي كان رجلاً نصرانياً قد قرأ الطب على نصارى الكرخ ، ولكنه قرأ المنطق بعد ذلك على شيخ المعتزلة واسلم ، وتوفي سنة ١٠٨٠. ونجد بالقرب من الخليفة ايضاً الطبيب المسيحي ابا الحسن بن سعيد بن هبة الله ، وهو استاذ ابن جزلة المذكور . مارس الطب في البيمارستان العضدي[٥٥] ، والّف كتباً عديدة في الطب ، وتوفي سنة ١١٠١ في عهد الخليفة المستظهر . وهناك اطباء آخرون برزوا في هذا العهد ، منهم الاخوان التكريتيان ابناء جرير : الفضل طبيب ناصر الدولة في ميافرقين ، الذي وضع مقالة في اسماء الامراض واشتقاقاتها ، كتبها الى بعض اخوانه وهو يوحنا بن عبد المسيح[٥٦] ، واخوه ابو نصر يحيى بن جرير[٥٧] .

وفي سنة ١٠٧٧/١٠٧٨، جرت فتن داخلية في بغداد بين فئات مسلمة ، واصاب المسيحيين سوءٌ من جراء ذلك في سوق الثلاثاء . ويقول ماري عن احداث ذلك الزمان : «بُني مسجد بعمر واسط»[٥٨] .

اما الأزمة المؤلمة فدارت احداثها خلال سنة ١٠٩١، بعد موت البطريرك عبديشوع . اذ عاد الشعب فطالب بان يحمل المسيحيون الشارات المميزة . وكانت بوادر هذه الازمة قد لاحت منذ سنة ١٠٨٥، ضد اليهود اولاً ، ثم ضد المسيحيين ، خلال موجة من التزمّت في عهد المقتدي ، فيها «نفى المغنيات والخواطي ببغداد ، وامر الا يدخل احد الحمّام الا بمئزر ، وخرّب ابراج الحمام صيانة لحروم الناس»[٥٩] .

وحلّت الكارثة الكبرى بتكريت التي كانت منذ سنة ٦٢٩ مركز مقاطعة كنسية خاضعة لبطريركية انطاكيا السريانية . وكانت تكريت قد ازدادت اهمية سنة ١٠٧٥ في عهد مفريانها الاول باسيليوس الرابع . الا ان المسلمين لم ينظروا بعين الارتياح الى ما

(٥٣) ابن العبري ، **ت . م . د** ، ص ٣٣٨.

(٥٤) الموضع عينه ، طالع ايضاً ابن ابي أصيبعة ، **عيون الانباء** ، ص ٣٤٣، وهو يقول ان ابن جزلة ، بعد اسلامه ، ألّف رسالة في الرد على النصارى ، وكتب بها الى اليا القمر .

(٥٥) ابن ابي أصيبعة ، ص ٣٤٢- ٣٤٣.

(٥٦) الموضع عينه ، ص ٣٢٨.

(٥٧) الموضع عينه ، ص ٣٢٨- ٣٢٩.

(٥٨) ماري ، ص ١٣٢.

(٥٩) السيوطي ، ص ٤٢٣.

تلقاه المفريان من الحفاوة والاكرام لدى دخوله المدينة . فبدأت المضايقات ، ولو ان المفريان حاول استرضاء الاشراف المسلمين بإقامة الولائم وبشتى الطرق من التودّد . وما ان جاءت سنة ١٠٨٩ ، حتى تعرضت الكنيسة الخضراء الكبرى للنهب ، ثم أُخذت كنيسة اخرى قريبة من القلعة هي كنيسة مار سركيس وباكوس وأُعطيت للمسلمين عوض الجامع الذي كان كيقوباد الديلمي قد دمّره . وفي وقت لاحق ، (ربما في سنة ١١٠٦) أعطيت الكنيسة الخضراء ذاتُها للمسلمين[٦٠] . فبعد ان حاصر تكريت السلطان محمد غياث الدين ابن ملكشاه طوال سبعة اشهر ، سقطت المدينة تحت سيطرة ملك الحلة العربي صدقة بن دبيس الملقب بسيف الدولة . ولابد ان المضايقات كانت من الشدة بحيث اضطر المفريان مع معظم السكان السريان الى مغادرة تكريت واللجوء الى المدن والقرى القريبة . وسكن المفريان نفسه مدينة الموصل .

وفي سنة ١٠٨٩ ، تجددت الاضطرابات في بغداد بين السنّة والشيعة . ولم تتوقف الا عندما استدعى الخليفة المقتدي عرباً من الحلّة لإخماد هذه الفوضى[٦١] .

وفي سنة ١٠٩١ ، وضع الوزير نظام الملك ، الذي أُعطي لقب «اتابك» ، كتاباً لسيده ملكشاه اسماه «سياسة نامه» (سير الملوك) ، وفيه ينحي باللائمة على الحكّام والملوك الذين يستخدمون في بلاطهم مسيحيين او يهودا او مجوساً . وفي السنة ذاتها ، استحصل الوزير الفارسي ابو شجاع مرسوماً من الخليفة يقضي باعادة فرض الشارات المميزة على اليهود والمسيحيين في بغداد . ولم تستطع ام الخليفة الارمنية الاصل ان تمنع تنفيذ هذا المرسوم ، الذي ظلّ نافذ المفعول طوال اربعة عشر عاماً ، اي حتى سنة ١١٠٥ .

وكانت احدى نتائج هذه الاجراءات التعسفية ان كثيرين من المسيحيين اعتنقوا الاسلام ، حفظاً على مراكزهم الرفيعة . واشهرهم شخصان من الامناء من أسرة موصلايا الشهيرة . وقد بلغ أحدُهما الى منصب «امين الدولة» بعد اسلامه ، واوصى بامواله بعد موته للمشاريع الخيرية الاسلامية ، لان أسرته التي ظلت مسيحية لم تستطع ان ترثها . اما الثاني فكان ابن اخته ابو نصر هبة الله[٦٢] الذي مُنح لقب «تاج الرؤساء» ، وهو الذي وضع سنة ١٠٩٢ المرسوم الذي منحه الخليفة المقتدي للبطريرك مكيخا

(٦٠) **م . س .** ، ٣ ، ص ٢١٤ - ١٥ .
(٦١) حبيب الزيات ، **الصليب في الاسلام** ، مطبعة القديس بولس ، حريصا ١٩٣٥ ، ص ٦ .
(٦٢) ماري ، ص ٧٤١ - ٠٥١ .

الذي سنتكلم عنه لاحقاً . . . وقد توفي الخليفة المقتدي سنة ١٠٩٤ بصورة مفاجئة ، بينما كان يأكل ديكاً مشوياً . وقيل ان جاريته شمس النهار سمّته ، ربما بتحريض من بركياروق ابن ملكشاه[٦٣] .

١٢. البطريرك مكيخا الاول (١٠٩٢-١١٠٩)

هو من دار الروم في بغداد . وتلقى العلم في مدرسة بغداد ، وتربى على الزهد والعفاف منذ نعومة اظفاره ، ورسم كاهناً واشتغل مدة بالطب يمارسه مجاناً . ثم رسمه البطريرك عبديشوع اسقفاً على الطيرهان حيث ظل مدة عشرين سنة . ويذكر عنه انه كان يشرحُ لمؤمنيه الاسفار المقدسة بالعربية . ثم رقي الى كرسي مطرانية الموصل وحزة (اربيل)[٦٤] . ولما استقرت الاوضاع الداخلية بعض الشيء بعد موت البطريرك عبديشوع ، توجهت الانظار الى مكيخا . وتمّ اختياره بتأثير من ابي الفرج سعيد ابن ابراهيم الواسطي وشخص آخر يُدعى ابا الفرج ابن التلميذ[٦٥] . وكان الواسطي كاهناً وراهباً وطبيباً للسلطان السلجوقي الب ارسلان ملكشاه . واستطاع البطريرك الجديد ان يستحصل مرسوماً من الخليفة المقتدر في نيسان سنة ١٠٩٢. ويروي لنا ماري سلسلة من الاعاجيب التي جرت على يد هذا البطريرك القديس[٦٦] .

الا ان المتنفذين من المسيحيين لم يعرفوا دوماً ان يقفوا عند الحدود في تدخلاتهم في الشؤون الكنسية . وسرعان ما ظهرت خلافات بين ابن الواسطي والبطريرك مكيخا ، ابتدأت بأمور تخص الادارة ، وتفاقمت شيئاً فشيئاً حتى ادت الى قطيعة مؤسفة بين الشخصين . وكان ابن الواسطي لا يوافق على الاجراء الذي اتخذه البطريرك في الغاء تلاوة «ابانا» بين كل صلاتين ، كما كان سلفُه قد فرض ذلك . فرفض ابن الواسطي هذا الاجراء الجديد . فحرم البطريرك ابن الواسطي ومنعه من الخدمة في كنيسة سوق الثلاثاء . فانسحب هذا الى العتيقة التي كانت موضع اقامة أُسرته . ثم أُصيب ابن الواسطي بالعمى قيل انه جاء قصاصاً لمعارضته للبطريرك . واذ كان الواسطي آنذاك طبيباً للخليفة المستظهر ، فقد تدخل البلاط في تسوية الخلاف لصالح الطبيب .

(٦٣) طالع ابن العبري ، **ت . م . د** ، ص ٣٣٨؛ ابن الكازروني ، ص ٢١٢؛ السيوطي ، ص ٤٢٦.
(٦٤) ماري ، ص ١٣٧؛ صليبا ، ص ١٠٢؛ نصري ٢، ص ٤٦١.
(٦٥) ماري ، ص ١٤٢.
(٦٦) الموضع عينه ، ص ١٣٨-١٤١.

فاستدعى البطريرك من دار الروم واحتجز في دار بدران فيهروز الواقعة بالقرب من البلاط . وظل هناك مدة تحت الرقابة بصحبة تلميذ له . واخيراً استدعاه عميد الدولة ، ودار بينه وبين البطريرك الحوار التالي :

قال له العميد : «لا يجوز لك ان تعاكس امير المؤمنين ولا ان تُغضب طبيبه» .

اجابه البطريرك : « لايجوز له ان يثير غضبي ويعاكسني في ما اعمل . فانا الذي يأمر وهو الذي يطيع» .

فقال العميد مغتاظاً : « ان لم تقبل وجهة نظره ، فلا موضع لك في بلادنا» - وهو يقصد بذلك ابعاده الى ارض البيزنطيين اعدائهم .

فاجاب البطريرك بجرأة : «حتى اذا غادرت بلادكم ، فما اربطه او احلّه يبقى نافذاً . فاني لم اتلقّ سلطتي من المرسوم الذي منحتموني اياه ، بل من السماء . واذا كان حُكمكم يمتد الى مائتي فرسخ ، فان حكمي يمتد من المشرق الى المغرب . وقريباً كنتُ ام بعيداً ، فلا يسع هذا المتمرد ان يصلّي دون ان يذكر اسمي» .

ونقل العميد الى الخليفة ما دار بينه وبين البطريرك حرفياً . ولما اراد الخليفة التأكد من صحة ذلك القول ، استدعى ابن الواسطي وقال له : «اذن حينما تصلّي ، تذكر في صلاتك اسم الجاثليق ؟ » - اجابه : «نعم» . فقال له الخليفة : « الا يمكنك ان تخالف ذلك ؟» - « كلا !» اذ ذاك صرف الخليفة طبيبه قائلاً له : «لماذا نتدخل في شؤونكم ان كنت لا تستطيع ان تعصى امره ؟»[٦٧] . فعاد البطريرك الى مقره في دار الروم ظافراً ، وعاد ابن الواسطي الى كنيسة العتيقة حيث مارس خدمته للموالين له رغم البطريرك . ويروي ماري[٦٨] ان الوزير عميد الدولة استدعى بعد ذلك البطريرك وابن الواسطي عنده وفرض على الاخير ان يقوم ويقبّل يد البطريرك . واكتفى البطريرك من جهته بعلامة الاعتذار هذه ليرفع الحرمَ عن ابن الواسطي . . . وفي عيد كنيسة العتيقة الواقع في منتصف الصوم الكبير ، ترأس البطريرك احتفال العيد ، ولم يحضره ابن الواسطي . وجاءت فرصة اخرى لتلاقي الشخصين في جنازة احد اعيان المسيحيين . فاضطر ابن الواسطي ان يقبّل ايضاً يد البطريرك ، ثم انسحب من الجمهور . ويبدو انه عاد بعد ذلك الى خدمته الكنسية في كنيسة سوق الثلاثاء .

وحدث ايضاً خلاف بين البطريرك وبعض من رعاياه ، اضطر البطريرك على اثره إلى مغادرة بغداد واللجوء الى الحلة مدينة الامير الغساني صدقة المعروف بسيف

---

(٦٧) فييه ، **المسيحيون السريان في عهد العباسيين** ، ص ٢٢٤- ٢٢٥.

(٦٨) ماري ، ص ١٤٢.

الدولة . الا ان شخصاً يُدعى ابن حبشي عارضه وتوصل الى اقصائه من الحلة ، مما ادى الى دمار بيت هذا الجاني عقاباً له . اما البطريرك فقد توجّه الى النيل . وحاول المعارضون استدعاء ايشوعياب مطران نصيبين ليقيموه بطريركاً لهم . وبينما كان مكيخا ما يزال في طريقه الى الحلة وقد بلغ المدائن ، اخذ يصلّي هناك . ولما انهى صلاته قام وقال للحاضرين : «لقد عملت اللازم . فقد مات الرجل» ، اي مطرافوليط نصيبين . فبينما كان في طريقه الى بغداد ، وصل الى دير مار ميخائيل القريب من الموصل ، وهناك باغتته المنية . اما البطريرك مكيخا ، فبعد ان امضى مدة في النيل ، عاد الى مقره في بغداد ، وقد انخفضت كبرياء المعارضين لسلطته .

لعل هذه الاحداث جرت في نحو سنة ١١٠٥ . وربما ان ابن الواسطي انتهزها فرصة ليلتمس من الخليفة المستظهر رفع القيود المجحفة عن المسيحيين . ونلاحظ ان ماري يخصص صفحة كاملة لاطراء مناقب ابن الواسطي ، حتى انه نعته «باعجوبة زمانه»[٦٩] ، بالنظر الى اعماله الجليلة لصالح المسيحيين وغيرته على ارثوذكسية كنيسته ضد الذين يصفهم بفرق المباينة واليعقوبية والمارونية[٧٠] .

وذكر ابن الاثير[٧١] ان وزير الخليفة ، مجد الدين ابن المطّلب ، اتهم باستخدام العديد من الذميين في ادارته . فأُقيل فترة ثم أُعيد الى منصبه شريطة ان يعود عن اخطائه ، اي عن المظالم والسيرة المشينة وعن استخدام الذميين . وينسب صليبا الى البطريرك مكيخا رسالة فائقة مختصرة اوضح فيها الامانة الصحيحة التي يعتقدها المشارقة[٧٢] . وكلا المجدليين يذكران موت الجاثليق باختصار دون ذكر ظروفه ، وذلك في ١٧ آذار ١١٠٩ . ودُفن في دار الروم ببيعة السيدة في الباصلوث الايمن . ويقول صليبا انه «دبّر تدبيراً معتدلاً» ، ويضيف ماري «ما عرف له امر يكره لا في صباه ولا في رهبنته»[٧٣] .

(٦٩) الموضع عينه ، ص ١٤٤ .

(٧٠) نادرا ما يرد اسم الموارنة في تاريخ كنيسة المشرق ، والمذكورون غالباً هم الملكيون الذين كان لهم وجود في بغداد .

(٧١) في **الكامل** ١٠ ، ص ٢٠٢ .

(٧٢) صليبا ، ص ١٠٢ .

(٧٣) صليبا ؛ ص ١٠٢ ، ماري ، ص ١٤٧ .

١٣. الخليفة المستظهر (١٠٩٤-١١١٨)

هو ابو العباس ابن المقتدي، ويُلَقّب بالمستظهر بالله. وُلد سنة ١٠٧٧، وامه ام ولد اسمها كليهار. تولى الخلافة بعد موت والده وله من العمر نحو ستة عشر عاماً[٧٤]. وبعد ان يصفه ابن الاثير[٧٥] بكرم الاخلاق والفضل الغزير والعلم الواسع، يضيف قائلاً: «لم تصفُ له الخلافة، بل كانت ايامه مضطربة كثيرة الحروب». وكان الخليفة تحت رعاية السلطان بركياروق ووزيره عز الملك ابن نظام الملك. وكان وزير الخليفة يُدعى عميد الدولة ابو منصور بن جهير التغلبي الذي كان أيضاً وزيراً لوالده الراحل... وفي السنة ذاتها قُتل طبيب شهير يُدعى ابا نعيم بن ساوا الواسطي الذي يبدو انه كان مسيحياً. وفي السنة التالية، حدث فيضان دمّر الجدار الأسفل من البلاط. وحالت الصراعات حول السلطة بين السلاطين السجوقيين دون انجاز اعمال الترميم. وكادت بغداد ان تتعرض للسلب والنهب من قبل التركماني يوسف بن اباق الذي كان يعمل تحت امرة تاج الدولة تتش الذي اجتاح المناطق المجاورة.

وتوفي الخليفة المستظهر عن عمر يناهز الحادية والاربعين، في شهر آب ١١١٨، وقد دامت مدة خلافته ٢٤ سنة. وغسله ابن عقيل شيخ الحنابلة، وصلى عليه ابن المسترشد. وماتت بعده بقليل ارجوان والدة المقتدي[٧٦].

وفي عهد الخليفة المستظهر، وفي سنة ١٠٩٨، استولى الفرنج على مدينة انطاكيا، ثم، في شهر تموز ١٠٩٩، استولوا على مدينة القدس، وانساقوا الى اقتراف ابشع انواع السلب والنهب والقتل. ويقول السيوطي[٧٧] ان الفرنج استولوا «على بيت المقدس بعد حصار شهر ونصف، وقتلوا به اكثر من سبعين الفاً، منهم جماعة من العلماء والعبّاد والزهّاد، وهدموا المشاهد، وجمعوا اليهود في الكنيسة واحرقوها عليهم، وورد المستنفرون الى بغداد. فاوردوا كلاماً يبكي العيون». ويبدو ان وعّاظ الجوامع دعوا المسلمين الى الجهاد المقدس ضد الغزاة الفرنج. ولكن

(٧٤) طالع ابن الكازروني، ص ٢١٥؛ السيوطي، ص ٤٢٦.
(٧٥) **الكامل** ١٠، ص ٢٠٢.
(٧٦) السيوطي، ص ٤٣٠.
(٧٧) الموضع عينه، ص ٤٢٧.

ليس ثمة ما يشير الى ان المسيحيين في المنطقة الشرقية قد تعرضوا من جرّاء ذلك للتعسف والاضطهاد[٧٨] .

١٤ .الادباء السريان البارزون في هذا العهد

– **يوحنا تلميذ مارون (+١٠٠٣)** ، تلقى العلم في الرها . وعلّم في دير سرجيسية بجوار ملطية ، وانهى حياته في دير هارون الواقع في الجبل المبارك المشرف على مدينة الرها . كتب يوحنا شرحاً في سفر الحكمة ومقالة في التجسد .

– **مرقس بن قيقي (+١٠٣٠)** ، الذي ورد ذكره في الصفحات السابقة . ولد في بغداد ودرس في دير ابن جاجي القريب من ملطية ، وأُقيم اركذياقوناً لكنيسة الموصل . وفي سنة ٩٩١ أقيم مطرافوليطاً للشرق باسم اغناطيوس . ولكنه جحد الايمان في ظروف عسرة ، ثم عاد فتاب . ومعظم كتاباته تدور حول التوبة والندامة ، معبّراً بها عما يختلج في نفسه من مشاعر الاسى والشجون .

– **يوحنا بن شوشان (+١٠٧٢)** ، وُلد في ملطية وانتُخب بطريكاً سنة ١٠٥٨. وضع ليتورجيا وقوانين كنسية ومقالة في الملح والخمير والزيت الذي يستعمله السريان في خبز القربان ، واربع قصائد في نهب الاتراك لملطية سنة ١٠٥٨، ورسائل عديدة . وكان عاكفاً على جمع ميامر القديس افرام واسحق الانطاكي حينما اوقف الموت نشاطه .

– **اغناطيوس مطران ملطية (+١٠٩٤)** ، رُسم مطراناً لملطية سنة ١٠٦٣. وكان ضليعاً في اللغتين اليونانية والسريانية وفي العلوم المدنية . كتب تاريخاً مختصراً يرتكز على تاريخ يعقوب الرهاوي وديونيسيوس التلمحري .

– **سعيد (يوحنا) ابن الصابوني (١٠٩٥)** ، وُلد في ملطية ، وترهّب في دير عرنيش في ناحية كيسوم (تركيا) ، وأُقيم مطراناً سنة ١٠٩٥ . وقُتل بعد اربعين يوماً من دخوله الى ملطية على يد حاكم المدينة البيزنطي الذي ظنه متواطئاً مع الاتراك المحاصرين للمدينة . وضع يوحنا ميامر عديدة وحسايات كثيرة وقصيدة بليغة في اطراء مناقب يعقوب السروجي الملفان الكبير[٧٩] .

---

(٧٨) لا ارمي الى الدخول في تفاصيل الحروب الصليبية التي اثارت بعض ردود الفعل المؤسفة في الشرق ايضاً عند المسيحيين . ستكون هذه الحروب الصليبية موضوع كتاب خاص انوي وضعه في المستقبل بعون الله .

(٧٩) طالع عن هؤلاء الادباء كتاب **ادب اللغة الآرامية** للمؤلف ، ص ٤٥٩–٤٦٥ **واللؤلؤ المنثور** ، ص ٤٥١–٤٦٣ .

الكنيسة في القرن الثاني عشر

١. البطريرك ايليا ابن المقلي (١١١١-١١٣١)

بعد موت البطريرك مكيخا الاول سنة ١١٠٩، ظلَّ الكرسي شاغراً سنتين لاسباب قد تعود الى انشغال الرأي العام بالحروب الصليبية وبالتغييرات التي حدثت في الوزراء في بغداد . مهما يكن من أمر ، فقد توصل المسيحيون الى اقامة بطريرك لهم سنة ١١١١، وكان هذا البطريرك الجديد ايليا ابن المقلي[(١)] . وكان ايليا من الموصل . وأُقيم مطراناً على الموصل وحزة (اربيل) . ويصفه ماري بالقداسة والطهر ، وصليبا بالفضل والعلم والمهارة . وكلاهما يذكران لنا باختصار خبر ترقيته الى السدة البطريركية . وقد جرى ذلك في ١٦ نيسان سنة ١١١١. ويتفقان على القول ان البطريرك الجديد انحدر الى دير قني حيث استقبله كهنة الدير وتلامذته استقبالاً رائعاً . ثم قصد البطريرك دير مارجبرائيل المعروف بدير الكرسي . بعد ذلك صعد الى بغداد وجلس في القلاية بدار الروم . ورسم عدداً من الاساقفة الجدد ، ونقل غيرهم من ابرشياتهم ، حسب ما تقتضيه مصلحة الكنيسة .

كان العديد من المطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة والوزراء والرؤساء والعلمانيين قد حضروا حفلة رسامة البطريرك الجديد ، وكان في مقدمتهم امين

(١) طالع ما يقوله ماري ، ص ١٥٢-١٥٣؛ وصليبا ، ص ١٠٢- ١٠٤.

الدولة موفق المُلك رئيس الكفاة والحكماء ابو الحسن هبة الله ابن صاعد ابن ابراهيم الطبيب الغياثي المعروف بابن التلميذ[٢] الذي يقول عنه ابن ابي أصيبعة انه كان اوحد زمانه في صناعة الطب .

وُلد **ابو الحسن ابن التلميذ** في بغداد سنة ١٠٧٣ ،وتعلم السريانية والفارسية ودرس اليونانية وتبحَّر في العَربية . درس الطب على والده ابي العلاء . وسافر الى بلاد العجم طلباً للمزيد من المعرفة . ثم عاد فاستقر في بغداد والتحق بخدمة الخليفة المقتفي لامر الله (١١٣٦-١١٦٠) . كان عطوفاً على الفقراء والمرضى ، وذا عفة وترفّع عن المال والحرام والافعال الدنيئة . وكان ينفق اكثر ايراداته من دار الخليفة على المحتاجين ، وخاصة على طلاب العلم ومن يعمل في التعليم . وكان يهوى التدريس ويعتبره واجباً ادبياً ، ويهوى خاصة جمع الكتب ، حتى صار له منها حمل ١٢ بعيراً . وكان ساعور البيمارستان العضدي ببغداد الى حين وفاته . ومات في بغداد سنة ١١٦٥ نصرانياً وخلّف نعماً كثيرة واموالاً جزيلة . وخلّف وراءه من الكتب الاصيلة والهوامش والشروح والتعليقات الشيء الكثير ، اهمها ١٦ او ١٨ كتاباً . وقد عاش الى عهد البطريرك ايشوعياب البلدي ، وتوفي في بغداد سنة ١١٦٥ وقد تجاوز التسعين من عمره[٣] .

وقد انجبت أسرة ابن التلميذ اطباء آخرين ، منهم ابو الفرج يحيى بن صاعد بن يحيى بن التلميذ الذي كان متعيناً في العلوم الحكمية ، متقناً للصناعة الطبية ، متحلياً بالادب بالغاً فيه اعلى الرتب[٤] . كما كان لأمين الدولة ابن التلميذ ايضاً جماعة من الانساب ، كل منهم متعلق بالفضائل والآداب ، منهم المجد ابن الصاحب الذي اسلم قبل موت والده . . . وقد جرت خصومات بين امين الدولة ابن التلميذ وبين الطبيب اليهودي معاصره وهو «اوحد الزمان» ابو البركات هبة الله بن علي ملكا الذي اراد الايقاع بابن التلميذ . الا ان دسائسه انقلبت عليه ، فابعده الخليفة المستضيء بأمر الله عن خدمته . لكن «اوحد الزمان» اسلم بعد ذلك ، ونراه من جديد في خدمة الخليفة المستنجد بالله[٥] .

---

(٢) ماري ، ص ١٥٢؛ صليبا ، ص ١٠٣.

(٣) ابن ابي أصيبعة ، ص ٣٤٩-. ٣٧١ طالع ايضاً الدكتور راجي التكريتي ، **ابن التلميذ الطبيب الصيدلاني وقيمه الاخلاقية** ، محاضرة ألقيت في الموسم الثقافي الثاني - سلسلة محاضرات علمية تراثية ، جامعة بغداد ١٩٨٦.

(٤) ابن ابي أُصيبعة ، ص ٣٧١.

(٥) ابن ابي أصيبعة ، ص ٣٧٤.

واستفاد المفريان ديونيسيوس موسى من عطف الخليفة ومن وجود الحاكم مجاهد الدين الارمني الاصل ، لكي يلتمس اعادة بناء ما تهدم في تكريت من الكنائس[٦] التي كانت ما تزال في حوزة المسيحيين . ويبدو ان هذا الاجراء لم يحمل السريان الارثوذكس على العودة الى المدينة التي كانوا قد غادروها على اثر الاضطرابات الدموية التي ذكرناها سابقاً . ولم يبق فيها سوى عدد قليل من المسيحيين الذين تجمعوا في الموضع الذي كان يشكل مركز القسم الشرقي من الكنيسة السريانية ، اي مدينة تكريت .

واستمرت الحالة على نوع من الهدوء في الكنيسة الشرقية حتى وفاة البطريرك ايليا ابن المقلي التي جرت في شهر تشرين الاول سنة ١١٣١ ، بعد ان خدم الكنيسة احدى وعشرين سنة وسبعة اشهر . ودُفن في دار الروم في صدر البيت عند الباصلوث في بيعة السيدة[٧] .

٢. الخليفة المسترشد (١١١٨-١١٣٥)

هو ابو منصور الفضل ابن المستظهر بالله ويُلقّب المسترشد بالله . وُلد سنة ١٠٩١ ، وامه ام ولد اسمها اقبلان[٨] . وتولى الخلافة في يوم موت والده سنة ١١١٨ . واراد الخليفة الجديد ان يعيد الى الخلافة هيبتها وتمسكها بالشريعة . فطرد من البلاط المغنين والمغنيات ، وكسر جرار الخمر التي كان والده قد خزنها[٩] . ويروي ابن العبري[١٠] ان الخليفة رأى في الحلم والده وهو يقول له : «أخرجني من عندك ، لئلا آخذك اليّ» . فاضطرب الخليفة ، واخرج والده من قبره ودفنه في آخر . وذات يوم داهم الخليفة خازنه ابا طاهر احمد ، فوجد في داره كنيسة مع جميع لوازمها . وحينما سأل خازنه عن ذلك ، اجابه هذا : «ان لي امرأة مسيحية ، وهي التي فعلت هذا دون علمي !»

اما المسيحيون في عهد هذا الخليفة ، فقد عاشوا في فترة تتخللها مواقف متزمّته مع محاولات لاعادة فرض الشارات المميزة عليهم ، ومواقف اخرى من الانفراج والحرية النسبية ، حسب مدى تأثير المسيحيين في البلاط ، وحسب التنافس الموجود بين

(٦) ابن العبري ، **ت.ك.**، ٢، ٣١٨.
(٧) ماري ، ص ١٥٣؛ صليبا ، ص ١٠٤.
(٨) ابن الكازروني ، ص ٢١٩.
(٩) **م. س.**، ٣، ص ٢٢١؛ ابن العبري ، **ت. س.**، ص ٢٨١.
(١٠) **التاريخ السرياني** ، ص ٢٨١.

السلجوقيين والخلافة، والازمات المالية التي دعت الخليفة سنة ١١٣٠ الى فرض «الشارات» من جديد، لعله بذلك يتوصل الى ابتزاز المال من المسيحيين.

واراد الخليفة ان يفرض سيطرته على السلجوقيين والفئات المتنفذة الاخرى. فخرج مرات عديدة الى الحلة والموصل وخراسان. وحينما خرج مرة ليقاتل جيش مسعود السلجوقي بالقرب من همذان، احتال عليه هذا والقى القبض على الخليفة واصحابه. وتظاهر «سنجر» بالايعاز الى ابن اخيه مسعود بان يعامل الخليفة معاملة حسنة ويطلق سراحه. ولكن مسعوداً اومأ سراً الى رجال من الباطنية، فدخلوا على الخليفة وقتلوه. ويقول مصطفى جواد[١١] ان السلجوقيين في ذلك العصر كانوا قد حالفوا الباطنية وواطأوهم على الائتمار بمن يريدون ان يزيلوه ويهلكوه، وكان المسترشد بالله قد قاوم الباطنية بحكم خلافته السنّية، وفضح زوجة ابيه اخت السلطان سنجر لما رأى اتصالها باحد الشبان بعد وفاة ابيه اتصالاً محرماً، وهتك ناموس البيت المالك السلجوقي، يضاف الى ذلك مطالبته بالاستقلال مطالبة حربية، لانه اعاد سيرة الخلفاء المباشرين للحرب بانفسهم، فواطأ السلجوقيون الباطنية على اغتياله وقتله، وتمهيد السبيل لهم باخلاء سرادقه من الجنود والحراس، حتى قتلوه قتلة شنيعة ومثلوا به تمثيلاً فظيعاً، عقاباً له على هتكه عرضهم... ونقل القتيل الى مراغة ودُفن هناك. وقد حكم سبع عشرة سنة، وكان عمره خمساً واربعين سنة[١٢].

٣. البطريرك برصوما الاول (١١٣٤-١١٣٦)

مات البطريرك ايليا ابن المقلي، كما ذكرنا، في تشرين الاول سنة ١١٣١، وشغر الكرسي مدة. واذا بالراهب الطبيب ابو الفرج سعيد ابن ابراهيم الواسطي يظهر من جديد على مسرح الاحداث. وبعد ان يكيل له ماري[١٣] المديح، يقول ان الآباء وجماعة المؤمنين اتفقوا عل اختياره رئيساً لهم، وحضروا الى داره وخاطبوه بهذا الشأن، وسلموا اليه «الشلموث». فاخذه الواسطي وقبّله ووضعه على رأسه، واعتذر عن كونه غير اهل لهذه المهمة. وامام الحاح الاساقفة، قبل بالامر، فترك خدمته في كنيسة سوق الثلاثاء وذهب الى بيعة العتيقة في الجهة الغربية من بغداد،

(١١) ابن الكازروني، ص ٢٢١، حاشية ٣٨٣.
(١٢) الموضع عينه، ص ٢٢٢؛ ابن العبري، **ت. م. د.**، ٣٣٥.
(١٣) **المجدل**، ص ١٤٤-١٤٥.

وكان اصله من هذه المنطقة . ولم تكد تمضي ثلاثة ايام على ذلك ، حتى داهمه مرض فتّاك اودى بحياته خلال اسبوع واحد . فتوفي قبل رسامته البطركية ، وذلك في ١٠ حزيران سنة ١١٣٢ ، ودُفن في كنيسة حارته وراء البيم عند قبر والده .

اما برصوما ، فكان اصله من قرية تعرف بالزيدية(١٤) من اعمال نصيبين . وكان والده من الاشراف الاغنياء . الا ان الدهر عضّه بنابه فتبخرت امواله ، ثم توفي اذ كان برصوما في التاسعة من سنه . وكان للعائلة مملوك رومي قد ترهب . فما ان سمع بوفاة سيده القديم ، حتى اقبل واخذ برصوما عنده واهتم بشأنه وبتهذيبه . فتعلم برصوما السريانية على مطران نصيبين ، ثم مضى الى آمد (دياربكر) ، واقام هناك في بيت نحوار المؤمن وعكف على الدرس طوال خمس سنين . ورسمه البطريرك ايليا في اول عهده اسقفاً على ثمانون . فدبر الابرشية الصغيرة احسن تدبير واكتسب مودّة الناس واحترامهم(١٥) .

ولدى شغور الكرسي البطريركي بموت ايليا ثم موت خلفه المنتخَب ابن الواسطي ، اتجهت الانظار الى برصوما ، ووقع الاختيار عليه . فجاء الى بغداد ونزل في دار الاجلّ زين الكتاب ابي الفضل بن داود بالبدرية . وفي ١ آب سنة ١١٣٤ ، قصد برصوما الديوان العزيز ووصل مجلس شرف الدين علي بن طراد الزينبي الذي كان وزيراً للخليفة المسترشد منذ سنة ١١٢٨ . فطرح هذا على رأسه الطرحة ، وسلم العهد اليه . ومن هناك مضى البطريرك المنتخَب الى بيعة الثلاثاء ثم الى بيعة العتيقة مع المطارنة والاساقفة . بعد ذلك توجه الموكب الى المَدائن حيث جرت الرسامة البطريركية في ٤ آب . ثم انحدروا كلهم الى دير قني ، ومنها عادوا الى دار الروم في بغداد ، دون ان يقوموا بالزيارة التقليدية الى دير الكرسي في واسط لأسباب طارئة .

وبالرغم من قصر مدة برصوما في البطريركية ، فقد اكتنفته الهموم والصعوبات ، وتعرضت القلاية والكنيسة في دار الروم للسلب ، ونهبت كتبها واثاثها ، وذلك بذريعة مطالبته بديون كبيرة خيالية لم يستطع اداءها . فكان البطريرك المسكين يتمنى الموت ، ويتذكر بأسى ما كان عليه من السعادة في ابرشيته الصغيرة ثمانون . واضطر الى ترك دار الروم واللجوء الى بيعة سوق الثلاثاء حيث وافاه الاجل في مطلع سنة ١١٣٦ .

---

(١٤) ويسميها صليبا (ص ١٠٤) الزبيدية .

(١٥) طالع عنه ماري ، ص ١٥٣-١٥٦ ؛ صليبا ، ص ١٠٤-١٠٥ . وثمانون بلدة تقع على مسيرة نهار واحد شرقي جزيرة ابن عمر (في تركيا الآن)

وبينما ينسب ماري سبب وفاته[16] الى نزلة صدرية قوية، يقول ابن العبري[17]، الذي يسميه «بركبّارا»، ان البطريرك خرج ليلاً الى البستان، فداس على حية لدغته فمات. ثم يضيف قائلاً: «يقول البعض انه لم يُلدَغْ، بل مات خوفاً». ودُفن في مار سبريشوع بكنيسة سوق الثلاثاء، وهو اول جاثليق يُدفن في هذه الكنيسة، وذلك بالنظر الى الظروف الراهنة. ويقول صليبا[18] ان برصوما رسم مطارنة واساقفة، ومن جملتهم يوحنا الذي رسمه اسقفاً وارسله الى البلاد المشرقية الداخلية، الى سرخس وخراسان، ويروي خبر اعجوبة صنعها هذا الاسقف لدى وصوله إلى سرخس. ويضيف الاب بطرس نصري[19] ان هذا دليل على ازدياد عدد المسيحيين في تلك البلاد حتى اقتضى الامر تأسيس كرسي اسقفي فيها.

٤. الخليفة الراشد (١١٣٥-١١٣٦)

هو ابو جعفر، منصور ابن المسترشد، ولقبه الراشد بالله. وُلد سنة ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨ م، وامه ام ولد يُقال لها جلنار[20]. ويُقال انه وُلد مسدوداً، فاحضروا الاطباء، فاشاروا بان يُفتَح له مخرج بآلة من ذهب، ففُعل به ذلك فنفع[21].

لكن الراشد كان العوبة بيد الوزير شرف الدين الزينبي، ولم ينعم بالراحة طويلاً. فما ان تولى الخلافة، بعد موت والده سنة ١١٣٥، حتى كانت الصعوبات على موعد منه. وحيكت المؤامرات حوله، وكثرت دسائس الامراء، حتى زحف السلطان مسعود على بغداد. فاضطر الخليفة الى الهرب واللجوء الى الموصل بالقرب من عماد الدين زنكي الذي اكرم مثواه. اما السلطان مسعود، فقد استفتى العلماء والقضاة والاعيان الذين اقروا خلع الراشد، والصقوا به تهماً عديدة، منها انه يضاجع جواري ابيه ويشرب الخمر ويغفل عن الصلوات ويلعب بالكرة وانه ظالم...[22]. وبلغ الراشدَ الخلعُ، فخرج من الموصل الى اذربيجان ثم الى همذان

---

(١٦) ماري، ص ١٥٥.
(١٧) **التاريخ السرياني**، ص ٢٩٣.
(١٨) صليبا، ص ١٠٤.
(١٩) **ذخيرة الاذهان** ١، ص ٤٩٣.
(٢٠) ابن الكازروني، ص ٢٢٤.
(٢١) السيوطي، ص ٤٣٦.
(٢٢) السيوطي، ص ٤٣٦؛ ابن العبري، **ت. س.**، ص ٢٩٩.

واصبهان حيث مرض ومات ، وقيل قتله قوم من الباطنية[٢٣] .

وكانت احوال المسيحيين صعبة في تلك الظروف المضطربة . وقد لمحنا الى بعض تلك المظالم في عهد البطريرك برصوما الراحل .

٥. البطريرك عبديشوع ابن المقلي (١١٣٨-١١٤٧)

هو ابن اخي البطريرك ايليا ابن المقلي ، من اهل الموصل . ورُسم مطراناً على باجرمي . وبعد موت البطريرك برصوما ، وقع اختيار الآباء عليه لحسن سيرته وفضله وعلمه .ويبدو ان الوزير شرف الدين بن طراد الزينبي كان مؤيداً لهذا الاختيار . وجرت للبطريرك المنتخَب المراسيم الاعتيادية لدى دار الخلافة ، ونال من الاكرام ما لم ينله احد قبله . فخرج من هناك في موكب مهيب يرافقه حسام الشرف ابو الكرم بن محمد الهاشمي صاحب الشرطة وجماعة من الاتراك والحجّاب[٢٤] . وقام بزيارة الاماكن التقليدية ، ونزل الى المدائن حيث جرت رسامته البطريركية في ١٣ تشرين الثاني ١١٣٨ ، وكان الراسم مار يوحنا مطران نصيبين ويُعرف بابن بصيلة ، وهو ابن عمة الجاثليق الجديد ، ومن هناك انحدر الموكب البطريركي الى دور قني لزيارة ضريح مار ماري وديره .

استفاد البطريرك عبديشوع من الاجراءات العادلة التي اتخذها آنذاك السلطان مسعود ، وساد البلاد شيء من السلام بعد القضاء على المشاغبين والمسيئين . فعكف البطريرك على ترميم دار الروم ، وقام باعمال عمرانية اخرى . الا ان ماري يضيف قائلاً : «كان مع ذلك محباً للمال وجمعه ومنعه من اخرجه فيما يجب عليه اخراجه فيه للمساكين والفقراء»[٢٥] . وداهمه مرض الفالج الذي شلّ حركته ، فبقي طريح الفراش شهرين ونصف الشهر ، وتوفي في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١١٤٧ (١١٤٨ حسب ماري وصليبا) . ودُفن في دار الروم في بيعة الكرسي[٢٦] .

(٢٣) ابن الكازروني ، ص ٢٢٦.
(٢٤) ماري ، ص ١٥٧.
(٢٥) الموضع عينه ، ص ١٥٨.
(٢٦) هنا تنتهي لائحة بطاركة كنيسة المشرق الواردة لدى ماري . ويذكر اسم البطاركة الثلاثة الذين جاؤوا بعد عبديشوع دون ان يزوّدنا بتفاصيل عنهم .

٦. الخليفة المقتفي (١١٣٦-١١٦٠)

هو ابو عبدالله ابن المستظهر ويُعرَف بالمقتفي لامر الله ، وهو عم الخليفة الراشد . وامه ام ولد يُقال لها نزهة وتُدعى ست السادة ، وهي حبشية[٢٧] . وكانت موصوفة بالكرم والافضال . ولما حكم القضاة بخلع الراشد ، بويع عمه المقتفي لامر الله وعمره نحو اربعين سنة . وفي بدء خلافته ، نال من السلطان مسعود من السوء الشيء الكثير . ولكن السلطان عاد فأحسنَ الى الخليفة وردَّ اليه الاموال والاملاك التي كان قد احتجزها . ويوصف الخليفة الجديد بالعدل ، ويُقال ان العلوم كثرت في ايامه . وكان امينه يُدعى الحسين ابن عمر ، وطبيبه علي ابن الراهبة ، وكلاهما مسيحيان .

ويروي لنا ميخائيل السرياني[٢٨] حادثاً يعود بالاخرى الى بدء عهد الخليفة المقتفي : في نحو سنة ١١٣٧ ، كان راهب سرياني من دير مار متى اسمه هارون من سجستان . هذا رُسم اسقفاً لحدث في بلاد الروم . ولكنه اسلم لسبب نجهله . ثم عاد الى دينه الاول . الا انه لم يُقبل في ابرشيته ، فذهب الى القسطنطينية واصبح خلقيدونياً ، ثم قبله بطريركه في كنيسته الاصلية . لكن هارون عاد الى الاسلام من جديد ، ثم الى المسيحية . وذهب الى لبنان حيث قبله الموارنة ، وتوفي هناك . . . هكذا كانت الظروف والضغوط تلعب دوراً كبيراً في حياة الاشخاص في ذلك الزمان . ولا يبدو لدى المسلمين اي ردّ فعل عنيف ازاء هذه الاحداث .

ومن الاحداث الهامة التي جرت في المنطقة الغربية في ذلك الزمان هو استيلاء زنكي على مدينة الرها للمرة الاولى سنة ١١٤٥[٢٩] ، وخيبة الآمال التي سببها هذا الحدث بين المسيحيين عامة . وفي سنة ١١٤٩ ، أُقيم ابو المظفر يحيى بن هبيرة الحنبلي وزيراً للمقتفي . ويُلقب هذا الوزير جلال الدين او عون الدين . وكان من بين اساتذته الامام ابو منصور الجواليقي الذي وجّه يوماً ، بحضرة الخليفة ، كلمات مهينة الى امين الدولة ابن التلميذ النصراني . ويبدو ان الخليفة استحسن الامر[٣٠] .

وكان في عهد المقتفي اطباء مسيحيون ، منهم ابو الغنائم سعيد بن هبة الله الاثردي مدير مستشفى العضدي ، وهو من أُسرة اشتهرت بالطب منذ عهد طويل ، وستواصل

---

(٢٧) ابن الكازروني ، ص ٢٢٨؛ السيوطي ، ص ٤٣٧.

(٢٨) **م . س** . ٣، ص ٢٩١- ٢٩٢.

(٢٩) **تاريخ الرهاوي المجهول** ٢، ص ١٤٥ - . ويشير الى حسن معاملة زنكي للرهاويين واحترامه لمقدساتهم : قبل المسيحيين بفرح ، واخذ الانجيل وقبّله ، وسلّم على المطرافوليط وسأل عن صحته . . .، ص ١٥٩.

(٣٠) السيوطي ، ص ٤٤٢.

عملها حتى سنة ١١٨٤. وقد اشتهر آنذاك بالطب شخص آخر مسيحي هو ابو العلاء محفوظ ابن المسيحي بن عيسى النيلي او الواسطي الذي توفي سنة ١١٦٥[٣١].

وفي سنة ١١٥٢، جدد المفريان اغناطيوس لعازر كنيسة مار توما للسريان الاثوذكس في بغداد، وهذا يشير الى الهدوء السائد آنذاك في العاصمة العباسية. الا ان هذا المفريان تعرض للضيق سنة ١١٥٠[٣٢] بسبب كاهن اسمه ابراهيم كان يريد ان يُطلّق زوجته المسنّة ويتزوج باخرى شابّة. ويقول ميخائيل السرياني ان هذا الكاهن هو الذي اثار قضية تلعفر، بالاتفاق مع السلطات الحاكمة في الموصل. ومُلخّص هذه القضية هو كالآتي: كانت هناك شابة تريد ان تبقى مسيحية بعد اسلام والدها. وقد بارك كهنة الموضع زواجها المسيحي بعد استشارة اغناطيوس لعازر. وما ان علمت السلطات بذلك حتى القت القبض على المُفريان واودعته السجن واساءت معاملته حتى دفع فدية قدرها ٣٠٠ دينار، فأُطلق سراحه. وسُجنت الفتاة ايضاً، ولكنها ظلت صامدة في ايمانها المسيحي. وبعد خروجها من السجن، دخلت الى دير في اورشليم. ونظمت قصائد عديدة حول هذا الموضوع، حتى دخلت الفتاة عالم الاسطورة.

وفي سنة ١١٥٦/١١٥٧، تعرضت العاصمة للحصار مدة شهور طويلة، لان الخليفة رفض اعلان اسم السلطان محمد حفيد ملكشاه. الا ان السلطان اضطر في الاخير الى رفع الحصار والذهاب الى مجابهة اخيه الذي استولى على همذان. وفي هذه الفترة اجتاح الوباء والحرائق العاصمة طوال شهرين.

توفي الخليفة المُقتفي في بغداد في ١٢ آذار سنة ١١٦٠ عن ست وستين سنة، ودُفن في دار الخلافة، ثم نقل الى ترب الرصافة[٣٣]، وقد خلّف ذكراً طيباً واسماً جميلاً بين الناس.

٧. البطريرك ايشوعياب الخامس البلدي (١١٤٩-١١٧٥)

هو من اهل مدينة «بلد» (اسكي موصل)[٣٤]، ويسميه ماري «ابن الحائك»[٣٥].

---

(٣١) طالع عنهم ابن ابي أُصيبعة، ص ٣٣٩- ٤٠١.
(٣٢) طالع ميخائيل السرياني ٣، ص ٣١٦- ٣١٧؛ ابن العبري ،**ت. ك.**، ٢، ٣٤٨.
(٣٣) ابن الكازروني، ص ٢٣٠.
(٣٤) صليبا، ص ١٠٦.
(٣٥) ماري، ص ١٥٨؛ ابن العبري ،**ت. ك.**، ٢، ٣٣٠.

وكان اسقفاً على الجزيرة وبازبدى . وبعد وفاة البطريرك السابق بمدة ، اختير ايشوعياب ورُسم في الاحد الثاني من تقديس البيعة الواقع في خريف سنة ١١٤٩ .

وكانت السنة الاولى من بطريركيته سنة رخاء للبلاد ، وتلتها سنة فيها اجتاح الوباء مدينة بغداد . ثم جاءت السنوات التي فيها عمت الصراعات بين الامراء السلجوقيين . فانتهزها الخليفة المقتفي لكي يتحرر من عبودية هؤلاء الدخلاء ويفرض سلطته الشرعية والفعلية على البلاد كلها . وافلح في اخضاع الحلة وواسط ، ولكنه اخفق مرتين في الاستيلاء على تكريت[٣٦] . فاستطاع ان يتحرر قليلاً ، وذلك بسبب شجاعته ومساعدة مؤيديه ، وبالنظر الى الظروف المؤاتية : فقد مات السلطان مسعود الرهيب سنة ١١٥٢ ، وفي السنة التالية دُحر السلطان سنجر . وكان السلجوقيون متمسكين عامة بالمذهب السني الحنبلي ويضطهدون المذاهب الاخرى من الشافعية وغيرهم الذين ادخلوا الى الاسلام طابعاً من العقلانية ومن العلوم اليونانية المعتبرة مسيئة الى السنّة والتقليد . اما المسيحيون فلم يتعرضوا للمضايقات ، لانهم كانوا قلة ضئيلة لا تشكل خطراً على السياسة ولا على الدين ، ولان نفوذهم العلمي ذاته كان قد انحسر كثيراً ، اذ لم يبق منهم سوى بعض أطباء وامناء لا يتجاسرون على التبجّح بدينهم .

وبعد ان خدم البطريرك ستاً وعشرين سنة ، توفي في ٢٥ ايار سنة ١١٧٥ عن عمر يناهز التسعين عاماً . وبينما يقول صليبا انه دُفن في بيعة (درب دينار) بين يدي السيدة ، يقول عمرو انه دفن في سوق الثلاثاء . ويقول صليبا انه دبّر الكرسي تدبيراً صالحاً ، ورسم تسعة مطارنة واربعين اسقفاً وعاش في عهد ثلاثة خلفاء . وفي ايامه توفي امين الدولة ابن التلميذ ودفن في بيعة العتيقة ، وفي ايامه غرقت بغداد ثلاث دفعات . ويضيف صليبا قائلاً : «ومن العجب ان في هذه السنة (اي سنة وفاة البطريرك) مات الخليفة (وبالاحرى الجاثليق) ، ومات قاضي قضاة المسلمين ، ودانيال رأس جالوت اليهود ، وبقيت الثلاث ملل بلا رئيس . وفي ايامه استشهد الشهداء الفرنج ودُفنوا في بيعة سوق الثلاثاء»[٣٧] . وقد يكون هؤلاء الشهداء من الافرنج الذين جاؤوا لاجئين الى بغداد بعد المعارك بين المسلمين والصليبيين .

ويروي لنا صليبا ايضاً خبر اعجوبتين حدثتا بشفاعة هذا البطريرك ، احداهما لكاهن عقل لسانه بعد سقطة خطيرة ، فرأى في الحلم من يقول له ان يذهب الى قبر

---

(٣٦) ابن العبري ، ت . س . ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .
(٣٧) صليبا ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

البطريرك ويحكّ قليلاً من حجره ويشربه في الماء . ففعل وشفي . والاخرى جرت لرجل فقير يحرث الارض في قرية كرمليس القريبة من الموصل . فرأى في الرؤيا ثلاثة اشخاص . فقال له الاوسط – وعرف فيه المسيح – ان يذهب وينذر اهل كرمليس بالالتزام بيوم الاحد وتقديسه . وعلامة على صدق قوله ليضع في كفه جمرة متّقدة عليها بخور ، ويطوف بها في القرية وهو ينادي اهاليها الى التوبة . وتحقق الامر ، والتزم الاهالي بتقديس يوم الاحد . اما فلاحنا ، فقد توفي اولاده وزوجته في مدة وجيزة ، ولم يبق له في قيد الحياة سوى ولد واحد . فترهب الرجل في دير مار ايليا المعروف بدير سعيد القريب من الموصل[٣٨] .

٨ . الخليفة المستنجد (١١٦٠-١١٧٠)

هو ابو المظفّر يوسف بن المقتفي المعروف بالمستنجد بالله . وامه ام ولد كرجية (رومية) اسمها طاووس . بويع له بالخلافة يوم وفاة والده ، وعمره يومئذ سبع وثلاثون سنة[٣٩] . ويبدو انه تعرض للاغتيال في اليوم ذاته بمكيدة دبّرتها له احدى زوجات ابيه وهي تركية ، وكانت تريد الخلافة لابنها[٤٠] . الا ان الخليفة الجديد استطاع ان يقضي على هذه المؤامرة وينزل العقاب الصارم بمدبّريها[٤١] . كان المستنجد موصوفاً بالعدل والرفق ، واطلق من المكوس شيئاً كثيراً بحيث لم يترك في العراق مكساً . وكان شديداً على المفسدين . وكان موصوفاً بالفهم الثاقب ، وله نظم بديع . ومن شعره المتداول حتى اليوم :

عَيَّرَتني بالشيبِ وهو وقارُ   ليتَها عيَّرتْ بما هو عارُ
ان تكن شابتِ الذوائبُ مِني   فالليالي تَزينها الاقمارُ

وقال في بخيل هذه الابيات الجميلة :

وباخلٍ أَشعلَ في بيتِه   تكرمةً منه لنا شمعهْ
فما جَرَتْ مِن عينِها دَمعَةْ   حتى جَرَت مِن عينِه دَمعةْ

---

(٣٨) الموضع عينه ، ص ١٠٧- ١١٠.
(٣٩) ابن الكازروني ، ص ٢٣٣؛ السيوطي ، ص ٤٤٢.
(٤٠) **الكامل** ١١، ص ٢٥٧؛ ابن العبري ، **ت . س** .، ص ٣٢٧؛ **ت . م . د** ، ص ٣٦٧.
(٤١) السيوطي ، ص ٤٤٣.

وقد وردت في عهده اشارات الى المسيحيين . فيقول ابن العبري[٤٢] ان امير الموصل جمال الدين ارسل المفريان اغناطيوس لعازر الى ملك الايبريين (جيورجيين) المسيحي لكي يفتدي الاسرى المسلمين الذين احتجزهم عنده . وقد افلح المفريان في مهمته وعاد مع الاسرى الى الموصل حيث استُقبلوا استقبالاً رائعاً وعمّت الفرحة بين الاهلين . ورافقهم بعض الفرسان الايبريين وهم يحملون الصلبان في رؤوس حرابهم .

وفي سنة ١١٦٢ ورد ذكر احد الشعراء المسيحيين في واسط اسمه الرئيس ابو الغالب عيسى بن باباي .

ويروي ابن العبري[٤٣] في هذا العهد ان نجم الدين ايوب - وهو ابو صلاح الدين الشهير - واخاه شيركوه كانا في خدمة مجاهد الدين بهروز امير تكريت الذي كان يحب المسيحيين . وذات يوم قتل شيركوه احد المسيحيين الذي كان محبوباً جداً لدى الامير . فاضطر القاتل مع اخيه الى الهرب الى الموصل حيث اكرم زنكي مثواهما ، وشرعا يتعاونان مع زنكي . ومنذئذ بدأت شهرتهما وشهرة صلاح الدين . ويقول ابن العبري انهما كانا من الاكراد ومن بلد دوين في ارمينيا .

وبعد مقتل زنكي ، عهد سيد الموصل قطب الدين مودود رئاسة القلعة والوزارة الى مسيحي من اصل انطاكي يُدعى عبد المسيح ولُقّب فخر الدين . ويبدو أن تغيير الاسياد دفع الوزير الى اعتناق الاسلام ظاهرياً ، فدعي عبدالله . وكان يحاول ان يساعد المسيحيين في شتى المجالات[٤٤] .

وتختلف الروايات في موت الخليفة المستنجد . فبينما تعزو بعضها موته الى تنافس الجواري ، وخاصة احداهن وتدعى «بنفشة» ، تعزوه غيرها إلى مؤامرة حاكها الامراء عليه خوفاً من بطشه بهم ، ولاسيما استاذ الدار عضد الدين ابو الفرج محمد بن عبدالله وقطب الدين بن قايماز بن عبدالله المقتفي ، وهو اكبر امير في بغداد اذ ذاك . وقيل ان المستنجد كتب الى وزيره مع طبيبه المسيحي ابن صفية يأمره بالقبض على استاذ الدار وقطب الدين وصلبهما . فخانه الطبيب وسبّب اجتماع الامراء على قتله . وقيل ان قطب الدين قايماز استبد بامور الخلافة واراد ان يثير ابا محمد الحسن ابن المستنجد على ابيه ، فامر المستنجد وزيره ابن البلدي بالقبض عليهما . ومرض فأمر قايماز طبيبه ابن صفية ان يصف له ما يهلكه . وكان به حمى (تيفوئيد) تحرقه ، فوصف له الحمّام ،

(٤٢) ت . س .، ص ٣٢٨.
(٤٣) الموضع عينه ، ص ٣٣٠.
(٤٤) الموضع عينه ، ص ٣٤١؛ م . س .، ٣، ص ٣٤٢- ٣٤٣.

وأدخل فيه كرهاً ، وأُغلق عليه الباب وقُطع عنه الماء البارد فمات فيه[٤٥] ، وذلك في ٢٠ كانون الاول سنة ١١٧٠ . ودُفن في دار الخلافة ، وعمره ٤٨ سنة .

٩ . الخليفة المستضيء (١١٧٠-١١٨٠)

هو المستضيء بامر الله ابو محمد الحسن بن المستنجد . وامه ارمنية اسمها غضة . بويع بالخلافة يوم موت والده . ويقول عنه ابن الكازروني[٤٦] والسيوطي[٤٧] انه كان كثير السخاء وافر العطاء محباً للعدل ، فنادى برفع المكوس ورد المظالم . وفي يوم مبايعته ، قضى على الوزير شرف الدين البلدي لمناوأته له .

وفي سنة ١١٧١ ، اصدر نور الدين امراً الى صلاح الدين في مصر بأن يعلن اسم المستضيء على المنابر عوض اسم العاضد الخليفة الفاطمي[٤٨] . وابدى الخليفة الجديد عطفاً على المسيحيين ، فاخرج من السجن بعض الاشراف المسحيين اليعاقبة من «بني توما» ، وردّ اليهم بيوتهم وكنائسهم[٤٩] .

وفي سنة ١١٧٢ ، اصدر الخليفة امراً عادلاً ضد المسلمين في جزيرة ابن عمر لصالح اليعاقبة هناك . فكان المسلمون قد استولوا على ديرهم وسجنوا اسقفهم باسيليوس . فرّد اليهم الدير واطلق سراح الاسقف[٥٠] . وكان هؤلاء اليعاقبة قد تعرّضوا لمضايقات عديدة قبل هذا العهد في جزيرة ابن عمر[٥١] . اما الاتابك نور الدين ، فكان قد سبّب الكثير من المتاعب للمسيحيين في دمشق وحلب والموصل وغيرها من البلدان . فقد زاد من الضرائب عليهم وفرض الشارات المميزة[٥٢] . وكان نور الدين قد كتب رسالة الى المستنجد قبل موت هذا الخليفة ، فيها يدعوه الى فرض الاسلام على المسيحيين . والمستضيء هو الذي ردّ عليه برسالة فيها الكثير من الذم والتقريع لهذا الطاغية ، وجاء فيها انه لا يحق قتل اناس لم يقترفوا اخطاء . وهكذا وضع الخليفة حداً لغضب نور الدين وحقده على المسيحيين . . . واخيراً توفي

(٤٥) ابن الكازروني ، ص ٢٣٥ ، حاشية ٤٠٨ ؛ ابن العبري ، **ت . س** ، ص ٣٤٢- ٣٤٣ ؛ **ت . م . د .** ، ص ٣٧٢ .
(٤٦) ابن الكازروني ص ٢٣٨- ٢٣٩ .
(٤٧) السيوطي ص ٤٤٥ : ابن العبري ، **ت . م . د .** ، ص ٣٧٢ .
(٤٨) ابن العبري ، **ت . س .** ، ص ٣٣٤ ؛ **ت . م . د .** ، ص ٣٧٣- ٣٧٤ ؛ السيوطي ، ص ٤٤٥ .
(٤٩) **م . س .** ٣ ، ص ٣٤٤ .
(٥٠) الموضع عينه ، ص ٣٥٠- ٣٥١ ؛ ابن العبري ، **ت . ك .** ، ٢ ، ٣٦٨ .
(٥١) الموضع عينه ، ص ٣٥٥ ؛ ابن العبري **ت . ك .** ، ٢ ، ٣٤٦ .
(٥٢) الموضع عينه ، ص ٣٤٢ .

نور الدين سنة ١١٧٤، وقد حاول احد الاطباء المسيحيين اسمه رحّابايا ان ينقذه، ولكن جهوده باءَت بالفشل. ويقول ابن العبري[٥٣] انه ادرك هو شخصياً ولدي رحابايا في شيخوختهما، وكانا ايضاً من الاطباء البارزين في ذلك العهد. وبموت نور الدين، تنفس الناس – مسيحيين ومسلمين – الصعداء. واطلق خلفه سيف الدين غازي حاكم الموصل الحرية للجميع[٥٤].

وتوفي الخليفة المستضيء سنة ١١٨٠ وعمره نحو تسع وثلاثين سنة. ويختم ابن العبري حياة هذا الخليفة بقوله: «وكان عادلاً حسن السيرة في الرعية، قليل المعاقبة على الذنوب، محباً للعفو، فعاش حميداً ومات سعيداً»[٥٥].

١٠. البطريرك ايليا الثالث ابو حليم (١١٧٦-١١٩٠)

هو ايليا الملقّب ابو حليم او ابن الحديثي. وُلد في ميافرقين في نحو سنة ١١٠٨، ورُسم مطراناً لنصيبين، ثم اختير بطريركاً ورُسم في ٢٤ كانون الثاني سنة ١١٧٦. وليس لدينا معلومات مفصلة عن كيفية هذا الاختيار، ولا يرد فيه اي ذكر لتدخّل العلمانيين[٥٦]. انما يبدو انه لم يكن بين الآباء من يماثله علماً وحكماً وكرماً وحسناً وبلاغة وفصاحة[٥٧]. وحينما عاد البطريرك الجديد الى القلاية في دار الروم، رأى انها في حالة يُرثى لها من الخراب. فشرع في ترميمها وترميم الكنيسة. ورسم عدداً من المطارنة والاساقفة لمراكز كثيرة. وكذلك جدّد كنيسة مار ماري في دور قني وغيرها من الكنائس والاديرة. ويضيف صليبا قائلاً: «وكان مع اوصافه الجميلة بحسن الخلق والخلقة، سخياً متلافاً للمال في عمل الخير مع الناس الضعفاء والمساكين ومع الاشرار الذين من غير الدين ومع الحكام المتولين، لاجل اقامة جاه ملك النصارى اجمعين، ومع ذلك كان مرتاضاً بالعلوم النحوية واللغوية والسريانية والعربية والعلوم الحكمية»[٥٨].

---

(٥٣) **ت. س.**، ص ٣٤٧.
(٥٤) **م. س.**،٣، ص ٣٦١-٣٦٢؛ **تاريخ الرهاوي المجهول** ٢، ص ١٩٩؛ ابن العبري، **ت. س.**، ص ٣٤٧.
(٥٥) **ت. م. د.**، ص ٣٧٧.
(٥٦) صليبا، ص ١١٠-١١٢؛ ابن العبري، **ت. ك.**، ٢، ٣٣٠، ٣٦٨-٣٧٠.
(٥٧) صليبا، ص ١١٠.
(٥٨) الموضع عينه، ص ١١١.

ويوجز عبديشوع الصوباوي كتابات ايليا الثالث بقوله : «عمل . . . تراجم ورسائل ، واصلح وعمل صلوات المجالس والصباح»[٥٩] . الا ان معظم كتابات ايليا الثالث جاءت بالعربية ، وما كتبه بالآرامية (السريانية) يقتصر على صلوات تقال في الطقس الشرقي قبل صلاة الصبح ، وفيه الكثير من الخيال والالفاظ او التعابير اليونانية[٦٠] . ويقول صليبا : عمل كتباً كثيرة من جملتها كتاب تراجيم الاعياد المارانية والذكارين (اي التذكارات) . وقد نُشر هذا الكتاب في الموصل سنة ١٨٧٣. وعمل مواعظ كثيرة وكتاب الصلوات الحليميات ورسائل كثيرة في اثبات الامانة والاعتقاد وصحة دين النصرانية[٦١] ، بالاضافة الى خطب جنائزية .

وتوفي البطريرك ايليا الثالث في ١٢ نيسان سنة ١١٩٠، وصلّي عليه في الجمعة الثالثة من سابوع القيامة ، ودُفن في الباصلوث ببيعة سوق الثلاثاء ، مجاور قبر الجاثليق ايشوعياب الخامس . ويروي لنا صليبا ان هذا البطريرك العظيم اخذ يرثي نفسه قُبَيْل موته . ومن جملة ما قاله هذان البيتان :

أَروني مَن يقوُم مَقامي اذا ما الأَمرُ جَلَّ عن الخِطابِ
ومَن تستصرخون اذا حَثَيتُم بأَنمُلِكُم عَليَّ مِنَ التُرابِ[٦٢] .

ويروي لنا ميخائيل السرياني وابن العبري جملة احداث جرت في هذا العهد في المنطقة الغربية . وهي تظهر ما لدى الخليفة والحكام من العدالة ازاء الاتهامات الباطلة التي تُلصق بهذا او ذاك من رؤساء الدين المسيحيين[٦٣] .

(٥٩) **فهرس المؤلفين** ، ص ٢٣٢-٢٣٣ مع الحاشية ١٩٢ للمترجم .
(٦٠) راجع **ادب اللغة الآرامية** للمؤلف ، ص ٤٢٧- ٤٢٨.
(٦١) صليبا ، ص ١١١.
(٦٢) الموضع عينه ، ص ١١١- ١١٢.
(٦٣) راجع **تاريخ** ميخائيل السرياني ٣، ص٣٤٠.

نهاية العهد العباسي

نختتم هذه الحقبة من تاريخ كنيسة المشرق بالقاء نظرة سريعة على عهد الخلفاء العباسيين الاربعة الأخيرين الذين قادوا شؤون الدولة العباسية دون ان يستطيعوا التحرر من نفوذ الغرباء، ولا ان يجابهوا الاحداث بحزم وقوة. فدبّ الضعف في جسم الخلافة، حتى اصبح الخليفة العوبة بين ايدي المتنفذين. وكان لهذا الانحطاط أثر عميق في النفوس، وهيّأ لأحداث سنة ١٢٥٨ الاليمة.

١. الخليفة الناصر (١١٨٠- ١٢٢٥)

هو ابو العباس احمد ابن المستضيء، ولقّب بالناصر لدين الدولة. وُلد سنة ١١٥٨، وامه تركية اسمها زمرد خاتون[١]. ويبدو ان اباه الخليفة المستضيء قد ولاه العهد في بادئ الامر، ثم عدل عنه الى اخيه ابي منصور هاشم. لكن الاحوال تبدلت لدى موت المستضيء، وأُعيد الحق الشرعي الى صاحبه الناصر لدين الله. فتولى الخلافة صبيحة ليلة وفاة والده. ولم يَلِ الخلافةَ أحدٌ اطول مدة منه. وقد كال له المؤرخون الكثير من المديح، مع ما كان فيه من المتناقضات احياناً. فقيل انه اذا اطعم أشبع، واذا ضرب أوجع، وان له من مواطن يعطي فيها عطاء من لايخاف الفقر. اما

(١) ابن الكازروني، ص ٢٤٢؛ السيوطي، ص ٤٤٨.

ابن الاثير فيقول عنه : « . . . كان ا لناصر سيّئ السيرة ، خربت في ايامه العراق لما احدثه من الرسوم واخذ اموالهم واملاكهم ، وكان يفعل الشيء وضده . . .»[٢] . واما الدكتور فاروق عمر فوزي فيسميه بالخليفة الداهية[٣] واشتهر الخليفة الناصر باحداث تنظيم «الفتوّة» على قواعد واسس جديدة ، حتى عُرفت باسمه ودُعيت «الفتوّة الناصرية»[٤] .

في عهد خلافته الطويل ، دارت احداث هامة في العاصمة وفي المناطق الاخرى من البلاد . ففي بدء عهده ، اتّخذت اجراءات ضد الحانات ، وحمل بعضُ المتزمتين الخليفة على إبعاد المسيحيين عن المناصب الرسمية في الدولة ، وذلك لاسباب عديدة ، منها فساد ا لموظفين المسيحيين وتعجرفهم ، او ان الخليفة اعتبر وجود المسيحيين في المناصب الرفيعة اهانة للمسلمين . مهما يكن من امر ، فقد ادّى ذلك الى إبعاد الكثيرين منهم ، وبلاخص أُسرة النظام وابن الاشقر من ديوان الارض ، بالرغم من تدخّل الوزير المفوّض ابن البخاري لصالحه . وغيرهم اعتنقوا الاسلام لكي يحافظوا على مناصبهم وأموالهم .

وبالرغم من كل هذه الاجراءات ضد المسيحيين ، فقد واصل الاطباء المسيحيون عملهم بالقرب من الخليفة وبلاطه . فيذكر ابن العبري[٥] من اطباء الدار الامامية الناصرية صاعد بن هبة الله بن المؤمل ابو الحسن النصراني الحظيري (او النيلي) واخاه ابا الخير الاركيذياقون ، وهما اخوا الجاثليق المعروف بابن المسيحي . اما صاعد فخدم الخليفة الناصر وتقرّب قرباً كثيراً ، وكانت له المعرفة التامة بالطب والمنطق ، وصنف كتاباً صغير الحجم سماه «الصفوة» . واما الاركيذياقون ، فكان ايضاً فاضلاً ، وصنف كتاباً مختصراً لخّص فيه مباحث كتاب الكليات من القانون ، سماه «الاقتضاب» ، ثم اختصره وسمى هذا المختصر «انتخاب الاقتضاب» . ويروى ان اباه حمله وهو حديث السن الى ابن التلميذ ليشغله . فقال هذا ابنك صغير جداً . فقال : غرضي التبرك منك . فأقرأه المسألة الاولى من مسائل حنين . . . اما ابناء هؤلاء الاطباء فلم ينالوا من الشهرة ما ناله آباؤهم . فنجد الطبيب ابا الفرج المسيحي في خدمة الخليفة الناصر . ولدى موته

---

(٢) **الكامل** ١٢، ص ٤٤٠.

(٣) طالع كتابه **الخليفة الداهية الناصر لدين الله العباسي** ، بغداد ، ١٩٨٩.

(٤) طالع عنها سعيد الديوه جي ، **الفتوّة في الاسلام** ، ١٩٤٠؛ احمد امين ، **الفتوّة والصعلكة**،١٩٥٢؛ مصطفى جواد ، في **مجلة المجمع العلمي العراقي** لسنة ١٩٥٨.

(٥) **ت . م . د** .، ص ٤١٦؛ طالع ايضاً ابن ابي أصيبعة ، ص ٤٠٣– ٤٠٥.

سنة ١٢٠٤، جرت دفنته ليلاً بأبهة كبيرة وحضرها جمع غفير من المسيحيين مع كثير من الفنود . . . وذات مرة لم يستطع الطبيب ابو الخير ان يشفي الخليفة الناصر من ألم في مثانته ، فجاء طبيب مسيحي آخر يُدعى أبا نصر سعيد بن عبسى[٦] ، ووضع على الموضع بلسماً أذاب الحصى وشفي الخليفة . فغمره الخليفة بالهبات ، وكذلك فعلت زمرد خاتون زوجة الخليفة واولاده . وخصص له الناصر مرتباً سنوياً حتى موته .

وكان هؤلاء الاطباء ، بالاضافة الى خدمتهم في البلاط ، يقومون بممارسة الطب في البيمارستان العضدي الشهير في بغداد .

ومن بين الشخصيات البارزة في العلم والطب الذين عاصروا الخليفة الناصر وماتوا في عهده ، كان الطبيب الشهير والرياضي العظيم موسى بن ميمون اليهودي الاندلسي الذي أكره على الاسلام ، فاظهره وأسرّ اليهودية . وتوفي سنة ١٢٠٩ في هرات الامام الفخر الرازي محمد بن عمر المعروف بابن الخطيب بالري . وفي سنة ١٢١١، توفي المسيحي ابن ابي البقاء النيلي نزيل بغداد وكنيته ابو الخير ويُعرف بابن العطار ، وكان خبيراً بالعلاج . اما ابنه الطبيب ابو علي ، فقد تورط في مشاكل غرامية وساءت سمعته[٧] . وفي سنة ١٢٢٣، قُتل ابو الكرم صاعد بن توما النصراني الطبيب البغدادي الذي كان يُلقّب بأمين الدولة[٨] . ويذكر الدكتور فاروق عمر في عهد الخليفة الناصر شاعراً نسطورياً هو عبد المنعم المصري الذي عمل سفيراً للخليفة في عدة مناسبات[٩] .

وتوفي الخليفة الناصر في ٦ تشرين الاول سنة ١٢٢٥، ودُفن في ايوان دار الصخر ، ثم نقل تابوته الى ترب الرصافة فدُفن فيها الى جانب جده المستنجد .

- **احتلال اورشليم سنة ١١٨٧** اننا لا نتناول هذا الحدث بتفاصيله التي وردت في معظم كتب التاريخ التي تتطرق إلى الحروب الصليبية ، وان كان كل مؤرخ ينظر عادة الى الاحداث من زاويته الخاصة او من خلال منظوره الديني او العنصري البعيد عن الموضوعية التاريخية . فهناك من يقول ان هذا الاحتلال تمّ بطريقة سلمية[١٠] ،

---

(٦) ابن ابي أُصيبعة ، ص ٢٩٨، ٣٠١- ٣٠٢.
(٧) **ت . م . د .**، ص ٤١٩- ٤٢٠.
(٨) الموضع عينه ، ص ٤٢١-٤٢٢.
(٩) طالع **الخليفة الداهية** ، ص ٧٩.
(١٠) ابن العبري ، **ت . س .**، ص ٣٧٥- ٣٧٧.

وغيره من يقول ان الامر جرى في بحر من الدماء والجرائم[١١] . . . الواقع أن المسلمين والمَسيحيين كانوا قد اعادوا نوعاً من التعايش السلمي المشوب بالحذر والخوف في المناطق التي يحتلها الفريقان من الشرق الادنى . وكان كل فريق يحاول توسيع رقعة نفوذه والاستيلاء على المزيد من المواقع . وقد لعب صلاح الدين الايوبي دوراً حاسماً في هذا الشأن بفتوحاته المتلاحقة وانتصاراته الحاسمة على المناوئين له من المسلمين والمسيحيين .

وجاءت سنة ١١٨٧ ، وحاصر صلاح الدين بيت المقدس حصاراً شديداً ، الى ان اضطر الاهلون الى الاستسلام . فدخلها جيش صلاح الدين . وجرت فيها احداث يندى لها الجبين خجلاً وألماً ، بالرغم من شهامة صلاح الدين . اذ لا بد لكل حرب من ان ترافقها اعمال تعسفية من جراء الاطماع والاندفاع وغريزة الانتقام . فقد تعرضت المدينة المقدسة للسلب والنهب والتخريب ، ما خلا كنيسة القيامة الكبرى التي وضعوا حراساً عليها ، بغية الاستفادة منها . اذ كانوا يأخذون عشرة دنانير من كل مسيحي يدخلها للسجود امام القبر المقدس . اما ميخائيل السرياني فيقول ان ابواب هذه الكنيسة كانت مغلقة ، وكان المسيحيون يصلّون امامها[١٢] .

ولم يُظهر المسيحيون في ما بين النهرين اهتماماً كبيراً بانتصارات الصليبيين ولا بسقوط بيت المقدس بأيدي المسلمين ، ولا باستعراض الفرسان الفرنج الأسرى بحالة الذل والهوان في شوارع بغداد . الا ان ما اثار غضبهم وحزّ في نفوسهم هو ان صلاح الدين ارسل سنة ١١٨٩ ، قبيل وفاته ، الى الخليفة في بغداد ، الصليب الذي كان قد رُفع فوق قبة الصخرة في القدس . فان هذا الصليب الذي كان من البرنز الموشى بالذهب دُفن عند مدخل باب بغداد المُسمى باب النوبي الشريف ، وكان جزء منه ظاهراً بحيث يتسنى للمارين ان يطأوه باقدامهم وان يبصقوا عليه[١٣] .

الا ان خبر احتلال اورشليم اثار موجة من الاضطهادات على المسيحيين ، خاصة في المنطقة الغربية . ويرنّ صداها في ما كتبه ميخائيل السرياني الكبير في نهاية حياته ، وقد شاهد هذه الاحداث الاليمة وعانى منها شعبُه السرياني في كل مكان . فهو يقول

---

(١١) **تاريخ الرهاوي المجهول** ، النص الآرامي الذي نشره شابو في **ج . ك . م . ش** ،. المجلد ٨٢ – **الكتبة السريان** ٣٧، الرقم ٤٨٤، ص ١٩٩–٢٠١، ولم ينشر هذا الرقم في الترجمة العربية التي قام بها مؤلف هذا الكتاب لاسباب قاهرة .

(١٢) **م . س** .، ٣، ص ٤٠٥.

(١٣) الزيات ، **الصليب في الاسلام** ، ص ١٠.

في تاريخه الذي ينتهي سنة ١١٩٥ : «ان الكلام لعاجز عن التعبير عن جميع الاهانات والمذلات والاحتقار التي سامها المسلمون الشعب المسيحي المضطهَد ، في دمشق وحران والرها وآمد (ديار بكر) وماردين والموصل وفي سائر انحاء المملكة» .

وكان من شأن هذه الاحداث كلها ان توسع شقة الخلاف بين المسلمين والمسيحيين . وقريباً ستنفجر هذه الاحاسيس المليئة مرارة ، لدى دخول المغول الى بغداد سنة ١٢٥٨ .

فلا عجب ، والحالة هذه ، ان نرى بعضاً من المسيحيين ، في غمرة يأسهم المرير ، يتخاذلون ويتخلّون عن ديانتهم ، مثل طبيب صلاح الدين ، المسيحي المدعو موفق اسعد الدمشقي المعروف بابن المطران ، الذي اعتنق الاسلام في سبيل الغنى والجاه . فأزوجه صلاح الدين احدى امائه . وبعد موته ، اضطرت ارملته وابنهما الى التسوّل على الابواب(١٤) .

وفي ٤ آذار سنة ١١٩٣ ، توفي صلاح الدين الايوبي في دمشق اثر نوبة حمى قوية ، وخلّف ١٧ ولداً وابنة صغيرة . ولم يوجد في خزينته بعد موته سوى دينار واحد و ٣٦ درهماً ، وذلك بسبب سخائه الفائض . ويُقال انه عند دنوّ أجله ، امر احد الامراء بان يرفع كفنه على رأس قصبة وان يطوف به في اسواق المدينة وينادي قائلاً : «ان الملك صلاح الدين ينتقل من هذا العالم ، ولا يأخذ من كل امواله سوى هذه قطعة الكفن !» .

٢. البطريرك يهبالاها الثاني ابن قيوما(١١٩٠-١٢٢٢)

هو ايليا ابن قيوما ، من اهل الموصل . أُقيم اسقفاً على ميافرقين ، ثم مطراناً على نصيبين . وبعد ان خلا الكرسي البطريركي نحو ثلاثة اشهر ، بموت ايليا الثالث ابي حليم ، اجتمع المطارنة لانتخاب خلف له . وكان مطرافوليط نصيبين رجلاً ذكياً وخبيراً بالمداراة(١٥) ، وشعر بان الاساقفة والبغداديين لا يريدونه ، فدفع لوالي بغداد مبلغ ٧٠٠٠ دينار . فاضطَرَّ الوالي الاساقفةَ الى اختياره(١٦) ، ورُسم في الاحد الثالث من سابوع الرسل سنة ١١٩٠ . ولكنه لم يرد السكنى في القلاية البطريركية في دار الروم ، بل غادرها وسكن في بيعة العذراء المعروفة ببيعة العقبة ، في الجانب الغربي من المدينة (في العتيقة) . ورسم ١٨ مطراناً و٣٧ اسقفاً . ويقول صليبا ان النصارى في

(١٤) ابن العبري ، **ت . س** ، ص ٣٨٠.

(١٥) صليبا ، ص ١١٥.

(١٦) ابن العبري ، **ت . ك .** ، ٢، ٣٧٠ - ٣٧٢.

ايامه كانوا ينعمون بالراحة والعيش الهنيء[١٧] .

ولكن يجب ان ننظر الى هذه العبارة بشيء من التحفظ . فان «العلماء» المسلمين كانوا دوماً ينظرون بعين الحسد الى نجاح المسيحيين والى تسلمهم المهام الرفيعة في الدولة ، وكانوا غالباً ما يدفعون الخلفاء والحاكمين الى اتخاذ اجراءات للحدّ من نفوذ الذميين . وهذا ما جرى ايضاً في عهد الخليفة الناصر . فان ابن فضلان ، بعد ان درس الفقه على والده الذي كان يعلّم في المدرسة النظامية في بغداد ، ثم اكمل دروسه في خراسان ، خلف اباه بعد موته في التعليم في المدرسة النظامية سنة ١١٩٩. واذ ذاك وجّه الى الخليفة الناصر طلباً يقول فيه : «ان المذهب الشافعي يقتضي بان يكون ما يؤخذ من الذميين كل سنة معادِلاً لايجار سكناهم في «دار السلم» . واذ ليس ثمة حد اعلى معيّن ، فالحد الادنى هو دينار واحد . الا ان الذميين اغنياء . فمنهم من يكسبون في اليوم الواحد ، على حساب المسلمين ، ما يدفعونه عن سنة كاملة .» ثم يورد هذا «العالم» امثلة على الامتيازات الممنوحة للذميين فيقول : «ان ابن الخازن قيصر ابعد الفقيه المسلم ابن مهريز ووضع مكانه جبريل بن زطينا[١٨] اميناً للخزينة ، وعيّن ابن ساوا[١٩] في واسط . . .» . وبعد ان استشهد بالاجراءات الصارمة التي اتخذها الخلفاء علي وعمر ابن الخطّاب ، يواصل حديثه : « . . . ليس للذميين في اي موضع آخر حالة ووضع ومركز افضل مما لهم في بغداد . . .» . ثم ينبري الفقيه منتقداً جميع الذميين الذين يحققون ارباحاً طائلة ، من الاطباء الذين لهم الحرية في الدخول على العظماء في حين انهم ليسوا سوى مشعوذين حصلوا على شهادتهم دون ان يقرأوا اكثر من مسائل حُنين العشر وخمس وصفات من تذكرة شفاء العيون ، وغيرهم من التجار الذين يحققون ارباحاً كبيرة على حساب المسلمين ولكي يعيشوا حياة البذخ في الملذات والاكل والشرب . ان جميع هؤلاء الناس(الاغنياء اليوم) ظلوا مضطرين عبر الاجيال الى المذلة والى حمل الشارات المميزة . . .»[٢٠] .

ويبدو ان الخليفة الداهية اطّلع على ما جاء في طلب الفقيه دون ان يعيره اي

---

(١٧) صليبا ، ص ١١٥.

(١٨) وقد اعتنق ابن زطينا الاسلام قبل موته سنة ١٢٢٨.

(١٩) هو ابو الغنائم نصر بن ساوا .

(٢٠) فييه ، **المسيحيون السريان** . . .، ص ٢٦١- ٢٦٢. وفي هذه الفترة ، اي في مطلع القرن الثالث عشر ، يذكر الرهاوي المجهول حادثة جرت في قرية برطلة القريبة من الموصل ، حيث تعرض الخطيب المسلم لسوء معاملة من قبل رئيس القرية المسيحي . فراح الخطيب الى الموصل يرفع شكواه الى السلطات ، وهناك اثار بعضَ الغوغائيين الذين صبّوا نقمتهم على كنيسة التكريتيين في الموصل وعلى قلاية المفريان وعاثوا فيها

اهتمام . وهكذا فاننا نجد في السنوات الاولى من عهد الناصر مسيحيين عديدين يشغلون مناصب هامة في الدولة وفي البلاط . وسيعظم شأن واحد من هؤلاء المسيحيين ، ذلك الذي كان ابن فضلان يحتجّ ضده ، وهو ابو الغنائم نصر ابن ساوا المعروف باسمه المسيحي عبديشوع . فقد انتقل من ادارة واسط الى ادارة منطقتي الدجيل وداقوق ، حيث تولى زمام الامور بعد موت الامير علاء الدين الناصري . ولكنه اتُّهم سنة ١٢٠٧ بأنه هو الذي سبّب في موت سلفه . فحُكم عليه ، وقُطعت اولاً يداه ورجلاه ، ثم عُلّق امام دار الامير المتوفى . وعبثاً بذل مبلغ ١٠٠٠٠ دينار في سبيل النجاة . ويعتبره صليبا[٢١] شهيداً . وكان مسكن ابن ساوا يقع في درب القيار حيث كانت توجد ايضاً مدرسة للفقهاء الحنبليين . فهل كان لجيرانه ضلع في هذه التهمة ؟ مهما يكن من امر ، فان ابن ساوا أُعدم ، وأُعطيت داره لشخص آخر سنة ١٢٠٩[٢٢] .

الا ان هذا الحادث لا يعني اضطهاداً للمسيحيين بصورة شاملة . ولكن لم يعد للمسيحيين شأن كبير في الحياة العامة ، على صعيدَي المعتقد والسياسة . اما على الصعيد العام ، فنلاحظ ان الخليفة الناصر يلغي في سنة ١٢٠٧ الضرائب المفروضة على الشراء ، ويأمر باقامة ملاجئ فيها يُطعَم الفقراء مجاناً . ولكن الخليفة كان متقلب المزاج . اذ سرعان ما اصدر اوامر معاكسة تقضي باغلاق الملاجئ وبفرض الضرائب من جديد .

وفي هذه الفترة ايضاً ورد ذكر الطبيب المسيحي علي بن احمد ابو الحسن المعروف بأبن هبل ، وهو تلميذ اليهودي ابي البركات . وكان من اهل بغداد عالماً بالطب والادب ، ثم جاز الى الموصل وخرج الى اذربيجان واقام بخلاط عند صاحبها شاه ارمن يطبّه ، وقرأ الناس عليه . وخرج وعاد الى الموصل ، وقد تموّل ، فاقام بها الى حين وفاته ، وصنف كتاباً حسناً في الطب سماه «المختار» يجيء في اربعة مجلدات . وتوفي سنة ١٢١٣ عن عم يناهز الخامسة والتسعين[٢٣] .

ومضت عشر سنوات من الهدوء والراحة للمسيحيين . ومات يهبالاها الثاني في

فساداً ، وكاد الامر يؤدي الى اضطهاد سافر ، لو لم توقف السلطات هذه الفوضى عند حدها (طالع **تاريخ الرهاوي المجهول** ٢، ص ٢٣٩ من الترجمة العربية) .

(٢١) في **المجدل** ، ص ١١٥.

(٢٢) فييه ، **المسيحيون السريان** . . .، ص ٢٦٢. حاشية ٤٧.

(٢٣) ابن العبري ،**ت . م . د** .، ص ٤٢٠؛ **ت . س** .، ص ٤٢٦- ٤٢٧.

نهاية كانون الثاني سنة ١٢٢٢ ، بعد ان خدم الكنيسة اكثر من احدى وثلاثين سنة . وذُفن في كنيسة العتيقة للقديسة مريم المعروفة ببيعة العقبة .

٣. البطريرك سبريشوع الرابع ابن قيوما(١٢٢٢-١٢٢٥)

هو من الموصل ، ويُعرف بابن قيوما ، لانه ابن اخي البطريرك السابق يهبالاها الثاني . وقد رسمه عمه اسقفاً على بانوهدرا ، ثم اقامه مطراناً على حزة واربيل[٢٤] . وبعد موت يهبالاها ، اجتمع المطارنة للانتخاب . ولكن كل واحد منهم كان يريد الرئاسة لنفسه . اما المؤمنون فقد انقسموا الى فريقين . فالفريق الاول ، وهو الاقل ، اختار سبريشوع ابن المسيحي لعلمه وفضله وقدسه ، ولاجل اخوته الحكماء الفضلاء . اما الفريق الآخر ، وهو الاكثر ، فقد اختار سبريشوع ابن قيوما . وكان هذا الاخير قد تدرّب على الادارة الكنسية لدى عمه البطريرك السابق ، وصارت له خبرة واسعة في الشؤون الادارية . اما ابن العبري فيقول ان ابن قيوما توصل الى الرئاسة مثل سلفه بدفع رشوة للحاكم قدرها ٧٠٠٠ دينار ، وكان الوسيط في هذه المساومة الطبيب اليعقوبي امين الدولة[٢٥] . الا ان ابن العبري لا يتّسم عادة بالعطف على النساطرة ، بل يحاول تجسيم اخطائهم دوماً . مهما يكن من امر ، فان الفائز كان سبريشوع ابن قيوما الذي نال تأييد الخليفة الناصر ، ورُسم بطريركاً في المدائن في اليوم الاخير من شهر تموز سنة ١٢٢٢. ثم قام بالزيارات التقليدية الى الاديرة والكنائس وعاد الى بغداد حيث عكف على الادارة حتى موته في ١١ حزيران سنة ١٢٢٥، وذُفن بالقرب من عمه في بيعة السيدة المعروفة ببيعة العقبة .

اما الوسيط الذي ذكره ابن العبري ، فهو ابو الكرم صاعد بن توما النصراني البغدادي الملقب بأمين الدولة . وكان قد صار طبيباً وسكرتيراً ووزيراً لدى نجم الدولة ابي اليُمن نجاح الشرابي . ثم تقدم في ايام الخليفة الناصر حتى اصبح في منزلة الوزراء ، واستوثقه على حفظ امواله وخواصه ، وكان يودعها عنده ، ويرسله في امور خفية الى الوزير . وكان حسن الوساطة جميل المحضر ، تُقضى على يده حاجات الناس . الا ان امين الدولة اغتيل وهو في أوج مجده ، وذلك سنة ١٢٢٣. اما سبب هذا الاغتيال ، فقد ذكره ابن العبري[٢٦] بقوله : «كان الامام الناصر في آخر ايامه قد

(٢٤) صليبا ، ص ١١٦.
(٢٥) ابن العبري ، **ت . ك .**، ٢، ٣٧٢.
(٢٦) في **ت . م . د .**، ص ٤٢١- ٤٢٢.

ضعف بصره وادركه سهو في اكثر اوقاته . ولما عجز عن النظر في القصص ، استحضر امرأة من النساء البغداديات تُعرف بست نسيم وقربها . وكانت تكتب خطاً قريباً من خطه ، وجعلها بين يديه تكتب الاجوبة وشاركها في ذلك خادم اسمه تاج الدين رشيق . فصارت المرأة تكتب في الاجوبة ما تريد ، فمرة تصيب ومراراً تخطئ . واتفق ان كتب الوزير القمّي المدعو بالمؤيد مطالعة ، وعاد جوابها وفيه اخلال بيّن . فتوقف الوزير وانكر ، ثم استدعى الحكيم صاعد بن توما ، وسأله عن ذلك سراً . فعرّفه ما الخليفة عليه من عدم البصر والسهو الطارئ في اكثر الاوقات ، وما يعتمده المرأة والخادم من الاجوبة . فتوقف الوزير عن العمل باكثر الامور الوارد عليه . وتحقق المرأة والخادم ذلك وحدسا ان الحكيم هو الذي دلّه على ذلك . فقرر رشيق مع رجلين من الجند ان يغتالا الحكيم ويقتلاه ، وهما رجلان يعرفان بولدي قمر الدين من الاجناد الواسطية . فرصدا الحكيم في بعض الليالي الى ان خرج من دار الوزير عائداً الى دار الخليفة . فتبعاه الى باب الغلّة المظلمة ، ووثبا عليه بسكينيهما وجرحاه وانهزما . فبصر بهما وصاح : خذوهما ! فعادا اليه وقتلاه وجرحا النفّاط الذي بين يديه . وحُمل الحكيم ابن توما الى منزله ودُفن بداره في ليلته . وبعد تسعة اشهر نُقل الى تربة آبائه في البيعة بباب المحوّل . فبحث الخليفة والوزير عن القاتلين ، فعُرفا ، وامر بالقبض عليهما . وفي بكرة تلك الليلة ، أُخرجا الى موضع القتل ، وشق بطنهما وصُلبا على باب المذبح المحاذي لباب الغلّة التي جُرح في بابها» . والغريب ان الخليفة استحوذ على اموال المتوفى المنقولة ، وترك الاثاث (ما يساوي مليون دينار) لابنائه الثلاثة الشهيرين : شمس الدولة وفخر الدولة وتاج الدولة .

٤. الخليفة الظاهر (١٢٢٥-١٢٢٦)

هو ابو نصر محمد ابن الخليفة الناصر المعروف بالظاهر بأمر الله . وامه تركية اسمها «اخشو» وقيل «بقجة»(٢٧) . ويقول ابن العبري(٢٨) ان الخليفة الناصر بايع للظاهر بولاية العهد ، ثم عدل عن ذلك ، فأسقط اسمه من ولاية العهد واعتقله وضيّق عليه ، ومال الى اخيه الاصغر ابي الحسن علي . لكن هذا الاخير مات في حياة والده وخلّف اولاداً صغاراً . وعلم الناصر انه لم يبقَ له ولد تصير الخلافة اليه غير الظاهر ، فعهد اليه وبايع له الناس وهو في الحبس . وكانت عامة اهل بغداد يميلون

(٢٧) ابن الكازروني ، ص ٢٥٤.
(٢٨) **ت . م . د .**، ص ٤٢٢؛ راجع ايضاً فاروق عمر ، **الخليفة الداهية** ، ص ٨٧-٨٨.

اليه . فلما توفي الناصر ، اخرجه ارباب الدولة وبايعوه بالخلافة . وقال لما بويع : « كيف يليق ان يفتح الانسان دكاناً بعد العصر ؟ قد نيّفت على الخمسين سنة واتقلّد الخلافة ! »

احسن الخليفة الظاهر الى الرعية وابطل المكوس وازال المظالم وفرّق الاموال . وتقدّم الى ارباب الدولة بالعدل والانصاف ، والى ولاة السواد بتخفيف الوطأة وانصاف المعاملين والاحسان اليهم والرفق بهم . وكان كثير التردد الى المارستان والتطلع على احوالهم . وأظهر من العدل والانصاف ما اعاد به سنّة العمرين[٢٩] .

وفي عهده القصير ، عقد لبغداد جسراً ثانياً ، وانفق عليه مالاً كثيراً . فصار في بغداد على دجلتها جسران . وكان عهد الظاهر من احسن العهود عدلاً واماناً ورخاءً ، بالرغم من المجاعة والوباء اللذين اجتاحا البلاد في مطلع عهده .

وتوفي الخليفة الظاهر سنة ١٢٢٦ ، ولم يمضِ في الخلافة سوى تسعة اشهر واربعة عشر يوماً .

٥ .البطريرك سبريشوع ابن المسيحي (١٢٢٦-١٢٥٦)

هو من اهل بغداد ، وقد جاء ذكره كمنافس لابن قيوما على البطريركية . عكف سبريشوع منذ حداثته على حياة الزهد وعلى قراءة الكتب ، وكان حسن الخلق عالماً ، عابداً ، كثير المحاسن ، صبوراً[٣٠] . وأُقيم مطراناً على باجرمي . وبعد ان شغر الكرسي البطريركي نحو سنة بعد موت أبن قيوما ، اتفق الآباء والمؤمنون على انتخابة بصورة شرعية وقانونية ، وان كان ابن العبري يقول إن الامر تمّ بدفع مبلغ من المال الى السلطات . ورضي الخليفة بهذا الانتخاب ، فأُقيم بطريركاً في المدائن في الاحد الجديد الواقع في ٢٦ نيسان سنة ١٢٢٦. وعاد الى بغداد ، بعد ان قام بالزيارات المعتادة الى دير مار ماري . ويمتدح صليبا ادارة سبريشوع الحكيمة ، اذ يقول عنه انه كان مهتماً باقامة المدارس والانفاق عليها وعلى المعلمين . وقد رسم ٧٥ مطراناً واسقفاً ، بالاضافة الى عدد كبير من الكهنة والشمامسة . ويضيف صليبا ان البطريرك سبريشوع لم يأخذ من احد شيئاً على سبيل الرشوة ، ولا بمثابة هبة ، عملاً بقول الانجيل : « مجاناً اخذتم مجاناً اعطوا ! »

كانت مدة رئاسته نحو ٣١ سنة . ويبدو انها جرت في جو من الهدوء ، بالنظر الى علاقات أسرة ابن المسيحي الطيبة بالبلاط وبالاطباء الآخرين .

---

(٢٩) ابن الكازروني ، ص ٢٥٦؛ السيوطي ، ص ٤٥٨.
(٣٠) صليبا ، ص ١١٧- ١١٩؛ ابن العبري ، **ت** . **ك** .،٢، ٣٧٢، ٤٠٠- ٤٠٢.

وجرى حادث مؤسف في تكريت في مطلع عهد هذا البطريرك ، اي في نحو سنة ١٢٢٦ ، في ايام الخليفة الظاهر . فقد اراد المفريان اغناطيوس داود ان يزور تكريت التي كانت مركزاً هاماً للمنوفيزيين . واستقبلته جماعته المسيحية القليلة الباقية هناك استقبالاً رائعاً . الا ان قوماً من اهل المدينة وشوا به لدى الخليفة . فأمر هذا بنهب بيوت المسيحيين هناك . وفرضت سلطات تكريت على المفريان وعلى وجهاء طائفته غرامة قدرها ٢٠٠٠٠ درهم واودعهم السجن . ولم يُطلق سراحهم الا بتدخل من الاتابك لؤلؤ الذي لا بد انه نال ايضاً حصته من الاموال[٣١] .

عاش سبريشوع ابن المسيحي في ظل الخلفاء العباسيين الثلاثة الآخيرين . وتوفي في ٢٠ ايار سنة ١٢٥٦ ، اي قبل سقوط بغداد بسنتين . ودُفن في كنيسة الكرخ . وبهذه المناسبة ، يزوّدنا صليبا بتفاصيل المراسيم التي يجب ان تُراعى في دفن البطريرك[٣٢] .

٦. الخليفة المستنصر (١٢٢٦-١٢٤٢)

هو جعفر المنصور ابن الظاهر المعروف بالمستنصر بالله . امه رومية اسمها شيرين[٣٣] ، وقيل تركية[٣٤] . بويع له يوم وفاة والده الخليفة الظاهر . فنشر العدل في الرعايا وبذل الانصاف في القضايا وقرّب اهل العلم والدين . وهو الذي أنشأ المدرسة المستنصرية على دجلة من الجانب الشرقي من بغداد ، ما بني على وجه الارض احسن منها[٣٥] ، ونقل اليها مائة وستين حملاً من الكتب النفيسة . وأجاز فيها المذاهب الاربعة واقام لكل مذهب شيخاً يدرّسه ، و ٣٠٠ فقيه يتوزعون على المذاهب الاربعة ، وزوّدهم بالاكل والشرب ومختلف وسائل الراحة ، حتى انه بنى داخل المدرسة حمّاماً خاصاً بسكانها وطبيباً خاصاً يتردد اليهم كل صباح .

ومنذ انشاء المدرسة المستنصرية ، انتقل اليها ابن فضلان . وفي سنة ١٢٢٨ ، سلّم اليه «ديوان الموالي» والاوقاف وغيرها من المناصب الرفيعة ، حتى توصل الى رتبة «المحتَسِب» لدار الاسلام كلها . وأتيحت له الآن الفرصة لكي يعامل الذميين على هواه ، ولكي يفرض عليهم شروطاً قاسية تحط من كرامتهم . فاقتضى مثلاً ان يأتي

---

(٣١) ابن العبري ، **ت . ك .** ، ٣ ، ٣٩٠ .

(٣٢) صليبا ، ص ١١٨- ١١٩ .

(٣٣) ابن الكازروني ، ص ٢٥٨ .

(٣٤) السيوطي ، ص٤٦٠ ، وقيل اسمها «اخشو» .

(٣٥) السيوطي ، ص ٤٦١ ؛ ابن العبري ، **ت . م . د .** ، ص ٤٢٥ .

كل ذمي بنفسه في وضح النهار وهو يحمل جزيته في يده ويظل واقفاً الى ان يدْفعها للمسؤولين . ولم يستثنِ من هذه القاعدة حتى اولئك الذين كانت لهم الحظوة لدى الخليفة ، مثل الاركيذياقون ابي علي ابن المسيحي . ولا يذكر لنا التاريخ هل كان هذا الاجراء التعسفي دافعاً لبعض المسيحيين الى الاجتياز الى الاسلام . مهما يكن من امر ، فان هذه الحالة انتهت بموت ابن فضلان سنة ١٢٣٣.

وهكذا تستمر الحالة السياسية والدينية في تأرجح في بغداد ، بينما كان التتر على الابواب يهددون بغزو البلاد . وقد استطاعوا ، حسب شهادة ابن الاثير[٣٦] الذي انهى تاريخه في نحو سنة ١٢٣١، ان يقتحموا مناطق كركوك . وبالرغم من كل شيء ، فقد استطاع بعض المسيحيين ان يصلوا الى مناصب هامة . ففي سنة ١٢٣٢، تمكن المسيحي هبة الله بن زطينا ، بتأثير من ابن حاجب قيصر ، ان يخلف اباه في الديوان ، دون ان يعتنق الاسلام مثل ابيه . فأقيم هبة الله «كاتب السكة» . وفي سنة ١٢٣٦، قام مجاهد الدين ايبك بتعيين ماري بن صاعد بن توما تاج الدولة وكيلاً له . وهكذا فان مستقبل المسيحيين كان منوطاً بذمة الحكام والسلاطين ، دون اي ضمان أكيد .

وفي سنة ١٢٤٢، توفي الخليفة المستنصر بالله بعد حكم دام سبع عشرة سنة[٣٧] .

٧. الخليفة المستعصم (١٢٤٢-١٢٥٨)

هو ابو احمد عبدالله ابن المستنصر المعروف بالمستعصم بالله ، آخر الخلفاء العباسيين . وامه ام ولد اسمها هاجر . وبويع له بالخلافة عند موت ابيه . ويصفه الشيخ قطب الدين[٣٨] بانه كان متديناً متمسكاً بالسنّة مثل ابيه وجده ، دون ان يكون مثلهما في التيقظ والحزم وعلو الهمة . في حين ان ابن العبري[٣٩] يقول انه «كان صاحب لهو وقصف شغف بلعب الطيور واستولت عليه النساء . وكان

(٣٦) **الكامل** ١٢، ص ٤٩٧- ٥٠٣.

(٣٧) وهناك من يقول ان المستنصر لم يمت في هذه السنة ، بل أودع السجن في بغداد . وفي سنة ١٢٥٨ اطلق التتر سراحه فعاش مدة فيما بينهم في الشطر الغربي من العراق . ثم ذهب الى مصر حيث استقبل في القاهرة في ١١ آب ١٢٦٠ من قبل السلطان الملك الظاهر . ومن بين الذين اشتركوا في استقباله هناك ورد ذكر المسيحيين «وهم يحملون الانجيل» . وربما قُتل الخليفة سنة ١٢٦١ او ١٢٦٢، خلال معركة جرت ضد قربوغا ، حينما حاول الخليفة استعادة بغداد من يده . . . ولكن قد يكون في هذه الرواية التباس بين هذا الخليفة واحد الهاربين من قرابة الخليفة المستعصم ابّان استيلاء المغول على بغداد ، كما سنورد ذلك في الصفحات التالية .

(٣٨) في السيوطي ، ص ٤٦٤.

(٣٩) في **ت . م . د .**، لابن العبري ، ص ٤٤٥- ٤٤٦.

ضعيف الرأي قليل العزم كثير الغفلة عما يجب لتدبير الدول . وكان اذا نبّه على ما كان ينبغي ان يفعله في امر التاتار : اما المداراة والدخول في طاعتهم وتوخّي مرضاتهم ، او تجيّش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبل تمكّنهم واستيلائهم على العراق . فكان يقول : انا بغداد تكفيني ، ولا يستكثرونها لي اذا نزلت لهم عن باقي البلاد ، ولا ايضاً يهجمون عليّ وانا بها ، وهي بيتي ودار مقامي» . وكان للخليفة الراحل المستنصر يعرف بالخفاجي يزيد عليه بالشجاعة والشهامة ، وكان يقول : ان ملّكني الله الامر لأعبرنّ بالجيوش نحو جيحون وانزع البلاد من التتار واستأصلهم . ولكن حين توفي الخليفة المستنصر ، لم يرد الوزير مؤيد الدين العلقمي الرافضي ولا مقدم الجيوش العباسية شرف الدين اقبال الشرابي مع كبار الدولة ، تقليد الخفاجي الامر ، وخافوا منه ، وآثروا المستعصم للينه وانقياده ، وكان الوزير العلقمي متواطئاً في السر مع التتار[٤٠] .

واخذت الحالة السياسية تزداد تأزماً ، والخليفة لا يبالي بما يجري من حوله من الدسائس وبما ترده من اخبار تقدّم جيوش المغول واستيلائهم على مناطق عديدة من ممكلته ، وكأن الأمر لا يهمه كثيراً . . . وشرع جواسيس هولاكو يجرون إتصالات مع الوزير العلقمي ، وحكام المقاطعات يستغلون ضعفَ الادارة المركزية لاطلاق العنان لجشعهم على حساب الضعفاء ، ومنهم المسيحيون الذين اثقلت الضرائبُ كواهلَهم . . .

٨. البطريرك مكيخا الثاني (١٢٥٧-١٢٦٥)

قلنا ان البطريرك سبريشوع ابن المسيحي توفي في ٢٠ ايار سنة ١٢٥٦، بينما كانت الظروف السياسية توشك بالانفجار . وقد ختم ابن صالحية على جميع ما في القلاية البطريركية . وبعد دفن البطريرك بثلاثة ايام ، جاء والي بيت مال المسلمين وكسر الاختام واستولى على كل ما في القلاية من الكتب والبيرونات واحضرها قدام الخليفة الذي ردّ الكتب ووهب البيرونات لابن وحيد واشتُريت منه من مال الوقف وأُعيدت الى القلاية البطركية[٤١] .

في تلك الظروف الحرجة ، جرى انتخاب البطريرك الجديد . وكان كل من الناخبين يريد الرئاسة لنفسه . فمن الناس مَن اختار ايليا الناطر مطران جنديسابور ،

(٤٠) ابن الكازروني ، ص ٢٦٦؛ السيوطي ، ص ٤٦٤- ٤٦٥.
(٤١) صليبا ، ص ١٩٩.

ومنهم مكيخا مطران نصيبين ، ومنهم دنحا مطران اربيل ، والاقل مع عبديشوع مطران الموصل . وظل الخلاف سائداً طوال عشرة شهور[٤٢] .

ويزوّدنا ابن العبري بتفاصيل ما جرى في هذا الانتخاب . فقد اعتادت السلطات الحاكمة ان تمنح رضاها للبطريرك الجديد عن طريق المزايدة التي ارتفعت هنا الى مبلغ ٤٠٠٠٠ دينار . ويبدو ان دنحا مطران اربيل ابدى استعداداً لدفعها ، وقد اعطى ٤٠٠٠ دينار كمقدمة ، ريثما يتسنى له جمع المبلغ الباقي . ألا ان الطريق سُدَّ بوجهه ، اذ أُتُّهم بالتواطؤ مع التتر . وقيل للمسيحيين الذين وزع عليهم دنحا الاموال لحملهم على انتخابه : «حذارِ منه ، فانه سيستردّ منكم غداً ضعفَ ما دفعه لكم اليوم» ! ولقيت هذه التهم آذاناً صاغية لدى الخليفة واصحابه . فاستدعى المرشحين ، وابدى تفضيله لمكيخا الشيخ مطران نصيبين على دنحا مطران اربيل الشاب الذي عليه ان ينتظر دوره في وقت لاحق .

وكان مكيخا من اهل جوغباز من اعمال نصيبين ، ثم صار مطراناً لنصيبين ، وتمّ انتخابه بطريركاً في ربيع سنة ١٢٥٧ ، ونال مرسوم الخليفة ، ورُسم في المدائن في الأحد الخامس من الصوم الماراني(الكبير)[٤٣] . وبعد الزيارات المعتادة ، عاد الى القلاية البطريركية في بغداد . . .

٩ . سقوط الدولة العباسية (١٢٥٨)

أ) اسباب انحلال الخلافة العباسية

شهدت العهود الاخيرة من الخلافة العباسية ضعفاً في الادارة وفي السيطرة على مختلف ارجاء المملكة المترامية الاطراف ، مما ادى الى نشأة دول عديدة وامارات مستقلة في قلب الخلافة وعلى اطراف مناطقها . فالخليفة قد اضاع منذ مطلع القرن العاشر سلطته الفعلية حتى على بغداد نفسها .

اما الاسباب الحقيقية لهذا الضعف الذي ادى الى الانحلال التام والانهيار المؤسف للسلطة العباسية على البلاد ، فهي ان الكثير من الفتوحات الاسلامية لم تكن الا اسمية ، ولم تكن طريقة الحكم وما رافقها من اساليب الاستغلال لموارد البلاد وجباية الخراج ضامنة لاستقرار الحال وثباتها . كما ان الفوارق والحواجز بين طبقات الشعب – من العرب وغير العرب ، والعرب المسلمين والموالي ، والمسملين واهل

(٤٢) صليبا ، ص ١١٩- ١٢١. طالع ايضاً ابن العبري، **ت . ك .**، ٢، ٤٠٢، ٤٢٤- ٤٢٦.
(٤٣) صليبا ، ص ١٢٠.

الذمة ، الخ . . .- ظلت بارزة طوال تلك العهود . وظلت العصبية القبلية متأصلة في نفوس العرب ذواتهم تثير الضغائن بين اهل الشمال والجنوب . ولم تتم عملية الامتزاج بين الفرس الايرانيين والترك الطورانيين والبربر الحاميين وبين العرب الساميين . وظهر ضمن نطاق الدين نفسه من النزعات المتنافرة ما لا يقل عن الاحزاب السياسية اثراً في تمزيق الاواصر . ومن هذه النزعات نشأت الشيعة وحركة القرامطة(٤٤) وجماعة الحشاشين(٤٥) وغيرهم . . . ولم يعد للاسلام في ذلك العهد الاخير من القوة ما يساعده على جمع الكلمة بين ابنائه .

وكانت ثمة اسباب اخرى اجتماعية ومعنوية لهذا الانحلال . فقد اختلط العرق العربي الفاتح على مر الاجيال بعرق المغلوب ، مما افقد العرق العربي صفات السيادة . وبانحطاط الروح القومية بين العرب ، ضعفت أنفتهم وقواهم المعنوية ، ولم يطل الامر بدولتهم حتى تسلمتها منهم الشعوب المغلوبة . وكان للتسري وما رافقه من نظام الحريم والخصيان واقتناء الجواري والغلمان اثر في تقويض معنويات الامة والحط من كرامة المرأة والرجل معاً . وادى هذا الامر الى تكاثر الابناء والبنات المولدين من امهات مختلفة في بلاط الخلافة ، واتّسع المجال للتحاسد والفتن والمنافسة . أضِفْ الى ذلك ضروب الترف والبذخ التي ألفوها ، والتفاتهم الى الشراب والغناء واللهو . وقد اثرت العوامل الاقتصادية كالخراج والتحكم في شؤون الامصار لمصلحة الطبقة الحاكمة في كساد الزراعة والصناعة ، بالاضافة الى عوامل الفيضانات والمجاعات والاوبئة . . . . فان هذه العوامل كلها أدّت الى انقطاع مجرى الحياة العقلية والانتاجات الفكرية(٤٦) .

(٤٤) القرامطة ، حركة دينية سياسية اجتماعية ، تُنسَب إلى حمدان قرمط من الباطنية الذي اصله من خوزستان ، وأقام في سواد الكوفة سنة ٨٧١ وبنى مقاماً دعاه «دار الهجرة» ، كما ذكرنا سابقاً ، وكثر اتباعه واشياعه الذين سيطروا على كثير من البلاد الاسلامية ، واستولوا على مكة سنة ٩٣٠، ونقلوا منها الحجر الاسود ، ثم ردوه اليها بعد ٢٢ سنة . انتزعوا دمشق من ايدي الفاطميين سنة ٩٧٠، وزحفوا اليهم في مصر ، فهزمهم المعز الفاطمي سنة ٩٧٢. وانتهى امر القرامطة على ايدي الامراء العيونيين في البحرين سنة ١٠٢٧. ويبدو ان هذه الحركة الغامضة كانت ذات نزعة اشتراكية .

(٤٥) الحشاشون او الحشيشية ، لقب أطلق على الاسماعيليين النزاريين اتباع الحسن ابن الصبّاح وخلفائه . والتسمية مأخوذة من الكلمة الفرنجية اي القتلة ، اطلقها عليهم الصليبيون لاشتهارهم بالاغتيالات . يبدأ تاريخهم باحتلال «ألموت» سنة ١٠٩٠ على يد الحسن ابن الصبّاح . واشتد نفوذهم بعد اغتيالهم الوزير السلجوقي نظام المُلك سنة ١٠٩٢. عمل السلاجقة على اخضاعهم عبثاً ، فاستولوا على قلاع مصياف وعليقة وقدموس (في سوريا) سنة ١١٤١. عرف رئيسهم بلقب «شيخ الجبل» . قضى عليهم المغول سنة ١٢٥٦-١٢٦٠، ووجّه اليهم السلطان بيبرس الضربة القاضية سنة ١٢٧٢ (طالع فاروق عمر ، **الخليفة الداهية** ، ص ٦٤-٦٧) .

(٤٦) راجع فيليب حتي ، **تاريخ العرب** (المطوّل) ٢، بيروت ١٩٦٥، ص ٥٨٠- ٥٨٢.

ب) زحف المغول

يجمع المؤرخون على ان غزو المغول للشرق الأوسط هو أفدح كارثة حلّت بالانسانية. ويعود الفضل في جمع المغول وتوحيد صفوفهم الى شخصية قوية هي شخصية «جنكيزخان» الذي استطاع ان يجتاح بجحافل المغول بلدان التمدن القديم في وحشية مدمِّرة ومتعطشة الى الدم[٤٧].

ج) مَن هو جنكيزخان (١١٥٥-١٢٢٧)

بدأت بعض القبائل الساكنة في قلب آسيا بالنزوح نحو المناطق الغربية. ومن بين هذه القبائل الاولى كانت قبيلة «قره خطاي» التي هاجرت بعد قبائل الهون (الهياطلة)، في حين ان انسباءَهم ظلوا في منغوليا الحالية وفي جنوبي سيبيريا. واطلق اهلُ الصين على هؤلاء الاقوام اسم التتار او التتر. وكان المرسلون النساطرة قد نشروا الديانة المسيحية فيما بينهم. فتنصرت خاصة قبائل «الكرايت». وفي سنة ١١٥٥، رُزق بيسوكاي ابناً سماه «تموجين». ونشأ هذا الغلام على همة عالية، واستطاع ان يجمع حوله نفراً من المغامرين، وان يخرج لغزو العشائر الاخرى. وكانت سلالة «كن» الصينية قد ابادت سنة ١١٦١ قبيلة من التتار تدعى «مغول». فاراد تموجين الثأر من الصينيين للمغول بني جنسه. وتمَّ ذلك له على مراحل. ففي سنة ١٢٠٣، اخضع قبائل منغوليا الشرقية كلها. وفي سنة ١٢٠٦ اخضع قبيلة «نايمان» المسيحية القوية في منغوليا الغربية. واذ ذاك خلع عليه احد الكهان الشامانيين لقب «جنكيزخان» الملكي، فعرف به عند الاجيال التالية. ثم عكف جنكيزخان على تدريب جيشه، وأخذ عن النايمان استعمال خط الاويغور في دواوين دولته الفتية. وبعد ان تمّ له تنظيم جيشه، هاجم امبراطورية سلالة «كن» في شمال الصين، واعاد الكرة عليها سنة ١٢١٥، فتمّ له فتح بكين... وفي زحفه نحو الغرب، التقى خوارزمشاه، واراد جنكيزخان اقامة علاقات طيبة معه، وارسل اليه ثلاثة تجار مسلمين للتفاوض معه، حاملين له هدايا نفيسة. الا ان خوارزمشاه قتل الموفدين بغباوته، مما اثار عليه سخط جنكيزخان الذي جمع نخبة جيشه وسار بها بنفسه الى خوارزم، يرافقه اولاده. فسقطت امامه المدن والقلاع الواحدة تلو الاخرى، ودمّر مدينة بخارى الشهيرة بعد حصار وجيز. ثم جاء دور سمرقند وغيرها من المدن

---

(٤٧) طالع كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الاسلامية ٤**، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، بيروت، ١٩٦٥، ص ٣٧٧- ٣٧٨.

الكبرى . وسيّر بعض كتائب من جيشه لتعقّب الشاه الذي فرّ من امامه والتجأ الى جزيرة في بحر الخزر ، وهناك توفي سنة ١٢٢١ . وحاول ابنه جلال الدين منكبرتي مقاومة جيوش جنكيزخان ، ولكنه لم يفلح في ذلك . اما سائر ملوك المسلمين وامرائهم ، سواء في ذلك الايوبيون في سوريا والسلاجقة في آسيا الصغرى ، فقد تنافسوا في التودّد الى المغول ، آملين أن يسمحوا لهم في الاقل بالاستقلال الداخلي في ظل السيادة المغولية .

وعلى اثر هذه الفتوحات الصاعقة ، عاد جنكيزخان الى موطنه الاصلي لاخذ قسط من الراحة . وهناك وافته المنية سنة ١٢٢٧ . وواصل ابناؤه فتوحات ابيهم . فتمّ لهم اخضاع اوربا الشرقية ، وفتحوا عاصمة البلغار وروسيا وبولندا والمجر ودلماسيا ما بين سنة ١٢٣٧ و ١٢٤٣ . ثم أُعلن «منكو» ، وهو احد احفاد جنكيزخان ، «خاناً» اعظم . فعهد منكوخان سنة ١٢٥٣ الى اخيه هولاكو بمهمة القيام باخضاع ما تبقى من بلدان الشرق الاوسط وفتح آسيا الغربية كلها . فغادر هولاكو بلاد المغول في جيش جرّار ، وهو يقصد القضاء على الحشاشين والخلافة معاً . فدمّر قلاع الاسماعيلية (الحشاشين) ، واسر زعيمها خورشاه سنة ١٢٥٦، ثم وصل همدان في السنة التالية . ومن هناك ارسل الى الخليفة العباسي المستعصم يتهدده ويتوعده مطالباً اياه بالاستسلام . لكن الخليفة رفض هذا الطلب .

د) سقوط بغداد سنة ١٢٥٨

كان الخليفة المستعصم محاطاً بمستشارين ارديا ء ، مثل الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي المتواطئ مع المغول . هؤلاء المستشارون حملوا الخليفة على اتخاذ موقف التصلّب والرفض الذي ادى الى الكارثة والدمار . . .

في كانون الثاني سنة ١٢٥٨ اشتبكت القوات العباسية بقيادة الدويدار الصغير مجاهد الدين ايبك مع القوات المغولية عند الدُجَيل ، وانتهت المعركة بتحطيم الجيش العباسي . وتقدم هولاكو من خانقين بالجيش المغولي الرئيسي المؤلف من ٢٠٠٠٠٠ محارب الى بغداد ، فنزل الجانب الشرقي منها ، واطبقت عليها قواته من جميع الجهات . ونجح المغول في اختراق السور من بعض المواضع . ولم يشعر الناس في بغداد الا ورايات المغول ظاهرة على سورها الداخلي من احد الابراج . وفشلت محاولات الخليفة في التوصل الى حل سلمي ، بعد فوات الاوان ، اذ اوفد الى هولاكو الوزير ابن العلقمي مع جاثليق النساطرة للمفاوضة بالصلح ، وكان لهولاكو

زوجة مسيحية تدعى دقوز خاتون . الا ان هولاكو رفض مقابلتهما . وما جاء اليوم العاشر من شهر شباط سنة ١٢٥٨، حتى اقتحمت عساكره المدينة ، واضطر الخليفة ، مع ثلاثمائة - وقيل ثلاثة آلاف - من خاصته وقضاته ، الى المجيء الى هولاكو خاضعين مستسلمين دون قيد ولا شرط . لكن هولاكو امر بقتلهم . وقيل ان الخليفة جُعل في غرارة ورُفس الى ان مات(٤٨) .ثم أطلق الفاتحون ايديَهم ببغداد واهلها قتلاً ونهباً وتمثيلاً سبعة ايام او تزيد ، حتى قضوا على اكثر سكانها ، ولم يستثنوا أسرة الخليفة ، ولم يميّزوا بين الرجال والنساء والاطفال ، حتى قيل ان عدد القتلى فيها بلغ ٨٠٠٠٠٠ نفس ، بل قيل الف الف (اي مليون) نفس . ولم يبق من اهل المدينة ومن التجأ اليها من اهل السواد الا القليل . وألقيت النار في المساكن واستولى الخراب على المدينة . فتراكم القتلى في الدروب والاسواق كالتلول ، عدا من ألقي من الاطفال في الوحل ومن هلك في القنى والآبار والسراديب ، فمات جوعاً وخوفاً . وثقل الهواء بما حمله من كريه رائحة الجيف المنتنة وأشلاء القتلى المطروحة في شوارع المدينة . بحيث اضطر هولاكو الى الابتعاد عن المدينة اياماً . ولعله كان ينوي اي يجعل بغداد مقراً له ، فلهذا لم يمعن فيها تخريباً امعانه في المدن الاخرى .

وبعد انتهاء عملية الاستباحة ، امر هولاكو باصلاح بعض ما خرّب وترميم الاسواق ورفع جثث القتلى من الناس والحيوان . ثم رحَل من المدينة ، بعد ان فوّض امرها الى جماعة معيّنة لاعادة تنظيمها ، وابقى على التشكيلات الادارية كما كانت في العصر العباسي الاخير . ولاول مرة في تاريخ الاسلام ، اضحى العالم الاسلامي دون خليفة يُدعى له على المنابر في صلاة الجمعة . وقد تمكن نفر من أسرة الخليفة المستعصم بالله من الهرب الى مصر . وهناك رفع السلطان بيبرس احدَهم على العرش كخليفة زائف تحت اسم المستنصر بالله ، رغبة منه في ان يخلع على حكمه صفة الشرعية . وظلت هذه الخلافة قائمة في مصر حتى انقضاء دولة المماليك عقب الفتح العثماني سنة ١٥١٦/ ١٥١٧ . وكان هولاكو نفسه وثنياً ، ولكنه اظهر العطف على البوذيين وعلى المسيحيين ، ابتغاء مرضاة زوجته المسيحية دقوز خاتون . وعامل جاثليق المشرق معاملة حسنة ، وابقى على بعض المدارس والمساجد .

اهتم هولاكو باعادة تنظيم الادارة في بغداد ، ووضع على رأسها بعض المسؤولين في العهد السابق ، ريثما تتكون له مجموعة من الاداريين المغول . ومن هؤلاء المسؤولين

(٤٨) ويقول ابن العبري (في **ت . س** .، ص ٥٠٥) ان بعض المسلمين حذّروا هولاكو قائلين : اذا سفك دم الخليفة على الارض ، فلن ينزل عليها مطر من بعد ، بل ينبعث منها جمر نار .

مؤيد الدين ابن العلقمي وزيراً ، وفخر الدين الدامغاني صاحب الديوان والقضاء ، ونجم الدين ابن الدرنوس ، وعيّن علي بهادر شحنة[٤٩] لبغداد ، وابقى فرقة من الجيش المغولي قوامها ثلاثة آلاف محارب حامية للمدينة .

وأُرسلت قوات مغولية الى انحاء العراق الاخرى ، فأَخضعت مدنَه وقراه . وكل موضع ابى الاستسلام اليها ، دفع ثمن تمرّده باهظاً . هكذا كان مصير اربيل وواسط ، ثم مصير الموصل في سنة ١٢٦١ .

واستطاع مماليك مصر ان يقفوا في وجه المغول فترة ، بل ان يحرزوا عليهم نصراً مبيناً في واقعة «عين جالوت» بالقرب من الناصرة في الجليل في ٣ أيلول سنة ١٢٦٠ . الا ان هذا النصر لم يردّ المغول على اعقابهم بصورة حاسمة .

اما هولاكو الذي لُقّب بالايلخان الكبير ، فكان يقيم في زمن السلم في مدينة مراغة شرقي بحيرة اورمية ، حيث اقام ابنية كثيرة ، منها مكتبته الشهيرة ومرصده الفلكي الذي اقامه بمساعدة نصير الدين الطوسي الرياضي والفلكي الشهير . وهناك توفي هولاكو سنة ١٢٦٥ ، بعد ان دوّخ العالم بفتوحاته ، وقضى على الكثير من معالم التمدن والحضارة . ودُفنت معه لدى موته غانيات جميلات ، عملاً بالعادات المغولية .

وفي عهد الايلخان السابع غازان محمود (١٢٩٥-١٣٠٣) تبنى المغول الديانة الاسلامية التي اصبحت منذئذ دين الدولة المغولية الرسمي[٥٠] .

هـ) وماذا عن المسيحيين ؟

لدى استيلاء هولاكو على بغداد ، جمع الجاثليق مكيخا المسيحيين في كنيسة سوق الثلاثاء ، وأبقاهم هناك ، بحيث ان احداً منهم لم يُصَب بأذى . وقد وضع كثير من المسلمين اموالهم لدى الجاثليق ، لكي يستعيدوها في حالة نجاتهم من القتل .

وحينما حاصر المغول قلعة اربيل بعد سقوط بغداد ، توصل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل الى شرائها منهم بمبلغ ٧٠٠٠٠ دينار . وفي وقت لاحق ، استولى على اربيل مسيحي اسمه مغطس ، وهو اخو صفي سليمان الطبيب الشهير . وخلفه في ادارتها ابنه تاج الدين عيسى الذي كان رجلاً صالحاً ومؤمناً .

وبعد سقوط بغداد ايضاً ، ارسل مسيحيو تكريت الى الجاثليق مكيخا يلتمسون

---

(٤٩) الشحنة منصب موظف يتولى سلطات ادارية وامنية في المدن والمراكز الحضرية الاصغر من المدن . وما تزال التسمية تُطلق على اناس يعيّنهم الملاّكون رقباء على المحاصيل في بلدة او قرية تعود اليهم ، خاصة في فترة الصيف ، اي في اوان جمع الغلات .

(٥٠) طالع **العراق في التاريخ** ، بغداد ١٩٨٣، ص ٥٤٥-٥٥٢.

منه ان يتوسط في تعيين شحنة لحراسة بلدتهم . فلبّى طلبهم . وحينما وصل التتار الى تكريت وقتلوا كبار المسلمين هناك ونهبوا اموالهم ، التجأ المسيحيون الى الكنيسة الخضراء المقامة على اسم مار احودامه التي كان المسلمون قد اخذوها منهم . وظل المسيحيون فيها دون اذى من مطلع الصوم الكبير حتى احد الشعانين الموافق ١٧ اذار سنة ١٢٥٨. الا ان مسلماً يُدعى بر دوري وشى بهم لدى الشحنة ، وقال ان المسيحيين استلموا اموالاً طائلة من المسلمين الذين قُتلوا ، وبقيت هذه الاموال في حوزة المسيحيين دون ان يعطوا شيئاً منها للشحنة . وعند التحقيق ، أقرّ المسيحيون بالحقيقة ، واتوا بالاموال ووضعوا امامه . فاخبر الشحنة هولاكو بهذا الامر ، واذا بهولاكو يصدر امراً يقضي بابادة التكريتيين المسيحيين ، بحيث لم ينجُ منهم سوى القلائل من الشيوخ والعجائز . اما الصغار فقد أُسروا . ولم يبقَ في البلدة سوى كاهنين لخدمة الكنائس الاخرى ، اذ استولى المسلمون على الكنيسة الكبرى من جديد . بعد ذلك ، أُقيم رجل مسيحي اسمه بهرام شحنة لتكريت ، وقضى على الواشي بردوري .[٥١] .

فنرى أن المسيحيين ، بالرغم من حماية زوجة هولاكو دقوز خاتون المسيحية لهم ، لم يكونوا في وضع مستقر ، بل غالباً ما شاطروا مصير اخوانهم المسلمين ، وتعرضوا للقتل والنهب والسلب من قبل السلطات المغولية عديمة الرحمة . وسرعان ما تبخرت تلك الآمال التي راودتهم حيناً في العيش باطمئنان في ظل الفاتحين الجدد . . .

مهما يكن من أمر ، فان صليبا ، بعد أن يذكر ان هولاكو فتح بغداد في عهد البطريرك مكيخا الثاني ، يقول : «وأنعم هولاكو خان على هذا الاب «مكيخا» واعطاه دار الخليفة المعروفة بدار الدويدار التي على الدجلة حتى يسكنها ، وعمّر فيها البيعة الجديدة (ورزق جاها عظيماً) ، واستناح يوم السبت الذي بعد الاحد الجديد ، وهو ثامن عشر نيسان سنة ١٥٧٦ يونانية (١٢٦٥ م) . . . ودُفن في البيعة الجديدة التي بناها (بدار الخليفة) . . .»[٥٢] .

---

(٥١) ابن العبري، ت-س.، ص ٥٠٦ - ٥٠٧.
(٥٢) صليبا، ص ١٢٠ - ١٢١.

الخاتمة

في نهاية هذه الجولة السريعة في تاريخ كنيسة المشرق للفترة الممتدة من مجيء الاسلام حتى نهاية العهد العباسي في بغداد في منتصف القرن الثالث عشر ، يجدر بنا ان نلقي نظرة اجمالية على هذا التاريخ الحافل باحداث هامة ، لكي نستخلص منه للقراء الكرام حصيلة تساعدهم على تفهّم اعمق لهذا التاريخ ، وتسلّط الاضواء على الطابع الاخوي الذي يجب ان يهيمن على علاقات المسيحيين بالمسلمين في الوطن الواحد الذي فيه يتجذرون ويعيشون ، ولاجله يعملون ، وعنه يذودون وفي سبيل ازدهاره يبذلون الطاقات والامكانات الفكرية والمادية .

ان هذا التاريخ الذي يمتد على مدى ستة قرون طويلة يتخلله الكثير من النور والظلمات ، ويعتوره الكثير من الضغائن والانتقامات ، ولكنه يبقى تاريخاً يشكّل التعاون البنّاء لحمته وسداه ، ويمتزج فيه الحب والحقد ليصهرا الانسان المشرقي ، مسيحيه ومسلمه ، ويصوغا منه انساناً متكاملاً ترفعه روحه العظيمة الى التسامي في التسامح ، والى الافادة من الماضي ودروسه القيّمة ، ليستمد منه عبراً لبناء حاضره ومستقبله على ضوء ما يستقيه من المُثُل العليا في كلتا الديانتين :

فعلى المسلم الا ينسى ما جاء في القرآن الكريم :

- « . . . ولو شاءَ اللهُ لجَعَلكم أمّةً واحدة ، ولكن ليبلوَكم في ما آتاكم . فاستبِقوا الخيرات ، الى الله مَرجِعُكم جميعاً ، فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون»(سورة المائدة ـ ٤٧) .

- «ولا تجادلوا اهلَ الكتاب الا بالتي هي أَحسن ، الا الذين ظَلموا منهم . وقولوا

آمَنَّا بالذي أُنزل الينا وأُنزل اليكم ، وآلهُنا وآلهُكم واحد ، ونحن له مسلمون» (سورة العنكبوت - ٤٥) .

«ولَتَجِدَنَّ أَقرَبَهم مودَّةً للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ، ذلك بأَنَّ منهم قسيسين ورهباناً وأَنهم لا يستكبرون» (سورة المائدة - ٨١) .

كما ان على المسيحي الا ينسى ما ورد في الانجيل الطاهر :

- ما أُوصيكم به : أَحِبّوا بعضُكم بعضاً» (يوحنا ١٥/١٧) .

- «أَحِبّوا اعداءَكم ، وأَحسِنوا الى مبغضيكم ، وبارِكوا لاعنيكم ، وصلّوا من أَجلِ المفترين الكذبَ عليكم» (لوقا ٦/٢٧-٢٨) .

- «كونوا رُحَماء ، كما أَنَّ اباكم رَحيم . لا تَدينوا فلا تدانوا . لا تَحكموا على أحد ، فلا يُحكَم عليكم . إغفِروا يُغفَر لكم» (لوقا ٦/٣٦-٣٧) .

- «كما تريدون ان يُعامِلَكم الناسُ، فكذلك عامِلوهم» (لوقا ٦/٦/٣١) . . .

ان المسيحيين ، والحق يُقال ، نادراً ما تعرضوا في الواقع لاضطهادات حقيقية في العهود الاسلامية ، ولاسيما في العهد العباسي ، وبالاخص في العهد العباسي الاول . من البديهي انهم عانوا ، مثل اخوانهم المسلمين ، من مضاعفات الاحداث الداخلية ، ولاسيما من الاضطرابات السياسية الكثيرة . وكانت نتائج هذه الاضطرابات احياناً ثقيلة الوطأة على المسيحيين خاصة ، حينما كان الامر يتعلق بصراعات المسلمين مع الامراء المسيحيين او الصليبيين . كما انهم دفعوا احياناً ثمن تهوّرهم غالياً ، حينما قاموا باعمال اعتبرها المسلمون بمثابة تحديات او استفزازات : دفنات صاخبة ، نواقيس مثيرة ، علامات البذخ والغنى الصارخة . . . الا ان ما انهك قوى المسيحية في هذه البلاد هو المناخ الثقيل بالضغط الاجتماعي والتمييز الديني ، بل بالاذلال عن طريق الضرائب الخاصة ولبس الشارات المميّزة .

واذا دفع هذا الوضع ما تبقى من المسيحيين في بلاد المشرق الى رفض العالم الذي عاشوا فيه طوال ستة قرون ، فذلك لان هذا العالم ذاته ، في ميله الى التصلّب في تطبيق الشريعة ، لم يوفّر لهم فرصة العمل بحرية تامة ، ولم يعتبرهم غالباً سوى هامشيين . فان علاقات الاسلام بالشعوب المغلوبة الباقية على ديانتها تتركز على مبدأ عام مزدوج : مبدأ التسامح الديني ، ومبدأ الفصل الاجتماعي .

هناك الحديث المأثور : لا اكراهَ في الدين .

لكن مفهوم «اهل الكتاب» سرعان ما اخلى الموضع للمفهوم الآخر : «اهل الذمة» . ولعب علماء الدين والفقهاء دوراً كبيراً في شرح هذا المفهوم ، ليس

بحسب روح الشريعة الاسلامية الاصيلة ، بل بحسب حرفها الذي قاد هؤلاء الفقهاء الى حمل المسؤولين احياناً على اتخاذ مواقف مجحفة بحق الاقليات غير المسلمة . . .

ان الدين الحقيقي يعني الانفتاح . اما التزمّت والتعصّب والانغلاق ، فانها امور لا تمتّ الى الدين بصِلة ، بل هي نتيجة ضيق وجهات النظر وقصر الآفاق الدينية . فكل ديانة حقيقية- ولا اتكلم هنا عن الديانات الوثنية- تهدف الى تقريب الانسان من الله ، والى خلق جوّ من التفاهم والتعاون بين ابناء الله أجمعين على الارض كلها ، مهما اختلفت طرقهم المؤدية الى الله . فلو ادرك المسيحيون والمسلمون انهم جميعاً إبناء أب واحد هو الله ، وانهم جميعاً اخوة ، بالرغم من الفوارق العرقية او الطبقية او المذهبية ، اذن لتَيَسَّر لهم ان يتعايشوا ويتكاملوا ويعملوا معاً في سبيل الخير العام في ظل سلطاتهم الشرعية ، مسلمة كانت او مسيحية ، وليحققوا مسيرتهم المشتركة الى الله في تضامن وثيق وتنافس حُرّ في عمل الخير والبنيان .

المصادر والمراجع

أ) العربـية والسريانية

ابن ابي اصيبعة (موفق الدين ابو العباس)، **عيون الانباء في طبقات الاطباء**، شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥.

ابن الاثير (عز الدين)، **كتاب الكامل في التاريخ** (١٣ ج)، بيروت ١٩٦٥- ١٩٦٧.

إبن الازرق (ابو عبدالله الاندلسي)، **بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق محمد عبد الكريم (٢ج)، تونس ١٩٧٧.

إبن تغري بردي (جمال الدين ابو المحاسن)، **النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة** (١٢ج)، القاهرة ١٩٢٩- ١٩٥٦.

إبن جبير (أبو الحسين محمد)، **الرحلة**، بيروت ١٩٦٤.

إبن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن)، **كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والامم**، تحقيق ف. كرنكو (٨ج)، حيدرآباد ١٣٥٧-١٣٥٩هـ.

إبن حوقل (ابو القاسم محمد)، **كتاب صورة الارض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩.

إبن خلدون (وفي الدين بن عبد الرحمن)، **المقدمة**، القاهرة ١٩٥٧.

إبن خلدون، كتاب العبر (٧ج)، القاهرة، ١٢٨٤ هـ.

ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (٦ج) ط ١، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٨.

إبن الساعي الخازن (ابو طالب علي)، **الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير**، تحقيق مصطفى جواد، بغداد ١٩٣٤.

إبن عبد الحق (صفي الدين عبد المؤمن) ، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** ، بيروت ١٩٥٤ - ١٩٥٥.

إبن عبد ربه (إبن عمر احمد) ، **العقد الفريد** (٧ج) ، ط ٣، القاهرة ١٩٦٥.

إبن العبري (غريغوريوس الملطي) ، **التاريخ الكنسي** (٣ج) ، نشره ابيلوس ولامي ، لوفان ، ١٨٧٢ - ١٨٧٧.

إبن العبري، **التاريخ السرياني او تاريخ الزمان** ، طبعة بولس بيجان ، باريس ١٨٩٠، والترجمة العربية لاسحق ارملة ، بيروت ١٩٨٧.

إبن العبري، **تاريخ مختصر الدول** ، نشره الاب انطون صالحاني اليسوعي ، ط ١، بيروت ١٨٩٠.

إبن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم) ، **تاريخ إبن الفرات** (تاريخ الدول والملوك) (٤ج) ، تحقيق الدكتور حسن محمد الشماع ، بغداد ١٩٦٧.

إبن الفوطي (كمال الدين عبد الرزاق) ، **الحوادث الجامعة** ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٩٣٢.

إبن قتيبة (أبو محمد عبدالله) ، **عيون الأخبار** ، القاهرة ١٩٦٢؛ **المعارف** ، تحقيق ثروة عكاشة ، القاهرة ١٩٦٠.

إبن القفطي (جمال الدين) ، **تاريخ الحكماء** ، وهو مختصر محمد بن علي الزوزني ، المعروف بالمنتخبات الملتقطات من كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي نشر على حساب امين الخانجي مصر ، ١٩٠٨.

إبن الكازروني (علي بن محمد) ، **مختصر التاريخ** ، حققه الدكتور مصطفى جواد ، بغداد ١٩٧٠.

إبن كثير (عماد الدين أبو الفداء) ، **البداية والنهاية في التاريخ** (١٤ج) ، القاهرة ١٩٣٢.

إبن كلدون (يوحنا) ، **تاريخ يوسف بوسنايا** ، ترجمة القس يوحنان جولاغ ، بغداد ١٩٨٤.

إبن النديم (محمد بن اسحق) ، **الفهرست** ، تحقيق رضا - تجدّد ، ١٩٧١.

أبو الشعر (هند)، **حركة المختار بن ابي عبيد الثقفي في الكوفة**،عمان ١٩٨٣.

أبونا (الاب البير) ، **ادب اللغة الآرامية** ، ط ١، بيروت ١٩٧٠.

أبونا (الاب البير) **تاريخ الكنيسة الشرقية** ، ط١، الموصل ١٩٧٣.

أحمد أمين ، **ضحى الاسلام** ، القاهرة ١٩٣٨.

أحمد أمين فجر، **الاسلام** ، القاهرة ١٩٥٩.

أحمد عبد الباقي ، **سامرا ، عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين** (٢ج) ، بغداد ١٩٨٩.

الأزدي (أبو زكريا)، **تاريخ الموصل**، تحقيق الدكتور علي حبيبة، القاهرة ١٩٦٧.

الاصفهاني (أبو الفرج) ، **الأغاني** (٣٢ج) ، بيروت ١٩٥٧ - ١٩٦١.

الاصفهاني (حمزة بن الحسن) ، **تاريخ سني ملوك الارض والانبياء** ، برلين ١٣٤٠هـ/١٩٢١م .

الاندلسي (صاعد بن احمد التغلبي) ، **طبقات الامم** ، النجف ١٩٦٧.

اوليري (دي لاسي)، **انتقال علوم الاغريق الى العرب**، تعريب متي بيثون ويحيى الثعالبي، بغداد ١٩٥٨.
أيشوعدناح (البصري)، **الديورة في مملكتي الفرس والعرب**، ترجمة القس بولس شيخو، الموصل ١٩٣٩.
بابو اسحق (رفائيل)، **تاريخ نصارى العراق**، بغداد ١٩٤٨.
بابو اسحق (رفائيل)، **مدارس العراق قبل الاسلام**، بغداد ١٩٥٥.
بابو اسحق (رفائيل)، **احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية**، بغداد ١٩٦٠.
بارتولد (فاسيلي فلاديمير)، **تاريخ الحضارة الاسلامية**، نقله من التركية الى العربية حمزة طاهر، ط ٢، دار المعارف مصر ١٩٥٢.
برشينايا (ايليا)، **التاريخ**، ترجمة الاب يوسف حبي، بغداد ١٩٧٥.
برصوم (البطريرك افرام الاول)، **اللؤلؤ المنثور**، ط ٢، حلب ١٩٥٦.
بروكلمان (كارل)، **تاريخ الشعوب الاسلامية**، ط ٤، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، بيروت ١٩٦٥.
البكري (أبو عبيد)، **معجم ما استعجم**، القاهرة ١٩٤٧.
البلاذري (أبو الحسن)، **فتوح البلدان**، راجعه وعلّق عليه رضوان محمد رضوان مصر، ١٩٥٩.
البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد)، **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، ليبسيك ١٩٢٣.
التاريخ الصغير (لمؤلف مجهول)، ترجمة الاب بطرس حداد، بغداد ١٩٦٧.
التقي الفاسي (تقي الدين محمد بن احمد)، **تاريخ علماء بغداد** (منتخب المختار)، صحّحه وعلّق حواشيه المحامي عباس العزاوي، بغداد ١٩٣٨.
تيسران (الكردينال اوجين)، **الكنيسة الكلدانية**، ترجمة القس سليمان الصائغ، الموصل ١٩٣٩.
الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، **الحيوان** (٧ج)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٩٣٨ - ١٩٤٥.
الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، **البخلاء**، القاهرة ١٩٥٨.
الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين (٤ج) تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٤٨ - ١٩٥٠.
جواد علي (الدكتور)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣، بيروت ١٩٦٩، مع الدكتور احمد سوسه، **دليل خارطة بغداد**، بغداد ١٩٥٨.
حبي (الأب يوسف)، **كنيسة المشرق**، بغداد ١٩٨٩.
حتي (الدكتور فيليب)، **تاريخ العرب** (المطوّل)، ط ٤ (٢ج)، بيروت ١٩٦٥.
الحريري (أبو موسى)، **قسّ ونبي. بحث في نشأة الإسلام**، بيروت ١٩٧٩.
حشيمه (الأب كميل اليسوعي)، **لويس شيخو : علماء النصرانية في الإسلام**، سلسلة التراث العربي المسيحي، جونية ١٩٨٣.

الحلبي (علي بن برهان)، **انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون**، المعروفة بالسيرة الحلبية (٣ج) القاهرة ١٩٦٢.
الحموي (شهاب الدين ياقوت)، **معجم البلدان** (٥ج)، بيروت ١٩٥٥ - ١٩٥٧.
حنين ابن اسحق، **جوامع في الآثار العلوية لأرسطو**، تحقيق وتقديم الأب يوسف حبي وحكمت نجيب، **مطبوعات مجمع اللغة السريانية**، بغداد ١٩٧٦.
الدوري (عبد العزيز)، **العصر العباسي الاول**، بغداد ١٩٤٥.
الدوري (عبد العزيز)، **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**، بغداد ١٩٤٥.
الدوري (عبد العزيز)، **تاريخ العراق الإقتصادي في القرن الرابع الهجري**، بغداد ١٩٤٨.
الدوري (عبد العزيز)، **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**، بغداد ١٩٤٩.
الدوري (عبد العزيز)، **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب**، بيروت ١٩٦٠.
الدويهي (البطريرك اسطفان)، **تاريخ الأزمنة**، حققه ونشره الأباتي بطرس فهد، بيروت ١٩٨٣.
ديسو (رنيه)، **العرب في سوريا قبل الإسلام**، باريس ١٩٠٧، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ود. محمد مصطفى زياده، سوريا، (بدون تاريخ).
ديمومبين (موريس غ.)، **النظم الإسلامية**، ترجمة صالح الشماع وفيصل السامر، بغداد ١٩٥٢.
الدينوري (ابو حنيفة أحمد بن داود)، **الأخبار الطوال**، القاهرة ١٩٦٠.
الديوه جي (سعيد)، **تاريخ الموصل**، الموصل ١٩٨٢.
الراوي (ثابت اسماعيل)، **تاريخ الدولة العربية، خلافة الراشدين والامويين**، بغداد ١٩٧٦.
الربيعي (جاسم صكبان)، **نصارى العراق في العصر الأموي** (رسالة ماجستير)، بغداد ١٩٧٤.
رستم (أسد)، **حرب الكنائس**، بيروت ١٩٥٨.
رستم (أسد)، **كنيسة مدينة الله انطاكيا** (٣ج)، دار النور، بيروت ١٩٥٨.
الزيات (حبيب)، **الصليب في الإسلام**، مطبعة القديس بولس، حريصا ١٩٣٥.
الزيات (حبيب)، **الديارات النصرانية في الإسلام**، بيروت ١٩٣٨.
زيدان (جرجي)، **العرب قبل الإسلام**، منشورات المكتبة الاهلية، بيروت، (بدون تاريخ).
زيدان (جرجي)، **تاريخ التمدن الإسلامي** (٥ج)، بيروت ١٩٦٧.
زيدان (جرجي)، **طبقات الأمم**، بيروت ١٩٦٩.
سحاب (فكتور)، **من يحمي المسيحيين العرب؟** بيروت ١٩٨١.
سورديل (دومنيك)، **الإسلام**، ترجمة الدكتور خليل الجر، (بدون تاريخ).
سوسه (أحمد نسيم) **ري سامراء في عهد الخلافة العباسية** (٢ج)، بغداد ١٩٤٨ - ١٩٤٩.
السيوطي (جلال الدين)، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط٢، القاهرة، ١٩٦٤.

السيوطي (جلال الدين)، **المزهر في علوم اللغة وانواعها** (٢ج) ، تصحيح ابي الوفا الهوريني ، المطبعة الكبرى السنية ، ١٢٨٣ هـ .

الشابشتي (أبو الحسن علي بن محمد) ، **كتاب الديارات** ، تحقيق كوركيس عواد ، ط ٢، بغداد ١٩٦٦.

شعبان (محمد عبد الحي) ، **الثورة العباسية** ، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي ، دار الدراسات الخليجية ، ١٩٧٧.

الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم) ، **الملل والنحل** (٢ج) ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، مصر ١٩٦١.

شيخو (الأب لويس اليسوعي)، **النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية** ، بيروت ١٩١٢- ١٩٢٣.

شيخو (الأب لويس اليسوعي)، **شعراء النصرانية قبل الإسلام** ، ط٢، بيروت ١٩٦٧,

شيخو (الأب لويس اليسوعي)، **شعراء النصرانية بعد الإسلام** ، ط ٢، بيروت ١٩٦٧.

شير (المطران أدي) ، **تاريخ كلدو واثور** (٢ج) ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٢- ١٩١٣.

الصائغ (القس سليمان) ، **تاريخ الموصل** (٣ج) : ١، مصر ١٩٢٣، ٢، بيروت ١٩٢٨، ٣، جونية ١٩٥٦.

صليبا (إبن يوحنان الموصلي) ، **أخبار بطاركة كرسي المشرق** ، تحقيق جيسموندي ، روما ١٨٩٦.

الصوباوي (عبديشوع) ، **فهرس المؤلفين** ، تعريب وتحقيق الأب يوسف حبي ، بغداد ١٩٨٦.

الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى) ، **اخبار الراضي والمتقي بالله** ، مصر ١٩٣٥.

الطبري (محمد بن جرير) ، **التاريخ** (١٠ج) ، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠- ١٩٦٩.

الطريحي (محمد سعيد) ، **الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها**، بيروت ١٩٨١.

العراق (مشترك) ، **العراق في التاريخ** ، بغداد ١٩٨٣.

عطوان (الدكتور حسين) ، **الدعوة العباسية ، تاريخ وتطوّر** ، بيروت (١٩٨٤؟) .

العلي (الدكتور أحمد صالح) ، **معالم العراق العمرانية** ، بغداد ١٩٨٩.

العمري (إبن فضل الله) ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق احمد زكي باشا ، القاهرة ١٩٢٤.

العمري (محمد أمين بن خير الله) ، **منهل الأولياء** (٢ج) ، حققه ونشره سعيد الديوه جي ، الموصل ١٩٥٥.

غريّب (ميشال فريد) ،**الحلاج او وضوء الدم** ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (بدون تاريخ) .

غنيمة (يوسف رزق الله) ، الحيرة ، **المدينة والمملكة العربية** ، بغداد ١٩٣٦.

فوزي (الدكتور فاروق عمر)، **العباسيون الأوائل** (٢ج)، دار الارشاد، بيروت ١٩٧٠ دار الفكر، بيروت ١٩٧٣؛ **الثورة العباسية**، بغداد ١٩٨٩؛ **الخليفة الداهية الناصر لدين الله العباسي**، بغداد ١٩٨٩.
فهد (بدري محمد)، **تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير**، بغداد ١٩٧٣.
القزويني (زكريا بن محمد بن محمود)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت ١٩٦٠.
القلقشندي (إبن أبي العباس احمد)، **صبح الأعشى** (١٤ج)، القاهرة ١٩١٩- ١٩٢٠.
قنواتي (الأب جورج شحاته)، **المسيحية والحضارة العربية**، ط ٢، بغداد ١٩٨٤.
الكرماني (عمر بن يوسف بن علي شمس الدين)، **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري** (٢٥ج)، القاهرة ١٩٣٢- ١٩٣٤.
كوربون (جان)، **كنيسة المشرق العربي**، ترجمة المطران اغناطيوس هزيم، بيروت ١٩٨٠.
ماري (بن سليمان) **أخبار بطاركة كرسي المشرق**، تحقيق جيسموندي، روما ١٨٩٩.
ماسيه (هنري)، **الإسلام**، ترجمة بهيج شعبان، بيروت ١٩٦٠.
مراد كامل (بالإشتراك مع آخرين)، **تاريخ الأدب السرياني**، القاهرة ١٩٧٤.
المرجي (توما)، **كتاب الرؤساء**، ترجمة الأب ألبير أبونا، ط ١، الموصل ١٩٦٦، ط ٢، بغداد ١٩٩٠.
المسعودي (أبو الحسن علي ابن الحسين)، **مروج الذهب** (٤ج)، مصر ١٩٦٤- ١٩٦٥.
المسعودي (أبو الحسن علي إبن الحسين)، **التنبيه والإشراف**، بيروت ١٩٦٨.
المعاضيدي (عبد القادر)، **واسط في العصر الأموي**، بغداد ١٩٧٦.
مهرجان (افرام وحنين)، **مهرجان افرام وحنين**، مطبوعات مجمع اللغة السريانية، بغداد ١٩٧٤.
ميخائيل (السرياني الكبير)، **التاريخ**، نشره وترجمه الى الفرنسية الأب يوحنا شابو، باريس ١٨٩٩- ١٩١٠.
نصري (الأب بطرس)، **ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان** (٢ج)، الموصل ١٩٠٥-١٩١٣.
يتيم (الأب ميشيل)، **تاريخ الكنيسة الشرقية**، حلب ١٩٥٧.
يعقوب توما (سويريوس)، **تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية** ١، ط ١، لبنان ١٩٥٣، ط ٢،هولندا ١٩٨٩.
يعقوب الثالث (البطريرك)، **الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية**، دمشق ١٩٦٦.
يعقوب (الرهاوي)، **الأيام الستة** (هكساميرون)، ترجمة المطران غريغوريوس صليبا شمعون، دمشق ١٩٩٠.
اليعقوبي (أحمد بن ابي يعقوب)، **تاريخ اليعقوبي** (٢ج)، دار صادر، بيروت ١٩٦٠.

ب) الاجنبية

ANDRAE, Tor, *Les Origines de l'Islam et le Christianisme* (trad. J.ROCHE), Paris 1955.

ARKOUN (M.) et GARDET (Louis) *L'Islam , hier, demain* , Paris 1978.

BERAUD-VILLARS, Jean, *L'Islam d'hier et de toujours,* Paris 1969.

BERTUEL, Joseph, *L'Islam, ses véritables origines*, Paris 1981.

BIDAWID, R J., *Les lettres du Patriarche nestorien Timothée I*, Rome 1956.

BRAUN, O., *Timothei Patriarchae I epistolae*, CSCO, vol. 74, 75, 1914-1915.

CHEIKHO, Hanna, P.J., *Dialectique du langage sur Dieu, Lettre de Timothée I à Serge*, Rome 1983.

CHABOT, Jean-Baptiste,*Synodicon Orientale*, texte syriaque et traduction française, Paris 1902.

Littérature syriaque, Paris 1934.

DELLY, E.K., *La Théologie d'Elie Bar Sénaya*, Rome 1957.

DEMOMBYNES, M.G., «Le monde musulman et Byzantin jusqu'aux croisades», in Coll. *Histoire du monde,* VII, Paris 1931

DE VRIES, W., *Orient et Occident*, Les structures ecclésiales vues dans l'histoire des sept premiers Conciles oecuméniques, les Editions du Cerf, Paris 1974.

FAROUK, Omar, *The Abbasid Caliphate*, London 1967.

FIEY, J.M., *Mossoul chrétienne*, Beyrouth 1959.

Assyrie Chrétienne I, Beyrouth 1965.

Assyrie Chrétienne II, Beyrouth 1965.

Assyrie Chrétienne III, Beyrouth 1968.

Jalons pour une histoire de l'église en Iraq, CSCO, Louvain 1970.

Communautés Syriaques en Iran et Irak des origines à 1552, Variorum reprints, London 1979.

Chrétiens syriaques sous les Abbassides surtout à Bagdad (749-1258), CSCO vol. 420, Subsidia t. 59, Louvain 1980.

FLICHE et MARTIN, *Histoire de l'Eglise*, 5, Paris 1938.

GARDET, Louis, *La Cité musulmane*, Paris 1954.

GRAF, G., *Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur*, 5 vol., Vatican 1944-1953.

HECHAIME, Camille, *Louis Cheikho et son livre «Le Christianisme et la Littérature chrétienne en Arabie avant l'Islam»*, Beyrouth 1967.

KOLLAPARAMBIL, Jacob, *The Babylonian origine of the Southists among the St Thomas Christians*, OCA 241, Roma 1992.

JARGI,Simon, *Islam et Chrétienté*, Genève 1981.

LAOUST, Henri, *Les schismes dans l'Islam*, Paris 1965.

MALFRAY, Marie-Agnès, *L'Islam*, Paris 1980.
MOUBARAC, Y., *Pentalogie Islamo-Chrétienne*, T. IV: *Les Chrétiens et le monde arabe*, Beyrouth 1972-1973.
NAU, F., *Les Arabes chrétiens de Mésopotamie et de Syrie du VIIes. au VIII es.*, Paris 1933.
PAREJA, F.M., (en collaboration), *Islamologie*, Beyrouth 1964.
PUTMAN, H., *L'Eglise et l'Islam sous Timothée I*, Beyrouth 1975.
RABBATH, Edmond, *L'Orient chrétien à la veille de l'Islam*, Beyrouth 1980.
SAKO, Louis, *Lettre christologique du Patr. Syrien oriental Iso'yahb II de Gadala*, Rome 1983.
Le rôle de la Hiérarchie syriaque orientale dans les rapports diplomatiques entre la Perse et Bysance aux Ve-VIIe s., Paris 1986.
SAUVAGET, Jean, *Historiens arabes*, Paris 1946.
SOURDEL, Dominique, *Le Vizirat 'Abbaside de 749 à 936*, 2 vol., Damas 1959-1960.
TISSERANT, Eugène, *Art.* «Nestorienne»*(Eglise)*, in *D T C*, XI, 1 (1931), col. 157-323.
VINCENT et ABEL, *Jérusalem nouvelle*, t. 2, Paris 1922.

فهرس أسماء الأشخاص

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ن

هـ

و

ي

فهرس البلدان والمواقع

ب

ت

ث

ج

ح

خ

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

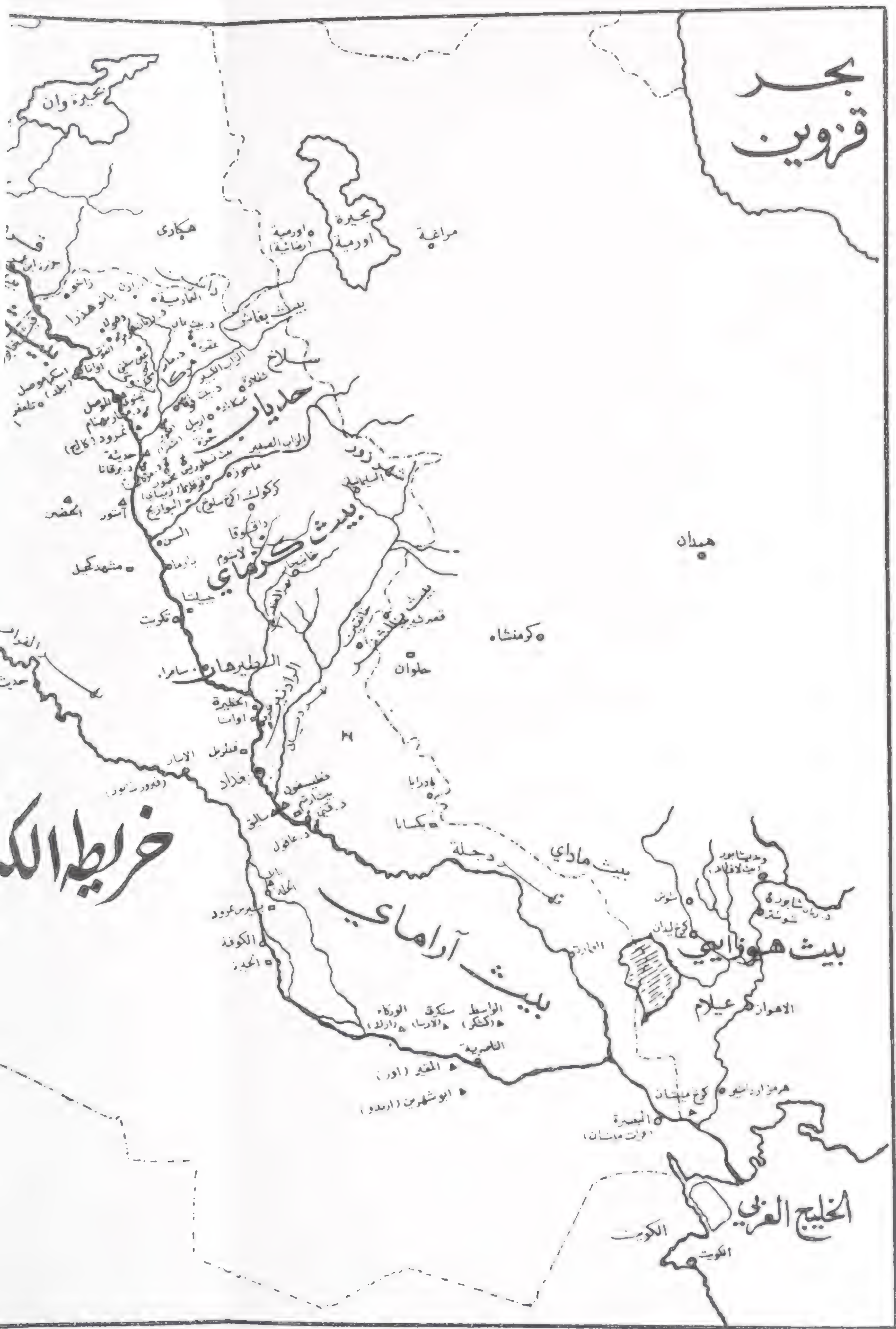
و

ي

محتويات الكتاب



مرعش
د. ماريعقوب
كيسوم
د. قنشرين
اضنه
د. كريجات
غاريعناب
قورش
انطاكيا
جرابلس
حلب
(هيرابولس)
د. زعيل
قنشرين
مسكنة
(بالش)
قبرص
رأس شمرة (اوغاريت)
اللاذقية
د. مارباسوس
افامية
حماه
حمص
تدمر
البحر المتوسط
طرابلس
بيروت
صيدا
صور
دمشق
حيفا
بحيرة طبريا
الاردن
يافا
عمان
اورشليم
البحر الميت
البتراء



بحر
قزوين
بحيرة وان
هكارى
بحيرة اورمية
مراغة
سلاخ
حدياب
بيث بغاش
شهرزور
بيث كرماي
همدان
كرمنشاه
حلوان
آشور
الحضر
تكريت
سامرا
بغداد
دجلة
بيث ماداي
بيث آراماي
بيث هوزايي
عيلام
الاهواز
البصرة
الكوفة
الخليج العربي
الكويت
خريطة الكـ


خربوت
ملطية
د. برصوم
مرعش
د. ماريعقوب
كيسوم
مصيصة
اضنة
د. قنسرين
الرها
سروج
حران
ارزون
حصن كيفا
ماردين
الحسكة
قورش
انطاكيا
حلب
قنسرين
منبج
(هيرابوليس)
مسكنة
(بالس)
الرقة
(قالونيقس)
د. العمود
دير الزور
قبرص
رأس شمرة (اوغاريت)
اللاذقية
د. مارباسوس
افامية
حماه
حمص
تدمر
البحر المتوسط
طرابلس
بيروت
صيدا
صور
دمشق
حيفا
بحيرة طبرية
الاردن
يافا
اورشليم
عمان
البحر الميت
البقراء
الشرقية
الاشارات
المقياس

أنجزت المطبعة الكاثوليكية ش . م . ل .
في عاريا – لبنان ، طباعة هذا الكتاب
في الحادي والثلاثين من تشرين الأول
١٩٩٣

٩٣/١٠/٣١ – ١,٥ – ٠١٧٣٠٧

تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية

من مجيء الإسلام حتى نهاية العصر العباسي

الأب ألبير أبونا



تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية

الجزء الثاني

من مجيء الإسلام
حتى نهاية العصر العباسي

دار المشرق
بيروت